جامعة الخليل
عمادة الدراسات العليا
قسم اللغة العربية

الجواري وأثرهنَّ في الشِّعر العربيّ في الأندلس

إعداد: جانان عزالدين شبانة

إشراف: د. حسن فليفل
أستاذ الأدب الأندلسي المشارك

قُدِّمت هذه الرّسالة استكمالاً لمتطلّبات درجة الماجستير في اللغة العربيـــة وآدابهـــا بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي في جامعة الخليل.

العام الدّراسي 2005

نوقشت هذه الرســالة يــوم الأحــد بتــاريخ 12/ 2006/02م الموافــق 13/ محرّم/ 1427هـــ وأُجيزت.

التوقيع

أعضاء لجنة المناقشة:

1. **د. حسن فليفل مشرفاً ورئيساً** ______________
2. **د. مشهور الحبازي ممتحناً خارجياً** ______________
3. **د. علي عمرو ممتحناً داخلياً** ______________

بسم اللہ الرّحمن الرّحیم

الإهداء

إلى أمي وأبي

الشُّكر

إلى أستاذي... ونافزة

المحتويات:

المقدِّمة

فتح المسلمون الأندلس في نهاية القرن الأوّل الهجري، ولكنهم لم يفتحوها وحدهم فقد دخل معهم البربر، وأضحى المجتمع الأندلسي خليطاً من الأجناس والأعراق التي تعايشت مع بعضها تحت راية الإسلام، ففتحت الجزيرة أبوابها للوافدين عليها، ورحّبت بأجناسهم ولغاتهم وثقافاتهم المختلفة، وظلت تمزج بينها وتصهرها حتى أخرجت مجتمعاً مميّزاً له خصائصه ومُلحه وعاداته وشعره.

وأثارت الجنسيات والثّقافات المتعدّدة في الأندلس اهتمامي، فقرّرت دراسة شعر طائفة أندلسية ذات أصول غير عربيّة، ووقع اختياري على الأندلسيين البربر، وبدأت استقصاء أخبارهم وشعرهم في الأندلس رغبةً مني في تسليط الضوء على شعرهم العربي، وفحص تأثيرات شعرهم في الشعر الأندلسي كافّة، ولكنّ المصادر لم تُسعفني بمادّة كافية تمكّنني من كتابة بحث شامل عنهم، ففكرت في جماعة أجنبيّة أخرى ألا وهي الجواري، وعندما عرضت موضوعي على أستاذي شجّعني على دراسته رغم أني ترددت في الإقبال على دراستهنّ لظنّي أنهنّ غير موجودات إلا في الحانات، ولا يعرفن إلا السّقاية والخمر.

ووجدت عدّة أسباب تدفعني لدراسة تأثيرات الجواري وشعرهنّ، فهنّ مزيجٌ غريب: بشرٌ وبضاعة، غربيات وعربيّات، عالمات ومبتذلات، حاكمات ومحكومات، كما أنهنّ أثرن في المجتمع الأندلسيّ وشعره، وكانت الأسباب الأساسية التي دفعتني لدراسة الجواري وشعرهن وما قيل فيهن هي:

1- لم يتوفّر عن الجواري بحث جاد شامل يدرس شعرهنّ وشعر الغناء الذي تخيّرنه وكلّ شعر الشعراء الذي نظموه فيهنّ في الأندلس.
2- تهميش الباحثين للجواري وأثرهنّ في المجتمع الأندلسي وشعره، فقد ظلّت دراسة الجواري وتأثيراتهنّ في الشعر والحياة الأندلسيّة جزءاً فرعياً من دراسة شعر المرأة في الأندلس، ولم يُقدّم بحث يختص بهنّ.

3- إشاعتهنّ أجواء الحريّة التي امتاز بها المجتمع الأندلسي، لِما تميّزن بـه مـن حريّـة اللباس والخروج إلى الأسواق، والاختلاط بالرّجال ومجالستهم، والجرأة فـي التعبيـر عن مشاعرهنّ، حتى إنّ حرية بعضهنّ أضحت إحدى مصادر الانحلال والفساد فـي الأندلس، كما أنهنّ شاركن في تأسيس الحركة الغنائية في الأندلس، وكـان النصيب الأكبر للجواري المشرقيات اللاتي تتلمذ على أيديهنّ جوارٍ أندلسيّات ساهمن في وضـع أُسس الغناء الأندلسي.

4- نقلهنّ الثّقافة المشرقية وعلومَها إلى الأندلس، والمشاركة في الحياة الثّقافيّـة سـواءً بوضع المؤلفات وتعليم المريدين أو بتسخير علومهنّ وفنونهنّ، كما أن الجواري علـى اختلاف أجناسهنّ نقلن ثقافات أقوامهنّ ولغاتهم وعاداتهم.

5- تأثيرهنّ في الحياة السّياسيّة الأندلسيّة بفرض نفوذهنّ، أو بمؤامراتهن لتولية أولادهنّ حكم الأندلس، أو بمواقفهنّ العسكرية.

6- تقليلهنّ من فرص الفتاة الحرّة في الزّواج، لازدهار تجارتهنّ وانخفـاض أسـعارهنّ، ومعرفتهنّ بأساليب امتلاك عقول الرجال وقلوبهم ، كما أثرن في الأسرة الأندلسيّة فقـد نشرت بعض أمهات الأولاد العداوة والبغضاء بـين الإخـوة فـي أثنـاء محـاولاتهنّ الحصول على ولاية العهد لأبنائهنّ.

7- تأثيرهنّ في الحياة الاقتصاديّة عند بيعهنّ أو شرائهنّ، بالإضـافة إلـى مـصروفاتهنّ والهدايا المُقدّمة لهنّ أو بأعمالهنّ الخيريّة في المجتمع الأندلسيّ.

8- تأثيرهنّ في الشِّعر في الأندلس لكونهنَّ أحد مصادر إلهـام الـشُّعراء فـي الأنـدلس، بالإضافة لإنتاجهنّ الشعري، كما أنهنّ مكّنّ للعديد من النماذج الشعرية المشرقية التـي اخترنها في مجالس الأُنس.

9- غناؤهنّ مقطوعات شعريّة أوردها ابن فضل الله العمريّ في مـسالك الأبـصار، ولـم يعرض باحث من قبل لكلّ هذه المقطوعات الشعرية التي غنتها الجواري وحفظها ابـن فضل الله العمري.

واهتمامي بالجواري لم يكن الأول من نوعه؛ فقد أولَى المؤرخون والمترجمـون القـدماء اهتماماً بالنساء عامّة والجواري خاصّة، وأفردوا لهنّ مؤلفات عدّة، كما قام بعضهم بإدراج تـراجم متواضعة لبعضهنّ، أو نَثَر أخبارهنّ في كتبه، ويسترعي الانتباه أنّ المشارقة وضـعوا مـصنّفات

عن الجواري أكثر من الأندلسيين؛ فوضع يونس الكاتب " كتاب القيان " في القرن الأول الهجري، وتبعه إسحاق الموصلي بكتابيه " كتاب القيان " و " قيان الحجاز"، ولحقه الجاحظ برسالته " الجواري والقيان "، وجاء جلال الدين السيوطي في القرن التاسع الهجري فوضع كتاب "المستظرف من أخبار الجواري "، بالإضافة للعديد من كتب شراء الرّقيق في التراث العربي مثل "رسالة جامعة لفنون نافعة في شري الرقيق وتقليب العبيد " لابن بطلان، و" رسالة القول السديد في اختيار الإماء والعبيد " للعنتابي الأمشاطي، و " رسالة هداية المريد في تقليب العبيد " لمحمد الغزالي.

أمّا الأندلسيون فكانت مشاركتهم قليلةً على يد فتحونة بنت جعفر الأندلسيّة التي جمعت أخباراً عن جواري الأندلس في كتابها " قيان الأندلس" ولكن لم يُكشف عن هذا الكتاب بعد وربّما كان مفقوداً، كما ظهرت تراجم مقتضبة لبعض الجواري الأندلسيّات في كتاب " التّكملة لكتاب الصّلة " لابن الأبار الذي نقل عنه المقّري في كتابه " نفح الطّيب من غصن الأندلس الرّطيب "، ونُثرت أخبارهنّ في مصادر أندلسيّة متعدّدة أهمّها: "الذّخيرة في محاسن أهل الجزيرة " لابن بسام الشنتريني، و" طوق الحمامة " لابن حزم الأندلسيّ، بالإضافة إلى " نفح الطّيب من غصن الأندلس الرّطيب" للمقَّريّ.

واتجه الباحثون المعاصرون لدراسة أدب المرأة وشعرها عامّة ولم يخصُّوا الجواري بالدّراسة، باستثناء ناصر الدين الأسد الذي درس القيان والغناء في العصر الجاهلي، وفايد العمروسي وجبُّور عبد النور اللذين درسا الجواري في العصرين الأموي والعباسي، وسهام الفريح التي درست الجواري والشعر في العصر العباسي، أمّا دارسو الأدب الأندلسيّ فلم يُقدِموا على دراسة الجواري وشعرهنّ، واكتفوا بدراسة شعر المرأة في عصور أندلسيّة محدّدة، ومن الجدير بالذِّكر أن بعض دارسي الأدب الأندلسيّ تعرّض للجواري وشعرهنّ إلا أنّ التركيز انصبّ على الحرائر وأعلامهنّ مثل ولاّدة بنت المُستكفي وحفصة الرّكونية، وأبرز الدّراسات رسالة ماجستير تقدّمت بها سلمى سلمان علي بعنوان " المرأة في الشِّعر الأندلسي في عهد الطوائف "، ورسالة ماجستير لمحمد احدادن بعنوان " المرأة في الأدب الأندلسي في عصر بني أمية "، ورسالة غادة الحصني التي عنونتها بـ "شاعرات الأندلس "، ورسالة دكتوراة لمحمد صبحي أسعد أبو حسين بعنوان " المرأة في الأدب الأندلسي في عصر الطوائف والمرابطين ".

ولم أجد أية دراسة حول الجواري في الأندلس غير كتاب وائل أبو صالح " الجواري في الأندلس " الذي قسّمه إلى تمهيد وخمسة فصول، ومهّد لبحثه بحديث عن الجواري في المشرق أيام الجاهلية، وعرض لأثر الإسلام في نظام الرّقيق، أما الفصول اللاحقة فدرس فيها أثر الجواري في الحياة الاجتماعيّة والسياسيّة والفنيّة والأدبيّة.

وعلى الرغم من أن وائل أبو صالح له الفضل في حملِ عصا السَّبق في دراسة الجواري في الأندلس إلاّ أن دراسته لم تخلُ من المآخذ؛ فقد تحدّث المؤلف عن مباحث لا ضرورة لها في البحث: كتخصيصه التمهيد للحديث عن الجواري في المشرق أيام الجاهلية وتجاهل الحديث عنهنّ في الأندلس، كما أنه أدرج مبحثاً لدراسة شعر الحرائر وموضوعاته بدلاً من دراسة شعر الجواري وموضوعاته، وأظنّ أنه لا مكان لدراسة شعر الحرائر في بحث متخصص بالجواري إلا في حال عقد مقارنة بين أشعار الجواري والحرائر، أو عند دراسة أثر شعر الحرائر في شعر الجواري، وخرج المؤلف أثناء حديثه في الفصل الثالث عن " أثر الجواري في الحياة السياسية " عن نطاق البحث كلِّه؛ فتحدّث عن أشهر دويلات ملوك الطوائف، وقدّم نبذة لا ضرورة لها عن كل عصر من العصور الأندلسية، كما أدرج العديد من المقطوعات الشعرية التي عرضت سقوط الممالك الأندلسية وضياعها.

ولم يُفصِّل وائل أبو صالح الحديث عن شعر الجواري أو الشِّعر الذي تغنّين به، ولكنه درس في الفصل الرابع وهو " أثر الجواري في الحياة الفنية " خمسة وعشرين بيتاً من أصل مائتين وثلاثة وثلاثين بيتاً من شعرهنّ والشِّعر الذي تغنّين به، وختم الفصل بدراسة للأبيات الشعرية من الناحية الموسيقية في ثلاث عشرة صفحة متوسطة الحجم، وعلى الرغم من أن المؤلف لم يستقصِ شعر الجواري أو الشعر الذي تغنّين به ولم يدرسه دراسة شاملة، إلا أن هذا لم يمنعه من تقديم ملاحظات على شعرهنّ!

وعرض وائل أبو صالح في الفصل الخامس " أثر الجواري في الحياة الأدبيّة " لشعر الشُّعراء في الجواري وقسّمه لموضوعات أربعة هي الوصف، والغزل، والحنين، والرثاء إلا أنه أهمل الموضوعات الأخرى، ولم يستقصِ كلَّ شعر الشعراء في الجواري، واكتفى بعرض مائة

وخمسين بيتاً من أصل سبعمائة وثلاثة وستين بيتاً في ثلاثين صفحة من الحجم المتوسط، كما أنــه لم يقم بدراسة فنيّة لشعر الشعراء في بحثه، ولم يعرض لأي أثر للجــواري فــي النثــر رغــم أن عنوان الفصل هو " أثر الجواري في الحياة الأدبيّة " وأظن أنه كان على المؤلف أن يعــرض أثــر الجواري في تأليف بعض القطع أو الرسائل النثرية لأن الحياة الأدبية تضم الشعر والنثر.

وأظن أنّ وائل أبو صالح ابتعدّ عن الموضوعية في بعض المباحث؛ فعلى الرغم مــن أنــه عرض لإيجابيات الجواري وسلبياتهن في الفصل الأول والثاني على حــدٍ ســواء، إلاّ أنــه ظهــر متحاملاً ناقماً عليهنّ عند دراسته لأثرهنّ في الحياة السّياسيّة، فهو يرى أن الجــواري كُــنّ وراء كلّ انتقال إلى مرحلة سيئة، وأنهنّ كنّ سبباً مباشراً من أسباب ضياع الأندلس، بالإضافة إلى أنهــنّ بدّدن خزانة الدولة في بعض المشاريع الأندلسيّة مثل بناء مدينة الزّهــراء، ولا أرى أن الجــواري أحد الأسباب المباشرة لضياع الأندلس لأني بهذا التعميم أُغفل العديــد مــن الأحــداث والظــروف السّياسيّة والدّينيّة التي أحاطت بالأندلس، وأعتقد أن وائل أبو صالح لــم يُنــصف الجــواري ولــم يُعطهنّ حقّهنّ من التقدير، ولم يُقدّر أهمية الأعمال الاجتماعيّة والثّقافيّة والعلميّــة والأدبيّــة التــي أدّينَها.

وأعتقد أنّ الموضوعية لا تنص على نسبة البطولة والفضل في الازدهــار لقــوة الرجــال الأندلسيين ونسبة الضعف والاندحار إلى الجواري والنّساء، فإن كــان كــذلك فإننــا نُهمّــش دور الجواري والنّساء في العصور المزدهرة ونقصرها على الرجال، كمــا أننــا نتناســى دور الرجــال وإراداتهم في العصور التي تشهد انحطاطاً.

ووقع وائل أبو صالح في بعض الأخطاء والهفوات التي قد يقع فيهــا أي باحــث ومنهــا: استعانته ببعض المقطوعات الشّعرية التي ظنّ أنها قيلت في الجواري وهي فــي الغلمــان أو فــي فتيات حرائر أو في نصرانيات، كما أنه أورد مقطوعات شعريّة نُظمت في المــشرق أو فــي بــلاد المغرب أو في بلاطات ملوك النصارى الإسبان، ولم يتّبع المؤلف المنهج نفسه في الفصول كلّهــا؛ فقد اتّبع المنهج الوصفي التحليلي في كل الفصول إلا إنه أخلَّ بمنهجه واتّبع المنهج التاريخي فــي الفصل الثالث وهو " أثر الجواري في الحياة السّياسيّة " وتتبّع أثرهنّ في كل عــصر مــن عــصور الأندلس في مبحث منفصل.

وارتأيت أن أختار المنهج التكاملي كي يتسنّى لي جمع المادة الشعرية وعرضها وتحليلها بشكل موفّق ومتكامل، وعملت على الالتزام بهذا المنهج في الفصول كلها دون أي إفراد أو تمييز، لذا بدأت بحثي بتمهيد عرضت فيه لمعنى كلمة جارية ولأنواع الجواري وانتشارهنّ في الأندلس.

وقسّمت بحثي إلى بابين: تناولت في الباب الأول الجواري في الحياة الأندلسيّة، وأثرهنّ في الحياة الاجتماعيَّة والثَّقافيَّة والسِّياسيَّة والاقتصاديَّة في فصول أربعة، وبدأت الفصل الأول بدراسة أثر الجواري في الحياة الاجتماعية فتحدّثت عن حريَّة الجواري التي مارسنها في المجتمع الأندلسي وكيف استغلت بعضهنَّ هذه الحريَّة وحوّلنها إلى انحلال أخلاقي، ثم انتقلت إلى الحديث عن علاقة الجواري بالحرائر وعلاقتهنّ ببعضهن، وتعرَّضت لعلاقة الجواري بالرجال وهيامهم بهنَّ، وأنهيت الفصل بعرض لنظرة المجتمع الأندلسيّ للجواري.

وخصصت الفصل الثاني لدراسة الجواري في الحياة الثقافية، فعرضت لاهتمام الأندلسيين بتعليم جواريهم علوماً متعددة، وعرَّفت بالجواري المتأدِّبات وعرضت لأشهرهنَّ ممّن وُصفن بالأدب وإن كان نتاجهنَّ الأدبي مفقوداً، وعرَّجت بعدها للحديث عن الجواري الكاتبات اللواتي انتشرن في عصر عبد الرحمن الناصر والحكم المُستنصر، وانتقلت بعدها لعرض أهم الآثار التي تركتها الجواري في الثقافة الأندلسية من أسماء وأديان ولغات، بالإضافة إلى دورهنّ في الشعر كمُلهِمَات أو شاعرات.

وارتأيت أن أدرس في الفصل الثالث الجواري في الحياة السياسية، فدرست نفوذ الجواري السياسي وعرضت لأكثرهنَّ نفوذاً في عصور الأندلس المختلفة، ثم تحدَّثت عن مؤامراتهنّ التي حِيكت بهدف تولية أبنائهن الحُكم واستبعاد أبناء ضرائرهنّ أو بهدف الانتقام من خصومهنّ أو من رفاقهنَّ الذين غدروا بهنّ، وختمت حديثي عنهنّ في الحياة السياسية ببعض النماذج التي كان لهنَّ أدوار سياسيَّة مشرِّفة.

وأفردت الفصل الرابع للحديث عن الجواري في الحياة الاقتصاديَّة، فاستهللت الفصل بحديث عن تجارة الجواري وتكلَّمت فيه عن الجواري المُفضّلة التي اشتراها الأندلسيون، وأهم

الأنواع التي صدَّروها، وجمعت بعدها نصوصاً عن كيفية شراء الجواري فرتبتها وكأنها عملية واحدة متسلسلة، وتحدَّثت عن تهادي الأندلسيين بالجواري وتقديمهم الهدايا لهنَّ.

أمّا الباب الثَّاني فتحدّثت فيه عن الجواري في الشِّعر في الأندلس وقسَّمته إلى فصول ثلاثة: الجواري في شعر الشّعراء، وشعر الجواري؛ موضوعاته وخصائصه، وأثر الجواري في شعر الغناء، وقمت في الفصل الأول بتقسيم شعر الشعراء في الجواري إلى موضوعات شعريّة، وركّزت دراستي على ميّزات الشعر في الجواري في كل موضوع شعري طرقته، وبدأت كل موضوع شعريّ بحديث موجز عن أهم خصائصه، وقدَّمت إحصائيات وافية للشعر المنظوم في كل موضوع مع إيضاح لعدد القصائد والمقطوعات والنتف والأبيات الشعريّة التي نظمها الشعراء في الجواري في كل عصر من العصور الأندلسية، كما أشرت إلى عدد الشعراء وأسماء الجواري التي ذكرها الشعراء في شعرهم، وعرضت لأبرز المقطوعات الشعرية أو النُتف التي حوت ميِّزات الموضوع الشِّعري؛ ففي موضوع الغزل _ على سبيل المثال _ أشرت إلى أن الشعراء تغزلوا بمحاسن الجواري وعيونهنّ وقدودهنّ، ولم أطل الشرح في النواحي التقليدية المعروفة بل آثرت التوقف عند كل ما هو مميّز في الغزل في الجواري، ودُفعت في بعض الموضوعات الشعرية إلى الرَّبط ما بينها وبين الموضوعات المشرقيّة، فحجم رثاء الجواري والمرأة عموماً في الأندلس أكبر منه في المشرق، كما عقدت مقارنة بين لباس الجواري الراقصات وحركاتهنّ التي وصفها الشعراء وبين لباس راقصات الفلامنجو وحركاتهنّ اليوم في إسبانيا، وألحقت دراسة الموضوعات بدراسة لأهم خصائص شعر الشعراء في الجواري في الأندلس، فدرست الأشكال الشعريَّة التي قدَّم بها الشعراء شعرهم، وبحثت عن آثار الموروث الثقافي الإسلامي العربي والحياة الأندلسية في شعر الشعراء، كما عرضت لأهم المحسنات البديعية والصور والأخيلة التي نظمها الشعراء، وسلطت الضوء على كل ما هو جديد من صور وأخيلة، وتحدّثت عن موسيقا الشعراء من بحور وقوافٍ.

أمّا الفصل الثاني فعرضت فيه لمشاركات الجواري في الشعر الأندلسي، وأشرت إلى أسباب ضياع شعرهنّ، ثم انتقلت لدراسة أهم الموضوعات الشعريّة التي طرقنها، وبدأت كل موضوع شعريّ بحديث مختصر عن أهم ميّزاته، وقمت بعمل إحصائيات شاملة لشعرهنّ؛ فعرضت لأعداد الجواري الشاعرات والأبيات الشعرية التي نظمنها، ووضّحت عدد القصائد

والمقطوعات والنتف والأبيات الشعريّة التي نظمنها في كل عصر من عصور الأندلس، وعرضت لأبرز المقطوعات الشعرية أو النُتف التي حوت ميِّزات الموضوع الشِّعري وحاولت عرض كلِّ ما هو أندلسي وغير تقليدي في شعرهنّ، ففي غزلهنّ _على سبيل المثال _ ذكرت الصفات التي تغزّلن فيها، وعرضت لموضوعات شعريّة اختصت بها جواري المشرق دون الجواري الأندلسيات، وألحقت دراسة الموضوعات بدراسة لأهم خصائص شعر الجواري في الأندلس، فدرست الأشكال الشعريَّة التي صبّت فيها الجواري شعرهنّ، وعرضت لبعض المحسنات البديعية والصور والأخيلة التي نظمنها، كما تحدّثت عن موسيقا شعرهنّ من بحور وقوافٍ.

وقمت في الفصل الثالث بدراسة أثر الجواري في شِعر الغناء؛ وبيَّنت مدى إقبال الأندلسيين على الغناء، وعرضت لأثر الجواري وسادتهنَّ في نشر الغناء وتمكين النماذج الشعرية، ثم انتقلت إلى الحديث عن الموضوعات الشعرية التي اختارتها الجواري من شعر الشعراء المشارقة والأندلسيين، فبدأت كل موضوع شعريّ بحديث موجز عن أهم خصائصه، ثم قدَّمت إحصائيات للشعر المغنّى وذكرت عدد الجواري اللاتي غنَّينَه وأسماءهنّ، وذكرت عدد الأبيات المُغناة ووضّحت عدد المقطوعات والنتف الشعريّة التي تخيّرتها الجواري في غنائهن، وعرضت لأبرز المقطوعات أو النُتف الشعرية التي حوت ميِّزات الموضوع الشِّعري المُغنَّى، وبحثت عن الروابط التي تجمع بين الشِّعر المُغنّى والبيئة التي حوته، والأسباب وراء اختيار مقطوعة شعريّة لغنائها دون أخرى، وألحقت دراسة الموضوعات بدراسة لأهم خصائص شعر الغناء، فدرست الأشكال الشعريَّة التي شكّلتها الجواري وانتقتها في غنائها، وأبرزت التغييرات التي أجرتها الجواري على شعر الشعراء الذي غنينه، ثم عرضت لأهم المحسنات البديعية والصور والأخيلة وموسيقا الشعر الذي اختارت الجواري غناءه.

وعلى الرغم من أني عرضت لمقطوعات مختارة إلا أن حديثي في الموضوعات الشعرية وخصائصها في الباب الثاني كان نتاجاً لدراسة كل الشِّعر الذي توفر لي، وأعتقد أن الإحصائيات التي عرضتها في بداية كل موضوع شعري ستقدم للقارئ فكرة طيبة عن حجم الشعر المدروس.

وأنهيت بحثي بخاتمة استعرضت فيها أهم النتائج التي توصّلت إليها في أثناء دراستي للجواري في الشّعر في الأندلس، كما أضفت عدّة ملاحق ضمّت جميع الأشعار التي جمعتها من

شعر الشّعراء في الجواري وشعر الجواري وشعر الغناء الذي غنينه، وبلغ مجموع الأشعار في الملاحق تسعمائة وثمانية وثمانين بيتاً وأرجوزة وأربعة موشحات، ورتبتها حسب الترتيب الأبثتي لأسماء الشعراء أو الشاعرات، أمّا عن الأبيات الشعرية التي نظمها كلُّ شاعر فقد رتبتها حسب القافية، ومن الجدير بالذكر أني رتبت الأشعار في ملحق شعر الغناء بالاعتماد على الشاعر الذي نظم الشعر لا الجارية التي قامت بغنائه، وألحقت هذه الملاحق بفهرس أعلام، وفهرس أماكن، وفهرس إحصائيات موضوعات الشِّعر الذي عرضت فيه للإحصائيات التي قمت بها واعتمدت عليها في دراستي، وأنهيت دراستي بملخص للبحث باللغة الإنجليزيّة.

وكانت رسائل ابن حزم الأندلسيّ، وكتاب " الذَّخيرة في محاسن أهل الجزيرة " لابن بسام الشنترينيّ، ومخطوط " مسالك الأبصار في ممالك الأمصار" لابن فضل الله العمريّ، وكتاب " نفح الطّيب من غصن الأندلس الرّطيب " للمقَّريّ من أهم المصادر التي استعنت بها في بحثي، فقد جمع ابن حزم وابن بسام العديد من الأخبار الاجتماعيَّة حول الجواري وقصصهنَّ في المجتمع الأندلسيّ، وأمدَّني كتاب "مسالك الأبصار في ممالك الأمصار" بمعظم شعر الغناء الذي غنَّته الجواري في الأندلس، فهو المصدر الوحيد _ ما بين يدي من المصادر _ الذي توفَّر فيه شعر الغناء، أمَّا المقّريُّ فقد أمدَّني بتراجم وأشعار وأخبار عديدة حول الجواري في الأندلس.

ولم تواجهني صعوبات جمّة أثناء دراستي، ولكن تعرّضت لبعض المنغّصات ومنها قلّة المصادر الأندلسيّة فهي ليست بغزارة المصادر التراثيّة الأخرى؛ لتعرض الكثير منها للضياع أو لكونها حبيسة الأقبية مُقيّدة داخل مخطوطات قديمة، كما أنّ المصادر القديمة لم تتعرّض لتراجم وحتى أسماء الكثير من الجواري، وعلى الرغم من أن كلاً من ابن الأبار في كتابه " التكلمة لكتاب الصلة " والمقَّري في كتابه " نفح الطّيب من غصن الأندلس الرّطيب " عرضا لتراجم بعض الجواري إلاّ أنّ هذه التراجم كانت مقتضبة وقليلة.

ومن المنغّصات التي اعترضت طريقي صعوبة فهمي لنظام الرّقيق رغم أنّنا قريبو العهد به، فكان من الصّعب عليّ تقبُّل نظام يعتبر البَشر بضاعة، ويوافق على أن تصبح النساء أدوات للّذة والتسلية، وأن يتمّ بيعهنّ عند الاكتفاء منهنّ أو الشعور بالضّجر والرّغبة بالتجديد، ويعتبر الرّجال عبيداً وُجدوا للخدمة، أو لحماية نساء الخاصة، أو للمشاركة في الحروب والحفاظ على

العروش، وعملت على أن أتخلّص من رفضي لهذا النظام والتّحلي بـــالتّفهّم والقبـــول، وأرجـــو أن تكون دراستي موضوعيّة معزّزة بفهم نظام الرّقيق وحال المجتمعات والعصور التي وُجدن فيها.

وأرجو أن أكون وفقت في عرض بحثي ودراستي، وأن يظهر فيه مبلغ الجهـــد المبـــذول، فإن بلغت النجاح فما هو إلا توفيق من الله ثم بركة دعاء الوالدين، وإن أخفقت فلا عـــذر لـــي إلا أني إنسان يخطئ ويصيب.

جانان شبانة

الخليل

تمهيد

لعبت المرأة الأندلسيّة دوراً هاماً في الأندلس بدءاً من أيام المسلمين الأولى فيها وانتهاءً بخروجهم منها، وتركت آثارها في الحياة الاجتماعيَّة والثَّقافيَّة والسِّياسيَّة والاقتصاديَّة، كما كانت أحد مصادر الإلهام للشُّعراء في الأندلس، وشاعرةً مستقلَّة، ولم تتساو النّساء جميعاً في هذا التأثير؛ فكان للجواري أثر أكبر من الحرائر، وسجَّلت المصادر الأندلسيّة تأثيراتهنّ كلها، وسمّاهنّ المؤرخون بمسميات مختلفة، فاستخدموا كلمة القينة والسُرِّيَّة والأمة والرقيق والجارية.

1- مُسمّيات الجارية في الأندلس

القينة: هي " الأمة المُغنّية " [1]، و" قان القَيْنُ الحديدَ يَقينُه: سَوَّاهُ، والشيءَ لَمَّهُ، والإناءَ أصلَحَهُ" [2]، و"القَيْنُ هو الحدّاد" [3] أو " هو الذي يعمل بالحديد ويعمل بالكِير"[4]، و"التَّقَيُّن التَّزيُّن"[5]، أي أن الاشتقاقات من قين تُفيد الإصلاح وتحسينَ الحال والتَّجَمُّل، و " قيل للمرأة مُقيَّنة أي أنَّها تُزيِّن، قال الجوهري: سُمِّيَت بذلك لأنها تُزَيِّنُ النّساء، شُبِّهَت بالأَمَة لأنها تُصلِح البيت وتُزيِّنُه"[6]، فالجواري اعتنين بتزيين البيت وإصلاح حاله حتى أصبح التزيُّن صفةً مقرونةً بهنّ، وعلى الرغم من أن ابن منظور يرى أن القَيْنَ هو كلُّ عامل بالحديد والكِير فحسب، إلاّ أنه ذكر أن بعض العرب يقولون " للمُغنِّيَة قَيْنَةٌ إذا كان الغناء صناعةً لها، وذلك من عمل الإماء دون الحرائر"[7]، وبهذا يبدو لي أنه إذا ما زيَّنَت الجارية نفسها أو اتّخذت من الغناء صنعة لها يُطلق عليها اسم قَينة.

---

[1]- ابن منظور، لسان العرب، مادة (قين) 351/13.

[2] – الفيروز آبادي، القاموس المحيط، مادة (قين)262/4.

[3] – ابن منظور، لسان العرب، مادة (قين) 350/13.

[4] – ابن منظور، لسان العرب، مادة (قين) 351/13.

[5] – ابن منظور، لسان العرب، مادة (قين) 351/13، الفيروز آبادي، القاموس المحيط، مادة (قين) 262/4.

[6] – ابن منظور، لسان العرب، مادة (قين) 351/13.

[7] – لسان العرب، مادة (قين) 351/13.

أمّا السُرِّيَّة فاختلف أهلُ اللغة في سبب تسميتها وجمع ابن منظور اختلافهم فقال: " قـال بعضُهم نُسبَت إلى السِّرِّ وهو الجِماع، وضُمّت السين للفرق بين الحُرَّة والأَمَة تُوطأ، فيُقال للحُرَّة إذا نُكحت سراً أو كانت فاجرة سِرِّيَّة، وللمَمْلوكة يتسرّاها صاحبُها سُرِّيَّة مخافة اللبس، وقال أبو الهيثم: السِّرُّ السُّرور فسمِّيَت الجارية سُرِّيَّة لأنها موضع سُرور الرجل"[1]، وأدلى ابـن منظـور بدلوه فقال: " السُرِّيَّة الأمة التي بوّأتها بيتاً وهي فُعْلِيَّة منسوبة إلى السِّر وهو الجِماع والإخفـاء، لأن الإنسان كثيراً ما يُسرُّها ويستُرُها عن حُرّته" [2]، ولم يتطرق الفيروز آبادي إلى معانٍ عـدّة واكتفى بأن قال: إنّ السِّرّ هو " الجِماعُ، والذَّكَرُ، والنِّكاحُ، والإفصاح به، والزِّنا، وفَرجُ المـرأة، ومُستَهَلُّ الشهر أو آخره أو وسَطه"[3]، وعَرّف السُرِيَّة فقال: هي " الأمَة التي بوّأتها بيتاً، منسوبةٌ إلى السِّرِّ بالكسر للجِماع من تغيير النسب" [4].

والأمَة هي "المَمْلُوكة خِلاف الحُرَّة"، أو " المرأة ذات العُبُودة وقـد أَقـرّت بـالأُمُوَّة"[5]، وجمعُها " أمَواتٌ وإماء وآمٍ وإمِوانٌ وأُموانٌ" [6]، أمَّا الأندلسيون فقد أطلقوا لفظـة أَمَـة علـى الجارية التي تتخذ الغناء أو الرّقص مهنةً لها[7].

والرِّق من "رقق: الرّقيق نقيض الغليظ والثخين"[8]، والرِّقُّ هو "المِلك والعبودية"، ويقـال أمَة رقيق ورقيقة من إماء رقائق فقط، وقيل الرقيق اسم للجمع... والرقيق المملـوك واحـد... سُمي العبيد رقيقاً لأنهم يَرقُّون لمالكهم ويَذِلُّونَ ويَخضَعونَ"[9].

---

[1] – لسان العرب، مادة (سرر) 358/4.

[2]– لسان العرب، مادة (سرر) 358/4.

[3] – القاموس المحيط، مادة (سرر) 46/2.

[4] – القاموس المحيط، مادة (سرر) 47/2.

[5] – ابن منظور، لسان العرب، مادة (أما) 44/14-45.

[6] – ابن منظور، لسان العرب، مادة (أما) 45/14، الفيروز آبادي، القاموس المحـيط، مادة (أما) 302/4.

[7] – انظر ابن بسَّام، الذّخيرَة، ق3 م707/2.

[8] – ابن منظور، لسان العرب، مادة (رقق) 121/10.

[9]– ابن منظور، لسان العرب، مادة (رقق) 124/10.

أمّا الجارية فهي: " الفَتيَّة من النّساء بَيِّنَة الجَراية"[1]، كما أنها " الكاعب الشابة"[2]، وأوضح الفيومي أصل كلمة الجارية عندما قال " والجارية السَّفينة، سُمِّيت بذلك لجريها في البَحر، ومنه قيلَ لِلأمة جارية على التَّشبيه لِجَريها مُستَسخَرة في أشغال مواليها"، ثم توسعت الكلمة " حتَّى سموا كلّ أمة جارية وإن كانت عجوزاً " [3] .

واخترت لفظة الجارية عوضاً عن المسمَّيات الأخرى لأني أرى _ بالاعتماد على ما جاء في أمهات معاجم اللغة _ أنَّ لفظة الجارية مرتبطة بكون الجارية أنثى فقدت حرِّيتها وسُخِّرت لتلبية أوامر سادتها، أما القينة فهي مرتبطة بصنعة الغناء بالدرجة الأولى، وأرجِّحُ أنَّ السُرِّيَّة مرتبطة باللذة فحسب، ويبدو أن حياة الأمة تنحصر في امتهان الغناء والرَّقص في الأندلس تحديداً، أما الرقيق فإنها لفظة تُطلق على الرجال والنّساء من العبيد وتحمل في أثنائها الغموض وعدم الوضوح، لذا ارتأيت أن لفظة الجواري هي الأنسب في بحثي؛ وأخذت بعين الاعتبار ملاحظة الطاهر أحمد مكي التي تنصُّ على أن لفظة الجارية أُطلقت في قُرْطُبَة[4] على الفتيات والشابات من الحرائر اللواتي اتّصفن بصفات ارتبطت بالجواري كبياض البشرة، وشُقرة الشَّعر، وزرقة العينين، والثقافة الواسعة، والعواطف الدافئة، والتمكُّن من الموسيقا والشِّعر والغناء[5]، لذا لم أورد في بحثي إلا الروايات والقصص والأخبار التي تَبَيَّنَ فيها أن الحديث يدور حول جارية من الجواري، واستبعدت ما قد يثير الشكَّ والرّيبة في هوية أي جارية.

---

[1] _ ابن منظور، لسان العرب، مادة (جرى) 144/14.

[2] _ الفيروز آبادي، القاموس المحيط، مادة (جرى) 315/4-316.

[3] – المصباح المنير، 134/1.

[4] – قُرْطُبَة (Cordoba): عاصمة الخلافة بالأندلس، وتُعدُّ قُرْطُبَة خمس مدن متلاحقة يفصل بين المدينة والمدينة سور، وطولها من غربيها إلى شرقيها ثلاثة أميال، وعرضها من باب القنطرة إلى باب اليَهُود ميل واحد، وهي في سفح جبل مطل عليها يسمى جبل العروس، وبها كانت ملوك بني أمية. انظر ابن حوقل، صورة الأرض، 111/1-113، الإدريسي، نُزهةُ المشتاق في اختراق الآفاق، 574/2-575، الزهري، الجعرافية، 86-87، ياقوت، مُعجَم البُلدان، 324/4- 325 ، القزويني، آثار البلاد، 552، الحِميَري، الرَّوض المِعطار، 456-459.

[5] – انظر دراسات عن ابن حَزم وكتابه طوق الحمامة، 210.

ومن الجَدير بالذِّكر أن ملاحظة الطاهر أحمد مكي لم تقتصر على قُرْطُبَة والأندلس فحسب، فقد وجدت أن أهل المشرق أطلقوا اسم جارية على كلٍ من الجواري والحرائر؛ ذلك أنّ الفارابي عرّف العانِس فقال هي: "الجارية التي بقيت في بيت أَبَوَيها لم تُزَوَّج"[1]، ولحقه ابن منظور فعرّف العانس تعريفاً مشابهاً فقال: "عَنَسَتْ الجاريةُ تَعْنُس إذا طال مُكثُها في منزل أهلها بعد إدراكها حتى خرجت من عداد الأبكار وهذا ما لم تتزوج، فإن تزوّجت مرّة فلا يُقال عَنَسَت" [2]، ويظهر واضحاً من تعريفهما أن كلمة جارية هنا عَنَت فتاة حرّة، وهكذا فالأندلسيون اتّبعوا منهج أجدادهم المشرقيين وأطلقوا كلمة جارية على كل من الأَمَة والحُرّة، وتركوا سياق الحديث فيصلاً _ في معظم الأحيان _ في تحديد هوية المرأة المحكي عنها.

2- أنواع الجواري في الأندلس

وقسّمت الجواري إلى أقسام ثلاثة هي: جواري اللذة، والجواري أمهات الأولاد، وجواري الخدمة.

أ- جواري اللّذة

جواري اللّذة: هنّ الجواري اللواتي يسلِّين أسيادهنَّ، و ينشرن المتعة وأجواء المرح والسرور في بيوتهم، ويُزلن الهمَّ والكدر عن نفوسهم، وعلى الرغم من أن الغرض الرئيس لاتخاذهنّ هو المتعة والتسلية إلا أن المسلمين _ أوائل الفتح _ اتخذوهن بديلات عن زوجاتهم اللواتي بقين في بيوتهنَّ _ في مشرق العالم الإسلاميّ _ ولم يُغامرن في الخروج مع أزواجهنَّ، كما أن التشريع الإسلامي أباح الزواج بالكتابيات وأباح اتخاذ السرايا[3] بناءً على قوله تعالى:

---

[1] - ديوان الأدب، 351/1.

[2] - لسان العرب، مادة (عنس) 149/6.

[3] - انظر محمد سعيد الدغلي، الحياة الاجتماعيَّة في الأندلس، 16-17.

﴿والذين هم لفروجهم حافظون ﴿5﴾ إلاّ على أزواجهم أو مـا ملكـت أيمـانهم فـإنَّهم غيـر ملومين﴿6﴾ ﴾ [1].

ولم يتّخذ المسلمون الجواري لإباحة الإسلام تملكهنّ فحسب؛ فقد كنّ من بين المغريـات التي وُظِّفت في الخطبة المنسوبة لطارق بن زياد بهدف تشجيع الجند على فتح الأندلس، فقد قال طارق: " وقد بلغكم ما أنشأتْ هذه الجزيرةُ من الحُور الحِسان، من بنات اليونان، الرّافلات فـي الدُّرِّ والمَرجان، والحُلَل المنسوجة بالعِقْيان، المقصورات في قصور الملـوك ذوي التيجـان "[2]، ومن الجَدير بالذِّكر أني لم أجد وصفاً حسيّاً أو معنوياً دقيقاً للسبايا الإسبانيات _ أوائل الفـتح _ غير وصف طارق بن زياد لهن، وما يعنيني في هذه الخطبة هو أنها ترسم صـورة لتوقُّعـات المسلمين عن السَّبايا اللواتي سيأسروهنّ إثر فتحهم الأندلس، لذا كانت هذه الخطبة هي الصورة الأولى التي رسمها المسلمون عن الجواري في الأندلس.

وشكّلت جواري اللّذة نسبة كبيرة من عدد الجواري في الأندلس، وربَّما كانـت جميـع الجواري اللاتي وجدتهنّ جواري لذّة، سواءً أكانت لذّة جسدية أم حسيّة تتمثّل باسـتمتاع الـسادة بغناء الجواري وفنونهنّ وآدابهنّ، و يمكنني التأكيد أن أربعين جارية _ من الجـواري اللاتـي جَمعت في هذا البحث _ كُنّ جواري لذة لأنهنَّ أمهات أولاد أو لأنهن وُصِفْن بالمحظيات، أمـا الجواري الأُخر فلم أجد ما يُثبت كونهنَّ جواري لذّة، وأرجِّحُ أن امتلاكَ الأندلسيّ لجارية مـا لا يؤكد أنه اتّخذها للّذّة والفراش، فربَّما امتلك جارية كاتبة اكتفى بعملها في الكتابة وربَّما ضـمها لفراشه.

وحبّ الأندلسي لأي جارية ليس دليلاً كافياً على أنّها جارية لذّة، فربَّما هـامَ الأندلـسي بجارية ليست ملكه ولم يستطع لقاءها، أو أنها كانت في ملكه وهام بعلومها وما أتقنته من فنـون إلا أنه اتّخذ محظيات أُخر للفراش والولد.

وربَّما كان الجمال هو المعيار الأول لاقتناء جواري اللّذّة، على الرّغم من أني لم أجـد أي وصف لجارية الأحلام التي يتمنى كلُّ أندلسي أن يقتنيها، فالجواري اللاتي وجدتهنّ _ فـي المصادر المتوفرة بين يدي _ تنوّعت ألوانهنّ وأجناسهنّ وعلومهنّ وفنونهنّ، وأعتقد أن معيـار

---

[1] – سورة المؤمنون، آية 5-6.

[2] – المقَّري، النّفح،232/1.

الجمال نسبيٌّ يختلف باختلاف الرجال؛ فلكل رجل ذوقه الخاص في الجارية التي يودُّ أن تُسلِّيه وتُنسيه همومه، وعلى الرغم من أنّ الشُّعراء تغزلوا بجمال جواريهم وقدودهن وبشرتهن وما إلى ذلك من محاسن، إلا أني لم أجد معايير موحّدة تجمع بينهم.

وكان طارق بن زياد أول من أشار لجمالهن بوصفه لهن بالحور الحسان، وعلى الرغم من إشارته لجمال الأندلسيَّات اللاتي أصبحن سبايا حرب ثم جواري لذّة للجند المسلمين وأمهات لأولادهم، إلا أن ابن زياد لم يكن متفرِّغاً لهنّ؛ فقد استولت الفتوحات على تفكيره حتى إنه ترك جاريته **أم حكيم** في الجَزيرَة الخَضْراء[1] التي نُسبت إليها[2] فيما بعد، وأظنه لم يتركها لسوء فيها، فالجواري أداة متعة وتسلية وربَّما أدى وجودها إلى إبعاده عن هدفه، لذا أعتقد أنه ارتأى أن يسمو بنفسه لتحقيق أهداف كبيرة ويستغني عن **أم حكيم**.

وحذا عبد الرّحمن الدّاخل حذو طارق بن زياد، فردّ جارية أُهديت إليه وقال: " إنّ هذه من القلب والعين بمكان، وإن أنا اشتغلت عنها بهمتي فيما أطلبه ظلمتُها، وإن اشتغلت بها عمّا أطلبه ظلمتُ همتي، ولا حاجة لي بها الآن" [3]، أي أن الجهاد والفتح وتدعيم قوائم الدولة كان الشغل الشاغل لفاتحي الأندلس الأوائل ولم تكن الجواري أو أي أداة متعة وتسلية جزءاً من اهتماماتهم؛ فالجهاد هو همُّهم الأول.

وبعد فتح الأندلس انهالت الغنائم والثروات والسبايا على الفاتحين، فأصبح الترف ظاهرةً من ظواهر المجتمع الأندلسي، وبدأ الأندلسيون يتنافسون في بناء القصور وتزيينها بكل ما يلزم وما لا يلزم، وأضحى اقتناءُ الجواري أحد مظاهر الغنى والترف، واستمرت هذه المظاهر وتعمّقت في نفوس الأندلسيين حتى بعد استقرارهم في الأندلس، حتى إنهم أمسوا يغالون في إظهار الغنى والترف، لذا امتلأت قصورهم بأعداد كبيرة من الجواري.

---

[1] – الجَزيرَة الخَضْراء (Algeciras) : مدينة أندلسيّة، وعلى الرغم من أن اسمها جزيرة إلا أن ماء البحر لا يحيطها كبقية الجزائر فهي متصلة بأرض الأندلس، ويخترقها نهر يسمى نهر العسل. انظر الإدريسي، نُزهةُ المشتاق في اختراق الآفاق، 2/539-541، ياقوت، مُعجَم البُلدان، 2/136، الحِمْيَري، الرَّوض المِعطار، 223.

[2] – انظر ابن عِذَاري، البيانُ المُغرِب، 2/30، الحِمْيَري، الرّوض المِعطار، 223.

[3] – المقَّري، النّفح، 4/35.

وربَّما لم يكن الترف الدافع الوحيد وراء اتخاذ الجواري، فربَّما كان جمالهنّ واختلاف طبيعتهنّ من بياض البشرة وشقرة الشَّعر سبباً في اقتنائهنَّ عند خاصة الأندلسيين وعامتهم، لذا أخذ كل قادر على اقتناء جارية يميل إلى اتخاذها من الشقراوات، وهذا يُفسر شُقرة كثير من خلفاء بني مروان في الأندلس[1] فقد مالوا لاتخاذ أمهات أولادهم من الشقراوات، ومن الجَدير بالذِّكر أنه لم تكن جميع الجواري اللاتي اتخذهن الأندلسيون من الشقراوات، فقد اتخذوا الجواري السود للفراش والولد[2]، كما أنهم قاموا بجلب جوارٍ مشرقيات[3].

ولم يُعن الأندلسيون بجمال الجسد فحسب، فقد فُتنوا بظرافة الجواري وأدبهنّ وقدرتهنّ على امتلاك القلوب؛ فقد سحرت **الرُّمَيْكيَّة** المُعتَمد بملاحة وجهها وحُسن حديثها وحلاوة نوادرها، أما **الشِّفاء** فقد فتنت عبد الرّحمن بن الحكم كيف لا وهي أكثر نساء عصرها عقلاً وديناً وفضلاً[4]، كما ملكت **صُبْح** الحكمَ المُسْتَنصِر بمجالسها وأدبها ومخزونها من التاريخ والنوادر[5].

ب- أمّهات الأولاد

أما الجواري أمهات الأولاد فأصلهن جواري لذّة اتُخذن للوطء وولدن من أسيادهنّ، ويحقُّ للسيد أن يتزوج الجارية بعد إعتاقها وأن يعطيها مهراً، فإذا رفضت الجارية الزواج منه ليس له أن يعيدها لمُلكيته أو يجبرها على الزواج، وأولادها من هذا الوطء أحرارٌ شرعيون، لهم ما لغيرهم من أبناء الحرائر من ميراث وغيره[6]، ويبدو أن الشّرع شجّع على نكاحهنّ فقد قال عليه الصلاة والسلام: "ثلاثة يُؤتَوْن أجرهم مرتين: رجلٌ كانت له أمَة فأدّبها فأحسَنَ أدَبَها

---

[1] – انظر ابن حَزم، رسائله، 1/130-131.

[2] – انظر توفيق بن عامر، الحضارة الإسلامية وتجارة الرقيق، 293، نقلاً عن السقطي، آداب الحسبة، 48-49.

[3] – انظر ابن عِذَاري،البيانُ المُغرِب، 2/128، المقَّري، النّفح، 4/123-126.

[4] – ابن الأبَّار، التّكملة، 4/240-241.

[5] – انظر ابن بَشْكَوال، الصِّلة، 2/694، ابن الأبَّار، التّكمِلة، 4/246-247.

[6] –انظر أحمد شفيق بك، الرِّق في الإسلام، 85.

وعلَّمَها فأحسَنَ تعليمها ثم أعتقها وتزوجها، وعبدٌ يُؤدِّي حقَّ الله وحقَّ مواليه، ومؤمنٌ من أهـــل الكتاب" [1].

وكان إنجاب الولد حلم أي جارية؛ فحصولها على الولد سيضمن استقرارها مـــع ســـيد واحد بدلاً من أن يتم تداولها في أسواق النخاسة، كما أن منزلتها ستسمو عند سيدها فقد أضحت أم ولده، والأهم من كل ما سبق أنها ستملك فرصة العتق والزواج بسيدها، وبهذا ستتساوى مـــع الحرائر بعد أن كانت مجرد جارية.

وربَّما كان من السهل على جواري اللذة بما حظين به من جمـــال وظـــرف وثقافـــة أن يصبحن أمهات أولاد أسيادهن وينلنَ ميزات أم الولد، فقد كانت منزلتهنّ تكبر بمجـــرّد تحـــولهنّ إلى أمهات أولاد، وتعظم مكانتهنّ إذا ما أنجبن ولد الخليفة أو الأمير، لذا قمت بتخصيص قـــسم لهن ولم أُدرجهنّ مع جواري اللّذة، ومن الجَدير بالذِّكر أني وجـــدت _ فيمـــا بـــين يـــدي مـــن مصادر_ أربعاً وثلاثين أم ولد، ذُكرت أسماء اثنتين وثلاثين منهن، ووجدت أن أمهـــات الأولاد أنجبن تسعة عشر أميراً وخليفة إبّان عصر الإمارة والخلافة.

فأم الأمير عبد الرّحمن الداخل هي الجارية **راح**[2]، وأم هشام بن عبد الرّحمن الـــداخل هي الجارية **حَورَاء** [3]، وأم الحكم بن هشام هي **زُخرف** وهي أم ولد[4]، وأم عبد الـــرّحمن بـــن الحكم هي **حَلاوة**، وأم الأمير محمد بن عبد الرّحمن **تهتز**[5] **التي** اعتنت الجارية **شـــفاء** بابنهـــا محمد بعد أن توفاها الله[6]، وأم الأمير المنذر بن محمد هي **أثْل** وهي أم ولد[7]، وأمهات أولاد عبد

---

[1] – النسائي، سننه، 115/6.
[2] – انظر ابن حَزم، رسائله،191/2.
[3] –انظر ابن حَزم، رسائله، 192/2، عبد الواحد المرَّاكِشي، المُعْجِب، 107.
[4] – انظر ابن حَزم، رسائله، 192/2، عبد الواحد المرَّاكِشي، المُعْجِب، 44.
[5] – انظر ابن حَزم، رسائله، 192/2.
[6] – انظر ابن الأبَّار، التَّكملة، 240/4-241.
[7] – انظر ابن حَزم، رسائله، 193/2، عبد الواحد المرَّاكِشي، المُعْجِب، 52.

الرّحمن الأوسط كُثُر: **فطَرُوب** أم ابنه عبد الله[1]، و**فَجْر** أم ابنه بشر[2]، وأم الأمير عبد الله بن محمد هي **عشار** وهي أم ولد[3] وقيل اسمها **بهار** أو **در**[4]، وأم الأمير إبان بن عبد الله هي **شأن**[5]، وأم الخليفة عبد الرّحمن النّاصر هي **مُزْنة** [6] التي عرفت بالعرجاء لخلع بها وهي أم ولد[7]، وأم الخليفة الحكم المُسْتَنصِر هي **مَرْجان** وهي أم ولد[8] وقيل **مهرجان**[9]، وأم هشام المؤيد هي **صُبْح** وهي أم ولد[10]، ويُذكر أن الحكم المُسْتَنصِر امتنع عن التعرض للولد من غيرها[11]، وأم محمد بن هشام المهدي هي **مُزْنة**[12]، وأم أخيه عبد الرّحمن هي **غاية**[13]، وأم سليمان بن الحكم المستعين هي **ظَبْيَة** [14]، وأم ولد محمد بن عبد الرّحمن المستكفي هي **حَورَاء** [15]، وأم هشام بن محمد المعتد هي **عاتب** [16].

---

[1]- انظر ابن حيَّان، المُقتبس، 8، ابن الأبَّار، التَّكملة، 242/4،الحُلّة السِّيَراء، 114/1، ابن عِذَاري، البيانُ المُغرِب، 92/2، المقَّري، النّفح، 150/5.

[2] - انظر ابن حيَّان، المُقتبس، 10، ابن الأبَّار، التَّكملة، 242/4.

[3] - انظر ابن حَزم، رسائله، 193/2، عبد الواحد المرَّاكِشي، المُعْجِب،53 .

[4] - انظر عبد الواحد المرَّاكِشي، المُعْجِب، 53.

[5] - انظر ابن عِذَاري، البيانُ المُغرِب، 226/2.

[6] - انظر ابن حَزم، رسائله ، 192/2، عبد الواحد المرَّاكِشي، المُعْجِب، 88.

[7] - انظر الحميدي، جَذوَةُ المُقتبس، 40، ابن عِذَاري، البيانُ المُغرِب،50/3.

[8] - انظر ابن حَزم، رسائله، 194/2، عبد الواحد المرَّاكِشي، المُعْجِب، 59.

[9] - انظر ابن عِذَاري، البيانُ المُغرِب، 233/2.

[10] - انظر ابن حَزم، رسائله، 196/2، عبد الواحد المرَّاكِشي، المُعْجِب، 72، ابن عِذَاري، البيانُ المُغرِب، 377/2.

[11] - انظر ابن حَزم، رسائله، 1/ 91-92.

[12] - انظر ابن حَزم، رسائله، 197/2، عبد الواحد المرَّاكِشي، المُعْجِب ، 54.

[13]- انظر عبد الواحد المرَّاكِشي، المُعْجِب، 105.

[14] -انظر ابن حَزم، رسائله، 198/2.

[15] - انظر ابن حَزم، رسائله ،2/ 202، عبد الواحد المرَّاكِشي، المُعْجِب، 43.

[16] - انظر ابن حَزم، رسائه ،202/2، عبد الواحد المرَّاكِشي، المُعْجِب، 109، ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غَرْناطة، 314/4-316.

أما العصور اللاحقة فلم يذكر المؤرخون الكثير من أمهات الأولاد ولكن كان من أبرزهن **العبَّاديَّة** محظية المعتضد[1]، و**الرُّمَيْكيَّة** محظية المُعتَمد[2]، كما ظهرت أمهات أولاد إسماعيل بن فرج الأحمر[3] وهنّ **بهار** و**علوة** و**قَمَر** [4]، ولمع نجم أمهات أولاد أبي الحجاج بن نصر[5] وهنّ **مريم** و**بُثَيْنَة**[6].

كما حفظ المؤرخون أسماء جميع أمهات أولاد الأمراء والخلفاء، أما أمهات أولاد الخاصة والعامة فقد أُهمل ذكر أسمائهن، إلا أنني وجدت بعضهن ومنهنّ: **بنت سكري**

---

[1]- انظر المقَّري، النَّفح، 58/6.

[2] – ابن الأبَّار، الحُلَّة السِّيَراء، 62/2، ابن سَعيد، المغرب، 390/1، المقَّري، النَّفح، 347/5، الحسيني الموسوي، نزهة الجليس، 411/1.

[3] – هو أبو الوليد إسماعيل بن يوسف بن إسماعيل بن فرج بن نصر بن الأحمر، صاحب كتاب نثير فرائد الجمان. انظر ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غَرْناطة، 389/1، اللَّمحة البدرية، 126-129.

[4]- انظر ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غَرْناطة، 398/1-403.

[5] – هو يوسف بن إسماعيل بن فرج بن إسماعيل بن نصر بن الأحمر، كُني بأبي الحجاج كما عُرف بأمير المسلمين على عادة سلاطين بني نصر، كان ملكاً وسيماً مهيباً كلف بالمباني والأثواب وجمع الحلي والذّخيرَة، وكان يهتم بمظهرة ويُفضّل الناس حسب مظاهرهم وجمال هيئتهم وعقلهم، بايعه الناس سنة 734هـ بعد أخيه، مال إلى الهدنة فلما اشتد عليه الأعداء نازلهم ووقف أمام هجماتهم، توفي سنة 755هـ بعد طعنة من رجل في أثناء أدائه صلاة عيد الفطر. انظر ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غَرْناطة، 318/4-333، اللّمحة البدرية، 102-112، كناسة الدكان، 22-24.

[6] – انظر ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غَرْناطة، 163/1، نُفاضة الجراب، 13-14.

الموروريّة[1] أم ولادة بنت المستكفي[2]، و أم ولد سعيد الخير بن الحكم[3] وهي **مُنْتَهى المُنَى**[4] ، و**عابِدة المدنيَّة** أم بشر بن حبيب[5] وكانت جارية سوداء [6]، كما أن يحيى بن حُريث[7] كان ابناً لجارية سوداء[8]، ومن الجَدير بالذِّكر أني وجدت أم ولد قبيحة؛ فقد كانت الجارية **خلّة** جارية

---

[1] – مَوْرُور (Moron de la Frontera): مدينة أندلسيّة، كور مَوْرُور متصلة بأحواز قرمونة، وهي في الغرب والجوف من كورة شذونة، وأحوازها متصلة بأحوازها، وهي من قرطبة بين القبلة والمغرب، وكانت كورة مورور رابع كورة يبايع أهلُها الداخل بعد إِشْبِيلْيَة وريّة وشذونة، وذلك سنة 138هـ، ذكرها ياقوت بالزاي أي موزور. انظر ياقوت، مُعجَم البُلدان، 222/5، الحِمْيَري، الرَّوض المِعطار، 564.

[2] – انظر ابن سَعيد، المغرب، 55/1.

[3] – هو أبو عثمان سعيد الخير بن الأمير الحكم، سيد جوار كأخيه الأمير عبد الرّحمن بن الحكم وأقرب أهله إلى نفسه، حباه الأمير برعايته وحمايته وقرّبه إلى مجلسه فصار نديمه ورفيقه في الغزو والصيد، بعد مقتل جواريه وفقدانه بيته عوّضه الأمير عبد الرّحمن بمال كثير يعيد به بناء بيته، وأعطاه عن كل جارية ماتت جاريتين؛ فقد أرسل إليه ثمانياً وعشرين جارية، توفي سنة 240هـ. انظر ابن حيَّان، المُقتبس، 91-92.

[4]– انظر ابن حيَّان، المُقتبس، 92.

[5] – هو بشر بن حبيب بن الوليد المرواني يُعرف بالحبيبي، روى الحديث الشريف، وبعد خروجه من سجن عبد الرّحمن الأوسط رحل إلى المشرق ثم رجع إلى الأندلس بعلم كثير. انظر ابن حيَّان، المُقتبس، 95-96، الإستجي، سمط الجمان، 114، ابن الأبَّار، التّكملة، 182/1، ابن سَعيد، المغرب، 62/1، المقَّري، النّفح، 251/3، 123/4.

[6] – انظر ابن حيَّان، المُقتبس، 96، ابن الأبَّار، التّكملة، 240/4، المقَّري، النّفح، 123/4.

[7] – هو يحيى بن حُريث الجذامي، من أهل الأردن، دعا إلى نفسه سنة 129هـ فظفر بكورة ريَّه وبها سكن أهل الأردن، وعندما عزله يوسف الفِهري عن ريَّة تحالف مع أبي الخطّار فانضمت إليه قبيلة حمير وكندة ومذحج وقضاعة، أما مُضر وربيعة فمالت ليوسف الفهري، ولما التقى الجمعان انهزم يحيى بن حُريث ورفيقه وقُتلا في سوق قُرْطُبَة سنة 131هـ. انظر مجهول، أخبار مجموعة، 58-61، ابن عِذَاري، البيانُ المُغرِب، 35/2-37.

[8] – انظر مجهول، أخبار مجموعة، 57.

قبيحة أهداها يوسف الفهري لمعاوية بن صالح[1]، وكانت **خلّة** قبيحة وكان لهــا خادمــة جميلــة اسمها **سعاد**، فكان الناس يقولون: " شتّان ما بين **خلّة** و**سعاد**" [2].

ج- جواري الخدمة

جواري الخدمة: هنّ الجواري اللاتي قُمن بالأعمال المنزلية أو عمِلن لصالح أســيادهن، ولم يحظين بجمال جسدي أو بنصيب من الثقافة، وربّما حظين بالجمال دون الثقافــة أو الثقافــة دون الجمال، وربّما حظين بكليهما إلاّ أنهنّ لم ينلن إعجاب سيدهن لانشغاله بجوارٍ أُخر، وربّما لم ينلن فرصة لقائه لكثرة ما ملكته يمينه من الجواري، فلم يتمكنّ مــن أن يُــصبحن محظيــات لأسيادهن.

ولم أجد الكثير عن ميّزات جواري الخدمة أو صفاتهنّ، وكل ما وجدتــه كــان مجــرد قصص ذُكرن فيها بإيجاز وبدون اهتمام بشخص الجارية أو حتى اسمها، ولم أجد غيــر أربــع جواري خدمة ذُكر اسم واحدة منهن وبقيت الثلاث الأخريات دون اسم، وتُظهر هــذه القــصص جواري الخدمة وهن يعملن في الأعمال المنزلية، كجارية القاضي أبي العباس المرواني[3] التــي

---

[1]- هو معاوية بن صالح الحضرمي، دخل الأندلس سنة 123هــ قبل دخــول عبــد الــرّحمن الداخل، عاش في مَالَقَة وبنى فيها مسجداً نُسب إليه ثم انتقل إلى إِشْــبِيلْيَة، وبعــد دخــول عبــد الرّحمن الأندلس ولاه قضاء قُرْطُبَة، وكان يرافقه في غزواته ويحيي الليل معه بالــصلاة، روى عن الإمام مالك بن أنس، ثم عزله الداخل في آخر أيامه بعد أن عمل في القضاء اثنتين وثلاثين سنة، توفي في قُرْطُبَة سنة 158هــ. انظر الخشني، قضاة قُرْطُبَة، 50-58، الحميــدي، جَــذوَةُ المُقتبس، 540/2، الضّبي، بُغيَة المُلتَمس، 458-461، عبد الواحد المرّاكِشي، 647. المُعْجِــب، 41-42، ابن سَعيد، المغرب، 102/1-103، النباهي، تأريخ قضاة الأندلس، 43.

[2]- انظر الخشني، قضاة قُرْطُبَة، 57، ابن الأبّار، التّكمِلة، 238/4.

[3] – هو أبو العباس إبراهيم بن العباس بن عيسى بن عمر المرواني من أهل قُرْطُبَة، استقــضاه الأمير عبد الرّحمن بن الحكم على قُرْطُبَة، وكان رجلاً عاقلاً صالحاً عالمــاً، وقاضــياً عــادلاً متواضعاً. انظر الخشني، قضاة قُرْطُبَة، 116-117، ابن حيّان، المُقتبس، 58-59، ابن الأبّار، التّكمِلة، 114/1-115، ابن سَعيد، المغرب، 148-149.

كانت تنسج في زاوية بيته أثناء نظره في قضايا الناس[1]، وكجارية أبي جعفر بن سـعيد[2] وهـي تقول لامرأة كانت بالباب: ما تريدين؟ فطلبت المرأة منها أن توصل رقعة إلى سيدها[3].

ولم يقدّم الخبران السابقان أيّ تفاصيل عن جواري الخدمة غير أنّ إحداهما تنسج فـي زاوية البيت والأخرى تردّ على ضارب باب البيت، ولم يُعر الراوي اهتماماً لهاتين الجـاريتين حتى إنه لم يذكر اسميهما، وربَّما لم يذكر شيئاً عنهما لأنّه رأى أن وجودهما وعملهمـا حـدث اعتيادي يتكرر في الكثير من البيوت الأندلسيّة، أو لأن منزلة جواري الخدمة وعملهنّ أدنى من أن يُذكر عنهنّ شيء.

إلا أني وجدت خبراً ذكر تفاصيل أكثر عن جارية خدمة، ألا وهي **زاد المال** جارية ابن قُزمان[4]، ويتلخّص الخبر في أن **زاد المال** جارية سوداء أخبرت سيدها عن زائر وصـل لـيلاً فأمرها أن تقول للزائر إنه نائم، وعندما سمع أن الزائر اسمه الذهب، قفز من فراشه وهو يسبها و يسب قَنَوَ[5] التي أنجبتها ويتهمها بالكذب[6].

---

[1] – انظر ابن حيَّان، المُقتبس، 59.

[2] – هو أبو جعفر أحمد بن عبد الملك بن سعيد العنسي ، هام في حب حفصة الركونية وكان له معها وفيها شعر كثير، استكتبه أبو سعيد بن عبد المؤمن ملك غَرْناطَة _ أيام عهد الطوائـف _ ثم قتله بسبب حفصة؛ فقد كان يهواها هو الآخر . انظر ابن سَعيد، المغرب، 138/2، المقَّـري، النّفح، 317/5-318.

[3] – المقَّري، النّفح، 316/5.

[4] – هو أبو بكر محمد بن عيسى بن عبد الملك بن عيسى بن قُزمان الأصغر، إمام الزجـالين بالأندلس، أديب بارعٌ، قيل إنه نظم الشعر المُعرب وعندما رأى تخلفه عن معاصريه عمد إلـى طريقة جديدة فصار إمام الزجل المنظوم بكلام عامة أهل الأندلس توفي سنة 555هـ. انظـر ابن سَعيد، المغرب، 100/1-101، 167/1-176، المقَّري، النّفح، 172/5-173.

[5] – قَنَوَ: قناوة أي غينيا. انظر ابن قُزمان، الدّيوان، (الهامش) 579.

[6] – انظر الدّيوان، 576-580.

ولم يذكر الشَّاعر الشيء الكثير عن جاريته، غير أنها سوداء و اسمها **زاد المال** وأنها من قَنَوَ، كما وصفها في إحدى أراجيزه وهي تعمل في الصوف وتنظفه، ثم تُخبره بحضور شخص يحمل الخوخ والرُّمان فقال: [1]

يا أمُورَ الزمَان وشغْل البالْ   لم نَفكَر في الحرّ وقتاً زال
حتى رَيْت الخُدَيْمَهْ **زَادَ المال**   تَبسُط الصوف وتنزع الطَيْبَري[2]
ساقَتْ المَيْدَهْ ساقَت القنديل   وهي تجعل منَ المثلث[3] قَلَيْل
حتى قالت لي سيْدي جا الوكيْل   بخويخات ورُمَّاناً سَفَري

ويتّضح حال جواري الخدمة في أرجوزة الشَّاعر أبي عبد الله بن مسعود[4] التي خاطب بها الوزير ابن بقّنة[5]، وقد نظمها على لسان جاريته وهي تشكو زمانها وتبكي سوء حالها، وتخيّرت بعض أجزائها التي وصفت حال الجارية وما آل إليه عيشها: [6]

وكنتُ أرجو مَعَهُ للرّاحهْ   إذ لم يَفُز بطائلِ المَلاحَهْ
إذا به أدخلني في شُغْلِ   لفَرطِ الإلمام بِسوقِ الغزلِ
وقال لي إنْ كنتِ تهوينَ التّحَفْ[7]   والأكلَ والشربَ وحُلّةَ الطُرَفْ
فانتبهي وحكّمي الأصابعْ   واطَّرحي عن نفسكِ المطامعْ

---

[1] – الدّيوان، 134.

[2] – الطَيْبَرِي: لم أجد معناها.

[3] – المثلث: اسم لألوان شتى في طعامهم، الدّيوان (الهامش) 135.

[4] – هو أبو عبد الله محمد بن مسعود القرطبي، كان شاعراً ظريفاً، كثير الهزل في نظمه ونثره، من مشهوري شعراء المائة الخامسة للهجرة. انظر ابن بسَّام، الذّخيرَة، ق1 م549/1، ابن سَعيد، المغرب، 134/1.

[5] – ابن بقنّة: ربَّما قرئت ابن بقية، وقد ورد هذا الاسم عند الحديث عن الهدية التي أهداها ابن شُهيد إلى عبد الرّحمن النَّاصر، وربَّما كان ابن بقنة ابنه أو حفيده. انظر ابن بسَّام، الذّخيرَة (الهامش)، ق1 م552/1.

[6] – ابن بسَّام، الذّخيرَة، ق1 م553/1-554.

[7] – تَحَّفَ: زوّق، جمّل زيَّن. دوزي، تكملة المعاجم العربيَّة، مادة (تحف) 25/2.

ألا وَهَبْتَنِي لِشخصٍ تاجِرِ ولم أكنْ عِندَ فقيرٍ فاجِرِ
أوْ ليتني كنتُ لبعضِ الجُنْدِ فَربَّما حازَ نفيسَ المجدِ
يَضربُ بالسَّيفِ ولا يُقاسي خُطَّةَ خَسفٍ بِسُؤالِ النّاسِ
قد كَسَدَتْ آدابُهُ والشّعْرُ فما لهُ عند البرايا قَدْرُ
ألحنُ في أشعارِهِ من تَيْسِ أعجَزُ في البيتِ مِنَ الضُرَّيْسِ[1]
ولو تراهُ سائراً للسوقِ إذا بدا في كُسْوَةِ الغُرْنُوقِ[2]
مُشَمِّراً في الطِّين عن ساقَيْهِ مُداولاً عصاهُ في كَفَّيْهِ
يأخُذُ في التعيِيرِ والإزهادِ[3] مُنكمِشاً في طلعةِ الصيّادِ
فمَرَّةً يُعْطَى وألْفاً يُمنَعُ ومرَّةً يمشي وعَشراً يَقَعُ
قطعةُ لِبْدٍ دارسِ الآثارِ قد طُرِحَتْ حولَ مكانِ النارِ
إلى قُدورٍ هي أقصَى عَقْلِ لمْ يَكُ فيها قطُّ غيرُ البقلِ
وقُدَسٍ[4] مُعَلَّقٍ مُقابِلي أُودِعُ فِيهِ في الدُّجى مَغازِلي
وطوبةٍ[5] بموضِعِ الرُقادِ كأنّنا مِنْ أعبدِ العُبّادِ
يا شَوقَنا فيهِ إلى قِنْديلِ وتوقَنا أيضاً إلى منديلِ
هذا جميعُ كلّ ما في البيتِ بلا دَقيقٍ يُرْتَجى وزيتِ
وقد شَكا منْهُ لِبعضِ بعضي إن كان عندي من ثِياب الأرضِ
غيرُ الذي كَسَوتَني بمالَقَهْ فَبِنتُ قبلَ اللّيلِ منه طالقهْ
لا سيّما زيادَةً في التّحْقَهْ أنّني حُبلَى مُقرِبٌ بنُطفَهْ
وربَّما جئتُ لهُ باثنينِ لكي يَحُوزَ قُرَّةَ العينَينِ

---

[1] – الضُرَّيْس: اسم طير. دوزي، تكملة المعاجم العربيّة، مادة (ضرس) 68/6.

[2] – الغُرْنُوق: هكذا ينطقها أهل الغرب وهذه الكلمة تعني كُركيّ... والغُرنوق والغُرنيق طائر أبيض من طير الماء. دوزي، تكملة المعاجم العربيّة، مادة (غرنق) 402/7.

[3] – يعتقد إحسان عباس أن الصواب هو " يأخذ في التعثير والإرعاد أي يعثر في مشيه ويضطرب مهتزاً حتى يستدرّ عطف المحسنين، لما يرون من عجزه". ابن بسّام، الذّخيرة، (الهامش) ق1 م554/1

[4] – قُدَس: ضبطها دوزي قَدَس: وهو أنبوب ماء. دوزي، تكملة المعاجم العربيّة، مادة (قدس) 197/8.

[5] – طوبة: طوب واحدته طوبة: لبن صلب جاف، طوب (معناها الأصلي آجر) تين جاف كُبس بشكل كتلة مربعة، وهذه الكتل تشبه الآجر. دوزي، تكملة المعاجم العربيّة، مادة (طوب) 86/7.

أشارت الأبيات السابقة إلى ما تعانيه هذه الجارية من قِلَّةِ ما في اليد، ومن بخل سيدها وما تعيشه معه من فقر وبؤس، حتى إنها لا تملك ثياباً غير التي جاءت بها من مَالَقَة[1] إليه، ويبدو أن سيدها لم يكتفِ بتشغيلها في سوق الغزل بل إنها حُبلى ولزيادة الطين بلّة قد تكون حبلى باثنين.

قد تكون أرجوزة ابن مسعود صورة حية عن حياة إحدى جواري الخدمة، أو أنها مجرد وسيلة مبتكرة للاستجداء[2]، إلا أني أرجِّحُ أنها حفظت معلومة هامة عن جواري الخدمة؛ فهُنَّ جواري خدمة ولذّة وقد يصبحن أمهات أولاد، ذلك أن جارية ابن مسعود عملت في سوق النسيج كما أنها تنتظر مولودها كي تصبح أمّ ولد سيدها، وربَّما يُعطي السادة الجارية أكثر من مهمة فيخدمن في بيوتهم ويُصبحن جواري لذّة إذا ما نِلن إعجاب السيّد، أو أن السيد يضطر إلى جمع مهام جواري عدّة في جارية واحدة لأنه غير قادر على شراء أكثر من جارية.

وتُصبح جارية اللذة جارية خدمة إذا ما غضب عليها سيدها؛ فقد بيعت جارية جميلة في تركة سيدها إثر وفاته، ولما أراد سيدها الجديد ضمها إلى فراشه رفضت رغم تعذيبه وضربه الشديد لها[3]، ورضيت بالخدمة والتنازل عن حياة جواري اللذة المنعَّمة في بيت سيدها الجديد وفاءً لسيدها القديم.

---

[1] – مَالَقَة (Malaga): مدينة أندلسيّة على شاطئ البحر من أعمال ريـة، ومن مَالَقَة إلى أرشذونة ثمانية وعشرون ميلاً. انظر الإدريسي، نُزهةُ المشتاق في اختراق الآفاق، 565/2، 570، الزهري، الجعرافية، 93-94، ياقوت، مُعجَم البُلدان، 43/5، الحِميَري، الرَّوض المِعطار، 517-518.

[2] – انظر حسن أحمد النوش، التّصوير الفني للحياة الاجتماعيّة في الشعر الأندلسي، 349.

[3] – انظر ابن حَزم، رسائله، 208/1.

ولم تكن حياة كلِّ جواري الخدمة جحيماً بسبب الفقر وسوء المعاملة فقط؛ فجواري عبد الملك بن زيادة الله[1] عِشن جحيماً آخر تمثّل في بُخل سيدهن وتقتيره عليهن مما دفعهن إلى خنقه في النهاية، وقيل إنه كان يترك أهل داره يأكُلن الخبز بلا إدام، فإذا طلبْنَ الإدام قال: " هذه عادة سوء" [2]، وأعتقد أن ابن زيادة الله كان بخيلاً حقاً لأنه غنيّ؛ فهو لم يملك جارية واحدة وإنما مجموعة جوار.

ولم يقتصر عمل جواري الخدمة على الأعمال الصعبة؛ فقامت بعضهنّ بتربية أولاد أسيادهنّ وتعليمهم؛ وحظيت هؤلاء الجواري بنصيب وافر من العلم والثقافة، وكنّ مُلكاً للأُسَر المترفة؛ فقد قامت الجواري بتعليم ابن حزم _ وهو من عائلة غنية _ القرآن والشعر ودرّبنه على الخط[3]، ويبدو أنه لم يكن الأندلسي الوحيد الذي ربّته وعلّمته الجواري، وأن اتخاذهنّ لتعليم الأولاد كان ظاهرة موجودة في المجتمع الأندلسي، أو على الأقل ظاهرة سادت بين الأثرياء القادرين على دفع أثمان جوارٍ متعلمات لهنّ القدرة على تعليم القرآن والشعر والخط، وأرجِّح أن العائلات الغنية التي تكبدت عناء إحضار الجواري اختارت جواري مميّزات عن غيرهن؛ فهنّ بحاجة إلى جوارٍ وقورات يُعلِّمن أولادهم الأخلاق إلى جانب العلوم التي قمن بتدريسها.

ومن المؤسف أن مصادر التراث الأندلسي لم تذكر الشيء الكثير عن جواري الخدمة، و أرجِّحُ أنه لم توجد معايير لانتقاء هؤلاء الجواري، ومع أن المنطق يفرض أنهنّ من الجواري اللاتي لم يوهبن الكثير من الجمال أو الثقافة، إلا أن ما جاء عن جارية ابن مسعود ينفي ارتباط الخدمة بانعدام الجمال أو الثقافة، ويبدو أن الحظ هو المعيار الوحيد في عمل الجواري في الخدمة؛ فقد ينزلن عند سيد يرفع شأنهنّ ويُكرمهنّ، وقد يُلقى بهنّ عند سيد بخيل أو مستغلٍ يقوم باستغلالهنّ وتشغيلهنّ في أكثر من مجال.

---

[1] – هو أبو مروان عبد الملك بن زيادة الله ابن أبي مضر الطُّبْنيّ، شاعر أديب ولغوي وإمام في علم الحديث، من بيت معروف بالشعر والأدب، رحل إلى المشرق وسمع من محدثي مصر والحجاز، وقتل بقُرْطُبَة سنة 457هـ. انظر الحميدي، جَذوَةُ المُقتبس، 2/449-450، ابن خاقان، مطمح الأنفس، 268، ابن بسّام، الذّخيرَة، ق1 م1/535-540، الضَّبي، بُغيَة المُلتَمس، 378-379، ابن سَعيد، المغرب، 1/92-93، المقَّري، النّفح، 9/274-275.

[2] – انظر ابن بسّام، الذّخيرَة، ق1 م1/537، ابن سَعيد، المغرب، 1/92-93.

[3] – انظر ابن حَزم، رسائله، 1/166.

وعلينا ألا ننسى أن جواري الخدمة لم يكنّ حِكراً على سكان القصور فحسب فقد عملــن في خدمة العامة أيضاً، كما كُنّ من الجواري السوداوات وغيرهن، ولــم يكــن هنــاك قاعــدة لاتخاذهنّ من السوداوات دون البيض، ولاحظت أنه لم يُذكر أيّ شيء عن مدى إتقــان هــؤلاء الجواري للّغة العربيَّة، أو ماذا سيحل بإحداهنّ إن لم تُجد العربيَّة أو تتحدثها، هل ستنــضم إلــى جواري الخدمة أم جواري اللذة؟ وماذا سيكون حالها إن كانت جميلة ولم تتحدّث العربيَّــة؟ هــل ستنضم إلى جواري اللذة أم تتبع جواري الخدمة؟ ولم أجد في المصادر الأندلسيّة أي شيء حول هذه القضية، إلا أني أرجِّحُ أن أي جارية لا تتحدث العربيَّة ولا تتمتع بالجمال المطلوب ســتقوم بخدمة سيدها، أما إن كانت جميلة ولا تتحدث العربيَّة فستنضم إلى جواري اللذة.

3- انتشار الجواري في الأندلس

دخلت الجواري الأندلس سبايا حرب و بضاعة يتاجر بها الأندلــسيون وغيــرهم مــن التُّجار المشارقة والأوروبيين في الأندلس، وبدأ تدفّق الجواري على الأندلس منــذ أيــام الفــتح الأولى مروراً بغزوات الأندلسيين لزيادة رقعة الدولة الإسلاميّة وتأديب المعتدين علــى الثغــور وانتهاءً بجهاد المسلمين لاسترداد مدنهم التي سقطت في يد الإسبان.

وأظنّ أن عدد الجواري الوافدات إلى الأندلس عن طريق الحرب كــان متذبــذباً، فقــد اعتمد على قوة القادة الأندلسيين ورغبتهم في حماية الثغور؛ فإن كان حاكم الأندلس قائداً قويــاً يسعى لمصالح الأمة و نشر الإسلام أو استرجاع مدنه السليبة فسوف يُعِدُّ جيوشه ويخرج للجهاد ويظفر بالغنائم التي تشكِّل الجواري جزءاً كبيراً منها؛ فقد نال طارق بن زياد العديد من السبايا أيام الفتح الأولى[1]، كما سبى عبد الرحمن النَّاصر ثلاثمائة رأس ونيِّف إثر غزوته علــى أرض

---

[1]- انظر عبد الواحد المرَّاكشي، المُعْجِب، 83-84، ابــن الأبَّــار، الحُلَّــة الــسِّيَراء، 334/2، المقَّري، النَّفح، 243/1.

جِلِّيقِيَّة[1] سنة 340 هـ [2] فما بالك بغزواته كلِّها؟، أما المنصور فملأ الأندلس بالسَّبي من بنات الروم، حتى إنه نودي على ابنة عظيم من عظماء الروم بقُرْطُبَة فلم تساو أكثر من عشرين ديناراً [3]، وعندما استرجع ابن هود[4] بَرْبَشْتَر[5] غَنَمَ فيها غنائم كثيرة ومن ضمنها ألف وخمسمائة سبية[6] وقيل خمسة آلاف[7]، ولم يتوقف الأندلسيون عن الجهاد والفوز بالغنائم والسبي حتى

---

[1] – جِلِّيقِيَّة (Galicia): بلاد تقع شمال غرب الأندلس، وهي بلاد لا يطيب سُكناها لغير أهلها، ويغلب على أرضها الرَّمل، وتنتهي أحواز الجليقيين في الجوف إلى البحر المحيط، وفي القبلة إلى أحواز مدينة طلسونة، وقاعدتهم مدينة أقش. انظر الزهري، الجعرافية، 228، ياقوت، مُعجَم البُلدان، 157/2، الحِمْيَري، الرَّوض المعطار، 169.

[2]– انظر ابن عِذَاري، البيانُ المُغرِب، 217/2.

[3]– انظر عبد الواحد المرَّاكشي، المُعْجِب، 84.

[4] – هو أبو جعفر أحمد بن سليمان بن هود الجذامي الملقب بالمقتدر بالله، ولاه أبوه ابن هود على سَرَقُسْطَة، فطمع في حصة إخوته الأربعة وكاد لهم ولجأ إلى الروم في بعض مكائده حتى استولى على ولاياتهم، كانت له حروب كثيرة مع الروم، أُصيب بعلة في جسده أذهبت حسَّه وعقله وقيل: إنه أضحى ينبح كنباح الكلاب لدعوة رجل صالح عليه، وتوفي سنة 475هـ. انظر ابن عِذَاري، البيانُ المُغرِب، 222/3–229.

[5] – بَرْبَشْتَر أو بَربُشْتَر (Barbastro) مدينة أندلسية من أعمال بَربَطانية، وتقع في شرق الأندلس، بينها وبين قرطبة ثمانون ميلاً، دخلها الروم سنة 456هـ فنكّلوا بأهلها وحملوا سبعة آلاف بكر من بنات بَرْبَشْتَر في جملة الهدايا لإمبراطور القسطنطينية، ثم استعادها المسلمون في إمارة أحمد بن سليمان بن هود سنة 457هـ. انظر ياقوت، مُعجَم البُلدان، 370/1، الحِمْيَري، الرَّوض المعطار، 90-91.

[6]– انظر ابن عِذَاري، البيانُ المُغرِب،3–227.

[7] – انظر البكري، المسالك والممالك، 95.

اللحظة الأخيرة من أيامهم في الأندلس، فقد ظفر أبو الوليد بن الأحمر[1] بسبعة آلاف نفس بالإضافة إلى عشرات قناطير الذهب والفضة[2].

كما اعتمد كَمُّ الجواري الوافدت إلى الأندلس على التجارة؛ فقد كانت تجارة الجواري منهلاً لا ينضب، كيف لا وطُرق تجارة الرقيق لا تتوقف إلى الأندلس وعبرها: كطريقها مع المشرق لجلب الجواري المثقفات والجواري السوداوات، ونحو طريق أوروبا الذي يخترق ألمانيا مروراً بالأندلس حتى يصل موانئ إيطاليا وفرنسا فالشرق[3]، وكطريق التجار البيزنطيين الذين كانوا يغزون شواطئ البحر الأسود كي يبيعوا الأسرى الذين اختطفوهم من على شواطئه [4]، بالإضافة إلى أن الأندلس كانت سوقاً للرقيق الإسباني الذي اختطفه القراصنة الإسبان وباعوه للأندلسيين[5].

---

[1] – هو الغالب بالله أبو الوليد إسماعيل بن فرج بن إسماعيل بن يوسف بن نصر المعروف بابن الأحمر، خامس سلاطين دولة بني نصر، بويع سنة 713هـ، حارب الطاغية دون بِطْرُه بعد أن ألَّب ملوك النصارى عليه وجمع له سنة 719هـ، فاستعان الغالب بالله بأبي سعيد المَريني وهزموا النصارى وقتّلوهم، وأسَرُوا الكثير منهم، واستمرَّ البيع في الأسرى والدَّواب ستة أشهر، قُتل الغالب بالله على يد ابن عم له سنة 725هـ. انظر المَقَّري، النّفح، 1/428-431.

[2] – انظر النَّاصري، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، م1 ج3، 109، المَقَّري، النّفح، 1/430.

[3] – انظر آدم متز، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، 300، ليفي بروفنسال، الحضارة العربيَّة في إسبانيا، 53.

[4] – انظر عمر الدقاق، ملامح الشعر الأندلسي، 45.

[5] – انظر أحمد أمين، ظهر الإسلام، 3/6.

الباب الأوّل
الجواري في الحياة الأندلسيّة

الفصل الأوّل: الجواري في الحياة الاجتماعيَّة
الفصل الثّاني: الجواري في الحياة الثَّقافيَّة
الفصل الثّالث: الجواري في الحياة السِّياسيَّة
الفصل الرّابع: الجواري في الحياة الاقتصاديَّة

الفصل الأوّل

الجواري
في
الحياة الاجتماعيَّة

كان عدد الجواري في الأندلس كبيراً، وعلى الرغم من أنّ الجواري لم يدخلن كل بيت من بيوت الأندلس _ لأن أسعارهن لم تكن في متناول الجميع _ إلاّ أن أعدادَهنّ في القصور وبيوت الخاصة كانت كبيرةً على مر العصور، وقد وجدت مائتين وعشرين جاريــة، ذُكــرت أسماء تسع وتسعين جارية، بينما بقيت مائة وواحدة وعشرون منهنّ مجهولة الاسم، باستثناء وصف قليل لبعضهن كقولهم: مغنية أو ساقية أو راقصة أو أم فلان أو جارية سوداء، أو كنسبتهنّ لقومهنّ أو منطقتهنّ أو بلدهنَّ كقولهم جارية روميّة أو مشرقيّة أو عراقيّة، ومن الجَدير بالذِّكر أني ألفيت بينهنّ سبعاً وأربعين جارية وُصفنَ بأنهنّ أجـدْن الغنـاء ذُكـر اسم خمس وعشرين منهن، كما وجدت تسع ساقيات وخمساً وعشرين راقصة ذُكر اسم ساقية وراقصة فقط، وألفيت خمس جوار وُصفن بأنهن جوارٍ سوداوات، وجاريتين وُصفتا بالبَشْكَنْسيَّات[1]، وثلاث روميّات، وخمس مدنيّات وعراقيّتين، ووجدت جاريتين من العُدْوة، وجاريتين وُصفتا بالمشرقيَّتين دون تحديد لبلدهنّ.

1- حريّة الجواري

تمتّعت الجواري بحريّة كبيرة مدّهنّ بها المجتمعُ الأندلسي من جهة وجلبن بعضها معهنّ من بيئتهن، فهنَّ لم يبقين حبيسات القصور والبيوت بل خرجن منها وتمتعن بحريَّة الحركة والتّصرّف؛ فجُبن الأسواق وخبرنها، فالرّماديّ [2] التقى الجارية التي هام بهاعند باب

---

[1] – البَشْكَنس: أُمَّة مستقلة بنفسها، تسكن على أبواب فرنسا و حدود نَبَاره حتى اليوم، لهم لغتهم الخاصة بهم وهي لغة الباشكونس التي لازال بعضهم يتحدثون بها، ويتحدث بعض البشكنس الإسبانية أو الفرنسية، وهم قوم أشداء جبليون، تغلب عليهم السمرة إلا من كانوا في أعالي الجبال، فيغلب عليهم اللون الأشقر. انظر شكيب أرسلان، الحُلَل السندسية، 1/321-328.

[2] – هو أبو عمر يوسف بن هارون الرّماديّ الكنديّ المعروف بأبي جنيش، شاعر غزير الشعر سريع القول، من شعراء الحكم المُستَنصِر غير أنه غادره إلى شنترين إثر خلاف بينهما ثم عاد إلى قُرْطُبَة في عهد المنصور فنال منه حظوة لم تدم طويلاً، توفي سنة 403هـ. انظر الحميدي، جَذوَةُ المُقتبس، 2/589. ابن بَشْكَوال، الصِّلة 2/674، الضَّبي، بُغيَة المُلتَمس، 493-496، ابن خاقان، مطمح الأنفس، 311-312، ابن دحية، المُطرِب، 3، ابن خلكان، وَفَيات الأعْيان، 7/225، ابن سَعيد، المغرب، 1/ 392، المقَّري، النَّفح، 5/182-185.

العطارين بقُرْطُبَة ولم ينسها أبداً [1]، كما أنّهنّ تحدثن مع أي غريب لا يجمعهنّ به صلة، فعندما مرَّ بعض أهل المَرِيَّة[2] في وادي إشْبِيلْيَة[3] على طاقة من طاقات شَنْتَبوس[4] قام أحدهم يغني: [5]

خلِّين من وادْ ومن قوارِبْ ومن نزاها في شَنْتَبوسْ
غَرْس الحَبَقْ[6] الذي في داري أحبُّ عندي من العروسْ[7]

فأخرجت جارية رأسها وسألته: من أي بلد أنت يا من غنّى؟ فقال: من المَرِيَّة، فقالت: وما أعجبك في بلدك حتى تفضله على وادي إشْبِيلْيَة وهو بوجه مالح وقفاً أحرش؟[8]

وتضمَّنت حرِّية الجارية مراسلة من تُحب[9] والجلوس مع من تهوى، وذكر ابن حزم في " طوق الحمامة " الكثير من المجالس التي ضمّت جواري جالسن من يُحببن، وقد تكون هذه

---

[1] - انظر ابن حَزم، رسائله، 1/120-121.

[2] - المَرِيَّة (Almeria): مدينة كبيرة من كورة إلْبِيْرَة، والمَرِيَّة في ذاتها جبلان بينهما خندق معمور وتُطل على البحر لذا كانت المَرِيَّة من أهم موانئ الأندلس، بُنيت سنة 344هـ بأمر الخليفة عبد الرّحمن الناصر. انظر الإدريسي، نُزهةُ المشتاق في اختراق الآفاق، 2/562-567، الزهري، الجعرافية، 101-102، ياقوت، مُعجَم البُلدان، 5/119، الحِمْيَري، الرَّوض المِعطار، 537-538.

[3] - إشْبِيلْيَة (Sevilla): مدينة كبيرة عامرة، بينها وبين قُرْطُبَة ثمانون ميلا، ويطلُّ عليها جبل الشرف، وهي على شاطئ نهر عظيم يقال له وادي الكبير، أُطلق عليها اسم "حمص" ، لأنَّهُ عندما دخل جند من جنود حمص إلى الأَنْدَلُس سكنوا فيها فسُمِّيت بهم. انظر الإدريسي، نُزهةُ المشتاق في اختراق الآفاق، 2/539، الزهري، الجعرافية، 88-89، ياقوت، مُعجَم البُلدان، 1/192، القزويني، آثار البلاد، 497، الحِمْيَري، الرَّوض المِعطار، 58-60.

[4] - شَنْتَبوس: منارة على نهر إشْبِيلْيَة. انظر المَقَّري، النّفح، 4/348.

[5] - انظر المَقَّري، النّفح، 4/348.

[6] - الحَبَقُ والحَبِقُ: بكسر الباء والحُباق الضُّراط. ابن منظور، لسان العرب، مادة (حبق) 10/37.

[7] - العروس: منتزه، المَقَّري، النّفح، 3/146.

[8] - المَقَّري، النّفح، 4/348.

[9] - انظر ابن حَزم، رسائله، 1/214.

المجالس مجرّد لقاءات بريئة مليئة بالعواطف العذرية ومشاعر الحب؛ كمجلس فتى وجارية اجتمعا يتحدّثان وفي يد الفتى سكين يقطع بها بعض الفواكه، وإذا به يقطع إبهامه قطعاً خفيفاً فسال دمه، فقامت الجارية بتمزيق ردائها الحريري لتأخذ منه قطعة تشدّ بها إبهام محبوبها [1].

وتعدّت الحرِّية حدودها عندما تحوَّلت اللقاءات البريئة إلى انحلال أخلاقي واستطالات على الأعراض، فقد ذكر ابن حزم أنَّ أحد أصحابه عشق جارية لأهله وكان ممنوعاً منها، فلما خرج مرّة مع أعمامه إلى ضيعة لهم نزل الغيث، فأمر أعمامُهُ بالأغطية التي لم يحضروا منها ما يكفي الجميع، فغطوه معها واستطال عليها وسط الملأ [2].

وربما رضيت بعض الجواري بالاستطالات _على الرغم من علمهنّ أنها فضيحة لا يرضى بها المجتمع _ ووجدن لها تفسيرات عجيبة، ذلك أن هشاماً المؤيد لمّا استفضَّ جاريته وجدها ثيباً فسألها، فقالت: "بينما أنا ذات يوم راقدة تحت الشجرة الفلانية في البستان، وإذا بمن نزَّه الله ذكره عن هذا المكان قد جامعني واستفضَّني، فاستيقظت فوجدت الدم على رجلي، وخفت الفضيحة وكتمت ذلك"[3] فبكى هشام حالها وحرّرها[4]، وقد تتم هذه الممارسات على الملأ ويشارك فيها الكثير من الجواري؛ فقد عُرِفَ عن المُعتَمد أنه كان يراقد جُملة من الجواري تحت لحاف واحد[5].

واتّخذت حرّية الجواري اتجاهاً غريباً وبعيداً عن العُرف وكلِّ ما هو معتاد عند العرب، فقد أمست بعض الجواري طالباتٍ للرجال لا مطلوبات؛ ويبدو أن الرجال لم يخطر ببالهم أنهنّ يطلبنهم، فلما هامت جارية بفتى من أبناء الرؤساء ولمّحت له لم يفهم مرادها، ولما طال الأمر شكت الجارية حالها لامرأة تثق بها فنصحتها أن تُعرِّض له بالشعر، فعرَّضت له أكثر من مرّة فلم يفهم، ولما يئست منه قبلته في فمه وتركته دون أن تنبس بكلمة، فما غمض له جفن و كان هذا بدء الحب بينهما دهراً[6].

---

[1] – رسائله، 187/1.

[2] – انظر رسائله، 188/1–189.

[3] – ابن سَعيد، المغرب، 196/1.

[4] – انظر ابن سَعيد، المغرب، 196/1.

[5] – انظر ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غَرْناطة، 123/2.

[6] – انظر ابن حَزم، رسائله، 182/1–183.

وقد تتعرّض الجارية إلى معانٍ مكروهة بينما يتعفف المطلوب، فقد تعرضت جارية لبعض تلك المعاني فقال لها مطلوبُها: " كلا إن من شُكر نعمة الله فيما منحني من وصالك الذي كان أقصى آمالي أن أجتنب هواي لأمره" [1].

ويرى وائل أبو صالح أن السبب وراء إعطاء هذه الحرية للجواري هو قلة الغيرة عليهن، وانحطاط منزلتهن في نظر أسيادهنّ[2]، إلاّ أنّ غضبة المنصور على جاريته **أُنْس القُلوب** عندما لمّحت لأبي المُغيرَة بن حزم[3] بحبها[4]، تُثبت أن هؤلاء الأسياد كانوا يغيرون على جواريهم، وربَّما لم تنبع غيرتهم من اعتقادهم أن الجواري جزءٌ من حريمهم وأعراضهم بل لأنهن جزء من أموالهم وممتلكاتهم.

كما قام المنصور بقتل جارية غنَّت شعراً تغزّل فيه بعض شعراء قُرْطُبَة **بصُبْح** أم المؤيّد[5]، وعلى الرغم من أن **صُبْح** لم تكن جاريته أو محظيته إلا أنها كانت أم خليفة المسلمين، وأرملة الحكم المُسْتَنصِر الذي جعلها محظيته .

وأرجِّحُ أن الحرّية المطلقة التي أدّت إلى ممارسات غير أخلاقية ما هي إلا نتيجة لإهمال سادتهنّ لهنّ؛ فقد تخيّر السادة من بين جواريهم بعض محظيات قربوهنّ إليهم، وربَّما عشقوهنّ أو استولدوهنّ أو حتى أعتقوهنّ وتزوجوهنّ، إلاّ أنّ قصورهم حَوت العديد من الجواري اللاتي بقين نكرات لهم ولم يعرفوا أسماءهنّ، ويبدو أن هؤلاء الجواري لم ينلن الحظوة أو يئسن من أي أمل بالتقرب من أسيادهنّ، فبدأن البحث عن رجل آخر يعطيهن الأهميّة، ويصبحن شخصية معروفة في حياته بدلاً من البقاء نكرة على هامش حياة السيد، ويبدو أن السيد نفسه لم يلحظ غيابهن ولم يهتم بالسؤال عنهن، فهنّ كُثر في قصره.

---

[1] – ابن حَزم، رسائله ، 1/ 297.

[2] – انظر الجواري في الأندلس، 48.

[3] – هو أبو المُغيرَة عبد الوهاب بن أحمد بن عبد الرّحمن بن سعيد بن حزم، الوزير الكاتب، من المُقدّمين في الأدب والشعر، توفي سنة 420هـ. انظر الحميدي، جَذوَةُ المُقتبس، 461/2، ابن خاقان، مطمح الأنفس، 202-203، ابن بسَّام، الذّخيرَة، ق1 م132/1-133، الضَّبي، بُغيَة المُلتَمس، 393-394، المقَّري، النّفح، 153/2-154.

[4] – انظر المقَّري، النّفح، 151/2.

[5] – انظر ابن حَزم، رسائله، 147/1.

وأعتقد أنّ المجتمع الأندلسي وإن كان فيه هذا القدر من الحرية إلاّ أنه لم يتقبّل الحرية المطلقة؛ فهو مجتمع إسلامي أولاً وأخيراً، وبعض روايات ابن حزم في " طوق الحمامة " دليل على أن المجتمع الأندلسي رفض الحريات المطلقة ودعا إلى صون العورات، وأن أفراده خافوا من الفضيحة أو سوء السُّمعة، فقد قال ابن حزم في مقدمة كتابه طوق الحمامة: " فاغتفر لي الكناية عن الأسماء، فهي إمّا عورة لا نستجيز كشفها، وإما نحافظ في ذلك صديقاً ودوداً ورجلاً جليلاً وبحسبي أن أُسمي من لا ضرر في تسميته ولا يَلحقنا والمسمّى عيب في ذكره، إما لاشتهار لا يُغني عنه الطي وترك التبيين، وإما لرضا من المخبِر عنه بظهور خبره وقلة إنكار منه لنقله"[1]، فلو كان المجتمع يتقبّل مثل هذه القصص التي سردها، لما تحرّج ابن حزم في ذكر أسماء أصحابها، ولما خاف من فقدان صديق إن كَشَفَ أمرَه، ولما قال إن الناس تَسِم المُحب بصفات أهل البطالة[2]، ولَمَا كرّر حديثه عن الفضيحة إن اكْتُشِف أمْرُ من قَصَّ أخبارهم، كقوله في باب المراسلة " رأيت أهل هذا الشأن يُبادرون لقطع الكُتب وبحلّها في الماء وبمحو أثرها، فرُبَّ فضيحة كانت بسبب كتاب" [3].

إذن على الرغم من أنّ بعض الأندلسيين خرقوا عادات مجتمعهم وتجرّأوا على المراسلة، إلا أنّهم لم يستطيعوا الإعلان عنها، حتى إنّهم أتلفوا الرسائل وتخلّصوا منها، فهم يخافون الفضيحة في مجتمع يسيطر على الأفراد، ويعيش فيه الأفراد في قلق من أن يَسِمهم المجتمع بسمات لا تتناسب مع معاييره ولا يتقبّل حرياتهم، وقد تزيد نسبة حدوث الفضيحة باتخاذ سفير بين المحبين، فبيَدِ السَّفير فضح المتحابين أو سترهما بعد الله تعالى[4]، وقد ينوي المحبُّ أن يفضحَ محبوبَه فضيحة مستورة، كما فعلت جارية بفتى طلبها في غير حلال، فشكته بشعر غنته في أحد مجالس أكابر الملوك[5] ، وقد فهم الفتى شعرها دون أن يفهمه غيرهما، ولكن هذه كانت فضيحة مستورة، لم يُقصد منها إعلام الناس أو فضح أمر صاحبها على الملأ.

---

1 - رسائله، 87/1.
2 - رسائله، 144/1.
3 - رسائله، 139/1.
4 - انظر ابن حَزم، رسائله، 141/1.
5 - انظر ابن حَزم، رسائله، 135/1.

2- العلاقة بين الجواري والحرائر

لم تذكر المصادر الأندلسيّة تفاصيل العلاقة بين الجواري والحرائر، أو علاقــة أمهــات الأولاد أو جواري الخدمة بهنَّ، وعلى الرغم من وجود الكثير من الروايات التي تحــدّثت عــن الرجال ومحظياتهم أو أمهات أولادهم، إلاّ إنها لم تُقدِّم تفاصيل عن زوجات هؤلاء الرجــال أو حتى أسماء بعضهن، مما يدفعني للتساؤل عن دور الحرائر وفاعليتهنّ في المجتمع الأندلــسي؛ فالكثير من أمّهات حكام الأندلس من بني أمية _على سبيل المثال_ كــنَّ مــن الجــواري، أمّــا الحرائر فإني لم أجد تفاصيل عنهنَّ، وربَّما لم يُذكرن أصلاً، أو أنهنَّ ذُكــرن وضــاع الحــديث عنهنَّ مع ما ضاع من تاريخ الأندلس، وإن زعمت أنَّ رجال العامة اتخذوا الحرائر ولم يشتروا الجواري؛ فالعامة رجالاً ونساءً لم يحظوا بحيّز كبير في كتب التراث الأندلسي.

ولم تتوفر لي تفاصيل كافية لأرسم صورة متكاملة عن العلاقة بين الجواري والحرائر، لذا حاولت نسج صورة لعلاقتهنّ انطلاقاً من علاقة **مَرْجان** أم الحكم المُستَنصِر مع فاطمة بنــت المنذر القرشية زوج النَّاصر، فقد تنافستا على النَّاصر وأين سيقضي ليلتــه وعنــدما اشــتعلت المنافسة اشترت **مَرْجان** ليلة مع النَّاصر بعشرة آلاف دينار[1]، إلا أنني وجدت أن هــذه الحالــة غير كافية لرسم تفاصيل علاقة الجواري بالحرائر، فعمدت إلى رسم صورة عامّــة لعلاقــتهنّ، فعلاقة الجواري بالحرائر إما علاقة عداوة ومنافسة للاستئثار بالزوج والسيِّد، أو علاقة تسودها المحبة والوئام.

وإن كانت العلاقة علاقة عداوة ومنافسة للاستئثار بالرجل فأظنها نابعــة مــن غيــرة النّساء؛ وبإمكاننا تخيُّل المرأة الحرَّة عندما يدخل عليها زوجها بجارية جميلة تُجيد فنــون الأدب والغناء، وتصوُّر جارية تودُّ الاستئثار بسيدها ثم تتعرَّض لهجوم زوجته الحرَّة، كيف لا تكــون العلاقة علاقة تنافسية والمرأة الحرَّة تعرف أن الجواري جمعن من اللذات ما لا يجتمع في شيء آخر غيرهنّ [2] من جمال وعلم وثقافة وأساليب امتلاك القلوب التي تُوقع أيَّ رجل في شباكهن؛ وما تقفنه من طُرق المغازلة والشعر وادّعاء الحب والشَّوق[3].

[1] - انظر ابن الأبَّار، التَّكملة، 4/246-247.
[2] - انظر الجاحظ، رسائله، 2/170.
[3] - انظر الجاحظ، رسائله، 2/171.

وأعتقد أنّ المنافسة أمر طبيعي بين كل الحرائر والجواري وربَّما كانت المنافسة هي الحال السائدة بينهنَّ؛ فالرجل هو السيّد والزوج وكلٌ يسعى لامتلاكه، فالأندلسيّة الحرّة التي لم تتزوج بعد تنتظر الزوج الذي يملأ حياتها، أما المتزوجة فهَمُّها الاستئثار بزوجها واستعادته من أيّ كان[1]، ومما يجعلني أميل إلى أن المنافسة هي الحال السائدة بين الجواري والحرائر وصفُ ابن حزم لنساء عصره بأنهن: " متفرغات البال من كل شيء إلا من الجماع ودواعيه، والغزل وأسبابه، والتآلف ووجوهه، لا شغل لهن غيره ولا خُلقن لسواه " [2] فقوله دليل على أنّ الرجل هو مركز حياة المرأة الأندلسيّة حرَّة كانت أو جارية، وأنّها تدور في فلكه ولا تستطيع الابتعاد عنه، وأرجِّحُ أنّ حياة هؤلاء النّساء دفعتهن إلى المنافسة لامتلاك الرجال، لكنّ الرجل لم يكن همَّ كل نساء الأندلس، فقد كان لبعض النّساء مِهنٌ امتهنّها، وعلوم درسنها، وألّفنَ فيها المؤلفات، وجعلن العلوم همّهنّ وهدف حياتهن.

وأرجِّحُ أنّ كفّة الجواري سترجح إذا ما خُيِّر الرجل الأندلسي بينهنّ وبين الحرائر، فالحرائر وإن وُهِبن جمالاً وثقافة إلاّ أنهنّ لم يملكن أساليب الجواري في جذب الرجال، وهؤلاء الرجال لم يختاروا زوجاتهم _ تبعاً للأعراف العربيَّة _ إلاّ أنه كان لهم الحرية التامة في اختيار جواريهم؛ فللرجل أن يُقلِّب الجارية بنظره ويده كيفما شاء[3] ويختار الجارية التي تُعجبه وتوافق مزاجه.

وقد أباح الشَّرع السّفور للجواري فإن الله تعالى يقول: " قل لأزواجِكَ وبَناتِكَ ونِساءِ المؤمنينَ يُدْنِينَ عَليهِنَّ من جَلابِيبِهِنَّ ذلك أدْنَى أن يُعْرَفْنَ فلا يُؤذَيْنَ وكانَ اللهُ غفوراً رحيماً " [4]، وأُمِرَ الرسول صلى الله عليه وسلَّم أن يأمرهنّ بإدناء الجلابيب ليتسترن ويظهر الفرق بين الإماء والحرائر، كما أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يضرب أية أمة يراها تتقنّع[5]، إذن تمتعت الجارية بحرّية اللِّباس الذي يسمح لها بإظهار محاسنها على عكس المرأة الحرَّة التي تتقيّد بقيود الشرع، وربَّما كانت العلاقة بين الجارية وسيدها تختلف عنها بين السيد نفسه وزوجته الحرَّة فوائل أبو صالح يعتقد أنّ الشرعية التي تجمع بين الرجل وزوجته تضفي على

---

[1] – انظر صلاح خالص، إِشْبِيلِيَة في القرن الخامس الهجري، 93.

[2] – رسائله، 165/1.

[3] – انظر القزويني، آثار البلاد، 531.

[4] – سورة الأحزاب، آية 59.

[5] – انظر ابن عطية الأندلسي، المُحَرَّر الوَجيز في تفسير الكتاب العزيز، 116/12-117.

العلاقة الزوجية_ وبخاصة الجسدية _ نوعاً من الهالة بينما تسقط هذه الهالة عند التمتع بجارية، فهي ليست بزوجة وإنما أداة للمتعة ليس أكثر[1].

وربَّما كانت هناك منافسة غير مباشرة بين الجواري وبعض نساء الطبقة الفقيرة؛ فزوجة الرجل الفقير الذي لا يستطيع شراء جارية لن تعيش منافسات وحروب مباشرة مع جارية، إلا أنها ستتنافس على زوجها مع جارية لا تلقاها أو تعرفها، فقد تمكَّن بعض رجال العامة من الاختلاء بهن فيما عُرف ببيوت الحظوة، ويبدو أن هذه البيوت كانت بيوتاً قانونية، فالدولة لم تعارض وجودها والدليل على هذا أن الجواري اللواتي عملن فيها كنّ يدفعن ضرائب للدولة، وكانت الواحدة منهن تُسمى خراجية، وأُطلق على هذه البيوت دار الخراج[2]، وسماها ابن عِذَاري دار البنات[3]، وتحدّث عنها ابن فضل الله العمري فقال: سكن المومسات الخواطي[4]، وذكر ابن حزم هذه الدور وسماها منازل البغايا [5]، ولم أجد ما يقطع أن هذه البيوت كانت حِكراً على الجواري فحسب، وهذا يعني أنه ربَّما عملت فيها بعض حرائر العامة أو ممّن ساءت أحوالهنّ فهوينَ إلى هذه البيوت، إلا أني أُرجّح أن الجواري شكَّلن معظم العاملات في هذه البيوت لسهولة امتلاكهنّ وفقدانهنّ الأهل والرقيب.

ويصعُب على الإنسان المعاصر أن يتخيّل علاقة وديّة أو حتى سِلميّة بين امرأتين تتنازعان على رجل واحد، ولكن استبعاد هذا النوع من العلاقة لا ينفي وجودها، وربَّما نشأت علاقة سِلميّة بين المرأة الحرّة والجارية إذا ما كان الرجل الأندلسي غنياً أو من الخاصة أو أحد حكام الأندلس، عندها سيملك الرجل أكثر من جارية وربَّما مئات الجواري، ولن تكون علاقة المرأة الحرّة بكلٍّ هؤلاء الجواري علاقة متوترة ملتهبة، وربَّما لن تتمكّن المرأة الحرّة من لقاء جميع الجواري اللواتي اشتراهنّ زوجها، وبالتالي ستكون علاقتها بهنّ علاقة فاترة وستنعكس علاقتها عليهنّ فلا تُعلن أيٌّ منهنّ الحرب عليها.

---

[1] – انظر الجواري في الأندلس، 45.

[2] – انظر ابن الخطيب، نُفاضة الجراب، 117.

[3] – انظر ابن عِذَاري، البيانُ المُغرِب ، 81/3.

[4] – انظر مسالك الأبصار، سفر 24.

[5] – انظر رسائله، 40/1.

وأرجّحُ أن أية علاقة وديّة تجمع ما بين الجواري والحرائر ستتم إن لم يكن بينهنّ منافسة على رجل، فقد قامت سيدة أندلسيّة حافظة للقرآن ببذل أموال كثيرة لتشتري جارية كلِف بها أحد الفتيان، وكانت على استعداد أن تبذل مالها كله[1]، وربَّما تنعدم المنافسة وتحلّ بينهنّ علاقة وديّة إذا ما كانت الجواري جواري خدمة لهن أو معلمات لأولادهنّ.

كما أنّ أعظم علاقة ودية ستنشأ بينهنّ إن كانت الحرَّة بنتاً للجارية، ولم أجد في المصادر المتوفرة بين يدي روايات عن بنات الجواري _ كما هي الحال عند الرجال _ وربَّما اكتفى المؤرخون بالحديث عن إحدى هؤلاء البنات وهي ولاّدة بنت المستكفي، وربَّما ظنوا أن الحديث عنها أغنى عن الحديث عن غيرها من بنات الجواري، رغم أني أرجِّح أنّ ولاّدة وسلوكها المتحرِّر في مجالسها وسهولة حجابها[2] ليست النموذج الوحيد لبنات الجواري.

3- العلاقة بين الجواري أنفسهن

لم يُوضِّح المؤرخون _ الذين وقعت مؤلفاتهم بين يدي_ العلاقة بين الجواري أنفسهنّ، حتى إن معظمهم لم يشيروا إليها، إلاّ أني تمكَّنت من استنتاج بعض مظاهر علاقات الجواري بين بعضهنّ من إشارات عابرة مرّت سريعاً عند بعض المؤرخين.

وظهر لي أن علاقة الجواري فيما بينهنّ كعلاقة الحرائر معهنّ، فهي علاقة تنافسية حيناً ووديّة أحياناً أخرى، ومعظم الروايات التي حصلت عليها تصوِّر أن العلاقة الطيِّبة سادت بين معظم الجواري؛ **فرَدَاح** جارية الأمير عبد الرّحمن بن الحكم لم تقبل أن تخرج مع سيدها في إحدى نزهاته دون أن ترافقها صويحباتها من الجواري[3]، كما أنّ جواري المُعتَمد ومحظيّاته كنّ يسافرن مع بعضهن بعضا ولم يُذكر أن إحداهنّ تخلّفت لخلاف بينها وبين جارية أخرى[4]،

---

[1] – انظر ابن حَزم، رسائله، 165/1.

[2] – انظر المقَّري، النّفح، 343/5.

[3] – انظر ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار، 198/10، رقم المخطوط 3423، ميكروفيلم الجامعة الأردنية.

[4] – انظر المقَّري، النّفح، 142/6.

وإذا ما أُعجب السيِّد بجارية ومُنعت عنه لم تحاول جارية أخرى أن تحتل مكانتها في قلب السيِّد، ذلك أن **رَدَاح** لما رأت الأمير عبد الرّحمن بن الحكم حزيناً لبُعده عن جارية يحبها غنت له شعراً ودعته أن يتمسَّك بمحبوبته ويبقى معها على العهد[1].

أما التنافس الذي ساد بين بعض الجواري فكان معظمه تنافساً مهنياً أي أنهنّ تنافسن على من تكون أفضل من تصنع لحناً، وكان بعض السادة يذكون نار المنافسة بينهن، فقد طلب الحكم من بعض جواريه أن يصنعن له لحناً في شعر للفرزدق، وبعد أن صنعت كلٌّ منهن لحناً خاصاً بها، استمع الحكم لكل الألحان واختار لحن جاريته **بَهجَة** على أنه الأفضل ولما سألها عن مكافأتها قالت: " أن لا يُغنين اليوم إلا من أصواتي" [2]، وقولها هذا دليل على أن المنافسة كانت مشتعلة ما بينها وبين الجواري الأُخر، وسؤال سيدها لها دليل على أنه مدرك للمنافسة القائمة بين جواريه.

ولم تكن المنافسة بين الجواري منافسة مهنية فحسب، فقد تنافست بعض الجواري على الاستئثار بالسيِّد، ومن سوء حظ الجواري في الأندلس أن منافِساتهنّ لم تكُنّ من الحرائر والجواري الأندلسيَّات فحسب بل دخلت الجواري المشرقيَّات دائرة المنافسة أيضاً، وكان عبيد الله بن يحيى[3] إحدى دوائر المنافسة والنزاع بين جواري المشرق وجواري الأندلس؛ فعندما نفاه

---

[1] – انظر ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار، 198/10، رقم المخطوط 3423، ميكروفيلم الجامعة الأردنية.

[2] – ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار، 189/10، رقم المخطوط 3423، ميكروفيلم الجامعة الأردنية.

[3]– هو أبو الحسن عبيد الله بن يحيى بن خاقان التركي البغدادي، وزير المُعتَمد على الله ووزير إبيه المتوكل على الله العباسي، قُتل مع الخليفة المتوكل على الله سنة 247هـ ودُفن معه في القصر الجعفري بسرّ من رأى. انظر ابن خلكان، وَفَيات الأعْيان، 350/1، 43/3، الذهبي، سير أعلام النبلاء، 13/9-10.

المتوكل[1] إلى جزيرة أقْرِيْطِش[2] وطال مُقامه بها، تمتع بجارية رائعة الجمال أنسته جارية مشرقية هام بها وخلّفها وراءه في العراق، وبينما هو يمتّع نفسه بالأقْرِيْطِشيّة و يَحلف لها أنه لا يفارق الأندلس ما عاش، وصله كتابُ جاريته المشرقيّة تقول فيه: [3] [الخفيف]

كيفَ بَعدي لا ذُقتمُ النومَ أنتمْ | خبِّروني مُذْ بِنْتُ عنكمْ وبِنتُمْ
بِمراض الجفون من خُرَّد العيـ | ـنِ وَوردِ الخُدودِ بعدي فُتِنْتُمْ
يا أخلاّيَ إنَّ قلبي وإنْ با | نَ منَ الشَّوقِ عندكمْ حيثُ كُنْتُمْ
فإذا ما أبَى الإلهُ اجْتماعاً | فالمَنايا عليَّ وحدي وعِشْتُمْ

فلم يهنأ له بال بعده حتى رضي عنه المتوكل وصرفه إلى أحسن حالاته.

4- العَلاقة بين الجواري والرجال

العلاقة الأساسية التي جمعت بين الجواري والرجال هي الإعجاب الجسدي أو الإعجاب بعلوم الجارية وفنونها، وربَّما تحوّل هذا الإعجاب لدى بعض الرجال إلى حبٍّ وهُيام، إلا أنه لم يكن حبّاً يقتصر فيه الرجل على جارية واحدة؛ فقد يهيم الأندلسي بأكثر من جارية، ولما كان من الصعب عليّ معرفة مكنونات هؤلاء الرجال والتأكد إن كانوا أُعجبوا بجواريهم أو

---

[1] – المتوكل على الله أبو الفضل جعفر بن المعتصم بن الرشيد بن المهدي بويع له سنة 232هـ، أحيا السُّنة وأمات التجهم وانهمك على اللذات، وعُرف بالكرم والتبذير، وعندما عزم على خلع ابنه المنتصر وتقديم المعتز عليه، أرسل المنتصر إليه من يقتله في مجلس لهوه، فقتل سنة 247هـ. انظر ابن خلكان، وَفَيات الأعْيان، 1/350–356، الذهبي، سير أعلام النبلاء، 12/ 30–41.

[2] – أقْرِيْطِش: جزيرة أندلسيّة في بحر المغرب، وقيل: طولها مائة واثنان وسبعون ميلاً في عرض خمسين ميلاً، وقيل: طولها من الشرق إلى الغرب ثلاثمائة ميل، وبينها وبين الأرض الكبيرة ستون ميلاً من ناحية الغرب ومن شرقيها إلى الأرض الكبيرة يومان، والأرض الكبيرة هي أرض الروم التي تتصل بالشام. ونظر أقْرِيْطِش إلى صاحب القسطنطينية. انظر الزهري، الجعرافية، 176، ياقوت، مُعجَم البُلدان، 1/236، الحِميَري، الرَّوض المِعطار، 51.

[3] – ابن عبد ربِّه، العِقْد الفَريد، 5/406.

عشقوهن، فقد ارتأيت أن أوظِّف الألفاظ نفسها التي وردت في الروايات الأصلية، وإن اختلفت الروايات سأذكر أن الإعجاب هو ما جمع بين الرجل والجارية، وأظن السبب وراء الإعجاب هو تميّز الجواري عن غيرهنّ بشخصيات جمعت الجمال والأدب والثقافة وحفظ الأخبار ورواية الأشعار، كما أن بعضهنّ قرضن الشعر أو أحسَنّ الغناء فملكن بهذا ثلاثاً من الحواس وفّرت اللذة في آن واحد؛ فللعين النظر إلى الجارية الحسناء، وللأذن الاستماع لصوتها وغنائها، وللّمس التعلّق والحنين، وكلّ هذه الحواس طريق إلى القلب[1].

أ- إعجاب الخاصّة بالجواري

وكان أمراء بني أميّة من الباحثين عن لذّات حواسّهم الثلاث، حتى إن بعضهم هام بجواريه ولم يقتصر إعجابهم على جارية واحدة، فقد هاموا بأكثر من جارية في الوقت نفسه، فالأمير عبد الرّحمن بن الحكم كان دَنِفاً هائماً مولعاً بجاريته **طَرُوب**[2]، وأحب جاريته **الشِّفاء** [3] وأُعجب بجاريته **قَلَم**، كما أنه أحبّ **مدثرة** فأعتقها وتزوجها[4]، أي أن إعجابه وحبه لها كان أكثر من أن يُبقيها محظية أو أم ولد فحرّرها وتزوجها.

أمّا الجارية **رغد** فكانت غالبة على المغيرة بن عبد الرّحمن بن الحكم، وقد نالت حظاً من الجمال وأتقنت الأدب والغناء[5]، وورّث المغيرةُ ميله للجواري لابنه الأمير هشام الذي لم يفارق جاريته واصطحبها معه في كل مكان حتى إنها رافقته في مجلس حكمه[6]، كما أحبّ

---

[1] - انظر الجاحظ، رسائله، 2/170-172.

[2] - انظر ابن عِذَاري، البيانُ المُغرِب، 2/92، ابن سَعيد، المغرب، 1/46، المَقَّري، النّفح، 1/335.

[3]- انظر ابن الأبَّار، التّكملة، 4/240-241، المقَّري، النّفح، 1/336.

[4] - انظر المقَّري، النّفح،1/336.

[5] - انظر ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار، 10/191-192، رقم المخطوط 3423، ميكروفيلم الجامعة الأردنية.

[6] - انظر ابن عِذَاري، البيانُ المُغرِب، 2/99-100.

الخليفة النَّاصر جاريته **الزَّهراء**[1] حباً شديداً، وامتنع الحكم المُستَنصِر عن التعرض للولــد مــن غير **صُبْح البشكنسية**[2] .

ولم يكن الإعجاب بالجواري والهُيام بهنّ مقتصراً على حكام بني أميّة؛ فقد حذا ملــوك الطَّوائف حذوهم واتخذوا الكثير من الجواري فأُعجبوا بهنّ وهاموا بجمالهنّ وأدبهنّ، فالمعتضد الموصوف بالقوة والقسوة لم يكن يصبر عن جاريته **العبَّاديَّة** الأديبة الشَّاعرة على الــرغم مــن أنها كانت إلى جانبه دوماً، فقد ذُكر أن المعتضد سهر ليلة لأمــر أقلقــه وهــي نائمــة فقــال:[3] [المتقارب]

تنــــــــامُ ومُـــــــــدنَفُها يَـــــــــسهَرُ وتـــــــصبرُ عنـــــــهُ ولا يـــــــصبرُ

فأجابته: [المتقارب]

لــــــئنْ دَامَ هـــــذا وهـــــذا بِـــــهِ سَـــــيَهلكُ وَجـــــداً وَلا يَـــــشعُرُ

أمّا ابنه المُعتَمد فقد اشتُهر بإعجابه بالجواري، ووردت في ديوانه أشــعار كثيــرةٌ فــي الجواري منهن: **سِحر** و**جوهرة** و**وداد** [4]، أما الحظوة فكانت لجاريته **اعتماد الرُّمَيْكيَّة** التي لقيها تغسل على النهر فأجازته عندما عجز ابن عمَّار عن ذلك، فأُعجب بجمالها وعقلها واصــطحبها معه إلى قصره[5].

---

[1] – انظر المقَّري، النّفح، 64/2.

[2] – انظر ابن حَزم، رسائله، 1/ 90–92، ابن عِذَاري، البيانُ المُغرِب، 235/2.

[3] – ابن الأبَّار، التَّكمِلة، 252/4، ابن عبد الملك المرّاكِشي، الذَّيل والتَّكمِلة، 494/2/8، المقَّري، النَّفح، 6/ 58 –59.

[4] – انظر الدّيوان، 2، 3، 10.

[5] – انظر ابن الأبَّار، الحُلَّة السِّيَراء، 106/2، السيوطي، نزهة الجلساء، 85–86، المقَّري، النّفح، 347/5–348.

كما لقّب نفسه بالمُعتَمد كلفاً بجاريته **اعتماد**، لتتفق حروف لقبه مع حــروف اســمها[1]، وللمعتمد مقطوعة ضمّن أوائل أبياتها حروف اسمها **اعتماد**، وكان قد بعث بها إليها وهو غائب عن إِشْبِيلْيَة: [2] [المتقارب]

أغائبــةَ الــشّخصِ عــنْ نــاظري   وحاضــرةً فــي صَــميمِ الفُــؤادِ
عليــكِ ســلامٌ بقــدرِ الــشُّجونِ   ودمــعِ الــشؤونِ وقَــدرِ الــسُّهادِ
تملّكــتِ منِّــيَ صَــعبَ المــرامِ   وصــادفتِ وُدّيَ سَــهل القيــادِ
مــراديَ لُقيــاك فــي كــل حــينٍ   فيــا ليــتَ أنّــيَ أُعْطَــى مُــرادي
أقيمــي علــى العَهــدِ مــا بيننــا   ولا تَــستَحيلي لِطــولِ البعــادِ
دَسَــسْتُ اســمك الحُلْــوَ فــي طيّــه   وألّفــت فيــه حــروفَ اعتمــاد

كما أحبَّ أبو الوليد إسماعيل بن الأحمــر ثلاثــاً مــن جواريــه، وجعلهــنّ محظياتــه واستولدهن وهنّ **بهار** و**علوة** و**قَمَر** [3]، أما ابنه أبو الحجاج فقد أحب جاريته **مــريم** و**بُثَيْنــة**[4]، واشتُهر حب أبي الحسن النصري[5] لجاريته **ثُريا** التي أسرها في بعــض معاركــه، وتزوجهــا، واستغلّت حبه لها في التأثير عليه[6].

---

[1] – انظر ابن الأبَّار، الحُلّة السِّيَراء، 62/2، ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غَرْناطــة، 109/2، نُفاضة الجراب، 57.

[2]– الدّيوان، 8.

[3]– انظر ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غَرْناطة، 318/4.

[4] – انظر ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غَرْناطة، 163/1، نُفاضة الجراب، 13-14.

[5]– هو أبو الحسن علي بن سعد النصري الغالبي، أحد سلاطين بني الأحمر، اشتعلت في زمانــه فتنة بينه وبين أخيه أبي عبد الله محمد بن سعد المدعوّ بالزّغل، كثُرت جيوشه فجاهد المشركين واسترجع مدناً كثيرة، حتى خافوه وطلبوا هدنته، أعدَّ مجلساً ليــشاهد عرضــاً لجيوشــه وبــدأ عرضه عام 882هــ واستمرّ سنةً كاملة، أُصيب بمرض يشبه الصَّرع إلى أن ذهــب بــصرُه، فخلَع نفسه وقدَّم أخاه أبا عبد الله، وهو أبو السلطان عبد الله محمد الذي ضاعت غَرْناطَــة فــي عهده، توفي قبل 890هــ. انظر المَقَّري، النّفح، 6/ 268-271.

[6] – انظر المَقَّري، النّفح، 6/ 268.

وأرجّحُ أنّ كل ما ذُكر في المصادر الأندلسيّة عن حياة الخلفاء والأمراء الخاصة ليس إلا غيض من فيض؛ فقد كان لحياتهم الخاصة حُرمات اجتنبها المؤرخون، كما أنهم فضلوا ذكر أخبار حزمهم ودفاعهم عن الدين والذود عنه، وابن حزم ممن رأى هذا الرأي فقال: " وقد أحب من الخلفاء المهديين كثير....، ولولا أن حقوقهم على المسلمين واجبة _ وإنّما يجب أن نذكر من أخبارهم ما فيه الحزم وإحياء الدين، وإنّما هو شيء كانوا ينفردون به في قصورهم مع عيالهم فلا ينبغي الإخبار به عنهم _ لأوردت من أخباره هذا الشأن غير قليل" [1].

ولم يقع بعض الخلفاء والأمراء في حب جواريهم بل وقع فيه غيرهم من الخاصة من أكابر الرجال، فقد كَلِف الفقيه ابن أيوب الحداد[2] في جاريته **أم هشام**[3] كما كَلِف موسى بن عاصم[4] بإحدى الجواري وكان لا يتمالك نفسه لرؤيتها ويلحق بها[5].

وأحبَّ الرّماديّ **خَلْوَة** التي أخذت بمجامع قلبه وتخلل حبُّها جميع أعضائه[6]، وعشق ابن حزم جاريته **نُعم**، ولمّا توفّاها الله أقام بعد موتها سبعة أشهر لا يتجرد من ثيابه، ولا تفتر دمعته وقال إنه ما نسيها أبداً [7].

---

[1] – ابن حزم، رسائله، 1/90-92.

[2] – هو أبو علي الحسن بن أيوب بن محمد بن أيوب الأنصاري المعروف بالحداد، كان عالماً بالأدب ومسائل الحديث وراوياً له، وقد أجاد الشعر في الزهد والرّثاء، توفي سنة 425هـ. انظر ابن بَشْكَوال، الصِّلة، 1/136، الضَّبي، بُغيَة المُلتَمس، 265.

[3] – انظر ابن الأبَّار، الحُلَّة السِّيَراء، 1/204.

[4] – لم أجد له ترجمة في المصادر المتوفرة.

[5] – انظر ابن حَزم، رسائله، 1/150.

[6] –انظر ابن حَزم، رسائله، 1/120-122.

[7] – انظر ابن حَزم، رسائله، 1/224.

ب- إعجاب العامّة بالجواري

الإعجاب بالجواري وعشقهنّ لم يقتصر على الخلفاء والأمراء والخاصة والفقهاء والشُّعراء، ولكنه امتد ليصل إلى قلوب العامة الذين ملك بعضهم الجواري، حتى إن إعجاب رجل أندلسي بجاريته دفعه أن يرفع مظلمة ضد الخليفة، فقد ذُكر أنه كان لرجل من أهل كورة جَيَّان[1] جارية اغتصبها منه عامل للحكم بن هشام وأرسلها إليه، فتظلّم الرجل عند القاضي وأتاه ببيِّنة تثبت ملكيته للجارية، فخرج القاضي لمقابلة الحكم وقصَّ عليه أمر الجارية، وطلب منه أن يُقيم العدل ويُرجع الجارية لصاحبها، فعرض الحكم عليه أن يشتري الجارية لأنها أعجبته، ولكن القاضي رفض أن يبيع ما لا يملك فهي مازالت في ملك الرجل من كورة جَيَّان، وعندما رأى الحكم عزم القاضي على إرجاع الجارية لمالكها أمر بإخراج الجارية من قصره وإرجاعها لسيدها[2].

وذهب لبُّ الوزير اليهودي أبي الفضل بن حَسْدَاي[3] وجُنّ جنونه بإحدى الجواري حتى إنه غيّر دينه إلى الإسلام إرضاءً لها، فلما علم صاحبها بأمره زفّها إليه[4].

---

[1] – جَيَّان (Jaen): مدينة أندلسيّة لها كورة كبيرة جمعت قرى كثيرة، بينها وبين بياسة عشرون ميلاً، وبينها وبين قُرْطُبَة سبعة عشر فرسخاً وكورتها متصلة بكورة تُدْمِير وكورة طُلَيْطُلة.انظر الإدريسي، نُزهةُ المشتاق في اختراق الآفاق، 2/568-569، ياقوت، مُعجَم البُلدان، 2/195، الحِمْيَري، الرَّوض المِعطار، 193.

[2]– انظر مجهول، أخبار مجموعة، 113-114، ابن عبد ربِّه، العِقْد الفَريد، 4/491، ابن عِذَاري، البيانُ المُغرِب، 2/78-79.

[3] – هو أبو الفضل حَسْدَاي بن يوسف بن حَسْدَاي، من بيت شرف اليهود بالأندلس، نال حظاً وافراً من الشعر والبلاغة والعلوم، وبرع في علم الهندسة والنجوم والموسيقا، أتقن علم المنطق والعلم الطبيعي وكان له باع في الطب، كان حياً في سنة 458هـ. انظر ابن خاقان، قلائد العقيان، 2/545-546 ، ابن بسَّام، الذّخيرَة، ق3 م1/457-486، ابن دحية، المُطرِب، 196، ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، 1/499، ابن سَعيد، المغرب، 2/441، المَقّري، النّفح، 2/74، 172-174.

[4] – ابن بسَّام، الذّخيرَة، ق3 م1/457-458.

ج- هُيامُ الرجال بالجواري

أدّى إعجاب بعض الرجال بجاريته إلى الجنون واختلاط العقل، فقد علق مروان بن يحيى[1] بجارية أخيه، ولمّا منعها عنه وباعها لغيره جُنّ، وجُنَّ يحيى بن محمد[2] إثر بيع أمه جاريةً له كان يَجدُ بها وجداً شديداً، ومن الجَدير بالذِّكر أن هذين المجنونين كانا من أتم أهل الأدب، أي أنهما لم يكونا غرّين جاهلين، وبخاصة إذا عرفنا أن يحيى بن محمد كان أستاذ ابن حزم في الفقه[3].

ولم يكن الجنون أسوأ ما وصل إليه الرجال في حبهم للجواري، فقد هلك بعضهم في سبيل استرجاع جاريته، وأخبرنا ابن حزم أن السبب وراء هروب أبي بكر بن عبد الرّحمن[4] إلى محلة البرابر، كان للّحاق بجارية يكلف بها حُمِلَت إلى هناك[5].

---

[1] – لم أجد له ترجمة في المصادر المتوفرة.

[2] – لم أجد له ترجمة في المصادر المتوفرة.

[3] – انظر ابن حَزم، رسائله، 242/1-243.

[4] – لم أجد له ترجمة في المصادر المتوفرة.

[5] – انظر ابن حَزم، رسائله، 284/1.

وقُتل خلف[1] وصُلب عندما رجع إلى قُرْطُبَة إثر فراره منها لأنه لم يُطق صبراً عن جاريته التي خلّفها بقُرْطُبَة[2]، كما قَتَل الشّريف الطّليق[3] أباه لأنه استأثر بجارية كان يتعشّقها ووُعد أن تكون في ملكه[4].

وحاول أندلسي قتل نفسه في سبيل جاريته؛ فقد ذكر ابن حزم أن رجلاً أندلسياً باع جاريته لبربريّ بعد أن حلّت به فاقة، وعندما صارت في مُلك البربريّ أدرك الأندلسي أنه لن يصبر عنها، فذهب إلى البربريّ وعرض عليه ماله كله في سبيل استرجاعها إلا أنه رفض، ووسّط الأندلسي كثيراً من البربر إلا أنهم رُدُّوا جميعاً، فلم يجد الأندلسي بُدّاً من أن يذهب إلى ملك البربر، فرقّ الملك لحاله وتوسّط عند البربريّ، إلاّ أن البربريّ قال إنه أشدّ حباً لها منه وإنه لا يستطيع فراقها، فقام الأندلسي بإلقاء نفسه من أعلى العلية التي كانوا يجلسون بها إلى الأرض، ولم يتأذّ فحاول مرة ثانية، وعندها طلب الملك من البربريّ أن يُلقي بنفسه من فوق العلية إن كان صادقاً في وجده، فتظاهر البربريّ أنه سيلقي بنفسه، وساعتها أمر الملك أن يُلقى به فخاف وتنازل عن الجارية، فاشتراها الملك منه وأعطاها للأندلسي[5] .

---

1 – هو أبو القاسم مولى يوسف بن البهلول، كان فقيهاً وله كتاب اختصر فيه المدونة وقرأ به على طلابه فقيل من أراد أن يكون فقيها من ليلته فعليه بكتاب البريلي، رجع إلى قُرْطُبَة بعد الفرار منها إثر مقتل هشام بن سليمان النَّاصر، فقتله المهدي سنة 344 هـ. انظر ياقوت، مُعجَم البُلدان، 1/407.

2 – انظر ابن حَزم، رسائله، 1/ 284.

3 – هو أبو عبد الله مروان بن عبد الرّحمن بن مروان بن النَّاصر، سجن وهو ابن ست عشرة سنة لأنه قتل أباه، ومكث في السجن ست عشرة سنة، وعاش بعد إطلاقه من السجن ست عشرة سنة، وكان سجنه في أيام المنصور ثم أطلق سراحه فسُمي الطليق وطليق النعامة، وتوفي قريباً من 400هـ. انظر الحميدي ، جَذوَةُ المُقتبس، 2/546-547، الضَّبي، بُغيَة المُلتَمس، 461-462، ابن سَعيد، المغرب، 1/191.

4 – انظر الحميدي ، جَذوَةُ المُقتبس، 2/546-547، الضَّبي، بُغيَة المُلتَمس، 462، ابن سَعيد، المغرب، 1/191.

5 – انظر رسائله، 1/265-266.

وإذا كان هذا الأندلسي قد حاول الموت في سبيل جاريته ولم يوفق في رغبته في الموت، ووفِق في الحصول على جاريته، فإن هناك من وُفّق في قتل نفسه بسبب حبه لجارية، فقطّع أمعاءه مثل مروان بن أحمد بن حُدير [1] الذي شرب سمَّ جاريته **قطر الندى**[2].

د- إعجاب الجواري بالرجال

كلّ ما سبق كان في حبّ الرجال للجواري، أي أن كثيراً منهنّ نجحن في تحقيق غايتهن، ألا وهي امتلاك قلب السيّد، ولكن ماذا عنهنّ؟ هل أحببن سادتهن؟ أو أيّ رجلٍ آخر؟، يرى صاحب الموشّى " أن حبّهنّ حبٌّ كذوب، وعشقهنّ عشقٌ مشوب، وهواهنّ منسوب إلى الملل، ليس بثابت ولا متصل، وإنّما لطمع وعَرَض، ... وأن محبتهنّ تظهر ما ظهرت علاماتُ اليسار والمال، وتنتقل عند الإفلاس والإقلال" [3] .

إلاّ أني أعتقد أن الجواري كغيرهن من البشر فيهن الصادقة والكاذبة؛ فهنّ بشر يحملن قلوباً ويبحثن عن الحب والاستقرار، كما أن بينهنّ الطامعات في المال والمتظاهرات بالحب كي ينلن مرادهنّ، وممن كذبت في ودها جارية لأحد إخوان ابن حزم كان قد عَلق بها و تأكد الوُدُّ بينهما، ثم غدرت به وشاع خبرهما، فحزن لذلك حزناً شديداً [4].

وقصص وفاء الجواري في حبّهن أكثر من قصص خداعهن، حتى إن واحدة منهن وهي **أُنْس القُلوب** عرّضت نفسها لغضب المنصور بن أبي عامر عندما أعلنت حبّها لأبي المغيرة بن حزم قائلة: [5] [الخفيف]

يا لَقَومي تعَجَّبوا منْ غَزالٍ   جائرٍ في مَحَبَّتي وَهْوَ جَاري

---

[1] - لم أجد له ترجمة في المصادر المتوفرة.

[2] - انظر ابن حَزم، رسائله، 1/171-172.

[3] - أبو الطيب الوشاء، 116-117.

[4] - انظر ابن حَزم ، رسائله، 1/207.

[5] - المقَّري، النّفح، 2/151.

لَيْــتَ لَــو كــانَ لــيْ إليــهِ سَــبيلٌ   فَأُقَــضِّي مــنْ حُبِّــهِ أوطــاري

عندها غضب المنصور واستلّ سيفه، وسألها إلى من تُشير بقولها، فقالــت: " إن كــان الكــذب أنجى فالصدق أحرى وأولى، والله ما كانت إلاّ نظرة، ولَّدت في القلب فكرة، فتكلّم الحب علــى لساني وبرَّح الشوق بكتماني، والعفو مضمون لديك عند المقدرة، والصفح معلــوم منــك عنــد المعذرة "[1]، وأنْشَدَت شعراً فأطرق المنصور ثم عفا عنها ووهبها لأبي المغيرة[2].

وليست المجالس المكان الوحيد الذي تقع فيه الجارية في الحب، فقد لا تعرف الحــب إلا في بيت سيدها، وقد تكرهه في بداية أيامها معه، وربَّما تحوّل الكره حباً مع الوقت، فقــد ذكــر ابن حزم أنه عرف فتى كان يبتاع الجارية وهي كارهة له لقلة محاسنه وقطوبه الدائم، و ريثمــا يصل إليها بالجماع يتحوّل الكره حُبّاً مُفرطاً[3].

وكما لقي بعض الرجال حتفهم من حبهم للجواري واندفاعهم وراء عــواطفهم، ماتــت بعض الجواري من حبِّهنّ؛ فقد ماتت جارية من حزنها على فراق سيدها الذي أحبته، وكان ذلك لأنه سمع ما يكره عنها _ على الرغم من أنه لا يوجب السخط_ فباعهــا، وحزنــت الجاريــة وعاشت في همّ وكدر ونحول حتى توفاها الله بعد بضعة شهور من فراق سيدها[4].

وليست هذه الجارية الوحيدة التي وافتها المنية إثر بيعها وابتعادها عن محبوبهــا، فقــد ذُكر أن الكثير من جواري المنصور تعرّضن للمصير نفسه، فقد كان لا يــصبر عــن جاريــة تُعجبه حتى تصير في ملكه، فإن ملكها تحوّل حبُّه لها نفوراً منها، وباعها بــأرخص الأثمــان، وماتت من حبه جوارٍ كُثر أحببنه ووفين له، وأشهر قتيلاته جاريته **عَفْــراء** التــي هامــت بــه واعتراها الحزن والكدر بعد بيعها وكانت تتحدث عن حبها له أينما جلست وحلّت[5].

---

[1] – المقَّري، النَّفح، 151/2.

[2] – انظر المقَّري، النَّفح، 151/2–152.

[3] – انظر رسائله، 127/1–128.

[4] – انظر ابن حَزم، رسائله، 259/1.

[5] – انظر ابن حَزم، رسائله، 199/1–200.

5- نظرة المجتمع الأندلسيِّ للجواري

مما سبق من حديث حول علاقة الرجال بالجواري، وما قُصّ عنهن من قصص الحب والموت في سبيلهنّ والغيرة عليهنّ، قد يظن القارئ أن المجتمع الأندلسيّ كلّه قدَّرَ الجواري وقدّم لهن آيات الاحترام، وعاملهنّ كغيرهنّ من الحرائر أو بنات المجتمع الأندلسي، وربَّما كان بعض أفراد المجتمع الأندلسي يعاملون الجواري كأفراد متساويين معه، إلا أنه من الجَدير بالذِّكر أن المسلمين عندما دخلوا الأندلس حملوا معهم موروثهم الثقافي الذي ضمّ تاريخهم وعاداتهم وتقاليدهم وخبراتهم في الحياة وأمثالهم عن الجواري نحو قولهم: " الجواري كخبز السوق والحرائر كخبز الدور"، و" لا تمازح أمة ولا تبك على أكمة " [1]، و" لا تفترش من تداولتها أيدي النخاسين ووقع ثمنها في الموازين "، و " لا خير في بنات الكفر وقد نودي عليهن في الأسواق ومرّت عليهن أيدي الفساق " [2].

أ- نظرة الحرائر والرجال للجواري

ربَّما كانت معظم الحرائر في الأندلس ممن يعتقدن أن الجواري أدنى منزلة منهن، وإن كُنَّ كذلك فإني أرجِّحُ أن شعورهنّ تغذّى على غيرتهنّ وشعورهنّ بالمنافسة مع الجواري، كيف لا والجواري يملكن الجمال والعلم والدهاء، ويُشكِّلن خطراً على وحدة أُسرهنَّ وبيوتهنّ، ومستقبل أبنائهنّ إن كُنّ أمهات خلفاء أو أمراء.

وأعتقد أن الحرائر رأين أنّهنّ أفضل من الجواري لأن الجواري لا يتمتعن بحريتهنّ ويخضعن لنظام رقيق لا يُقرّ بأي حسب أو نسب، بينما الحرائر مصونات في خدورهن خاضعات للتقاليد التي توجب المحافظة على الشرف والصيت، وقد تنظر الحرائر إلى الجواري على أنهن خارجات على التقاليد إذا ما قادتهنّ حريتهنّ إلى الانحلال والوقوع في الإثم، وربَّما

---

[1] – أكمة: القُفُّ من حجارة واحدة، وقيل: هو دون الجبال، وقيل:هو الموضع الذي هو أشد ارتفاعاً مما حوله وهو غليظ لا يبلغ أن يكون حجراً، والجمع أَكَمٌ وأُكُمٌ وأُكْمٌ وإكامٌ وآكامٌ وآكُمٌ. ابن منظور، لسان العرب، مادة (أكم) 21/12.

[2] – الجاحظ، المحاسن والأضداد، 250.

تظنّ الحرائر أن هذا الانحلال الذي وقعت فيه بعض الجواري نابعٌ من ثقافتهن التي ورثنها من بلادهن الأصلية، فقد ذكر الحميري في حديثه عن الصقالبة أنه " ليس في نسائهم زنا، إلا أن الجارية إذا أحبت رجلاً صارت إليه فأقامت عنده ما أحبت، فإن وجدها زوجها عذراء قال لها: لو كان فيك خير وكان لك جمال لرغب فيك الرجال، واخترت لنفسك من يأخذ عذرتك، فيخرجها ويتركها " [1] .

وأرجّحُ أن نظرة الرجال مشابهة لنظرة الحرائر في الجواري؛ فهم جزءٌ من المجتمع الأندلسي وبعضهم أبناء لحرائر، ويُدركون أصل الجواري وقدراتهنّ وأفعالهنّ، ويستمعون إلى قصص انحلال بعضهنّ، لذا من الطبيعي أن يكون هناك من يهيم بهنّ ومن يحتقرهنّ؛ وربَّما كان كل ما سبق السبب في احتقار بعض الناس للأمة[2]، إضافة إلى أنّ أفعال بعضهنّ كانت تدعو للاحتقار والشك والريبة، فقد ذُكر أن جارية ابن حيَّان سرقت داره بمعونة جاريتين خبيثتين كانتا تسكنان في الدار الواقعة خلف داره[3].

ب- احتقار بعض المجتمع الأندلسيِّ للجواري

ولا بد أنّ هذه النظرة أثّرت على تعامل الأندلسيين _ رجالاً ونساءً _ مع الجواري، فقد تتعرّض الجواري للتجريح أو الإساءة التي تعرّضت لها **قَمَر** الجارية البغدادية بعد دخولها إلى الأندلس، فهي سمعت الكثير من التعليقات التي وُصفت فيها أنها ترتدي ملابس رثّة، وأنها تشق البلاد بعد البلاد كي تصل إلى الأندلس، وأنها مجرد جارية ما لها غير الشِّعر، وسمعت استنكار الحرائر لدخولها منازلهن، فردّت عليهنّ قائلة: [4] [البسيط]

قالوا أتَتْ **قَمَر** في زيٍّ أطْمارِ   مِن بَعدِما هَتَكَتْ قلباً بأشْفَارِ
تُمْسِي علَى وَحَلٍ تغدو على سُبُلٍ   تشُقُّ أمْصارَ أرضٍ بعدَ أمْصارِ

---

[1] – الرَّوض المعطار، 264.

[2] – انظر ابن بسَّام، الذّخيرَة، ق3 م2/707.

[3] – انظر الذّخيرَة، ق1 م2/580-581.

[4] – ابن عِذَاري، البيانُ المُغرِب، 2/128-129.

لا حُـرَّةٌ هِـيَ مـِنْ أحـرارِ موضِـعِها ... ولا لهـا غيـرُ تَرْسـيلٍ وأشْـعارِ
لـوْ يَعقلـونَ لَمـا عـابُوا غَـرِيْبَتَهمْ ... للهِ مِـن أمَـةٍ تُـزرى بـأحرارِ
مـا لابـنِ آدمَ فخـرٌ غيـرَ همَّتِـهِ ... بعـدَ الدّيانـةِ والإخـلاصِ للبـاري
دَعني مِـنَ الجَهـلِ لا أرضـى بـصاحِبِه ... لا يَخْلُصُ الجهلُ مـن سـبٍّ ومـن عـارِ
لـو لـمْ تكـنْ جَنَّـةٌ إلا لَجاهِلَـةٍ ... رَضِـيتُ مـن حُكْـمِ ربِّ النـاسِ بالنـارِ

وكان أولاد الجواري أول من عانى من نظرة المجتمع لهم، فقد عَيَّر ابن عمَّار أولاد **الرُّمَيْكِيَّة** بأنهم لئيمو النسب لأنهم أبناء جارية، كما شتم أمهم لكونها جارية لا تتمتع بنسب عربي خالص كغيرها من بنات العائلات العربيَّة فقال مخاطباً المُعتَمد: [1] [المتقارب]

تَخَيَّرتَهـا مـن بنـاتِ الهجـانِ ... **رُمَيْكِيَّـةً** مـا تُـساوي عِقَـالا[2]
فجـاءتْ بِكـلِّ قَـصيرِ العِـذَارِ ... لَئـيمِ النِّجَـارين[3] عَمَّـاً وخَـالا
قِـصَارِ القُـدودِ ولكِـنَّهمُ ... أقـامُوا عَليهـا قُرونـاً طِـوَالا

ولم يكن أبناء **الرُّمَيْكِيَّة** الوحيدين الذين تعرّضوا للتجريح بسبب نسبهم، وأرجِّحُ أن أي أندلسي قد يتعرّض لمسبة أو شتيمة لكونه ابن جارية ، ويظهر هذا من خلال كلام ابن حريق البلنسي: "ما يُغني شرفُ الفصيلة، والتطاولُ بالمعلاة الأصيلة... فلا أتَسمّى لك بأزكى الأسماء، ولا أُنشدُك مُتَبرئاً من أبناء الإماء: [4] [البسيط]

أمّـا الإمـاءُ فـلا يـدعونني ولـداً ... إذا ترامـى بنـو الإمْـوانِ بالعـارِ

---

[1]- ابن الأبَّار، الحُلَّة السِّيَراء، 63/2، ابن خلكان، وَفَيات الأعْيان، 428/4، المَقَّري، النَّفح، 348/5.

[2]- ابن الأبَّار، الحُلَّة السِّيَراء، 63/2.

[3]- النِّجارين: النَّجرُ والنِّجار والنُّجار الأصل والحسب. ابن منظور، لسان العرب، مادة (نجر) 193/5.

[4] - الدّيوان، 247.

ويظهر أن ابن حريق البلنسي مؤمن أن الإنسان بعمله، دون النظر لأصله أو اسمه، وما يهمني في حديثه هو أن المجتمع الأندلسي اعتبر أن أبناء الجواري يترامون بالعار، أي أنـــه لا يفخر أي إنسان بأنه ابن لجارية.

ج- تقدير بعض المجتمع الأندلسي للجواري

حوى المجتمع الأندلسي بعض المظاهر التي تدلّ على أن بعض الجواري نِلن قدراً مـــن الاحترام والتقدير، وكان على رأسهن الجواري المتأدبات _ سأعرض لهن في الفصل المقبل _ اللاتي نِلن الاحترام وكان لبعضهنّ مريدون، كما أنّ بعض الأمهات نِلن ألقاباً فخمة لم يحـــصل عليها الرجال الأندلسيون أو الحرائر؛ **كمَرْجان** محظية النَّاصر التي لُقبت بالسيِّدة الكبـــرى[1]، **و صُبْح البَشْكَنسيَّة** التي لُقبت بالسيِّدة **صُبْح** أم المؤيد[2] والسلطانة **صُـــبْح**[3]، ونحـــو مـــا عُرِفـــت **الرُّمَيْكِيَّة** بأم الربيع والسيدة الكبرى[4] وأم الملوك[5]، ومثل **راضية** المعروفة **بالكَوكَب الزَّاهي**[6] .

---

[1] – انظر المَقَّري، النَّفح، 347/1.

[2] – انظر ابن حَزم، رسائله، 147/1، المَقَّري، النَّفح، 1/ 382.

[3] –انظر دوزي، تاريخ مسلمي إسبانيا، 198-190.

[4] – انظر ابن الأبَّار، الحُلَّة السِّيَراء، 62/2، ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غَرْناطـــة، 109/2-110.

[5] – انظر ابن خلكان، وَفَيات الأعْيان، 56/4.

[6] – انظر ابن الأبَّار، التَّكمِلة، 246/4-247.

كما دُفنت بعض الجواري في المقابر الكبرى المخصصة للنُّخبة، فقـد ضـمّت مقبـرة الربض قبر **عقار** جارية الأمير محمد بن عبد الرّحمن[1] وجارية أخرى لـه لعلهـا **كريمـة** أو **كوثر**.[2]

ولاحظت أن الجواري اللواتي حُزن التكريم والاحترام كُنَّ من محظيات الخلفاء، وربَّما حظين بهذه المنزلة لأن أسيادهنّ رفعوا من شأنهنَّ رغماً عن المجتمع والناس، أو أنهنّ كنَّ أهلاً لما نلنه من احترام وهيبة.

وأعتقد أنه ليس من السهل أن يتمكن أي باحث من استنتاج نظـرة عامـة واحـدة لأي مجتمع حول أي قضية، فمن الطبيعي أن يكون في أيّ مجتمع أكثر من نظرة، وهناك من يؤيّـد الشيء وهناك من يعارضه، والجواري مثلهنّ مثل أيّ ظاهرة من ظواهر الحياة الاجتماعيَّة في الأندلس، فهناك من يستحسنهنّ ويُحبهنّ ويختارهنّ كأمهـات لأولاده، وهنـاك مـن يحتقـرهنّ ويفضّل الحرائر عليهنّ، ولكل من هؤلاء أسبابه التي دفعته للاختيار.

---

[1] – انظر السيد عبد العزيز سالم، قُرْطُبَة حاضرة الخلافة، 226/1، نقلاً عن Ocana Jimenez, Nuevas inscripciones arabes de Cordoba, al_Andalus, Vol. XVII, 1952, P.380.

[2] – انظر السيد عبد العزيز سالم، قُرْطُبَة حاضرة الخلافة، 226/1، نقـلاً عـن Dozy, Ibid, P.381.

الفصل الثّاني

الجواري
في
الحياة الثَّقافيَّة

ذكرت في الفصل الأول أن قيمة الجواري لم تكمن في جمالهن فقط، فقد أُعجب سادتهنّ بذكائهن وقدرتهن على امتلاك القلوب، وأصبحن حاجة روحية وعقلية، كيف لا وقد كان الكثير من سادتهن مولعين بالعلم والأدب والشعر، فهم يبحثون عن الجارية المثقّفة ليستمتعوا بمجالستها، ويبحثون عن طرق ليزيدوا بها علمها وفنونها، وربَّما أرسلوها في رحلة إلى المشرق كي تنهل من علومه وتنقلها معها، أو أحضروا لها أساتذة يُثرون علومها وفنونها، لذا أضحت لجواريهم ثقافة موسوعية، وأصبحن جوارٍ متأدبات يُجدن الأدب والشعر واللغة والنحو والعروض والغناء والطب والتشريح والحديث وقراءات القرآن، كما أن بعضهن اشتُهرن بإجادتهن الكتابة، وخطّت بعضهن رسائل هامّة في الأندلس.

وعلى الرغم من أن معظم الجواري المتأدبات وُصفن بأنهن أديبات أو شاعرات أو عالمات، إلا أني لم أجد نتاج أدبهن أو شعرهن أو علومهن، كما أن المؤرخين لم يتعرّضوا لتفاصيل سيرة هؤلاء الجواري إلا فيما ندر، ولم يذكروا الشيء الكثير عنهن أو عن شعرهن وعلومهن، وربَّما ذكر المؤرخون نتاجهنّ الشعريّ والعلميّ إلا أنه فُقد كغيره من موروث الأندلس.

ووجود كل هذه المواهب والعلوم لم يمنع جلب جوارٍ مشرقيات، ولاحظت أن معظم الجواري المشرقيَّات كنّ من المتخصصات في الغناء وكان بعضهن من العالمات بالحديث أو حافظات القرآن الكريم، و تركّز جلب المشرقيَّات إلى الأندلس أيام بني أمية، ويبدو أن ملوك الطَّوائف ومن تبعهم لم يهتموا بجواري المشرق أو أن من جلبوهنّ لم يسطع نجمهن، لذا لم يذكرهن المؤرخون أو ذكروهن في كتب أندلسيّة مفقودة.

وإحضار الجواري من المشرق لم يُؤثر على شراء الجواري الأندلسيَّات، فقد وُهبن أصواتاً جميلة ومواهب مميزة، لذا عجّت الأندلس بالجواري المثقفات، وأشار عبد الواحد المرَّاكشي إلى وجود مائة وسبعين كاتبة بالربض الشرقي لقُرْطُبَة[1]، ومهما كانت نسبة الجواري المثقفات المتعلمات فإن عددهنّ لن يكون عدداً صغيراً مهما صغُرت النسبة.

---

[1]- المُعْجِب، 456-457.

1- تعليم الجواري

كان اهتمام الأندلسيين بالجواري المثقفات دافعاً لتجار الرقيق لتعليمهنّ، ولم يكن ذلك اهتداءً بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي حثّ على تعليمهنّ والإحسان إليهنّ والزواج بهنّ بغية نيل الأجرين، بل كان بهدف زيادة أثمانهنّ؛ فكلما زاد علمهنّ زاد سعرهنّ، لذلك اعتُبر تعليم الجواري و العناية بهن من أبواب الكسب الواسعة[1].

وعلَّم تجار الرقيق جواريهم علوماً وفنوناً مختلفة؛ فقد تفاخر ابن الكتانيّ[2] أنه علّم جواريه الرُّوميات الجاهلات الأربع عِلْم المنطق والحكمة والهندسة والموسيقا والاسطرلاب[3] والنجوم والنحو والعروض والخط.[4] كما كان هناك الكثير من العجائز اللواتي علّمن جواريهن وبعنهن، أو أنهن استُؤجرن لتعليم جواري الخاصة[5].

ولم يكتف بعض السّادة بما ملكته جواريهم من علم، فأرسلوهنّ إلى المشرق كي ينهلن من علومه، وأرسل الأمير عبد الرّحمن بن الحكم **قَلَم البَشْكَنسيَّة** إلى المدينة المنوّرة لتتعلم

---

[1] - الخربوطلي، تاريخ العراق، 282.

[2] - هو أبو عبد الله محمد بن الحسن المَذْحِجيّ المعروف بابن الكتَّاني، عالم بالمنطق والنجوم وعلوم الفلسفة، وطبيب مُتمرِّس خدم بعلمه المنصور بن أبي عامر وابنه المظفر، عُرف بالذكاء والفهم وحسن التوحيد والتسبيح، وكان ذا ثروة كبيرة وغنى واسع، انتقل إلى سَرَقُسْطَة بعد الفتنة وسكن فيها حتى قارب الثمانين وتوفي قريباً من سنة 420هـ. انظر الحميدي، جَذوَةُ المُقتبس، 88/1-90، ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، 491، ابن خلكان، وَفَيات الأعْيان، 326/3.

[3] - الاسطرلاب: بالسين المهملة وبعضهم يُبدلها بالصاد ، ومعناه ميزان الشمس، ومن هنا ظن بعضهم أن أصله في اللغة اليونانية استرلابوه ومعناها: مرآة الكوكب، ويقول بعضهم أسطر: معناها تصنيف، ولاب اسم ابن هرمس أمية بن عبد العزيز الداني الذي اخترع الاسطرلاب، وهي آلة يوضح بها الحكماء والمنجمون أسرار الفلك ومعناه ميزان الشمس، التهانوي، موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، 167.

[4] - ابن بسَّام، الذّخيرَة، ق3 م1/319-320.

[5]- انظر ابن بسَّام، الذّخيرَة، ق3 م1/112.

الغناء فعادت أديبة، حسنة الخط، راوية للشعر، حافظة للأخبار، عالمة بضروب الآداب والغناء[1]، أمّا الحكم المُستَنصِر فارتأى أن يُحضر المُعلِّمين العلماء لجواريه المتميِّزات كي يُعلِّموهنّ علوماً جديدة؛ فطلب من الرَّصافي[2] أن يعلِّم **جاريته الغلاميّة** الكاتبة خدمة الاسطرلاب، ويبدو أن هذه الجارية التي لم يذكر ابن الأبار اسمها واكتفى بوصفها بالغلاميّة كانت على مستوى عالٍ من العلم فهي كاتبة تعمل في قصر الخلافة، كما أنه وصفها بالفهم والذكاء، ومما يُدلِّل على علمها وعُلُوِّ مكانتها أن الخليفة أعادها إلى قصره كي يستفيد من علمها بعد أن أتمت ثلاثة أعوام في دراستها.[3]

ولم يقتصر تعليم الجواري على الخلفاء فقط، وإنما انتقل الأمر إلى غيرهم من العامة كالكِرْياني[4] الذي أدّب **صُبْح** جاريته الرومية التي شغفته حباً حتى نالت حظاً من العربيَّة وتمكنت من نظم الشعر[5]، كما أن **إشراق السُّوَيداء** العروضية أخذت العربيَّة واللغة والآداب عن ابن غلبون[6] ومولاها[7].

---

[1] – انظر ابن الأبَّار، التَّكمِلة، 241/4، المقَّري، النَّفح، 124/4.

[2] – هو أبو القاسم سليمان بن أحمد بن سليمان الأنصاري، لم أجد له ترجمة في المصادر المتوفرة.

[3] – انظر التَّكمِلة، 247/4، ابن عبد الملك المرَّاكشي، الذَّيل والتَّكمِلة، 495/2/8.

[4] – هو أبو العباس أحمد بن محمد بن شعيب الكِرْياني، عالم بالطب والفنون والأدب، وحافظ للشعر وصاحب خط ظريف، من أهل فاس وتلقّى علومه فيها ثم انتقل إلى تونس ليُكمل فيها علومه، كتب في ديوان سلطان المغرب ثم انتقل إلى غَرْناطَة وحقق بها نجاحات طبيّة عديدة، وانتقل بعدها إلى تونس وتوفي هناك سنة 749هـ. انظر ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غَرْناطة، 272/1-277.

[5] – انظر ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غَرْناطة، 272/1.

[6] – هو أبو المطرف عبد الرّحمن بن غلبون، من أهل قُرْطُبَة وسكن بلنسية، عالم بالعربيَّة واللغة والأخبار والآداب، توفي قريباً من 430هـ. انظر ابن الأبَّار، التَّكمِلة، 10/3، عبد الملك المرَّاكشي، الذَّيل والتَّكمِلة، 480/2/8.

[7] – انظر ابن الأبَّار، التَّكمِلة، 250/4، المقَّري، النَّفح، 308/5.

ولاحظت أن الرجال الذين اهتموا بتعليم جواريهم كانوا من أهل العلم أو الأدب، أو أنهم أحبوا العلوم والآداب؛ فالحكم المُستَنصِر عالمٌ نبيهٌ حَوت مكتبته ما يقارب أربعمائة ألف مجلد[1]، كما كان الكِرْياني عالماً بصناعة الطب، وعارفاً بالأدب حافظاً للشعر، وقيل: إنه حفظ عشرين ألف بيت للمُحْدثين[2]، أما ابن غلبون فهو كاتب متميِّز وأستاذ **إشراق السُّوَيداء** التي أخذت عنه العربيَّة واللغة والآداب، وسأبدأ الحديث عن الجواري اللواتي نلن علماً وأدباً قُمنَ بتوظيفه في دولة الأندلس.

2- الجواري المشرقيَّات الوافدات على الأندلس

كانت **عابِدة المدنيَّة** من أوائل الوافدات على الأندلس، وهي جارية سوداء حالكة من رقيق المدينة، روت عن مالك بن أنس وغيره من علماء المدينة، وقيل: إنها تروي عشرة آلاف حديث، وقد أُهديت لحبيب بن الوليد[3] في أثناء رحلته إلى الحج فأعادها معه إلى الأندلس، وأضحت أم ولده بشر ذلك أنه أُعجب بعلمها وفهمها فاتخذها لفراشه[4].

والجارية المعروفة **بالعَجْفاء** من الجواري المشرقيَّات اللاتي وفدن من المدينة إلى الأندلس، ولا تُبيِّن المصادر الأندلسيّة إن كان هذا اسمها أو لقبها، والأرجح عندي أنه لقبها فهو ينطبق مع ما ذكره المَقَّري في وصفها بأنها كلفاء[5]عجفاء[6]، وقد أصابت هذه الجارية العجفاء حظاً وافراً من الشهرة بين جواري الأندلس وفتنت الكثيرين بِحُسن غنائها وجمال صوتها، ويبدو

---

[1] – انظر المَقَّري، النَّفح ، 377/1.

[2] – انظر ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، 272/1.

[3] – هو أبو سليمان حبيب بن الوليد ويُلقب بدحون، فقيهٌ عالمٌ وأديبٌ شاعر، كانت له حلقة بجامع قُرْطُبَة، وتوفي بعد 200هـ. انظر ابن حيَّان، المُقتبس، 94، ابن الأبَّار، التَّكمِلة، 228/1 ،المَقَّري، النَّفح، 250/3-251.

[4] – انظر ابن حيَّان، المُقتبس، 96، ابن الأبَّار، التَّكمِلة، 240/4، المَقَّري، النَّفح، 123/4.

[5] – كلفاء: الكَلَف والكُلْفَة: حُمرة كدرة تعلو الوجه، وقيل: لون بين السواد والحمرة. ابن منظور، لسان العرب، مادة (كلف) 307/9.

[6] – انظر النَّفح، 125/4.

أن شهرتها وصلت إلى مسامع الأمير عبد الرّحمن الداخل فاشتراها ولم يُفرّط بها حتى توفاها الله [1]، و هذا يشير إلى مدى رعايته وعنايته بالجواري المغنيات وتقديره لهن.

وعَمَد الأمير عبد الرّحمن الأوسط إلى شراء جوار متميّزات من المشرق وأرسل في طلبهن إلى الأندلس، و كانت **فَضْل المدنيَّة وعَلَم المدنيَّة وقَلَم البَشْكَنسيَّة** ضمن جواريه اللواتي نُسبت إليهنّ دار المدنيَّات[2]، وكنّ من الجواري المميّزات في المشرق قبل أن يلمع نجمهن في الأندلس.

وكانت **فَضْل المدنيَّة** جارية لإحدى بنات هارون الرشيد، ونشأت وتلقت علومها في بَغْداد، ثم انتقلت إلى المدينة المنورة لتزيد في علومها، ووصفها ابن الأبار بأنها حاذقة بالغناء، كاملة الخصال، أما **عَلَم المدنيَّة** فلم يتوفر لي أي وصف لها غير أنها صاحبة الجارية **فَضْل** التي وصلت الأندلس معها[3].

وعلى الرغم من أن **قَلَم** صبية أندلسيّة من سبي البشكنس إلاّ أن المَقَّري وضعها ضمن النّساء الداخلات الأندلس من المشرق[4]؛ وقد يعود هذا لأنها انتقلت في صِغرها إلى المدينة وتلقت علومها هناك، فأضحت أديبة حسنة الخط حافظة للأخبار عالمة بفنون الغناء[5]، ويبدو أن الرحلة إلى المدينة كانت بمثابة بعثة دراسية لرفع المستوى العلمي والفني للجارية المتميزة لتتخرج بعدها وهي أستاذة في مجالها، وتحمل شهادة لا تضاهى من المدينة المنورة تؤهلها أن تَنسب نفسها إليها.

ولم يكن عبد الرّحمن الداخل الأمير الوحيد الذي يُقدِّر المغنيات والمغنيين ويرعاهنّ، فقد قام الأمير عبد الرّحمن الأوسط باستقبال زرياب في الأندلس، ويبدو أن نزوله الأندلس أحدث

---

[1] - انظر المَقَّري، النَّفح، 4/125-126.
[2] - انظر ابن الأبَّار، التَّكمِلة، 4/241، المَقَّري، النَّفح، 4/123-124.
[3] - انظر التَّكمِلة، 4/241 ، المَقَّري، النَّفح، 4/123-124.
[4] - انظر النَّفح، 4/123-124.
[5] - انظر التَّكمِلة، 4/240-241 ، المَقَّري، النَّفح، 4/124.

تغييراً جذرياً في الحركة الغنائية والموسيقية في الجزيرة ولم يحضر زرياب وحده إلـــى أرض الأندلس فأحضر أولاده وبناته وجاريتيه **غزلان وهُنَيدَة**.[1]

ولم تكن **هُنَيدَة وغــزلان** آخر الجواري المشرقيَّات المميزات في الأندلس، ففي عــصر الأمير عبد الله بن محمد وصلت **قَمَر** جارية إبراهيم بن حجاج اللخمـــي[2] مــن بَغْــداد محمّلــة بفصاحتها ومعرفتها بصوغ الألحان والغناء، بعد أن وجّه ابن الحجاج أموالاً ضخمة لشرائها[3].

أما الخليفة عبد الرحمن النَّاصر الذي استكثر من الجواري، فيبدو أنه لم يكتف بما ملــك من الجواري الأندلسيَّات، وإنما أرسل إلى الإسكندرية يطلب استقدام مغنين ومغنيــات مــشارقة عام 344هـ.[4]

وربما يظن المرء أنه لم تتوافر أي جارية مــشرقية إلا عنــد الخلفــاء والأمــراء لأن أسعارهنّ مرتفعة، ولكنّ الشَّيباني[5] أحضر معه جارية مدنيّة من المشرق، أحسنت تلاوة القــرآن الكريم وإنشاد الشعر وامتازت بصوت عذب.[6]

ويخطر بالبال أنّ كلّ الطّلب في العالم الإسلامي كان على الجواري المشرقيَّات؛ لكــنّ رواية ابن الأبار والمَقَّري عن **قَلَم البَشْكَنسيَّة** أمّدتني بملاحظة لطيفة؛ ألا وهي إمكانية وجــود

---

[1] – انظر المَقَّري، النّفح، 111/4.

[2] – هو إبراهيم بن الحجاج الذي خرج على الأمير عبد الله بن محمد بن عبد الرّحمن الأوســط واستقلَّ بإشْبِيلْيَة، فتصرَّف فيها وكأنه ملكٌ عليها، ووفد عليه كثير من الشُّعراء وأبرزهم ابن عبد ربِّه، توفي سنة 288هـــ. انظر ابن عِذَاري، البيــانُ المُغــرِب، 125/2-129، ابــن سَــعيد، المغرب، 111/1، ابن الخطيب، أعمال الأعلام، 35.

[3] – انظر ابن الأبَّار، التَّكمِلة،245/4، ابن عِذَاري، البيانُ المُغرِب، 128/2، المقَّــري، الــنّفح، 124/4.

[4] –انظر ابن الأبَّار، التَّكمِلة، 245/4.

[5] – هو رجل مشرقي دخل الأندلس وسكن قُرْطُبَة على شاطئ الوادي بالعُيون. انظر الحميدي، جَذوَةُ المُقتبس، 81/1، الضَّبي، بُغيَة المُلتَمس، 85.

[6] – انظر الحميدي، جَذوَةُ المُقتبس، 81/1، الضَّبي، بُغيَة المُلتَمس، 85.

جوارٍ أندلسيات بقين في المشرق أيضاً، ذلك أن **قَلَم البَشْكَنسيَّة** الأندلسيّة الأصل التي تم سبيها وحُملت إلى المدينة المنورة ليست الجارية الوحيدة التي سُبيت ونُقلت إلى هناك، فمن المنطقي أن يكون معها جوار أندلسيات أُخَر، ومن الطبيعي أن يشتريهنّ مشارقة أو مغاربة، إلاّ أن المصادر التي بين يدي لم تذكر شيئاً عن جوارٍ أندلسيات اشتراهنّ مشارقة، والافتقار إلى روايات حول وجود جوار أندلسيات في المشرق لا يعني عدم وجودهن هناك.

3- الجواري المتأدّبات

وهنّ الجواري اللاتي تلقين ثقافة متعددة في اللغة والأدب والشعر والحساب والعروض والحديث وغيرها من العلوم، أو أنهنّ ملكن مواهب أو ملكات دلّت على ثقافتهنّ وعلمهنّ، أو رُوي في أخبارهنّ ما يدل على ذلك.

لاحظت أنه لا يوجد كثير من الجواري المتأدبات إبّان عصر الإمارة في ما بين يدي من المصادر، وأول ذكرٍ وجدته عن إحداهن كان **لقَلَم البَشْكَنسيَّة** في عصر الأمير عبد الرّحمن الأوسط، وذلك لما نالته من أدب وشعر ومعرفة الأخبار، وانمازت بجودة الخط، وحباها الله صوتاً فريداً [1]، كما اشتهرت **فينان** محظية الأمير محمد التي عُرفت ببراعتها في الأدب[2].

أما عصر الخلافة فاشتهرت فيه **راضية** جارية الخليفة عبد الرّحمن النَّاصر المعروفة بنَجْم، وذكر ابن بشكوال أنه كان لها مريدون رووا عنها وملكوا بعض كتبها[3] ولكنني لا أدري المقصود بكتبها هل هي تواليفها أم ممتلكاتها من الكتب[4]، وإن كان لها كتب فمن المؤسف حقاً أن ابن بشكوال لم يذكر عناوينها أو موضوعاتها، وأرجّحُ أنه لم يطّلع على كتبها ولم يعرف أيّ

---

[1] – انظر ابن الأبّار، التّكملة، 241/4، المقَّري، النّفح، 124/4.

[2] – انظر ابن حيَّان، المُقتبس، 213.

[3] – انظر الصِّلة، 694/2.

[4] – انظر محمد المنتصر الريسوني، الشعر النسوي، 137.

شيء عنها، وكل ما هنالك أنه نقل ما سمعه من أن كتبها اشتُهرت وملأت الآفاق فكانــت غنيــة عن التعريف، وما يعنيني هنا هو أنّ لها كتباً، وهذا دليل كافٍ على أنها كانت جاريــة متأدبــة ذات علم ومريدين.

كما تميزت **مَرْجان** زوج النَّاصر وأم ولده الحكم المستنصر وعُرف عنها أنهــا أديبــة لطيفة المقاصد[1]، إلاّ أن المؤرخين لم يذكروا لها أي مؤلفات أو شعر باســتثناء بيتــين غنتهمــا لتغيظ زوجة النَّاصر الحرّة فقالت: [2] [مجزوء الرجز]

يـــــا ليلـــــــةً لـــــــوْ أنَّهـــــــا تُبـــــــاعُ لـــــــي أو تُـــــــشْتَرى
شَـــــــــرَيْتُها بِكُـــــــــلِّ مـــــــــا أطْلُبُـــــــــهُ مـــــــــنَ المُنَـــــــــى

وربَّما تعرّض أدبها أو شعرها للضياع كالكثير من شعر الأندلس وأدبها، أو أنه ما زال ينتظر من يكشف النقاب عنه، وما يهمني هنا أن ابن الأبار وصفها بالأديبة وهذا يــضعها مــع الجواري المتأدبات.

وانضمت **لبنى** جارية الحكم المُستَنصِر إلى قافلة الجواري اللواتي عُرفن بالعلم والأدب، فقد كانت شاعرةً أديبةً وعالمةً بالنحو والحساب والعروض[3].

ولم ينته وجود الجواري المتأدبات بانتهاء أيام بني أمية، فقد كانت لهنّ حظوةٌ بين ملوك الطَّوائف أيضاً؛ فالمعتصم بن صُمَادح اشترى **غاية المُنَى** وهي جارية أندلسيّة متأدبة وأرســلها إلى ابن الفراء ليختبرها، فلما وصلته قال: ما اسمك؟ فقالت **غايــة المُنَــى**، فقــال أجيــزي: [4] [مجزوء الخفيف]

---

[1] – انظر ابن الأبَّار، التَّكملة، 4/247-248.

[2] – ابن الأبَّار، التَّكملة، 4/247-248.

[3] – ابن بَشْكَوال، الصِّلة، 2/692، ابن الأبَّار، التَّكملة، 4/246-247، ابن عبد الملك المرَّاكشي، الذَّيل والتَّكملة، 8/2/492.

[4] – ابن الأبَّار، التَّكملة، 4/252-253، ابن عبــد الملــك المرَّاكــشي، الــذَّيل والتَّكملــة، 8/2/488-489، المقَّري، النّفح، 6/61.

سَـــــلْ هـــــوى **غايــــة المُنَـــــى** مَــــنْ كَــــسا جِــــسْمِيَ الــــضَّنَى

فقالت: [مجزوء الخفيف]

وأرانِــــــــــــــــيْ مُتَيَّمـــــــــــــــاً سَــــــــيَقولُ الهَــــــــوى أنــــــــا

ويبدو أن هذه الإجازة كانت أمراً طبيعياً ليتبيَّن المشتري مدى قدرة الجارية على الارتجال، وبهذا يتبين له مخزون الجارية من الأدب والشعر، وإن كان سيخولها أن تنظم شعراً وتجيز سائلها أم لا، وإن كانت ستقدر على إمتاع سيدها أم لا، فإن تمكنت من كلِّ ما سبق فهي جارية متأدّبة تستحق الانضمام إلى قافلة الجواري المتأدبات.

ولم تكن الرغبة بامتلاك الجواري المتأدبات حكراً على ملوك الطَّوائف العرب فحسب؛ فقد اشترى هذيل بن خلف البربري الجارية **رَيْحانَة** بثلاثة آلاف دينار، وذلك لما امتازت به من جمال الصوت والخط وإجادة العربيَّة، ولمعرفتها النّحو واللّغة والعروض والطب والتشريح بالإضافة لإتقانها أنواعاً من اللعب بالسيوف والخناجر[1].

ونالت إحدى هؤلاء المتأدبات منزلة عالية عند سيدها، ليس لكونها جارية متأدبة فحسب بل لأنها جمعت الأدب والعلم وأنجبت الولد، فقد قيل في **العبَّاديَّة** جارية المعتضد إنها أديبة و كاتبة شاعرة، على قدر كبير من المعرفة باللغة، وذُكر أن المعتضد سهر ليلة لأمر كان يُقلقه بينما هي نائمة فقال: [2] [المتقارب]

تنــــــام ومــــــــدنفها يــــــــسهرُ وتـــــــصبرُ عنـــــــهُ ولا يـــــــصبرُ

فأجابته: [المتقارب]

لـــــــئِنْ دامَ هَـــــــذا وهَـــــــذا بِـــــــهِ سَـــــــيهْلَكُ وَجْـــــــداً ولا يَـــــــشْعرُ

---

[1] – انظر ابن عِذَاري، البيانُ المُغرِب، 308/3.

[2]– ابن الأبَّار، التَّكمِلة، 251/4–252، ابن عبد الملك المرّاكشي، الذّيل والتَّكمِلة، 494/2/8، المقَّري، النّفح، 6/ 58–59.

ومن المؤسف أن المصادر التي بين يدي لم تذكر لهذه الأديبة الكاتبة الشّاعرة إلا هذا البيت الوحيد، وقد يكون لها شعرٌ آخر لكنه لم يصل إلينا، أو أهمل مؤرخو الأدب تدوينه وحفظه أو أنهم اكتفوا بهذا البيت للدلالة على براعتها وشعرها، فقد علّق المَقَّري على بيت **العبّاديّة** قائلاً: "ويكفيك هذا شاهدا على فضلها رحمها الله تعالى وسامحها"[1]، وقد يكون قوله هذا بناءً على أخبار سمعها، أو قصص عرفها ولم يذكرها، أو أنه اكتفى بنقل ما سمع عنها، أو أنه بنى قوله هذا على سرعة بديهة هذه الجارية وقدرتها الفائقة على الارتجال بكل هذه القوة.

ولم تكن الجواري المتأدبات مُلكاً للخلفاء والملوك فحسب، فقد ذُكر أنه كان لابن مسلمة الشاطبي[2] جارية تسمى **هند** وكانت أديبة وشاعرة مشهورة[3]، وكان أبو عمرو المقرئ[4] يملك الجارية **رَيْحانَة** التي كانت تلميذة مجدّة وأخذت عنه القراءات السبع بالمَرِيَّة، وكانت تقرأ حتى أتمت دراسة السبع ثم روايات أخرى غيرها، حتى أجازها[5]، أما **إشراق السُّوَيداء** جارية ابن غلبون فلم تكتف بعلوم اللغة والآداب التي نهلتها من مولاها، وإنما درست العروض وأوزان الشعر، ويبدو أن علمها كان غزيراً حتى أصبح لها مريدون عدّة[6].

---

[1] – النّفح، 283/4.

[2] – هو أبو محمد عبد الله بن مسلمة الشاطبي. لم أجد له ترجمة في المصادر المتوفرة، ذكره ابن الأبّار، التّكملة، 259/4، المقَّري، النّفح، 67/6.

[3] – انظر ابن الأبّار، التّكملة، 259/4، المقَّري، النّفح، 67/6.

[4] – هو عثمان بن سعيد بن عثمان المعروف بأبي عمرو الداني، كان مُحدّثاً ومقرئاً وأديباً رحل إلى المشرق قبل 400هـ فسمع من شيوخه ثم عاد إلى الأندلس، فتصدَّر بالقراءات وألّف فيها كتاب "المقنع" و "التيسير"، توفى سنة 444هـ. انظر الحميدي، جَذوَةُ المُقتبس، 483/2-484، الضّبي، بُغيَة المُلتَمس، 411-412، المقَّري، النّفح، 350/2-351.

[5] – انظر الضّبي، بُغيَة المُلتَمس، 412.

[6] – انظر ابن الأبّار، التّكمِلة، 250/4، ابن عبد الملك المرّاكشي، الذّيل والتّكمِلة، 480/2/8.

ويبدو أن **إشراق الـسُّوَيداء** لم تكن ظاهرة غريبة في مجتمع تكثر فيه الشَّاعرات، فقد ذكر المقَّري أنه كان هناك نساءٌ يُعرفن بالمحافظة على المعاني العربية في غَرْناطَة[1] وكُنَّ يُعرفن بالعربيات بدلاً من الغرناطيات[2]، وأعتقد أنه كان للجواري الأندلسيات نصيب من هذا الاسم، وعلى الرغم من أنه لم يُحدِّد أعداد الغرناطيات أو أعداد الجواري بينهن، إلا أنه من المنطقي أن يكون لهن حصة لا بأس بها في هذا الكم الهائل من الشَّاعرات.

4- الجواري الكاتبات

لم يظهر في المصادر المتوفرة بين يدي أيُّ ذكر لجوارٍ كاتبات في الأندلس حتى عصر الخليفة النَّاصر، ولم أجد أيّ نص يُشير إليهن قبل عصر النَّاصر، ولا أدري إن عملت الجواري في الكتابة والتدوين قبل ذلك العصر أم لا، فربَّما لم يمتهنّ الكتابة أو أنهنّ مارسن الكتابة والتدوين ولكن لم يهتم أحد بذكرهن، أو أن دورهنّ في الكتابة والتدوين كان أصغر من أن يُذكر.

واشتهر العديد من كاتبات النَّاصر تحديداً فمنهنّ **زمرّد** التي وُصفت بالكاتبة الحاذقة[3]، و**كتمان** المشهورة بالفهم والنبل[4]، و**مُزْن** المعروفة بذكائها ومعرفتها بالخط، وهذا الوصف

---

[1]- غَرْناطَة أو أغَرْناطَة (Granada): مدينة أندلسيّة من أعظم مدن الأندلس، بينها وبين وادي آش أربعون ميلاً، وبينها وبين إلْبيْرَة ستة أميال، يشقّها نهر يعرف بنهر حداره، وفيهَا نهر آخر يُقال لَهُ سنجل، وتُعرف بغَرْناطَة اليَهُود لأن نازلتها كانوا يهوداً . انظر الإدريسي، نُزهة المشتاق في اختراق الآفاق، 569/2، الزهري، الجعرافية، 94-96، ياقوت، مُعجَم البُلدان، 195/4، القزويني، آثار البلاد، 547، الحِميَري، الرَّوض المعطار، 45-46.

[2] - العربيات: من نساء غَرْناطَة المشهورات بالحسب والجاه، وذلك لمحافظتهن على المعاني العربيَّة والتزامهن نهج العرب في النظم. انظر المقَّري، النَّفح، 64/6.

[3] - انظر ابن الأبَّار، التَّكملة، 246/4، عبد الملك المرَّاكشي، الذَّيل والتَّكملة، 485/2/8.

[4] - انظر التَّكملة، 247/4، ابن عبد الملك المرَّاكشي، الذَّيل والتَّكملة، 488/2/8-489.

وصف طبيعي لكاتبات قصر الخلافة؛ كيف لا والأندلس تحوي أفضل الأدباء وأنبلهم، وقصر الخلافة يضم زبدة أفضل الأدباء والعلماء والكتاب[1].

وحذا الحكم المُسْتَنصِر حذو أبيه؛ فاستعمل الجارية **لبنى** كاتبةً لديه وموقِّعَةً عنه، وكان محقاً في اختياره؛ ذلك أن **لبنى** لم تُعرف بالذكاء والفهم وحُسن الخط فحسب، وإنما كانت شاعرة أديبة، جامعة لعلوم النحو والحساب والعروض[2].

ويبدو أن الجواري الكاتبات علا شأنهنّ في الأندلس حتى إن **نظام** الكاتبة الأديبة بقصر الخليفة هشام المؤيد المعروفة بحُسن تحبير الرسائل أنشأت الرسالة التي جدّد فيها المظفرُ عبد الملك العهدَ بالحجابة للمنصور بن أبي عامر وعزّاه فيها بأبيه محمد بن أبي عامر سنة 392هـ[3].

ويظهر مما تقدّم أن الجواري الكاتبات كان لهن شأن عظيم في قصر الخلافة ومن ثم في دولة الأندلس بشكل عام، فقد ملكن علماً غزيراً وموهبة نادرة جعلتهن يتبوأن منزلة رفيعة في الأندلس، ولا غرابة في ذلك لأن أهل الأندلس يولون أهميّة كبيرة للعِلم والتّعلُّم والخط، وقد ذكر عبد الواحد المرّاكِشي أنه كان بالربض الشرقي لقُرْطُبَة مائة وسبعون امرأة يكتُبن المصاحف بالخط الكوفي، ولم يُخفِ دهشته من عددهنّ فقال: "هذا في ناحية من نواحيها، فكيف بجميع جهاتها، وكان فيها واحد وعشرون ربضاً" [4].

وربّما كان هذا العدد غير دقيق أو بعيداً عن الصحة، ولكن سواءً أكان الرقم صحيحاً أم ناتجاً عن سوء تقدير فإن هذا لا ينفي وجود الكثير من الكاتبات، ومن المنطقي أن يكون بين هؤلاء الكاتبات رقم لا بأس به من الجواري الكاتبات في قُرْطُبَة وغيرها من المدن الأندلسيّة.

---

[1] – انظر ابن الأبَّار، التّكملة، 247/4 .

[2] – انظر ابن بَشْكَوال، الصِّلة، 692/2، ابن الأبَّار، التّكمِلة، 246/4–247، ابن عبد الملك المرّاكِشي، الذّيل والتّكمِلة، 492/2/8.

[3] – انظر ابن عبد الملك المرّاكِشي، الذّيل والتّكمِلة، 493/2/8، ابن الأبَّار، التّكمِلة، 249/4.

[4] – المُعْجِب، 456–457.

ويدل ما تقدّم على أنه كان للجواري نصيب في النهضة العلمية والأدبية فـــي الأنـــدلس، وهذا يوافق رأي محمد جميل بيهم إذ يرى أنه كان للجواري نصيب في النهضة العلمية والأدبية وإن كان نصيبهن متواضع مقارنة بالحرائر اللواتي قامت النهضة على سواعدهنّ[1]، ويـــشاركه الرَّيسوني الرأي نفسه ويضيف أن الجواري برعن في الموسيقا والغناء وقطعن فيهما أشـــواطاً بعيدة[2].

إلا أن إبراهيم علي العكش يظن أن مشاركة الجواري في الحياة العلمية والأدبية أكبـــر من الحرائر، فمنهن ناسخات المصاحف وكاتبات رسائل الخلفاء وعلى رأسهم النَّاصـــر وابنـــه الحكم المُسْتَنصِر، ويرى العكش إن طبيعة حياة الجواري تتطلب أن يتعلمن فنوناً علمية كثيـــرة مما عرفته الأندلس[3].

ومن غير المعقول تقسيم نهضة أية أمة إلى نهضة نسوية وأخرى ذكوريـــة؛ ذلـــك أن نهوض أية أمة يتم بتفاعل رجالها ونسائها كافّة، ومن الصعب أن نفصل بـــين دور الجـــواري والحرائر فكلاهما يؤثر ويتأثر بالآخر، ومن الإنصاف أن أذكّر بأن الجواري برعن في علـــوم وآداب متنوعة ولم يقتصر علمهنّ على الغناء والموسيقا.

ومرّ في صفحات البحث ما يُدلِّل على معرفتهن وبراعتهن في علوم مختلفـــة، وأعتقـــد أن إلمامهنّ بالفنون والعلوم المتعددة لم يكن تلبية لحاجات حياتهن فحسب؛ فقد اقتـــضت العـــصور التي عِشن فيها معرفةً موسوعية وألواناً متعددة من الفنون.

5- الجواري المغنيات

ما تقدّم من حديث عن الجواري المشرقيّات اللاتي وفدن إلى الأندلس لا يعني أنه كـــان هناك اعتماد كُلِّيٌّ عليهن فقد وُجد الكثير من الجواري الأندلسيّات المتأدبات والكاتبـــات _ كمـــا

---

[1] - انظر المرأة في حضارة العرب والعرب في تاريخ المرأة، 240.

[2] - انظر الشعر النسوي ، 41.

[3] - انظر التربية والتعليم في الأندلس، 125.

عرضت سابقاً_ كما أنهنّ تميزن بفنون الرَّقص والغناء والموسيقا وساهمن في الحركة الغنائيــة في الأندلس.

فقد برعت **مُهْجَة** جارية الحكم بن هشام في الغناء لأنها كانت حسنة الـصوت بارعــة التلحين، ولكنها لم تكن القينة الوحيدة لدى الحكم الذي عشق الغناء والجواري، فقد كــان يعــيش في كنفه الكثير من الجواري اللاتي أحْسَنَّ الغناء كالجاريتين **عَزيز وفاتن**[1].

وتلت **مُتْعَــة** هؤلاء المغنيات البارعات فهي جارية رائعة الجمال، بارعة الأداء، عاليــة الصيت، تلقّت علومها على يد زرياب وأدّت أغانيه أحسن أداء. وكانت تغني لدى الأميــر عبــد الرّحمن الأوسط الذي أُعجب بها، وحدث ذات يوم أن مثلت بين يديه تسقيه وتغني، فلما أحــست بإعجابه بها قالت: [2] [المجتث]

يــــــا مَــــــــنْ يُغطّــــــي هـــــواهُ   مَــــــــنْ ذا يُغَطِّــــــــي النّهـــــــارا
قـــــدْ كنّــــــتُ أمْلـــــكُ قلبـــــي   حتّــــــــى عَلِقْــــــتُ فَطــــــارا
يــــــــا وَيْلَتــــــــا أتُـــــــراهُ   لـــــــي كــــــانَ أو مُـــــــستَعارا
يــــــــا بِـــــــأبي قُرَشِّـــــــيٌ   خَلَعْــــــتُ فيــــــهِ العِــــــذارا

فلما أحس زرياب أنها حازت قبول الأمير أهداها إليه فحظيت عنده.

وورث الأمير المنذر حب الغناء والجواري المغنيات عن جدّه، فقد هام في حب جاريته المغنية **طَرَب** بعد أن وقعت عينه على حُسنها وأذنه على صوتها، وقرّر أن يعوّض التاجر الذي قدّمها إليه بمائة ألف دينار هدية له، وهذا مبلغ زهيد إذا ما قــورن بحُــسن صــوتها، وعلمهــا بالغناء[3].

---

[1] – انظر المقَّري، النّفح، 308/3.
[2] – ابن الأبَّار، التّكملة، 242/4، المقَّري، النّفح، 115/4.
[3] – انظر المقَّري، النّفح ، 118/5–119.

أمّا **جيجان** فكانت مُلك الأمير عبد الله بن محمد، وهي التي سمعها سعيد بن جودي[1] بقُرْطُبَة فهام بها، وقال فيها أرق الأشعار وأعذبها، ومنها قوله:[2] [البسيط]

سمعي أَبى أنْ يكونَ الرُوحُ في بَدني فاعتاضَ قَلبِيَ منهُ لَوعَةَ الحَزَنِ
أعطيتُ **جيجانَ** روحي عنْ تذكُّرِها هذا ولمْ أرَها يوماً ولمْ تَرَنِي

واشترى جارية سماها باسمها **جيجان** فلم يُسله ذلك عنها وهام بها دهراً [3].

وكان لعصر ملوك الطَّوائف نصيب من عشق الغناء ورعاية الجواري المغنيات، ودفع الغالي والرخيص لاقتنائهنّ؛ فقد اشترى المعتصم بن صُمَادح جاريته **غاية المُنَى** بمائة ألف درهم، وقد برعت في الموسيقا، وكانت من صاحبات الصوت الحسن، كما كان لها مشاركة في الأدب، وكل محاسنها هذه أهلتها أن تنال الحظوة عند سيدها، وأن تكون السيدة على قلبه[4].

وأما **نُزهَة الوهبية** فقد وصفها ابن الأبار بأنها من عجائب القيان في الأندلس، وذلك لحُسن طبعها وظرفها وجمال إنشادها الأشعار، إضافة إلى معرفتها بالحكايات والأخبار وأيام العرب، وحفظها الأمثال والأنساب، وكانت غزيرة العلم مما دفع ابن الأبار إلى أن يشبهها بقيان المشرق المتقدمات[5] .

---

[1] – هو سعيد بن سليمان بن جودي السعدي، فارس جواد له باع في فنون العلم والأدب والشعر، كان أميراً لإلْبِيْرَة في عهد لأمير عبد الله بن محمد حتى قُتل غدراً بأيدي بعض أصحابه في ذي القعدة من سنة 284هـ. انظر الضَّبي، بُغيَة المُلتَمس، 307، ابن الأبَّار، الحُلَّة السِّيَراء، 154/1-156، ابن سَعيد، المغرب، 105/2-106، ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غَرْناطة، 275/4-277.

[2] – ابن الأبَّار، الحُلَّة السِّيَراء، 157/1.

[3] – ابن الأبَّار، الحُلَّة السِّيَراء، 157/1.

[4] – انظر ابن الأبَّار، التَّكمِلة، 252/4-253، ابن عبد الملك المرَّاكشي، الذَّيل والتَّكملة، 448/2/8-489، المقَّري، النَّفح، 61/6.

[5] – انظر التَّكمِلة، 250/4.

6- أثر الجواري في الثقافة الأندلسيّة

كان للجواري _كغيرهن من الداخلين إلى المجتمع الأندلسي_ تأثير في ثقافة الأنـــدلس، فقد قَدِمن من بيئات مختلفة تعددت بين مشرقية وبشكنسية ورومية، فحملـــن معهـــن أســـماءهن ولغاتهن وثقافاتهن وأديانهن.

وإذا تتبعنا دخول أي جارية للمجتمع الأندلسي سنجدها تدخل باسم جديد لها؛ وربما كان اسمها وصفاً لملامحها المادية نحو تسمية الجارية **بالعجفاء** أو **الغلاميّة**، وقد يأتي الاسم لوصف صفات معنوية تدل على المرح والبَهجَة مثل اسم **مُتْعَة** و**طَــرَب**، أو على تعلــق القلــوب بهــذه الجارية والرغبة في وصالها كاسم **غاية المُنَى** و**أُنْس القُلوب** و **مُهْجَــة**، أو لتشبيهها بكل ما هو غالٍ وثمين ومحبّب نحو **زمرّد** و**رَيْحانَة** و**نظام**، وقد يكون الاسم ترجمة لاسمها الأصلي الــذي حملته معها من بلادها الأصلية مثل: **أورورا** التي ترجم الحكم اسمها إلى **صُبْح** [1]، وربَّما يتغيــر اسمها الأجنبي إلى اسم عربي جديد مثل **إيزابيلا** التي تغير اسمها إلى **ثريا** إثــر وقوعهــا فـــي الأسر وزواجها بالسلطان أبي الحسن النصري، وقد تُنسب إلى بلادها الأولى باسمها مثل: **قَلَــم البَشْكَنسيَّة** و**صُبْح البَشْكَنسِيَّة** أو **بنت سكري الموروريةِ** أو **عابِدة المدنيَّة** و**فَضْل المدنيَّة** و**عَلَم المدنيَّة** وقد يكتفي الرواة بنسبتها إلى بلادها الأولى كجارية الشيباني **المدنيَّة**، وقد تغلب نـــسبتها إلى مالكها الأول على اسمها **كالرُّمَيْكِيَّة** التي ابتاعها المُعتَمد من رميك بن حجاج[2]، وقد تُنـــسب الجارية إلى ديانتها التي كانت أوما زالت عليها نحو **ثريا النصرانيَّة**، و**بهار النصرانيَّة**[3] و**ماريا النصرانيَّة** التي سُميت فيما بعد **بمُزْن**[4] .

ولكن ماذا عن بقية الجواري اللاتي ملأن الأندلس هل بقين على دينهن؟ وهل مارســـن شعائر دينهن في الأندلس أو في قصور الخلافة؟ أم أنهن اعتـــنقن الإســـلام؟ يبـــدو أن بعـــض

---

1 – انظر محمد عبد الله عنان، تراجم إسلامية، 200، نقلاً عن Dozy: Ibid, V. II. P.190.

2 – لم أجد له ترجمة في المصادر المتوفرة.

3– انظر ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، 318/4.

4 – انظر محمد عبد الله عنان، دولة الإسلام في الأندلس، 2/ 373، نقلاً عن Lévi-Provençal, Una Cronica Anonima de Abd Al-Rahman III, Al-Nasir, (Madrid 1950) p.29-30.

الجواري كُنّ نصرانيات وبقين على دينهن مثل: **ثريا النصرانيَّة** و**بهار النصرانيَّة**، أما **ماريا النصرانيَّة** و**أورورا** فربَّما غيّرتا دينهما لأن اسماهما تغيّرا إلى **مُزْن وصُبْح**، وكان هناك جوار مسلمات متدينات قامت كلٌّ منهنّ ببناء جامع أو سبيل على نفقتها الخاصة وسمته باسمها مثل **طَرُوب ومَجْد ومُتْعَة والشِّفاء**[1] **وفَخْر**[2]، إلاّ أني لم أجد أي معلومات أو نصوص عن الجواري غير المسلمات أوكيفية ممارستهنّ شعائرهنّ وأعيادهنّ.

ويرى الطاهر أحمد مكي أنه بعد أن كثُر الزواج من الجواري بدأت هذه الأمهات وغيرهن من أهل الأندلس بإعطاء أسمائهن لبناتهن، فأصبح هناك أسماء مستمدة من الزهور مثل[3]: بهار ونرجس وبنفسج بنات المنصور بن أبي عامر[4].

وخلَّدت بعض الجواري أسماءهن في الحضارة الأندلسيّة وذلك بأن أطلقنَ أسماءهن على مساجد أو مدن أو حتى جُزر؛ فالجارية **شُعاع** خلّدت اسمها عندما بنت مسجداً أسمته باسمها[5]، كما ذكر بعض الرواة أن **الزّهراء** طلبت من النَّاصر أن يطلق اسمها على مدينته الجديدة، أو كجزيرة **أم حكيم** التي أخذت هذا الاسم من جارية طارق بن زياد التي خلّفها طارق وراءه[6] ، أي أنه كان لأسماء الجواري _وهي أبسط ما حملنه معهن_ تأثير في ثقافة المجتمع الأندلسي بدءاً من أسماء أبنائه وصولاً إلى أسماء مدنه وجُزُره.

وكما أعطت الجواري البياض والشقرة لأولادهن وبناتهن علمنهم لغتهن الأولى أيضاً، فحظي أبناؤهن باللاتينية إلى جانب العربيَّة[7]، وهذا لا يعني أن السبب وراء تداول اللاتينية هو الجواري فحسب، فقد ضمّ المجتمع الأندلسي أهل الأندلس الأصليين الذين تحدثوا اللاتينية ، ويرى مصطفى الشكعة أن شيوع اللاتينية _ التي لعبت الجواري دوراً فيها_ أثّر على أسماء

---

[1] – انظر ابن الأبَّار، التّكملة، 4/240-242، الغساني، رحلة الوزير في افتكاك الأسير، 20.

[2]– انظر ابن الأبَّار، التَّكملة، 4/240-242.

[3] – انظر دراسات عن ابن حَزم وكتابه طوق الحمامة، 37.

[4] – انظر المقَّري، النَّفح، 2/70.

[5] – انظر ابن الأبَّار، التَّكملة، 4/248، عبد الملك المرَّاكشي، الذَّيل والتَّكملة، 8/2/488.

[6] – انظر ابن عِذَاري، البيانُ المُغرِب، 2/30، الحِمْيَري، الرَّوض المِعطار، 223.

[7] – انظر ج. ب. ترند، تراث الإسلام، 1/16.

أهل الأندلس؛ فالواو والنون التي لحقت ببعض أسمائهم نحو: زَيْدون وعَبْدون ونَزْهون ما هـي إلا مقطع لاتيني يفيد التكبير، كما أن تاء التأنيث التي لحقت بعض الأسماء نحو حَمْدونة ما هـي إلا بتأثير صياغة الاسم المؤنث باللاتينية[1] .

وكان للجواري أثرٌ كبيرٌ في الحياة الشِّعرية في الأندلس، فكنَّ مصدر إلهـام للـشعراء ومحفِّزاً لنظم الشعر فيهنَّ حتى إن الشُّعراء في الأندلس نظموا فيهنّ سبعمائة وثلاثة وستين بيتـاً وثلاثة موشحات وأرجوزة وأزجال مختلفة، كما أن معظم الجواري ملكن القـدرة علـى نظـم الشعر فنظمن ثمانين بيتاً في موضوعات متعددة، وعملن على نشر مائة وخمسة وأربعين بيتـاً شعرياً وثلاثة موشحات، كما ساهمت الجواري في نقل الثقافة المـشرقية وخـصوصاً الـشعر المشرقي الذي غنينه ونقلن ألحانه إلى الأندلس، أو صُغن له الألحان، ناهيك عن دورهـنَّ فـي حركة الغناء.

---

[1] – انظر الأدب الأندلسي، 46.

الفصل الثّالث

الجواري
في
الحياة السِّياسيَّة

لم يكن بإمكان أية امرأة أو جارية أن تنال مناصب سياسية عالية في الأندلس أو غيرها من الدول التي تأتمر بأمر الإسلام، إلاّ أنّ بعض الجواري تَمَكّنّ بدهائهنَّ أن يكون لهن اليد الطولى في تدبير شؤون الدولة، وحققن ذلك بامتلاك زمام سادتهن الذين وقعوا تحت تأثيرهنّ كما ذكرت الروايات، وأرجّحُ أن الألقاب الملكية التي حازت عليها بعض الجواري ما هي إلا دليل على أنه كان لهن نفوذ أو تأثير، إلا أنه لا يوجد ما يُحدّد مدى نفوذهن، أو يُثبت أنه كان لهن تأثير على القرار الأندلسي أو مصير المسلمين في الأندلس.

وتدلُّ بعض الروايات والأخبار الأندلسيّة على أن بعض أمهات الأولاد من الجواري شاركن في نسج مؤامرات سياسية هدفن من ورائها إلى تقليد أبنائهن مقاليد الحكم، وقد نجحت بعض مؤامراتهن وفشل بعضها، ومن الجَدير بالذِّكر أني لاحظت أن الجواري التي كان لهن تأثير في الحياة السِّياسيَّة كّن من أمهات الأولاد المُقرّبات إلى قلوب الحكام، وأنهنّ من الجواري المشهورات اللاتي حفظ المؤرخون بعض أخبارهن، كما أنهن عملن في مؤامراتهن بالطريقة نفسها؛ فقد لجأن إلى رجل قوي له نفوذ وسلطان في الدولة كي يساعدهن في نيل مرادهن، وكان شركاؤهن في المؤامرات من الطامحين إلى الحكم والطامعين فيه بشكل مباشر أو غير مباشر وهذا هو الدافع وراء عملهم مع الجواري.

1- نفوذ الجواري

كانت **طَرُوب** من أبرز الجواري اللاتي حظين بنفوذ سياسي أيام سيدها عبد الرّحمن الأوسط؛ فقد تمكنت من استمالة نساء القصر وفتيانه وخدمه كلهم[1]، كما أنها ملكت زمام سيدها[2] وأثّرت فيه كي يصرف ولاية العهد عن ابنه البكر محمد وينقلها إلى ابنها عبد الله[3]، وأرجِّحُ أن انتشار خبر كهذا لم يكن بالأمر السهل على عبد الرّحمن بن الحكم[4]، الذي حَكم مجتمعاً عربياً

---

[1]- انظر ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس،91 ، ابن حيَّان، المُقتبس، 8.

[2] - انظر ابن الأبَّار، التّكملة، 242/4، ابن سَعيد، المغرب، 146/1.

[3] - انظر ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، 91.

[4] - ذكر ابن سَعيد أن عبد الرّحمن الأوسط رشح ابنه عبد الله لولاية العهد بعده، إلا أن كبار الخدم رجحوا محمداً إثر وفاته وولوه الخلافة، ولم يذكر أي مؤامرة. انظر ابن سَعيد، المغرب، 51/1.

يستنكر تأثير المرأة على الرجل، ويرفض أي نفوذ لها في حكم دولة تأتمر بتعاليم الإسلام الـذي استبعد المرأة عن قيادة الأمة.

وربما كان ابن حيَّان أحد الأندلسيين الذين انتقدوا نفوذ **طَرُوب** بأسلوب ساخر عندما قال: "وكان لهذه الجارية **طَرُوب** هذه الحظية أم عبد الله تحكُّم على مولاها الأمير عبد الـرّحمن وإدلال كثير تكاد تسحب بهما عليه، فعملت لذلك في صرف أمر الخلافة بعده إلى ابنها عبد الله دون بكره محمد وجميع إخوته ولم يكن ابنها بالحصيف. وتبعت هواها فيـه" [1]، ويظهـر مـن حديثه نوع من التهكم والسخرية من علو شأن "هذه الجارية" أو "هذه المحظية" التي كـان لهـا "تحكم وإدلال" [2] .

ولم تحز **مَرْجان** محظية النَّاصر والسلطانة الكبرى على ما حازته **طَـرُوب** مـن نفـوذ سياسي مباشر، إلا أن صاحب المقتبس ذكر أنها كانت غالبة على نفس الأمير عبـد الـرّحمن[3]، ولا ينقل أي من المصادر الأندلسيّة التي وجدتها أية حادثة أو واقعة تُبيّن مـدى نفـوذ **مَرْجـان** السياسي، إلا أن حديث ابن حيَّان يجعلني أرجّح أنه كان لها تأثير كبير على قـرارات النَّاصـر الذي هام بها وملّكها أمره.

وعلى الرغم من نفوذ **طَرُوب** السياسي وتحكّمها في سيدها إلا أن نفوذها لم يُضاه نفـوذ **صُبْح** التي تمتعت بالوصاية على ابنها هشام المؤيد ولي العهد[4]، ويبدو أن ظروف **صُبْح** هيـأت لها النفوذ الأوسع؛ فقد ملكت قلب سيدها العجوز الحكم المُسْتَنصِر بجمالها وذكائها وشبابها، كما أنها المرأة الوحيدة التي أنجبت له الولد، وكان لها تأثير كبير عليه فـي إدارة شـؤون الدولـة واختيار الموظفين وعلى رأسهم المنصور بن أبي عامر[5]، وأرجِّحُ أن وفاة الحكم مكّنت **صُـبْح** من توسيع نفوذها السياسي الذي بدأته أيام الحكم، عندما سيطرت على ولـي العهـد الـصغير،

---

[1] – ابن حيَّان، المُقتبس، 110.

[2]– انظر نزار اللبدي، ابن حيَّان القرطبي أديباً، ص 58-62، رسـالة ماجـستير، جامعـة اليرموك، 1997.

[3]– انظر ابن حيَّان، 121.

[4] – انظر المقَّري، النّفح، 382/1.

[5] – انظر المغرب، 195/1-199، المقَّري، النّفح، 382/1.

وأعتقد الألقاب التي حازتها **صُبْح** أو التي أطلقتها على نفسها كالسيدة **صُبْح** أم المؤيد[1] والسلطانة **صُبْح**[2]، ما هي إلا دلالة على علو مكانتها وقوتها ونفوذها السياسي.

ويبدو أن قوتها ونفوذها تحولا إلى أسطورة؛ فها هي **اعتماد الرُّمَيْكِيَّة** تحاول تقليدها، وتملك زمام المُعتَمد بن عباد، وتُحيطه بجو من المرح والمحبة فلا يقوى على مفارقتها أو البُعد عنها، فكأنها ملكت عقل المُعتَمد وقلبه حتى شُغل عن الحُكم نفسه ولم يأبه إلا بها، كما أنه نفّذ رغبتها وتخلص من ابن عمَّار وهو أقرب المقربين إليه[3]، ويبدو أنها وسّعت نفوذها كثيراً حتى إن اسمها ذُكر في نقوش صومعة إِشْبِيلْيَة سنة 472هـ عند الشروع في بنائها[4]، كما أنها حظيت بألقاب عدّة تدل على علو الشأن والنفوذ فقد عُرفت بأم الربيع والسيدة الكبرى[5] كما سميت أم الملوك[6]، وأصبح اسم **اعتماد** رمزاً لمملكة بني المُعتَمد بن عباد، كما نوّه المؤرخون إلى علو شأنها ودورها الكبير في الدولة عندما أطلق اسمها على كتاب حول أخبار بني عباد سُمي "الاعتماد في أخبار بني عباد"[7].

ولكن تأثير الجواري السياسي انحسر إثر دخول المرابطين إلى الأندلس؛ فقد حمل المُرابِطون معهم عاداتهم و تركيبتهم الاجتماعيَّة، لذا حظيت المرأة المرابطية في الأندلس بالميزات نفسها التي تمتعت بها في مجتمعها الصحراوي الأول، فقد استمرت المرابطيات في تدخلاتهنّ في شؤون الدولة وتمتعن بالسلطة السِّياسيَّة[8]، وأرجِّحُ أن المرابطيات قُمن بإقصاء جواري الأندلس عن الحياة السِّياسيَّة؛ فطبيعة مجتمعهنّ مدتهنّ بالقوة والقدرة التي تمكنهنّ من منع أزواجهن من الوقوع تحت تأثير أيّة جارية، وربَّما لم يجرؤ الرجال على الاقتراب من

---

[1] – انظر ابن حَزم، رسائله، 147/1، المقَّري، النَّفح، 382/1.

[2] –انظر دوزي، تاريخ مسلمي إسبانيا، 198–190.

[3] – ابن بسَّام، الذّخيرَة، ق 2 م432/1 ،ابن خلكان، وَفَيات الأعْيان، 428/4، المقَّري، النَّفح، 348/5.

[4] – انظر مجهول، أخبار مجموعة ، 49.

[5] – انظر ابن الأبَّار، الحُلّة السِّيَراء، 62/2، ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غَرْناطَة، 109/2–110.

[6] – انظر ابن خلكان، وَفَيات الأعْيان، 56/4.

[7] – المقَّري، النَّفح، 32/6.

[8] – انظر محمد مجيد السعيد، الشعر في عهد المرابطين والموحدين في الأندلس، 49.

الجواري خوفاً من نسائهم المرابطيات، ناهيك عن أن الأمور السِّياسيَّة صارت بين يدي أكـــابر نساء لمتونة[1] ومسوفة[2] اللواتي جمعن حولهن كل مفسد وشرير وقاطع سبيل وصاحب ماخور[3].

ولم تتمكنْ جميع الجواري من أن يُصبحن محظيات ذوات تأثير وسلطة على ســادتهنّ، ولم تكن كلُّهنَّ مُلكاً لأمراء وقادة وكُنَّ مُلكاً لرجال من الخاصة أو حتى من العامة، وعلى الرغم من ذلك فقد أصبحت بعض الجواري _ البعيدات عن صُنع القرارات الـسِّياسيَّة_ أداةً سياســية فعّالة في يد بعض الرجال؛ فقد قام أبو الحسن بن نزار[4] _ إثر سجن ابن مَرْدَنيش[5] له ورفــضه أي حديث معه_ باستخدام جارية وطلب منها أن تغني لابن مَرْدَنيش موشحته التي أولها: [6]

---

[1]– لمتونة: وهم الملثمون وهم إحدى أفخاذ قبيلة صنهاجة، وموطنهم الصحراء فيما بـين بــلاد البربر وبلاد السودان، حكموا المغرب الأقصى والأوسط والأندلس، ولــم يعرفــوا حرثــا ولا زرعاً ولا فاكهة، واعتاشوا على اللحم واللبن. انظر ياقوت، مُعجَم البُلدان، 12/2، النَّاصـــري، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، م1 ج2، 3.

[2]– مسوفة: إحدى أفخاذ قبيلة لمطة في أولى مراقي الصحراء، إذا بلغت بعض نسائهم اللـــواتي لا أزواج لهن أربعين سنة تصدّقت بنفسها على من أرادها من الرجال، فلا تدفع عن نفــسها ولا تمنع من يريدها. انظر الإدريسي، نُزهةُ المشتاق في اختِراق الآفاق، 225/1.

[3] – انظر عبد الواحد المرَّاكشي، المُعْجِب، 241.

[4] – هو من أعيان وادي آش، عندما دخل المُرابِطون الأندلس حسده الناس على المكانة التـــي سيحوزها عندهم فقصدوا تأخيره عنها، فأوصلوا شعراً قاله لابن مَرْدَنيش، فأرسل إليه من حمله وقيده، ومكث في سجن ابن مَرْدَنيش مدّة ثم أُطلقَ سراحه وجدّد له الإحسان. انظـــر المَقَّـــري، النّفح، 5/ 41-43.

[5] – هو أبو عبد الله محمد بن مردنيش، انطلق بثورته من مُرْسِيَة فسيطر عليها ثم سيطر علـــى جَيَّان وقُرْطُبَة، تحالف مع الفرنجة وخاض معهم وقعة الجلاب ضد الموحدين سنة 560هــ، إلا أن الموحدين قضوا على جيش الفرنجة وهزموه، وتوفي عند دخول يوسف بن تاشفين إِشْــبِيلْيَة فقيل إن سبب وفاته هو خوفه من ابن تاشفين، كما قيل إن أمه سمته لأنها خافت بطشه بها بعــد أن نصحته أن يُحسن لكبار دولته. انظر النَّاصري، الاستقصا لأخبار دول المغــرب الأقــصى ، م1 ج2، 141-147.

[6] – المَقَّري، النّفح، 42/5.

نازَعـــــــكِ البـــــــدرُ اللّيـــــــاحْ   بِنْـــــــــــــتَ الـــــــــــدِنانِ
فلـــــمْ يـــــدعْ لـــــك اقتـــــراحْ   علـــــــــــى الزمـــــــــــانِ

فلما سمعها ابن مَرْدَنيش سألها عن صاحب الموشحة فأخبرته أنه أبو الحسن، وتم اللقاء بين ابن مَرْدَنيش وأبي الحسن فأطلقه وأعلى شـأنه[1]، ولم تكن هذه الجارية العنصر الفعّال هنـا إلا أنها كانت أداة سياسية أحسن أبو الحسن استخدامها وتوظيفها لإخراجه من محنـة سياسـية تسببت في سجنه، ولولا إعجاب ابن مَرْدَنيش بصاحبة الصوت وصوتها لما سمع الـشعر ولـم يستدع ناظمه.

أمّا المُوحِّدون فلم يُفسحوا المجال لأي من النّساء الحرائر أو الجواري أن يتصرفن فـي شؤون الدولة أو يؤثرن فيها، مع أنَّ بعضهم _ في آخر أيام حكمهم في الأندلس _ قضوا معظـم أوقاتهم معهن في مجالس الغناء والمرح والخمر[2].

وشهد العصر الأخير في الأندلس قوة **مريم** جارية أبي الحجاج التي وحّدت قوتها مـع قوة زوج ابنتها البرميخو[3] ضد ابن ضرتها محمد الخامس[4]، وقد أدت قوتها وقوة حلفائهـا إلـى الكثير من الصراعات التي لم تعشها وحدها فحسب بل عاشها الأندلسيون جميعاً [5].

وأعتقد أن حديث المؤرخين عن تأثير الجواري على سادتهن لم يأت من فـراغ، مـع أنهم لم يُدعّموا أخبارهم بأية قصص واكتفوا بقولهم إن فلانة ملكت زمام سيدها، لذا بحثت بـين السطور وسط الروايات على ما يثبت ادّعاءاتهم، ولم أجد الكثير سوى الألقـاب التـي حازهـا

---

[1]- انظر المَقَّري، النّفح، 43/5.

[2] – انظر المَقَّري، النّفح، 12/6.

[3] – هو أبو سعيد محمد بن إسماعيل بن محمد، المعروف بأبي سعيد البرميخو، وهو سياسـي ماكر عُرف باللؤم والغدر. انظر ابن الخطيب، نُفاضة الجراب، 164.

[4] – هو محمد بن يوسف بن إسماعيل بن فرج بن نصر بن الأحمر، كان ملكاً وسـيماً وقـوراً عفيفاً، تولى الأمر بعد مقتل أبيه سنة 755هـ، افتتح عهده بالهدنة ثم قامت عليه ثـورة فهـرب إلى وادي آش ثم إلى العُدْوة، وعاد بعدها إلى الأندلس بدعم أمير قَشْتالة وبني مرين. انظر ابـن الخطيب، الإحاطة في أخبار غَرْناطة، 13/2، اللّمحة البدرية، 113-121.

[5]- ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غَرْناطة، 163/1، نُفاضة الجراب، 14-15 .

بعضهن أوتأثيرهن في توظيف بعض الموظفين، إلا أنّ المصادر الأندلسيّة لم تذكر لنا جارية واحدة من اللواتي ملكن زمام أسيادهن قد أثّرت على قرار سياسيّ مصيريّ أثّر في تاريخ الأندلس، أو أنهنّ حرّضن على حرب أو معركة مع أحد أعداء الأندلس فأدت إلى غنائم كثيرة أو خسائر لا تُحصى، وعلى الرغم من أني لم أجد أخباراً مماثلة لما ذكرته إلا أن هذا لا يُثبت أنهنّ لم يُشاركن أو يؤثرن في قرارات مصيرية، فمن يدري ماذا أباح الخليفة لمحظيته في خلوتهما معاً وبماذا أشارت عليه؟

2- مؤامرات الجواري

لم تكتفِ الجواري بالنفوذ السياسي فحسب؛ فقد رغبن في استمرار سيطرتهن وتولية أبنائهن أولياء للعهد وخلفاء مُقبلين، مما فتح باب التنازع بين الأخوة من أبناء الجواري وأبناء الحرائر، وعلى الرغم من أن بني أمية لم يعهدوا استخلاف أبناء الجواري في المشرق[1]، إلا أنهم بايعوهم في الأندلس؛ فقد قامت الجواري أمهات الأولاد بتدبير المؤامرات لنقل ولاية العهد لأبنائهن أو لتصفية حسابات شخصية أو لإثارة الفتن.

أ- مؤامرات الجواري لاستخلاف أبنائهن

وكانت أغلبية مؤامرات أمهات الأولاد تهدف إلى تولية أبنائهن ولاية العهد، ومؤامرة **طَرُوب** أشهر مؤامرات أمهات الأولاد؛ فقد استمالت فتيان القصر وخصيانه لجانبها وجانب ابنها عبد الله المستهتر المنغمس في اللذات[2]، كما تآمرت مع نصر الخصي كي يُقنع الأمير عبد الرّحمن وكلّ من في القصر بتولية ابنها[3].

---

[1] – كان بنو أمية يَرَون أن زوال ملكهم على يد ابن أم ولد. انظر ابن عبد ربّه، العِقْد الفَريد، 131/6.

[2]– انظر ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، 92، ابن سَعيد، المغرب، 52/1.

[3]– انظر ابن حيَّان، المُقتبس، 8.

وأخذ الأمير _في آخر أيامه_ يميل لتولية ابنه محمد ، فقرَّر نصر القيامَ بمجازفة أخيرة وحاول أن يدس السُّم للأمير عبد الرّحمن، فطلب من الطبيب الحرَّانيّ[1] أن يعدّ له سُمّاً على أنــه دواء شاف، إلاّ أنّ الحرَّانيّ سرّب خبر السُّمِّ _مع إحدى الجواري_ إلى **فَخْر** محظيــة الأميــر ومُنافِسة **طَرُوب**، وحذّرها من أي شراب يحضره نصر[2]، فلما أخذ الشراب للأمير أمره الأميــر بشربه فشربه وخرج للحرَّانيّ فأشار عليه بلبن المَعِز إلا أن نصراً توفي قبل وصول اللبن.[3]

وعلى الرغم من أن **طَرُوب** لم تشارك نصراً في مؤامرته، وربَّما لم تعرف بتدبيره لهــا أو أنها عرفت ولم تُطلع أحداً إلا أنها في النهاية خسرت حليفاً قوياً، ولكنها لم تيأس، وحاولــت استغلال وفاة الأمير بتنصيب ابنها حاكماً على الأندلس إلا أن محاولاتها باءت بالفشل ثانية؛ فقد اجتمع أكابر الفتيان الصقالبة في القصر بعد موت الخليفة وأغلقوا أبواب القصر وكتمــوا خبــر موت سيدهم ليختاروا خليفة جديداً لمبايعته، فلما تشاوروا بينهم كان جوابهم واحداً "سيدنا وابــن سيدتنا المربية لنا والمحسنة إلينا" [4] إلا أن كبيرهم[5] رجّح الأمير محمد بن عبد الرّحمن لرجاحة عقله وحُسن سيرته[6]، فقاموا بإحضاره من منزله على ظهر بغلة متنكراً بزي فتاة، فدخل القصر بعد تمنُّع[7]، وتم له الأمر وذهبت مؤامرات **طَرُوب** أدراج الرياح.

---

[1] – هو يونس بن أحمد الحرَّانيّ الطبيب، قدم من المشرق أيام الأمير محمد بن عبد الــرّحمن، اشتهر بمعجونه الذي باعه في الأندلس وعُرف باسم المغيث الكبير. انظر ابن جلجــل، طبقــات الأطباء والحكماء، 93، ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، 1/ 486-487.

[2] – انظر ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس ، 91 ، ابن حيَّان، المُقتبس، 10.

[3] – انظر ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، 91، ابن حيَّان، المُقتبس، 10-11، ابن سَــعيد، المغرب، 49/1.

[4] – انظر ابن القوطية. تاريخ افتتاح الأندلس ،91-92، ابن حيَّان، المُقتبس، 111 .

[5] – هو حبيب الصقلبيّ وكناه ابن القوطية بأبي المُفرِّج، من فتيان بني أمية، كان من أهل الأدب والفهم والزهد، حجّ إلى مكة وعلا شأنه بين الفتيان، وله كتاب تعــصّب فيــه للــصقالبة ســماه الاستظهار والمغالبة على من أنكر فضل الصقالبة، انظر ابن القوطية، تاريخ افتتــاح الأنــدلس، 92، ابن حيَّان، المُقتبس، 108، ابن الأبَّار، التَّكمِلة، 299/1.

[6] – ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، 92، ابن حيَّان، المُقتبس، 112.

[7] – انظر ابن سَعيد، المغرب، 51/1.

ومن الجَدير بالذِّكر أن **طَرُوب** وافقت على تولية محمد بدلاً من ابنها عبد الله، وقد يرجع هذا إلى استسلامها للأمر الواقع أو لأنها أيقنت أن ابنهـا اللاهـي العابـث لا يـصلح لإمـارة المسلمين في الأندلس.

ولم تنتهِ جميع مؤامرات الجواري لتولية أبنائهن بالفشل، فقد نجحت **صُـبْح البَشْكَنْـسيَّة** في إقناع الحكم أن يُعطي ابنه الوحيد هشام المؤيد ولاية العهد بدلاً مـن أخيـه المغيـرة، كمـا استمرت مؤامراتها مع المنصور بن أبي عامر كي تُدعِّم حكم ابنها بعد وفاة الحكم، فوافقته على التخلص من الفتيان الصقالبة وجعفر المصحفي[1] ظناً منها أنها تقوي حكم ابنها وترسِّخه، إلا أنها كانت توسِّع نفوذ ابن أبي عامر على حساب حكم ابنها، وتفتح على نفسها باب القيل والقال؛ فقد تغزل بعض شعراء قُرْطُبَة بها، وغنته إحدى الجواري أمام المنصور كي يشتريها فأمر بقتلها[2].

وكانت نتيجة مؤامرة **صُبْح** لتولية ابنها العهد أن تمّت توليتـه حقـاً، إلا أن المنـصور _حاكم الأندلس الحقيقي _ ملك زمام الأمور كافّة، ولم يكتف بعزل هشام عن الناس فحسب؛ بل أمّن نفسه ضد أي محاولة من هشام للانقلاب عليه[3] وذلك بالتأثير في نشأته ونفـسيته حتـى إن ابن سَعيد ذكر أنه: "نشأ جامد الحركة، أخرس الشمائل، لا يشك المتفرِّس فيه أنه نفـسُ حمـار في صورة آدمي، وعَشِقَ في صباه نباح كلب فجعل الغلمان يَهيجونه، حتى ينبح، ليلتذَّ بذلك" [4].

أما ابن عِذَاري فذكر أن هشاماً انقطع للعبادة وقراءة القرآن الكريم والاهتمام بـالعلوم[5]، وأرجِّحُ أن تناقض الروايات حول هشام يعود لانعزاله عن الناس الذين نسجوا قصصاً خياليـة حوله، أما هو فإني أراه شابّاً عاجزاً أمام قوة المنصور ودهائه الذي قبض على الأندلس بقبضة حديدية وحمى ثغورها وأرهب أعداءها، وأعتقد أن الخوف من قوة المنصور جعلتـه ينـزوي

---

[1] – انظر ابن سَعيد، المغرب، 202/1، المقَّري، النَّفح، 382/1.
[2] – انظر ابن حَزم، رسائله، 147/1.
[3] – انظر ابن عِذَاري، البيانُ المُغرِب، 273/2 .
[4] – المغرب، 194/1.
[5] – انظر البيانُ المُغرِب، 253/2.

ويصبح غير مبالٍ بحال الأندلس، ذلك أنه لما أنّبته **صُبْح** قائلة: "أما ترى ما يصنع هذا الكلــب؟ قال: دعيه ينبح لنا ولا ينبح علينا" [1].

وأدت مؤامرة **صُبْح** إلى تنحية الأمويين جانباً، ومهّدت الطريق أمام العــامريين الــذين أوصلهم المنصور إلى حكم الأندلس، ولما توفي المنصور خلفه ابنه عبد الملك من زوجته الحرة الذلفاء، وخاض عبد الملك صراعاً عنيفاً مع أخيه عبد الرّحمن الملقب بشنجول[2]، ويقول وائــل أبو صالح إن عبدة أم شنجول قامت بإضرام نار الكراهية بين الأخوة وختمتها بتــشجيع ابنهــا على دس السُّم لأخيه بُغية التخلص منه[3] وقد وثّق ما نقل من ابن عِذَاري، وبعد عودتي للكتــاب نفسه وجدت ابن عِذَاري ينقل خبر موت عبد الملك ويورد إشاعة مفادها أن شنجول دسَّ له السم عن طريق خادم، ولم يشر إلى أيّ دور لأم شنجول حتى إنه لم يأت على ذكرهــا. وعلــى أي حال فقد أصبح شنجول الحاكم المطلق على الأندلس[4].

ومن الجَدير بالذِّكر أن الذلفاء حرّضت الأمويين علــى شــنجول والعــامريين كافــة[5]، ووعدتهم بمالها إذا ما أخذوا ثأر ابنها القتيل وانتقموا له[6]؛ وقد أدى هذا الصراع الجديد إلى فتنة كبيرة استمرت إحدى وعشرين سنة دُمِّرت فيها الأندلس وفقد أهلها حلاوة العيش.

واكتظّ عصر الطَّوائف بالصِّراعات السِّياسيَّة، وعلى الرغم من كثرة الجواري ونفوذهن على أسيادهن وتأثيرهن فيهم إلا أني لم أجد مؤامرات بحجم المؤامرات السابقة! وقد يعود هــذا إلى أن الإمارات الأندلسيّة أصبحت محصورة في عائلات محددة وبين أفــراد قلــة يحــاولون الحفاظ على ذاتهم وسط صراعات خارجية وأخرى داخلية.

---

[1]- ابن سَعيد، المغرب، 195/1.

[2]- لقَّبَته أمُّه بهذا اللَّقب نِسبةً لأبيها شانجة النصراني تذكُّراً منها له. انظر ابن عِذَاري، البيــانُ المُغرِب، 38/3.

[3]- انظر الجواري في الأندلس، 62.

[4]- انظر ابن عِذَاري، البيانُ المُغرِب، 36/3-37.

[5]- انظر ابن الأبَّار، الحُلّة السِّيَراء،271/1، ابن عِذَاري، البيانُ المُغرِب، 52/3-53.

[6]- انظر ابن عِذَاري، البيانُ المُغرِب، 62/3-63.

أمّا المُرابِطون والمُوحِّدون فذكرت أنهم استبعدوا الجواري عن الحياة السِّياسيَّة ويبدو أنه لم يكن استبعاداً فحسب بل توقيفاً لأي تأثير سياسي لهن، إلا أن وائل أبو صالح يرى أن الجواري هنّ السبب المباشر في ضعف المرابطين[1]، واعتمد في استنتاجه هذا على ما أورده عبد الواحد المرَّاكشي من أن نساء لمتونة ومسوفة استولين على الأحوال في الأندلس.[2]

وأعتقد أن عبد الواحد المرَّاكِشي بخبره هذا يريد أن يلقى اللوم على قادة المرابطين وأكابرهم، فقد استبدوا وظلموا وأخذ كلٌّ منهم يدعو لنفسه لاعتقاده أنه أحق بولاية الأمر من الأمير علي بن يوسف بن تاشفين[3]، ونتيجة لهذه الفوضى تسلّمت النّساء زمام الأمور، وعمّ الفساد و انتشر[4]، كما أن عبد الواحد المرَّاكِشي لم يذكر الجواري وإنما نساء لمتونة ومسوفة وليس هناك ما يقطع أنهن من الجواري، وربَّما لجأ إلى تخمينه هذا مدفوعاً برواية عبد الواحد المرَّاكِشي من أن هؤلاء النّساء رافقن كل مفسد وصاحب خمر وماخور، ومن الجَدير بالذِّكر أن نساء مسوفة اللواتي لم يحتشمن ولم يحتجبن من الرجال كان لهن أصدقاء وأصحاب من رجال قبيلتهن[5].

أما أيام الأندلس الأخيرة فحاكت فيها **مريم** جارية أبي الحجاج يوسف بن نصر مؤامرتها كي تنقل ولاية العهد من محمد ابن ضرتها الجارية **بُثَيْنَة** إلى ابنها إسماعيل، ولتحقق مبتغاها قامت بالتآمر مع زوج ابنتها البرميخو، وأشعلت نار الحقد في صدر إسماعيل الذي كان حانقاً على أخيه لأنه تزوج ابنة عمه التي كان يحبها ويريدها لنفسه، إلا أن محاولتها فشلت وآل الحكم لابن **بُثَيْنَة** محمد الخامس[6].

---

[1]- انظر الجواري في الأندلس، 68.

[2]- انظر المُعْجِب، 241.

[3] - هو أبو الحسن علي بن يوسف بن تاشفين، سجنه أبوه بالجزيرة الخضراء، وعندما مات أبوه وهو ابن ست عشرة سنة خرج من سجنه، أمُّه رومية تُسمى رياض الحسن، وهو شاب ذكيٌّ وقائد شجاع غزا بلاد الروم وعبر إلى الأندلس أربع مرات، وله حروب وصراعات عدّة مع المهدي بن تومرت وعبد المؤمن بن علي، لم يُشهَر موته إلا بعد ثلاثة أشهر من وفاته، واشتعلت الفتنة بعد وفاته سنة 537هـ. انظر مجهول، الحُلل الموشية، 84-102، 119-120.

[4]- انظر المُعْجِب، 241.

[5]- انظر الإدريسي، نُزهةُ المشتاق في اختراق الآفاق، 225/1.

[6]- انظر ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غَرْناطة، 163/1-164، نُفاضة الجراب، 14.

ولم تيأس **مـــريم** _ كسابقاتها من الجواري _ وظلّت تُحيك الدسائس حتـــى نجحـــت؛ إذ انقضَّ رجال حليفها البرميخو على قصر الحمراء وأقاموا ابنها إسماعيل حاكمـــاً مطلقـــاً علـــى غَرْناطَة، أما محمد الخامس فقد نجا لأنه سمع الضوضاء خارج جنَّة العريف، ففرّ علـــى ظهـــر حصانه إلى مدينة وادي آش[1] وانتقل بعدها إلى فاس[2].

وتبع هذه المؤامرة فتنة واضطراب، فقد بدأ إسماعيل حكمه بالقبض على أنصار أخيـــه محمد الخامس وزجهم في السجن، كما صادر أموالهم وممتلكاتهم واستصدر فتوى بتطليق زوجة أخيه واستحل لنفسه الزواج منها[3].

يظهر مما سبق أن الجواري أمهات الأولاد اللواتي أردن لأولادهن ولاية العهد لم يعملن وحدهنّ أبداً، فقد وجدن لأنفسهنّ حليفاً صاحب نفوذ وقوة لتحقيق غرضهن؛ فقد عملت **طَـــرُوب** مع نصر الخصي، و**صُبْح** مع المنصور بن أبي عامر، و**مريم** مع زوج ابنتها البرميخـــو، وقـــد عمل الطرفان مع بعضهما لتحقيق المصالح المشتركة التي جمعتهما.

وكان حُكم الأندلس هو المصلحة الأساسية التي جمعت بين أمهات الأولاد وحلفائهن، فأم الولد تسعى لتقليد ابنها مقاليد الحُكم بينما يهدف حليفها إلى تولية ابنها اللاهي الفاسد كـــي يحكـــم الأندلس ويسيطر على أهلها بطريقة غير مباشرة، ذلك أن أبناء الأمهـــات ســـابقي الـــذكر لـــم يشاركوا في مؤامرات أمهاتهم؛ لأن بعضهم كان لاهياً فاسداً كعبد الله ابن **طَـــرُوب**، أو صـــغيراً كهشام ابن **صُبْح**، أو بعيداً عن المساهمة العسكرية كإسماعيل ابن **مريم**.

ولأن مؤامرات أمهات الأولاد وقادتهن باءت بالفشل أو نجحت نجاحاً مؤقتاً مـــا عـــدا مؤامرة **صُبْح** والمنصور فإني أرجِّحُ أن ما جرى مع **صُبْح** هو نموذج لأي مؤامرة كان سيكتب لها النجاح؛ فلا أعتقد أن قائداً قوياً مثل نصر الخصي كان يقبل بولاية عبد الله المـــاجن، أو أن

---

[1] – وادي آش (Guadix): أو أش مدينة أندلسيّة من كورة إلْبيْرَة، وهي مدينـــة قريبـــة مـــن غَرْناطَة، تنحدر إليها أنهار من جبل شلير في الشرق، ولها نهر صغير دائم الجريـــان. انظـــر الإدريسي، نُزهةُ المشتاق فـــي اختـــراق الآفـــاق، 567/2، يـــاقوت، مُعجَـــم البُلـــدان، 198/1، الحِمْيَري، الرَّوض المعطار، 604.

[2] – انظر ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غَرْناطَة، 1-163، نُفاضة الجراب، 14-15.

[3] – انظر ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غَرْناطَة، 164/1، نُفاضة الجراب، 14-15.

البرميخو كان ليعيش تحت راية إسماعيل، وأرجح أن كليهما أرادا تحقيق أهدافهما الخاصة وذلك بأن يولوا ابن الجارية العابث الضعيف ثم يخلعوه في أقرب فرصة أو يُقصوه عن الحكم كما فعل المنصور بهشام المؤيد.

ب- مؤامرات انتقاميّة

ولم تكتفِ الجواري بمؤامرات ليستولين على ولاية العهد لأولادهن؛ فقد عملن على تنفيذ مؤامرات لتسوية حسابات شخصية، وقد صُبغت هذه المؤامرات بصبغة سياسية لأنها دارت في قصور حكام الأندلس أو لأنها دارت بين أشخاص يتمتعون بقوة سياسية في الأندلس، وقد بدأن هذا النوع من المؤامرات منذ دخول المسلمين الأندلس، فقد ذُكر أنه لما ملك مغيث الرّوميّ[1] قُرْطُبَة وحصل على كل ما فيها من ملك وسراري لاحظ أن فيهن جارية تُكثر التعرض له فشكّ في أمرها، ووكّل من توعدها بالعذاب إن لم تعترف، فأقرَّت بأنها أعدت خرقة مسمومة لتمسح بها عضوه عند وقاعها[2].

أما عن **صُبْح** التي لم تعرف للهدوء والطمأنينة طعماً إثر سيطرة المنصور على حُكم ابنها فقد استمرت في مؤامراتها بعد أن تضاربت مصالحها مع مصالح المنصور شريكها القديم، ذلك أنها حمّلت خدمها الصقالبة ثمانين ألف دينار على هيئة مائة كوز من الذهب والفضة، وموّهتها بالشهد والأصباغ، وبهذا فقد أبعدت أية فرصة للشك فيما تُخرجه وراء أسوار القصر، إلا أن المنصور وضع يده على المال وأخرج خمسة آلاف ألف دينار من القصر[3].

---

[1]- هو مغيث بن الحارث بن الحويرث الغساني، سُبي من الروم وهو صغير فأدبه عبد الملك ابن مروان مع ولده الوليد، نشأ مغيث بدمشق ودخل الأندلس مع طارق بن زياد. انظر مجهول، أخبار مجموعة، 19-23، 35-39، المقَّري، النّفح، 4/9-11.

[2]- انظر، المقَّري، النّفح ، 4/10.

[3] - انظر ابن سَعيد، المغرب، 1/201، المقَّري، النّفح، 4/80.

وقامت جارية أخرى بمؤامرة غريبة وصفها سعد شلبي بالحادثة الغريبة وعدّها مطعناً طُعن به تاريخ ملوك الطّوائف[1]؛ ألا وهي حادثة هروب جارية المأمون بن المُعتَمد التي حرّرها وتزوّجها، وقد فرّت مع أولادها إلى قَشْتالة[2] وارتدّت عن الإسلام، وتزوَّجت ألفونسو السادس[3]، وأنجبت له شانجة[4] ابنه الوحيد[5] ، وهذه فتنة أكبر من أي فتنة سابقة ذُكرت فقد كانت فتنة سياسية ودينية معاً، قامت فيها هذه الجارية بإيذاء ديارها ودينها معاً.

3- إخلاص الجواري

ويتوقع القارئ لكل ما مرّ من حديث حول مؤامرات الجواري وفتنهنّ أنهن مجرد عنصر نسوي خلا من أي معنى للإخلاص أو القلق على مستقبل الشعب الأندلسي، إلا أن الروايات والأخبار حفظت لنا بعض النماذج التي دلّت على إخلاص بعض الجواري وحفاظهن

---

[1]- انظر سعد شلبي، البيئة الأندلسيّة وأثرها في الشِّعر، 423.

[2] – قَشْتالة (Castilla): عمل من الأعمال الأندلسيّة، قيل: ما خلف الجبل المسمى الشّارات في جهة الجنوب يُسمّى إشبانيا، وما خلف الجبل من جهة الشمال يسمى قَشْتالة. انظر الحِمْيَري، الرَّوض المعطار، 483، البغدادي، مراصدُ الاطِّلاع، 1094.

[3] – هو ألفونسو السادس (Alfonso VI) أو أَلفُونْسُ وَيُنْطَق أَلفُونْسُو وَأذفونشُ وَأَذْفُنْش وَهُوَ ابن فرذلند، مَلِك قَشْتالة وليون؛ استولى هو وأبوه على إشْبِيلْيَة وَقُرْطُبَة وَمُرْسِيَة وَطُلَيْطُلَة وغيرها، وَمن أشهر المعارك التي يرد فيها ذكره موقعة الزّلاّقة سَنَة 479هـ، انْتَصَرَ المُسْلِمون فيها وَهرب أَلفُونْسُ، وَغالبا ما كان يوصف بالطاغية لكثرة تصادمه مَعَ المُسْلمين فِي حروبهم. وَكان ملوك الطّوائف يصالحونه وَيؤدون إليه ضريبة، ثار عليه ولده شانجة ثُمَّ ملك بعده، توفي سنة 502 هـ. انظر ابن الأبَّار، الحُلَّة السِّيَراء، 2 /249، ابن عِذَاري، البيانُ المُغرِب، 4/50–52، ابن خلكان، وَفَيات الأعْيان، 5/27 – 29، 7/116 – 128، ابن سَعيد، المغرب، 2/ 13، 23،ابن الخطيب، اللمحة البدرية، 56، المقَّري، النَّفح، 6 / 120 – 147.

[4] – هو شانجة الأول (Don Sancho) ملك البرتغال، من أعظم ملوك الفرنجة وأمنعهم، توفي سنة 608هـ. انظر ابن عبد الواحد الشيباني، الكامل، 7/474، عبد الواحد المرَّاكشي، المُعْجِب، 400.

[5] – انظر ابن عِذَاري، البيانُ المُغرِب، 4/50.

على أسيادهن بتدخلاتهن العسكرية لا السِّياسيَّة فحسب، منهن **أميمة** الكاتبة التي سهرت على حراسة سيدها هشام المؤيد إثر خلع محمد بن هشام[1] له[2].

كما أن ثلاث عشرة جارية خرجن مع محمد بن هشام لما هرب وطُورد في قُرْطُبَة، فأيّدنه ووقفن إلى جانبه حتى أُخذن عنوة و سُلِّمن إلى الخليفة الجديد[3].

ويبدو أن ما تقدم كان مجرد تمهيد كي تأخذ الجارية في الأندلس دوراً عسكرياً أكبر و أوضح تجلى أيام المرابطين عندما قامت **عجب** جارية لب بن موسى[4] و زوجته بالاعتصام في حصن أَرْنيْط[5]، عندما حاصرها إخوة زوجها بهدف الاستيلاء على الحصن، فرفضت تسليم الحصن إلا أنها اضطرت لتسليمه والاستسلام فيما بعد مقابل إطلاق سراح زوجها المُهدّد بالقتل[6] .

---

[1] – هو أبو الوليد محمد بن هشام بن عبد الجبار بن عبد الرّحمن النَّاصر، أمه أم ولد اسمها مزنة ولقبها كباره وتُعرف بالعرجاء لخلع كان بها، ثار على عبد الرّحمن بن أبي عامر فقتله وخلع هشاماً المؤيد سنة 399هـ، وتلقّب بالمهدي، قام عليه البربر بقيادة هشام بن سليمان ثم سليمان بن الحكم إلا أنه تمكن من هزيمتهما وقتلهما، ثم انقض عليه العبيد مع واضح الصقلبي فقتلوه وهو في الرابعة والثلاثين سنة 400هـ. انظر عبد الواحد المرّاكشي، المُعْجِب، 88، ابن الأبَّار، الحُلّة السِّيَراء، 2/5-7، ابن عِذَاري، البيانُ المُغرِب، 3/50-51، المَقَّري، النّفح، 1/408-409.

[2] – انظر ابن الأبَّار، التَّكمِلة، 4/250.

[3] – انظر ابن عِذَاري، البيانُ المُغرِب، 3/92.

[4] – لب بن موسى: لم أجد له ترجمة في المصادر المتوفرة، وجدت ترجمة لوهب بن لب بن موسى، كان حاكماً في ثغور بلنسية، توفي فيها سنة 560هـ. انظر ابن الأبَّار، التَّكمِلَة، 4/156.

[5] – أرنيط (Arnedo): مدينة شرق الأندلس من أعمال تُطيلة، تُطلُّ على أرض العُدْوة، وبينها وبين تُطيلة ثلاثون ميلاً وبينها وبين سَرَقُسْطَة ثمانون ميلاً. انظر ياقوت، مُعجَم البُلدان، 1/162، الحِمْيَري، الرَّوض المِعطار، 27.

[6] – انظر فائزة حمزة عباس، دور المرأة الأندلسيّة في الحياة العامة من الفتح حتى نهاية الخلافة الأموية، ص 165 ، رسالة ماجستير، جامعة الموصل، 1989، نقلاً عن العذري، نصوص عن الأندلس من كتاب ترصيع الأخبار، 31-32.

الفصل الرّابع

الجواري
في
الحياة الاقتصاديَّة

ذكرت في الفصول السابقة أعداداً كبيرة من الجـواري اللـواتي أثّـرن فـي الحيـاة الاجتماعيَّة والثَّقافيَّة والسِّياسيَّة في الأندلس، ولكن المجتمع الأندلسي ضمّ أعداداً أكبر بكثير مـن الجواري اللواتي ذكرتهنَّ، فقد دخلن الأندلس سبايا حرب وفي قوافل الرقيق العابرة أو بـضاعة يُرجى بيعها في أسواق الأندلس، وعُرض في هذه الأسواق الكثير مـن الجـواري المتعـددات الأجناس والألوان، وكان إقبال الأندلسيين على الجواري الصَّقلبيات أكثر من غيـرهن[1]، إلا أن شراءهن أو شراء غيرهن من الجواري لم يكن بالعملية السهلة؛ واجتهدت في اسـتنتاج عمليـة شراء أية جارية وخرجت بأن شراءها مرَّ بمراحل متعددة وطويلـة: أولهـا اختيـار الجاريـة والتعرُّف إلى ملكاتها والتأكد من خلوها من العيوب، وثانيها الاتفاق على سعرها وكتابـة عقـد البيع والشراء، وثالثها اصطحاب الجارية إلى المنزل وتعريفها بالقهرمانة[2] إن وُجدت.

ويبدو أن ارتفاع أثمان بعض الجواري وعدم سهولة شرائهن، جعل منهنّ هـدايا قيّمـة يتهادى بها عِلية القوم أو يهدونها لمن هم أقل منزلة، وعلى الرغم من أن الجارية بـضاعة قـد تتحول إلى هدية في أية لحظة، إلا أن هذا لم يمنع بعض السادة من تقديم الهدايا الغريبة والثمينة لهنَّ لإسعادهن ونيل رضاهن.

1- تجارة الجواري

عجّت المدن الأندلسيّة بتُجّار استغلوا حاجة الأندلس لجوارٍ أتقنّ الثقافة العربيَّة المشرقيّة من جهة، وتُجّار أفادوا من موقعها في أوروبا وطرقها مع المشرق، فوصلت بضاعتهم الأندلس ونزلت في مدنها التي تخصّص بعضها بأنواع من الجـواري؛ فتخصّـصت قُرْطُبَـة بتجـارة

---

[1]- انظر ابن حوقل، صورة الأرض، 110/1.

[2] – القَهْرَمانة: امرأة وربَّما كانت جارية، تقوم بإحصاء كل ما تحضره الجاريـة مـن ملابـس وحليّ ومتاع معها إلى بيت مالكها الجديد، ثم تكتبه وتُبيّن عدد أغراض الجارية وتصفها ثم تقدّم القائمة إلى المالك، وقد يحوي القصر أكثر من قهرمانة، انظر ابن حيَّان، المُقتبس، 218.

الجواري المغنيات[1] حتى إن أبا الوليد ابن جهور[2] أمير قُرْطُبَة تلقى ثلاث رسائل في يوم واحد من أمراء يطلبون جواري موسيقيات[3].

وبدأت الأندلس تصدير ما لديها من سبي إلى مصر وحتى أقاصي خُراسَان، وكان سبي الفرنجة وجلّيقيّة وخصيان الصقالبة أشهر ما صدرته الأندلس من رقيق [4]، بالإضافة إلى الجواري الروميات والأندلسيَّات[5].

وعلى الرغم من أن الأندلس امتلأت بهذا العدد الهائل من الجواري حتى قامت بتصديره، إلا أنها عانت من أزمة الرقيق التي سادت في القرن الرابع الهجري، حتى إن رسول المظفر بن الأفطس[6] لم يجد في قُرْطُبَة جارية يشتريها كي يأنس سيده إليها، ووجد صبيتين لا طائل منهما بعد جهد وعناء فاضطر لشرائهما[7].

---

[1]- انظر هنري بيريس، الشعر الأندلسي في عصر الطّوائف، 340.

[2] – هو أبو الوليد محمد بن جهور ملك قُرْطُبَة، وُلي قُرْطُبَة بعد وفاة أبيه سنة 435هـ وسمّي الرشيد، عُرف بالمروءة والحسب وحذا حذو أبيه في السياسة وحُسن التدبير، وسعى في الصلح بين المعتضد وابن الأفطس، توفي بعد أن قبض عليه المُعتَمد بن عباد سنة 443هـ. انظر عبد الواحد المرّاكشي، المُعْجِب، 60/1، ابن الأبّار، الحُلّة السِّيَراء، 2/ 34، 181–182، ابن عِذَاري، البيانُ المُغرِب، 232/3–234.

[3]– انظر ابن عِذَاري، البيانُ المُغرِب،250/3.

[4]– انظر ابن حوقل، صورة الأرض، 1/ 110.

[5]– انظر ابن خُرْدَاذبَة، المسالك والممالك، 92.

[6] – هو المُظفَّر أبو بكر محمد بن عبد الله بن مسلمة ابن الأفطس، مَلَك بَطَلْيَوْس ومارِدَة، وكان شاعراً أديباً وعالماً وبطلاً شجاعاً، ألّف كتاب "المظفّري" الذي حوى أخباراً وسيراً وآداباً متخيَّرة ونكتاً بديعة في نحو خمسين مجلّداً، خاض حروباً عدّة مع ابن عبّاد وابن ذي النون والروم. انظر ابن خاقان، قلائد العِقيَان، 249/1–250، ابن بسَّام، الذّخيرَة، ق2 م640/2–646، ابن عِذَاري، البيانُ المُغرِب، 236/3–237، ابن خلكان، وَفَيات الأعْيان، 123/7، المَقَّري، النّفح، 159/4، 340.

[7]– انظر ابن عِذَاري، البيانُ المُغرِب، 212/3.

وكان اليهود أهم من يقوم بهذه التجارة ويسافرون من المشرق إلى المغرب ومن المغرب إلى المشرق براً وبحراً، كما أتقنوا العربيَّة والفارسية والرومية والإفرنجية والأندلسيّة والصقلبيّة[1].

ويبدو أن أعداد الجواري وكثرتهنّ أتاحت لكل أندلسيّ _ قادر على شرائهنَّ _ أن يختار جارية أحلامه من بين الألوان والأجناس المتعددة التي ملأت الأندلس، ويبدو أن معظم الأندلسيين ابتعدوا عن الجواري الجليقيات لما اتّصفن به من غدر وخيانة[2]، وفضلوا عليهن الجواري الصقلبيات[3]، ويرى ليفي بروفنسال أن مدلول الصقالبة عند بعض المؤرخين لم يقتصر على سكان البحر الأسود فحسب، وإنما شمل أجناساً أخرى من البلاد المجاورة للأندلس وهم أهل غسقونية[4] ولنكدوك[5] في فرنسا بالإضافة إلى الإسبان، وذلك لميل الأندلسيين لشقرة شعورهن

---

[1]– انظر ابن خُرْدَاذبَة، المسالك والممالك، 153.

[2]– انظر الحِمْيَري، الرَّوض المعطار، 169.

[3]– انظر ابن حوقل، صورة الأرض، 110/1.

[4] – غسقونية أو غاسكونيا (Gascogne) : منطقة تاريخية في الجزء الجنوبي الغربي من فرنسا، ينحدر اسمها من الاسم اللاتيني Vasconia، خضعت لحكم الرومان ثم القوط وتلاهم الفرانكيون فالباسكيون، ثم أضحت إمارة مستقلة خاضعة للدوقات الذين تنازعوا عليها فيما بينهم، واستولى عليها الإنجليز في القرن الـ 12م حتى القرن الـ 15م فكانت ساحة لحرب الأعوام المائة، ثم أصبحت جزءاً من الجمهورية الفرنسية، أشير إليها باسم غشكونية عند الإدريسي، نُزهةُ المشتاق في اختراق الآفاق، 735/2، وابن خلدون، المُقدِّمة، 67/1. انظر منير البعلبكي، موسوعة المورد، 194/4.

[5] – لنكدوك أو لانغدوك (Languedoc) : منطقة تاريخية في الجزء الجنوبي الغربي من فرنسا، اسمها مشتق من لهجتها البروفنشالية الفرنسية المعروفة بلغة أوك " langue d'oc " التي كان يُنطق بها في جنوب فرنسا خلال القرون الوسطى وهي لهجة في حُكم المنقرضة اليوم، خضعت للإمبراطورية الرومانية ثم فتحها المسلمون في القرن الـ8 الميلادي، وبعد خمسين سنة استولى عليها الحكام الفرنسيون الذين تعاقبوا على حكمها كما تعرّضت لدمار شبه كامل في القرن الـ13 الميلادي ثمّ ضُمت لملك فرنسا. انظر منير البعلبكي، موسوعة المورد، 88/6.

وبياض ألوانهن، بالإضافة لعدم قدرتهن على التحدث بالعربيَّة؛ لذا فقد ارتفعت أسعار الجــواري الصّقلبيات تِبعاً لزيادة الطلب عليهن[1].

وعلى الرغم من أن بروفنسال يرى أنّ الأندلسيين فضّلوا الجواري اللواتي لا يتحــدّثن العربيَّة، إلاّ أن الروايات والأخبار _التي ذكرتها سابقاً_ تدلُّ على أن الجواري اللــواتي أتقــن العربيَّة وثقفنها وأجدن الشعر واللغة كنّ مطلب كل أندلسي، ولكن لم يحظ بأمثالهن إلا الأغنيــاء لارتفاع أسعارهن، ومن الطبيعي لأية جارية أو شخص يدخل المجتمع الأندلسي أن يتعلّم اللغــة العربيَّة عاجلاً أم آجلاً؛ فهو يحيا بين أهلها كما أنها اللغة الرسمية والعلمية والأدبية في الدولــة، أمّا إتقان العربيَّة ومعرفة علومها وآدابها فهو رَهْن بالجارية وسيدها، فربَّما سعت الجارية إلــى التعلُّم والقراءة أو أن سيدها علّمها وأدبها إما بنفسه أو بإحضار معلمين لها إن كانت لدية القدرة المالية على ذلك.

2- مراحل شراء الجارية

لم تقتصر متطلبات الأندلسيين على صفات الجواري وعلومهنّ فحسب؛ فقد كــان لهــم متطلبات ومعايير في التاجر الذي سيشترون منه الجارية ويدفعون له المال، لذا بحثوا عن تاجر أمين عفيف عادل، كما كان على الأندلسي الراغب في شراء جارية التأكد أن التاجر مصدر ثقة حتى لا يشتري جارية حرَّة أو مسروقة أو فيها أي عيب فتضيع نقوده هباءً [2].

وعلى المشتري أن يتأكد من خلو الجارية من العيوب؛ فتجار الرقيق على استعداد للقيام بأية حيلة تُحقق لهم الكسب الوفير، وقد اتبعوا الكثير من الحيل والغش كتغييــر لــون البــشرة

---

[1]- انظر تاريخ إسبانيا المسلمة، 3/71-76.

[2]- انظر القرشي، معالم القربة، 152-153.

وتطويل الشعر، وتسمين الأطراف وتنعيمها، وإزالة العيوب وغيرها من الحِيل التي ذُكرت في رسائل شراء العبيد[1].

إلا إني لم أعثر على أية رسالة أندلسيّة تتناول شراء الجواري أوتتحدث عن أنواعهن وأجناسهن فيما وقع بين يدي من مصادر، غير أني وجدت خبراً أندلسياً تحدّث عن حيلة طريفة قام بها تاجر أندلسي في رجل من أهل إلْبيْرَة[2]، فقد اشترى إلبيريّ جارية أعجمية رائعة الجمال على أنها جارية أعجمية لا علم لها بأرض الأندلس أو بلغة أهلها، وألبسها ثوب حرير كنساء ملوك العجم، وحملها على ظهر بغلة، ولم تتوقف الجارية طوال الطريق عن القيام بإشارات تدلُّ على دهشتها وإعجابها بكل ما تراه، ولما وصلوا إلْبيْرَة دخلها الإلبيريّ وطلب من الجارية أن تنتظر مع غلامه خارج المدينة حتى يحلَّ الليل، ولما حلَّ الظلام دخل الغلام والجارية المدينة فالتقيا برجل مُسنٍ عُرف بعبثه ومجونه في الماضي، وعندما رأته الجارية قالت بعربية متقنة : "الشيخ السوء يعيش" فردّ قائلاً: "فلانة أو قد جيت!" فتعجب الغلام من كلامها وفصاحة لسانها، ولما وصلا بيت سيده أخبره بما سمع، فجُن جنون سيده وأرسل يستقصي عن أخبار الجارية فقيل له: " فلانة الشاطرة[3] خدينة[4] الخلطيّين[5] وصاحبة الفتّاك المنقطعين!"، فأخذ يفكر في التخلّص منها دون أن يخسر نقوده فلما أحست بما يضمر قالت له: " لا عليك مما نهي إليك! إن

---

[1]– انظر رسالة جامعة لفنون نافعة في شري الرقيق وتقليب العبيد لابن بطلان، ورسالة القول السديد في اختيار الإماء والعبيد للعنتابي الأمشاطي، ورسالة هداية المريد في تقليب العبيد لمحمد الغزالي.

[2] –إلْبيْرَة (Elvira): بُليدة أندلسية قريبة من ساحل البحر، ولها مرسى ترسي فيه السفن ما بين مُرْسيَة والمَريَّة، وحولها أنهار كثيرة، ، وبين إلْبيْرَة و غَرْناطَة ستة أميال، ومدينة إلْبيْرَة بين القبلة والشرق من قُرْطُبَة. انظر ياقوت، مُعجَم البُلدان، 526/1، القزويني، آثار البلاد، 502، الحِميَري، الرَّوض المعطار، 28.

[3] – شاطر: ماهر حاذق. دوزي، تكملة المعاجم العربيّة، مادة (شطر) 310/6.

[4]– خدينة: الخِدْنُ و الخَدين: الصديق، وفي المحكم الصاحب المُحَدِّث والجمع أخْدَان و خُدْناء و الخِدْنُ والخَدين: الذي يُخَادِنُكَ فيكون معك في كل أمر ظاهر وباطن. ابن منظور، لسان العرب، مادة (خدن) 139/13.

[5] – الخلطيّين: خَلِيْط و خُلَيْطَى و خُلَّيْطَى أي أوباش مجتمعون مختلطون. ابن منظور، لسان العرب، مادة (خلط) 291/7.

كنت تخاف على مالك احملني إلى المَرِيَّة تأخذ الزائد على ما وزنت!"، ففعل ما أشارت عليـــه، واحتال بالحيلة نفسها التي جرت عليه فباعها بسعر أكبر مما دفعه فيها[1].

وبعد أن يُحدّد الراغب في اقتناء جارية معاييره ومتطلباته فيها، ويختار تاجراً يثق بـــه، ويتأكد من خلو الجارية من العيوب، عليه أن يساوم على السعر ذلك أن " الرقيق تجـــارةٌ مـــن التجارات تقع عليه المساوماتُ والمشاراة بالثّمن، ويحتاج البائع والمبتاع إلى أن يستشفّا العِلــق[2] ويتأملاه تأمُّلاً بيّناً يجب فيه خيار الرؤية المشترطُ في جميع البِياعات، وإن كان لا يُعرف مبلغه بكيلٍ ولا وزنٍ ولا عددٍ ولا مساحة؛ فقد يُعرف بالحسن والقبح" [3].

ولاشكّ أن ثمن الجارية اعتمد على جنسها وجمالها والعلوم التي تعرفهـــا، والمهـــارات التي تُتقنها، فكلما ازداد علم الجارية وجمالها ازداد سعرها، ويبدو أن تجار الرقيق استغلوا ميـــل الأندلسيين لشراء جوارٍ مثقفات على دراية بالعلوم المختلفة والغناء والعزف والـــرّقص فرفعـــوا أسعارهن، وربَّما ابتاع التاجر الجارية بمائة دينار ثم باعها بألف دينار بعد أن يُعلِّمها ويـــصقل مواهبها فيحقق بهذا مكاسب كبيرة، فقد كان لابن الكتانيّ جارية لا نظير لهـــا، أجـــادت اللغـــة والأدب والخط والكتابة والغناء والرَّقص والطب وعلم التشريح واللعب بالسيوف وغيرها مـــن العلوم، ولم يتمكّن الملوك من شرائها لارتفاع سعرها، إلاّ أن عبد الملك بن رزين[4] تمكّن أخيـــراً من شرائها بثلاثة آلاف دينار[5].

---

[1]- انظر توفيق بن عامر، الحضارة الإسلامية وتجارة الرقيق ،301-302، نقلاً عن السقطي، آداب الحسبة،51-52.

[2] – العِلق: النفيس من كل شيء. ابن منظور، لسان العرب، مادة (علق) 268/10.

[3]- الجاحظ، رسائله، 161/2-162.

[4] – هو أبو مروان عبد الملك بن رزين بن هذيل ذو الرياستين حسام الدولة، وُلي بعـــد أبيـــه الحاجب عز الدولة شنتمرية الشرق وهو في العشرين من عمره، ثم تمكّن من ضم بعض أعمال بلنسية إليها، كان شاباً جميلاً قاسياً رفيع الهمة من أكابر برابر الثغر ، ونظم شـــعراً معظمـــه ضعيف وكان مع شرفه وأدبه بخيلاً على الشُّعراء، وكانت وفاته سنة 496هـــــ. انظـــر ابـــن خاقان، قلائد العِقيان، 157/1-169، ابن بسَّام، الذّخيرَة، ق3 م109/1-125، ابـــن الأبَّـــار، الحُلّة السِّيَراء، 108/2-115، ابن عِذَاري، البيانُ المُغرِب، 181/3-184، ابن سَعيد، المغرب، 428/2-429.

[5]- انظر ابن بسَّام، الذّخيرَة، ق3 م112/1، ابن عِذَاري، البيانُ المُغرِب، 308/3.

وعندما يتفق الطرفان على سعرِ الجارية المنشودة عليهما أن يُحضرا كاتب عقود كـي يُدوِّن عقد الشراء ويكتب الأسباب التي طُلِبت الجارية من أجلها[1]، وبعد الانتهـاء مـن الـشراء ومغادرة سوق الرقيق على صاحب الجارية أن يُسلِّم الجارية الجديدة إلى القهرمانة المسؤولة في بيته إن وُجدت، كي تقوم بكتابة تقرير كامل يضم كل ما جاءت به الجارية من ملابـس وحلـي ومتاع وتسلِّمه لسيدها[2].

3- إقبال الأندلسيين على شراء الجواري

على الرغم من أن شراء أي جارية لم يكن بالعملية السهلة كما تقدّم، إلا أن هذا لم يمنـع الأندلسيين من شرائهن وتكديسهنّ في قصورهم، فقد كانت الجواري مظهراً حضارياً يدل علـى النعمة والأبهة، وأتصوّر أن كلّ أندلسي سعى لشراء جارية أو أكثر بدءاً ببني أمية الذين غلبـت عليهم الشقرة لاستكثارهم الجواري، ولم يتوقف الأمر عند انتهاء حكم بني أمية بل استمر إلـى أيام العامريين؛ فقد كان المنصور يُكثر من الجواري ويبالغ في استبدالهن؛ فإن أعجبته جارية لا يصبر عنها ويشتريها، وعندما تصير في ملكه ينفر منها ويبيعها بأرخص الأثمان، وأنفـق فـي استبدال الجواري عشرات ألوف الدنانير[3]، واستمر الشغف بشرائهن إلى أيام ملوك الطَّوائـف، فقد ذكر ابن بسام أن أحد أصحاب اليسار امتلك أكثر من ستين سُرِّيَّة[4]، كما استكثر المعتضد من الجواري وذُكر أنه خلَّف نحو سبعين جارية لذة له[5] ، كما خلَّف المُعتَمد ثمانمائة جاريـة حـين خُلع عن العرش[6]، ولم يكتفِ عبد الملك بن رزين بشراء الجواري بل كان أول من بـالغ فـي أثمانهن في الأندلس[7].

---

[1]- انظر ج.ب.ترند، تراث الإسلام، 12/1، نقلاً عـن Julian Ribera, Disertaciones y opusculos. Vol I pp. 17-25. Madrid. 1928.

[2]- انظر ابن حيَّان، المُقتبس، 218.

[3] - انظر ابن حَزم، رسائله ، 199/1-200.

[4] - انظر ابن بسَّام، الذّخيرَة، ق2 م128/1.

[5]- انظر ابن بسّام، الذّخيرَة، ق2 م29/1.

[6] - انظر ابن الأبَّار، الحُلّة السِّيَراء، 55/2.

[7]- انظر ابن بسَّام، الذّخيرَة، ق3 م112/1، ابن عِذَاري، البيانُ المُغرِب، 308/3.

وتدلُّ الأرقام السابقة على أن هؤلاء الحكام أنفقوا جزءاً كبيراً من ثرواتهم على شــراء الجواري، فأضحت قصورهم أشبه بخزائن لثرواتهم الحية التي تنظم الشعر وتغنــي وتــرقص، وربَّما كان شراؤهنّ هدراً للأموال ذلك أنهنّ لم يُشكلنَ استثماراً لأصحابهن بل كُــنّ اســتثماراً مُربحاً لتجار الرقيق فحسب.

واعتمد عدد الجواري في المنزل الواحد ونوعيتهن ومهاراتهن ومؤهلاتهن على القــوة الشرائية لمالكهن، ومن الطبيعي أن يحظى الخاصة وأصحاب المال الوفير بأفــضل الجــواري وأجملهن وأوسعهن علماً، وقد تنافس الأندلسيون في اقتناء أفضل الجواري فكان عبد الملك بــن رزين[1] أحد المستكثرين منهنّ، كما غالى المعتضد في شراء الجواري[2].

وأعتقد أنه لم يكن من السهل على أحد أفراد الطبقة الوســطى أو العامــة أن يــشتري جارية بآلاف الدنانير؛ ذلك أن الملوك _ باستثناء ابن رزين _ لم يقدروا علــى شــراء جاريــة بثلاثة آلاف دينار، فكيف سيشتريها العامة؟ أمّا عن أيام المنصور بن أبي عامر التي قــال ابــن حزم إن الجواري بيعت فيها بأوكس الأثمان[3]، فأرجّح أن الأسعار التي يراها ابن حزم منخفضة ربَّما كانت معتدلة لأبناء الطبقة الوسطى أو أنها مرتفعة وباهظة للفلاحين والعمال الأندلــسيين، وأعتقد أن أبناء العامة _ إن استطاعوا تدبير ثمن الجارية_ يعلمون تماماً أن النفقات لن تنتهــي عند ثمن الجارية؛ فالجارية فرد جديد يُضاف إلى الأسرة، أي أن مصاريف المأكــل والمــشرب والملبس ستزداد، وربَّما تضاعفت إذا أنجبت الجارية أولاداً، وقد تخرج المصاريف عن حــدود ميزانية الأندلسي الفقير فيجد نفسه في أزمة مالية، لذا أرجِّحُ أن الأندلسيين مــن أبنــاء الطبقــة المتوسطة أو الفقيرة فضّلوا شراء ما يُحسِّنون به حياتهم على أن يعقدوا صفقة خاسرة أو مُكلفة.

وعلى الرغم من أن المصادر الأندلسيّة ذكرت أن بعض العامة ملكوا جــواري كمــسلم ابن يحيى وأبي العباس المرواني وابن قُزمان الذين ذكرتهم في الحياة الاجتماعيَّة، إلاّ أنهــا لــم تذكر شيئاً عن أثمانهن أو كيفية الحصول عليهن، ولا يسعني إلا الشك فــي أن يكــون هــؤلاء العامة على فقرهم تمكّنوا من شراء جواريهم من مالهم الخاص، فربَّما كنّ هدايا قُدمت لهم فــي إحدى المناسبات، أو أن الحظ أسعفهم فاشتروا جواريهم بسعر منخفض.

---

[1]- انظر ابن بسَّام، الذّخيرَة، ق3 م112/1، ابن عِذَاري، البيانُ المُغرِب، 308/3.

[2]- انظر ابن بسَّام، الذّخيرَة، ق2 م36/1.

[3]- انظر ابن حَزم، رسائله، 199/1-200.

4- التهادي بالجواري

أعتقد أن القدرة الشرائية العالية التي تميّزت بها الخاصة خفّضت القيمة المعنوية لأي جارية؛ فقد أكثر الخاصة من الجواري في قصورهم وربَّما لم يتمكنوا من التعّرف إلى كل جواريهم؛ لذا كان من السهل عليهم التفريط في جواريهم باستبدالهنّ أو التهادي بهن، ويبدو أن الأندلسيين اعتقدوا أن الجواري أنفس ما يوطّد العلاقات فيما بينهم، وأفضل ما يثاب به الأدباء والشُّعراء.

وبدأ تاريخ التهادي بالجواري منذ أيام الفتوح الأولى في الأندلس؛ فقد أهدى عبيدة بن عبد الرّحمن[1] العبيد والخصيان والذهب والفضة وسبعمائة جارية مختارة للخليفة هشام بن عبد الملك[2]، وأُهديت جارية للأمير عبد الرّحمن الداخل إثر دخوله أرض الأندلس إلا أنه رفضها وأعادها لصاحبها[3].

وأثبت ابن شهيد أن الجارية تحمل قيمة معنوية بين الأندلسيين وكأنها تذكار أو دليل محبة يرسلونه ويطالبون به؛ فقد أهدى ابنُ شهيد الخليفةَ النَّاصر عشرين جارية مختارة مع كسوتهن وآلاتهن الموسيقية[4]، كما طالب ابن شهيد المنصورَ بن أبي عامر أن يُهديه جواري إثر عودته من إحدى غزواته، وكأنه يطالبه بما يثبت محبته، أو أنه يريد أن يثبت لنفسه محبة المنصور له، لذا عاتبه إثر طول انتظاره للهدية التي لم تصل حتى قال له: [5] [الخفيف]

---

[1] – هو عبيدة بن عبد الرّحمن السُّلَميّ، قَدِم إفريقية سنة 110هـ، فدخل القيروان وخلع بِشْر بن صَفْوان وحلّ محلّه وغيّر أكثر من والٍ على الأندلس، سجن عُمَّال بِشْر بن صفوان وعذّب بعضهم، وكان فيهم أبو الخطَّار الحسام بن ضرار وهو من أشراف قومه الذي أرسل شعراً الى الخليفة هشام بن عبد الملك، فأمر بعزل عبيدة سنة 114 هـ. انظر ابن الأبَّار، الحُلَّة السِّيَراء، 64/1-66، ابن عِذَاري، البيانُ المُغرِب، 50/1-51.

[2]– انظر ابن عبد الحكم، فتوح إفريقيا والأندلس، 93.

[3] – انظر المَقَّري، النَّفح، 35/4.

[4]– انظر المقَّري، النَّفح، 345/1.

[5]– ابن خاقان، مطمح الأنفس، 396، ابن بسَّام، الذّخيرَة، ق4 م29/1، ابن عِذَاري، البيانُ المُغرِب، 300/2، المقَّري، أزهار الرياض، 131/5.

أَنَا شيخٌ والشيخُ يهوى الصبايا   يا بنَفْسي أقيكَ كلَّ الرَّزايا
ورسولُ الإلهِ أسهمَ في الفي   ءِ لِمَنْ لمْ يُخِبَّ فيه المطايا

فأهداه أكثر من جارية ونال عليهن الشكر والثناء[1].

أما ابن الأحمر فأهدى السلطان عبد العزيز[2] خير متاع الأندلس وبغالها وسبيها وجواريها كي يُسلّمه لسان الدين بن الخطيب، بعد أن فشت العداوة بينهما[3]، وهكذا تحوّلت هذه الهدية المعنوية المُكلفة مادياً إلى أداة سياسية لجأ إليها كل مضطر لها.

وكان التهادي بالجواري لتوكيد عُرى المحبة أو للثناء أو لتحقيق أهداف شخصية، ومهما كان الغرض من وراء التهادي بالجواري، فإن شراء أية جارية سيؤدي لحركة اقتصادية في سوق الرقيق وبالتالي حركة كاملة في أسواق الأندلس عامة، ومن الواضح أن هذا التهادي كان سمةً من سمات المجتمع الأندلسي الذي سعى إلى مظاهر الفخامة والأبّهة التي كلّفته كثيراً وأثّرت في اقتصاده.

وعلى الرغم من أن شراء الجواري كلّف مبالغ كبيرة، إلا أن أسواقهن ازدهرت لأن الشباب الأندلسي أقبل عليهن لرخص أثمانهن مقارنة بزواجهم من الحرائر، فقد أرهقت الحرائر خطابهن بمهورهن وبنفقات الزواج منهن، إلاّ أن هذه الحال تغيرت عندما قام الآباء بالترغيب ببناتهم بأن توقفوا عن طلب المهور، وزادوا على هذا بأن جهزوا بناتهم بالثياب والحلي[4]، وأعتقد أن ردة فعل الآباء لتزويج بناتهم ساهمت في إبطاء حركة سوق الرقيق إلا أنها لم تستطع

---

[1]- انظر ابن خاقان، مطمح الأنفس، 396-397، ابن الأبَّار، الحُلّة السِّيَراء، 1/276-277، ابن عذَاري، البيانُ المُغرِب، 2/300، المَقَّري، أزهار الرياض، 5/131-132.

[2] – هو السلطان أبو فارس عبد العزيز ابن السلطان أبي الحسن المريني أنعش دولة بني مرين بتلمسان وأعاد إليها شبابها بعد هرمها، كان عفيفاً متمسكا بالدين، ومحباً للخير وأهله، من صالحي الملوك توفي سنة 774هـ. انظر النَّاصري، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، م2 ج4، 52.

[3]- انظر المَقَّري، النّفح، 7/100.

[4]- انظر عبد الواحد المرّاكشي، المُعْجِب، 84.

إيقافها، وإن كانت قد أبطأت حركة سوق الرقيق فأظنها ساهمت في تنشيط جـزء آخـر مـن الأسواق الأندلسيّة، وربّما خلقت بينها تنافساً تجارياً أثّر في اقتصاد الأندلس.

وأعتقد أن الأصل عند الأندلسيين هو الزواج من الحرائر وشراء الجواري لا يزيد على كونها متعة، ولكنها متعة أساسية لدى القادرين، وأرجّح أن امتلاك الجارية لا يُغني عن الـزواج بحرّة؛ فالقادرون على شراء جارية أو أكثر هم من الخاصة والأغنياء الذين يحظـون بمرتبـة اجتماعية يعملون على تعزيزها بالزواج من إحدى الحرائر.

5- تقديم الهدايا للجواري

نشّطت الجواري الحركة الاقتصاديَّة في أسواق الأندلس؛ فمن الطبيعي أن يقوم مـالكو الجواري بشراء الملابس والعطور لهنّ، ولم يتوقف الأمر عند الملابس فحسب فقد قام بعـضهم بشراء بيوت لهنّ؛ وذُكر أن النَّاصر احتاج لشراء دار بقُرْطُبَة لإحدى محظياته[1]، ومن المنطقـي أن يشتري صاحب الجواري دوراً جديدة أو يشتري داراً أخرى أكبر وأوسع حتى تتسع لزوجاته وجواريه وأبنائهن، فإن كان يمتلك سبعين جارية لذّة كالمعتضد[2] _على سبيل المثال_ سيـضطر إلى بناء قصر كبير يتسع لهن أو تفريقهن على أكثر من قصر واحد، ناهيك عن نفقـات الخـدم والعبيد المخصصين لراحتهن، والنفقات المخصصة لهن.

ولم يكتف السادة بشراء الملابس والعطور والبيوت لجواريهم؛ وإنّما أهدوهنّ الكثير من الهدايا الثمينة، وقد ذُكر أن الأمير عبد الرّحمن اشترى عقداً للسلطانة زبيدة[3] من بَغْـداد وأهـداه

---

[1]- انظر ابن عاصم، جنة الرضا، 164/1.

[2]- انظر ابن بسَّام، الذّخيرَة، ق2 م29/1.

[3] – هي أم جعفر زبيدة بنت جعفر بن أبي جعفر المنصور، وجَدُّها الأول العبـاس ابـن عبـد المطلب بن هاشم وهي أم الأمين محمد بن هارون الرشيد، الهاشمية الوحيدة التي ولدت خليفـة، عُرفت بحب الخير و اشتهرت بمشروعها الكبير الذي أسالت فيه الماء للحجاج في مكة، توفيـت في بغداد سنة 216هـ. ابن خلكان، وَفَيات الأعْيان، 314/2-317.

إلى محظيته **الشِّفاء**[1]، كما كسب المنصور بن أبي عامر ودّ **صُبْح البَشْكَنسيَّة** بالكثير من الهدايا وأهم هداياه قصر الفضة الذي صاغه لها أيام عمله في السِّكَّة[2]، واسترضى عبد الرّحمن الأوسط **طَرُوب** بنحو عشرين ألف دينار وأمر لها بعقد قيمته عشرة آلاف دينار[3].

ولم تُحصَر الهدايا في النقود والحليّ فحسب، فقد قُدِّمت هدايا غير مألوفة تدل على مدى الحب الذي يُكنّه هؤلاء السادة لجواريهم، واستعدادهم لتلبية أية رغبة من رغباتهن مهمـــا كلّـــف الأمر، ومهما كان الأمر غريباً أو مُرتفعاً في قيمته؛ فقد ذكر الرواة أن **الزَّهراء** لما رأت وحشة الجبل الأسود طلبت من النَّاصر أن يزيله، فلما عرض الأمر على خاصته أخبروه باســـتحالته، فقام الخليفة بزراعة التين وشجر اللوز على الجبل، ولم تكن هذه الهدية الثمينة الغريبة للزهراء فحسب؛ وإنّما كانت لقُرْطُبَة أيضاً لما أضفته عليها من جمال وبخاصة في الربيع[4].

كما حفظ المؤرخون قصة هدية المُعتَمد **للرُّمَيْكِيَّة**، فقد أمر بأن تُسحق العطور المختلفـــة الأنواع وتُعجن بماء الورد حتى تصير كالطين، لأن **الرُّمَيْكِيَّة** اشتهت المشي في الطين بعـــد أن رأت الجواري يمشين فيه[5]، كما رأت يوماً قطع الثلج تتساقط فوق قُرْطُبَة فأعجبها منظره، فأمر المُعتَمد أن تُزرع أشجار في هضاب قُرْطُبَة لتزهر في آخر كل شتاء فتظهـــر كأنهـــا مغطـــاة بالثلج[6].

ومن الجَدير بالذِّكر أن هناك من كافأ جاريته على صفة أحبها فيها؛ ذلك أن النَّاصر لما جلس في قصره مع طبيبه كي يفصد عِرقَه أطلّ عليه زُرْزُور وأنشد قائلاً: [7] [مجزوء الرَّمَل]

أيُّهـــــا الفاصـــــدُ رِفْقـــــاً   بِـــــــأميرِ المُؤمِنينـــــــا

---

[1]- انظر ابن عِذَاري، البيانُ المُغرِب، 91/2.

[2]- انظر ابن عِذَاري، البيانُ المُغرِب، 252/2.

[3]- انظر مجهول، أخبار مجموعة، 123، ابن الأبَّار، الحُلَّة السِّيَراء، 116/1، ابن عِذَاري، البيانُ المُغرِب،92/2.

[4]- انظر المقَّري، النَّفح، 64/2.

[5]- انظر ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غَرْناطة، 74/2، المقَّري، النَّفح، 48/6-49.

[6] - انظر جان وجيروم طارو، أزهار البساتين، 43.

[7]- انظر المقَّري، أزهار الرياض، 265/2، النَّفح ، 346/1.

إنَّمـــــــــا تفــــــــــصدُ عِرْقـــــــــاً فِيْـــــــــهِ مَحْيـــــــا العَالَمِيْنـــــــــا

وأخذ الزُّرْزُور يكرره مرة بعد مرة، فلما عرف النَّاصر أن السيدة الكبرى **مَرْجَــان** هــي مــن علمته ذلك كافأها بثلاثين ألف دينار[1].

ولاحظت أن الهدايا التي قُدِّمت للجواري كانت هدايا مُرتفعة الثّمن، وتنوعت بين هــدايا ماديّة مثل: العقود والنقود والقصور، وبين هدايا مالت إلى الجانب المعنــوي كتــزيين الجبــل الأسود وسحق العطور والطيب، إلاّ أنّ جميع الهدايا امتازت بكُلفة ماديّة مرتفعــة، وأعتقــد أن عائد الهدايا لم يقتصر على الجواري فحسب؛ فقد أفاد الكثيرون من تقديم هذه الهدايا، فــصياغة قصر من الفضة فتح باب رزق ومعاش لمن عمل فيه، وإحضار عِقد من بَغْداد تطلّب من يسافر ونفقات سفر، كما أنّ تزيين الجبل وزراعة أشجار التــين والزيتــون وفّــرت فــرص عمــل للمزارعين، ناهيك عن المواد الأساسية التي تطلّبتها هذه الهدايا نحو فــضة وزروع ومعــاول وعطور وهكذا أفاد الكثيرون من هذه الهدايا التي قدّمها الحكام لمحظياتهم من الجواري، فحصّل الكثيرون نقوداً مكّنتهم من تحريك اقتصاد الأسواق الأندلسيّة.

6- انتفاع العامّة بهدايا الرجال للجواري

وربَّما كانت مدينة الزَّهراء أكبر هدية قُدِّمت لجارية في الأندلس؛ فقــد ذكــر المقَّــري رواية عن بعض مشايخ قُرْطُبَة قالوا فيها إن السبب وراء بناء مدينة الزَّهراء هو موت إحــدى جواري النَّاصر وتركها الكثير من المال، فارتأى النَّاصر أن يفك أسرى المسلمين بذلك المــال، إلا إنه لم يجد أي أسير، فقالت له جاريته **الزَّهراء:** " اشتهيت لو بنيت لي بــه مدينــة تــسميها باسمي، وتكون خاصة لي". [2]

---

[1]- انظر المقَّري، أزهار الرياض، 265/2، النّفح ، 346/1-347.

[2]- انظر النّفح، 64/2.

وبنى النَّاصر الزَّهراء التي ضمّت مائة ألف دار، وثلاثة آلاف مسجد، وثلاثمائة حمام بالإضافة إلى أربعمائة بيت محيط بقصر الزَّهراء، ومن الجَدير بالذِّكر أن قصر الزَّهراء حوى ثلاثة آلاف وسبعمائة وخمسين صقلبياً، و ست آلاف وثلاثمائة امرأة وطفل وخادم[1].

وأعتقد أن تكاليف بناء مدينة بهذا الحجم بلغت مبالغ ضخمة يصعب تصوُّرها، بدءاً بأربعمائة درهم لكل من سيبني داراً في مدينة الزَّهراء[2]، بالإضافة إلى أجور عمال البناء والمهندسين والحرفيين، ناهيك عن أثمان مواد البناء بجميع أنواعها، مع الأخذ بعين الاعتبار أن هذه النفقات استمرت خمسة وعشرين عاماً [3]، وقد اعتمد النَّاصر في سداد هذه النفقات على ثلث جباية الأندلس التي كانت تصل إلى مليونين وواحدٍ وثمانين ألفاً وستمائة وستة وستين ديناراً[4] .

ولا تنتهي النفقات والأعباء المالية عند انتهاء البناء فحسب؛ فهناك مستحقات أثاث البيوت ومستلزماتها، وأجور الخدم أو أثمانهم إن كانوا من الرقيق، إضافة إلى طعام وشراب واحتياجات أهلها، فقصر عظيم كالزَّهراء يحتاج إلى الكثير من الخدمة الفاخرة لكل من فيه وتأمين الطعام الفاخر والشراب، ومن الطبيعي أن يكون هناك الكثير من المستلزمات الأخرى التي تستدعيها حياة القصور وأهل الخاصة.

ويبدو أن بعض الدارسين لم يستسيغوا الخبر الذي نقله المقَّري؛ فقد رأى السيد عبد العزيز سالم أن خبر المقَّري مجرد رواية خيالية، وأنه من غير المعقول أن يقوم النَّاصر الذي أرهب أعداءه وملك الدنيا بالخضوع لما أسماه نزوة جارية[5]، أما عبد الله عفيفي فقد استنكر على النَّاصر أن يبني هذه المدينة لجاريته، فهو بهذا يشرّع للناس شريعة الفناء في جواريهم، ويحفر قبر الأندلس لَمّا ملّك الجواري القلوب والعقول[6].

---

[1]- انظر ابن عِذَاري، البيانُ المُغرِب، 232/2.

[2] – ابن حوقل، صورة الأرض، 111/1.

[3] – ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس، 59.

[4]- انظر ابن عِذَاري، البيانُ المُغرِب، 231/2-232.

[5]- انظر قُرْطُبَة حاضرة الخلافة، 324/1.

[6]- انظر المرأة العربيَّة في جاهليتها وإسلامها، 55/3.

إلاّ أنّ بناء الزَّهراء أثار إعجاب دارسين آخرين كقدرية حسين التي قالت: إن النَّاصـــر بنى الزَّهراء لتخليد اسم محبوبته[1]، كما قال إحسان عباس: إنه إنْ طُعن في هذا الخبر لسخط أو رفض له فهذا يعني أن علينا إعادة النظر في تاريخنا الموروث.[2]

وأرجِّح أنه ليس من المستبعد على رجل كالنَّاصر أن يبني مدينة لمحبوبته، فهو إنـــسان قبل أن يكون قائداً، وإذا توفر له المال والقدرة لإرضاء محبوبته ومحظيته فإنه سيرضيها مهمـــا كلفه الأمر، وإذا كان حجم الزَّهراء و تكاليف بنائها يدفع بعضنا إلى القـــول: إنـــه مـــن غيـــر المعقول أن يقوم رجل كالنَّاصر بإنفاق كل هذه الأموال لإرضاء جارية ، فإني أذكّـــر بـــضريح تاج محل الذي بناه شاه جاهان لتخليد ذكرى زوجته الحبيبة ممتاز، وهو آية في العمـــارة التـــي استغرق إنشاؤها إحدى وعشرين سنة[3]، ومن الجَدير بالذِّكر أن ممتاز لم تطلب من زوجها تخليد ذكراها فكيف لو أنها طلبت ذلك؟

و يُفهم من خبر المقَّري أنه لما طلبت **الزَّهراء** من النَّاصر أن يبني لها مدينـــة يـــسميها باسمها استحسن فكرة بناء مدينة جديدة؛ فهذه المدينة ستعطيه الفرصة كي يقـــيم ويـــنظّم مدينـــة عصرية تعكس أبّهة الأندلس وتُشيد بعاصمتها، كما أن بناءها سيُلبي رغبة محبوبته التي أطلـــق اسمها على مدينته الجديدة التي لم يكن لها مثيل في ذلك العصر، وأعتقد أن بناء النَّاصر المدينـــة لجاريته **الزَّهراء** كان له أكبر الأثر في اقتصاد الأندلس؛ فقد أوجدت فرص عمل وأبـــواب رزق للكثير من العمال والمهندسين والتجار على جميع أنواعهم وعملـــت علـــى تحريـــك الأســـواق الأندلسيّة مما أدى إلى نشاط تجاري واقتصادي كبير.

---

[1]- انظر شهيرات النّساء في العالم الإسلامي، 148-149.

[2]- انظر عصر الطّوائف والمرابطين، 40.

[3] - تاج محل: ضريح السيدة ممتاز محل بناه زوجها الإمبراطور المغولي المسلم شاه جاهان في مدينة أكرا الهندية، بدأ العمل في الضريح بعد عام من وفاتها سنة 1632، وانتهى بناؤه سنة 1643، ثم أحيط ببنايات وبساتين وحدائق انتهى العمل بها سنة 1653. انظر ياسين صلاواتي، الموسوعة العربيّة الميسرة والموسعة، 1065/3.

7- ثروات الجواري

وحصول الجواري على هذه الهدايا الثمينة أو المكافآت المالية ما هو إلاّ دليل على الترف والثروة التي ملكها حكام الأندلس، كما خَلُص إحسان عباس بعد دراسته لأخبار الغناء والمغنين في الأندلس أن الجواري في البلاط الأموي تقاضين جرايات محددة[1]، وهذا يعني أنهنّ عشن في رفاهية وترف، ولم يقتصر هذا العطاء على المغنيات فقد مَلكت السيدة **مَرْجان** حقولاً عظيمة بطرف قُرْطُبَة الغربي[2]، كما كان لها مالها الخاص، ويبدو أنها حازت ثروةً كبيرة مكّنتها من شراء ليلة مع النَّاصر من زوجته الحرة بعشرة آلاف دينار، كما اشتُهرت بالصدقات وأعمال البر[3].

وذُكر أنها أوقفت مالاً للإنفاق على خدمة الجامع الكبير وأحواضه في قُرْطُبَة، واعتنت بمسجد أم معاوية بقُرْطُبَة وغيرها من المساجد بطرف قُرْطُبَة الغربي[4]، وإذا ما عرفنا أن الجامع الكبير هو أوسع مساجد قُرْطُبَة وأحسنها عمارة[5] فبإمكاننا توقُّع النفقات الهائلة التي صرفتها **مَرْجان** على هذا المسجد ناهيك عن نفقات المساجد الأخرى التي تولّت العناية بها، وقدرتها على تسديد النفقات ما هو إلاّ دليل على أنها ملكت ثروة هائلة وربَّما كان لها دخلٌ مادي بالإضافة لريع حقولها وأراضيها.

ولم تكن **مَرْجان** الجارية الوحيدة التي تكفّلت بنفقات ماديّة وتحمّلت مسؤوليات مالية؛ فقد تنافس جواري عبد الرّحمن بن الحكم في بناء الجوامع؛ وقامت كلٌ من **طَرُوب ومَجْد ومُتْعَة**

---

[1]- انظر إحسان عباس، أخبار الغناء والمغنين في الأندلس، مجلة الأبحاث، 1963، 6.

[2]- انظر الحبيب الجنحاني، الحياة الاقتصاديّة والاجتماعيّة في الأندلس في عصر عبد الرّحمن النّاصر من خلال المُقتبس لابن حيّان، مجلة المناهل، ع 29، 1984، 346.

[3]- انظر ابن الأبَّار، التَّكملة، 4/246-247.

[4]- انظر ابن عبد الملك المرَّاكشي، الذّيل والتّكملة، 5/2/ 500.

[5] - انظر المقَّري، أزهار الرياض، 2/295.

والشِّفاء[1] **وفَخْر** ببناء جامع أو سبيل على نفقتها الخاصة[2]، كما قامت **مُتْعَة** ببناء مقبـرة[3]، ولـم يقتصر بناء المساجد على جواري الأمراء فقد بنت **شُعاع** جارية قاسم بن أصبغ البياني[4] مسجداً في قُرْطُبَة[5].

وأعتقد أن حقول الجواري والمساجد التي بنينها أوجدت فـرص عمـل للكثيـر مـن الأندلسيين الذين عملوا في الحقول أو باعوا محاصيلها أو اشتروها، كما أن بناء الجوامع احتاج للكثير من العمال والمهندسين والفنانين ناهيك عن مواد البناء المطلوبة التي سيتم شراؤها مـن صنّاع وتجار متعددين.

---

[1] – انظر ابن الأبَّار، التّكملة، 4/240–242، الغساني، رحلة الوزير في افتكاك الأسير، 20.

[2]– انظر ابن الأبَّار، التّكملة، 4/240–242.

[3] – انظر ابن بَشْكَوال، الصِّلة، 1/247،ابن عبد الملك المرّاكشي، الذّيل والتّكملة، 8/2/ 495.

[4] – هو قاسم بن أصبغ بن محمد بن يوسف أبو محمد البياني، أصله من موالي الوليد بن عبـد الملك، رحل في طلب العلم إلى مكة والعراق ومصر والقيروان ثم عاد إلى الأندلس، كان عالماً بالحديث والرجال والنحو والغريب والشعر، اختصر كتاب السنن لأبي داوود وسـماه المجتنـى وجعله باسم الحكم المُسْتَنصِر وفيه من الحديث المسند ألفان وأربعمائة وتسعون حديثاً في سـبعة أجزاء. انظر المَقَّري، النّفح، 2/264–266.

[5] – انظر ابن الأبَّار، التّكمِلة، 4/248، ابن عبد الملك المرّاكِشي، الذّيل والتّكمِلة، 8/2/488.

البـاب الثّانـي
الجـواري في الشِّعر العربـي
في الأندلس

الفصل الأوّل: الجواري في شِعر الشُّعراء

الفصل الثّاني: شِعر الجواري موضوعاته وخصائصه

الفصل الثّالث: أثر الجواري في شِعر الغناء

لم يقتصر أثر الجواري في الحياة الاجتماعيَّة والثَّقافيَّة والسِّياسيَّة والاقتصاديَّة في الأندلس، وإنما تعدّاه إلى بروز أثرهنّ في الشعر في الأندلس، فقد شغلن حيّزاً لا بأس به في شعر شعراء في الأندلس، وكان لجمالهنّ وعلمهنّ وأدبهنّ وسهولة الاختلاط بهنّ أثر في تحفيز قريحة شعراء في الأندلس، فشكلنَ نبعاً لإلهام الشُّعراء ودافعاً للإبداع والتنافس فيما بينهم، فنظم الشُّعراء في الأندلس سبعمائة وثلاثة وستين بيتاً في الجواري، وكان شعرهم في معظم الموضوعات الشعرية المعروفة من غزل وحنين ورثاء ووصف وشكوى وهجاء وعتاب وغيرها من الموضوعات المختلفة.

الجواري في الموضوعات الشعريّة

1- الجواري في الغـــزل

وهب الله الأندلسيين طبيعة خلاّبة رقيقة انعكست عليهم وأثّرت في نفوسهم، فصارت عيونهم ترنو لكل ما هو جميل، وقلوبهم تهفو لكل حسن، وأرواحهم تتعلق بما أحاطهم الله به من تحف فنية، فأجال الشّاعر الأندلسي بصره وألفى الجواري يملأن بيته بجمالهن وفتنتهن ويتنافسن للحصول على قلبه، وإذا ماخرج من بيته وجدهنّ في الأسواق والطرقات يتحدثن إليه ويبادلنه أطراف الحديث، وعندما يجلس إلى إخوانه في مجالس الأنس تأتي إليه لترفِّه عنه، وهكذا كان اللقاء؛ رجل وامرأة معاً بالدرجة الأولى ويزداد اللقاء فتنة وسحراً لِكون الرجل شاعراً له قلب رقيق وقريحة خصبة والمرأة جارية ساحرة فاتنة.

ولما اجتمع الشّاعر بالجارية أُعجب بمفاتنها وتغزل بقوامها الرشيق وعيونها الناعسة وشعرها المسترسل وأسنانها وريقها وخالها، كما تغزّل بصوتها الساحر الذي سال ذهباً من ثغرها الفضي، ولم يتوقف هنا فتغزّل بلكنتها ومخارج صوتها ورقّة أناملها وعزفها و ألحانها، كما لا حظ زينتها وتصفيف شعرها، وحدّثها عن كل ما مرّ بقلبه وخاطره، ولم يتحفظ الشّاعر في أن يتغزل بمفاتنها الجسدية ويتحدث عن تفاصيل علاقتهما الخاصة، ويذكر اللذة التي اعترته عندما ضمها إلى صدره ولثم فمها حتى طلوع الفجر.

ولم يكن هناك ما يردع الشَّاعر الأندلسي عن هذا الغزل وإن كان شيخاً كبيراً، فجمال جواري الأندلس يدفع كل شاعر إلى التغزل به، لذا كان هناك الكثير من شعر الغزل في جواري الأندلس، وقد بلغ مائتين وثلاثة وستين بيتاً بالإضافة إلى موشحين _ من المصادر المتوفرة بين يدي _ توزّعت بين خمسة أبيات مفردة وثلاث عشرة نتفة وثمانٍ وعشرين مقطوعة وتسع قصائد وموشحين.

ونال عصر ملوك الطَّوائف نصيب الأسد منه؛ فحظي بثلاثة وتسعين بيتاً لاثني عشر شاعراً أندلسياً من أصل واحد وأربعين شاعراً، كما أن شعراء عصر الطَّوائف صرّحوا بأسماء الجواري اللاتي تغزلوا بهن؛ فذكروا أسماء سبع جوارٍ من بين خمسة عشر اسماً زُيِّن بها الغزل بالجواري في الأندلس.

وقد يعود السبب وراء ازدهار الغزل بالجواري في عصر الطَّوائف إلى طبيعة العصر نفسه؛ فقد تقاعس الأندلسيون عن الجهاد وفضلوا الراحة والجلوس، وربَّما جذبهم جمال الجواري وسحرهن فلم يقاوموه ونظموا شعرهم يتغزلون بهن، فأغرقوا أنفسهم في مجالس اللهو والأنس، وهناك لم يملكوا إلاّ أن يتأملوا جمال الجواري ويُسحروا بأغانيهن وألحانهن ويقضوا أوقاتاً مسلية معهن، كيف لا والغرض الأول من اقتنائهنّ هو المتعة والتسلية.

ونبع شعر الغزل في الجواري من الافتتان بجمالهنَّ المادي، وعلى الرغم من أن الرابط بين الشَّاعر الأندلسي والجارية لم يكن رابطاً معنوياً قوياً ودائماً بل كان رابطاً مادياً زائلاً قام على المتعة والتسلية، إلا أن هذا الرابط أظهر الشَّاعر الأندلسي وكأنه عبدٌ لجمال جاريته وسحرها، فانعكست الآية لتُصبح الجارية هي المالكة والسيدة الآمرة الناهية ويصبح السيد عبداً لحبه وافتتانه بجاريته.

كان الجمال أحد الأسباب التي دفعت الأندلسيين لشراء الجواري، فهنّ يُمتِعن أسيادهن و ينشرن المتعة والمرح في كل مكان يوجدن فيه، ويُسعدن النفوس بدلالهنّ ويملكن الأنظار بجمالهنّ، كما أنهنّ يستعملنَ كل ما حظين به من جمال ودلال وأساليب تعلمنها كي يملكن قلوب سادتهنّ حتى يصبحوا عبيداً يأتمرون بأمرهن.

وأعلن الأمير الحكم بن هشام أنه أحد هؤلاء السادة العبيد؛ فقد ملك خمسَ جــوارٍ نِلــن اهتمامه ورعايته وملكن أمره حتى قال: إن سِحرَ جواريه الخمس حوّله إلى عبدٍ لهنّ، فاستــسلم لإعجابه بهنّ ولم يجرؤ أن يشكو تباريح الهوى حتى لا يزدنه بُعداً فيهلك فقال: [1] [الخفيف]

ظَــلَّ مـــنْ فَـــرْطِ حُبِّــه مَمْلوكـــا ولقـــدْ كـــانَ قبـــلَ ذاك مليكـــا
إن بكى أو شكا الهــوى زِيــدَ ظُلمــاً ببعـــاد أَدْنَـــى حِمامـــاً وَشَـــيْكا
تَرَكَتْـــه جـــآذرُ[2] القــصرِ صَــبّاً مُـــستهاماً علـــى الـــصَّعيدِ[3] تَرِيكَـــا
يجعل الخــدَّ واضــعاً فــوقَ تُــرْبٍ للـــذي يجْعَـــلُ الحَريـــرَ أريكـــا
هكـــذا يَحـــسُنُ التَّـــذلُّلُ للحُـــرْ ـــرِ إذا كـــان فـــي الهَـــوى مَملوكـــا

وذُكر أنه ذهب إليهنّ يوماً فأعرضن عنه ورفضن أن يــدخل علــيهن[4]، ولــم يكتفــين بالهجران فحسب وإنما عزمن على هجره ولم يُصغين لمناشدته لهن، ولم يرحمنه بعد أن ســلبن روحه و ملكن سلطانه فقال متغزلاً: [5] [البسيط]

قُضبٌ من البانِ ماسَــتْ[6] فــوق كُثبــانِ أعرَضْـــنَ عنـــي وقـــد أزمعـــنَ هجرانـــي
ناشدتُهُنَّ بحقي فــاعتزمنَ علــى الـــ ـــهجرانِ حتـــى خـــلا مـــنهنَّ هيمـــاني
مَلَكنَنـــي ملِـــكَ مـــن ذلَّـــت عزيمتُـــهُ للحـــبِّ ذُلَّ أســـيرٍ مُوثَـــقٍ عـــاني
من لي بمُغْتَصِباتِ الــرُّوح مــن بــدني غـــصبنني فـــي الهـــوى عـــزِّي وسُـــلطاني

---

[1] – مجهول، أخبار مجموعة، 121–122، ابن الأبَّار، الحُلّة السِّيَراء، 1/ 49، ابن عِذَاري، البيانُ المُغرِب، 80/2.

[2] – الجُؤْذَر و الجُوذَر: ولد البقرة وفي الصحاح البقرة الوحشية والجمع جآذر. ابــن منظــور، لسان العرب، مادة (جذر) 124/4.

[3] – الصَّعيد: الأرض. ابن منظور، لسان العرب، مادة (صعد) 254/3.

[4] – مجهول، أخبار مجموعة، 121، ابن عِذَاري، البيانُ المُغرِب، 79/2، ابن الأبَّار، الحُلّة السِّيَراء، 1/ 50.

[5] – مجهول، أخبار مجموعة، 121، ابن الأبَّار، الحُلّة السِّيَراء، 50/1، ابن عِذَاري، البيانُ المُغرِب، 79/2، المقَّري، النّفح، 330/1.

[6] – المَيْس: التَّبَخْتُر. ابن منظور، لسان العرب، مادة (ميس)، 224/6.

إلا أني لا أظنّ أن غزل الحكم لهؤلاء الجواري وإعلانه أنه عَبدٌ لهن يعني أنّهن ملكنه، وظني هذا لا ينبع من انتقاصي لجمال الجواري وذكائهن بل من كون الحكم عبداً لخمس جوارٍ، فكل واحدة منهنّ امرأة أولاً وأخيراً وترغب في امتلاك سيدها وحدها دون أية شريكة أخـــرى، فما هو الدافع الذي سيرغمها أن تتحالف مع أربع جوارٍ أخريات كي يعذّبن الحكـــم؟ إذن كـــان الحكم سيّد نفسه ولم تستطع أية جارية أن تملكه وحدها، لذا اتفقت الخمس على أن يأخذن موقفـــاً من الحكم حتى يحققن حاجة في نفس يعقوب، ولم يملك الحكم أمام هذا التحالف الخماسي القوي إلا أن يُمثّل الضعف ويدّعي العبودية كي يَصلنه ويرجعن إلى سابق عهدهنّ معه، فهـــو يعـــرف أنهنّ يسعين لامتلاكه واستعباده.

ولم تُوظّف الجواري جمالهنّ لاستعباد الملوك فحسب؛ بل تجاوزن فئـــة الملـــوك إلـــى الشُّعراء، فها هو ابن حمديس يقع في أسر جارية جميلة فيتغزّل بها ويصبح عبداً لها، ومملوكـــاً لحُسن منطقها وجمال إشراقتها، ولما زارها وقت السحر عانقها وضمها إلى صدره حتى بـــزغ الفجر، فنزع نفسه من بين ساعديها كنزع الروح من الجسد، وغادرها وهو يذرف الدموع أسفاً على فراقها قائلاً: [1] [الكامل]

ويلـــــي علـــــى مملوكـــــةٍ ملكـــــتْ   رقّـــــي بحُـــــسنِ مقالِهـــــا ويلـــــي
غيـــــداءُ تحـــــسبُ كلمـــــا انعطفـــــتْ   مـــــن فَرعِهـــــا ذيـــــلاً علـــــى الـــــذيلِ
وكأنهـــــا شـــــمسٌ علـــــى غُـــــصُنٍ   مُتَـــــرَنِّحِ التَّقـــــويم والمَيـــــلِ
قالـــــتْ وقـــــد عانقتُهـــــا سَـــــحَراً   لِـــــمَ زُرْتَنَـــــا فـــــي آخـــــرِ الليـــــلِ
فأجبتُهـــــا وغَمَرتُهـــــا قُـــــبَلاً   هـــــذا أوانُ إغـــــارةِ الخَيْـــــلِ
حتـــــى إذا بَزَغَـــــتْ شَـــــبيهتُها   كالتَّـــــاجِ فَـــــوقَ مَفـــــارقِ القَيْـــــلِ[2]
نُزِعَـــــتْ كَنَـــــزْعِ الـــــرُّوحِ مـــــن جـــــسدي   عنّـــــي قـــــلادة ســـــاعدٍ غَيْـــــلِ
فَنَهَـــــضْتُ أشـــــرَقُ بالـــــدُّموعِ كَمـــــا   شَـــــرِقَ الفـــــضاءُ بكثـــــرةِ الـــــسَّيْلِ

---

[1] – الدّيوان ، 363.

[2] – القَيْل: المَلكُ من ملوك حمير يتَقَيَّل مَنْ قَبله مِن ملوكهم يُشبهُه، وجمعه أَقْيَال وقُيُـــول. ابـــن منظور، لسان العرب، مادة (قيل) 580/11.

قد يكون ابن حمديس عبداً لهذه الجارية اليوم ولكن ماذا عن الغد؟ ستفقد الجارية جمالها وإشراقها مع الزمن وسيبدأ ابن حمديس البحث عن مملوكة أخرى غيداء مشرقة يُملِّكها أمره ويقول إنه ملكُ يمينها، فهو ضعيف أمام جمالها ولا حول له ولا قوة أمام سحرها.

ومهما كان مفهوم الرجل الأندلسي لعبوديته للجارية فمن الواضح أنه يختلف عن عبودية الجارية لسيدها؛ فهي جارية لسيّد واحد فقط بينما هو عبد لجوارٍ عدّة، وهي فتاة فقدت حريتها والقدرة على تحديد حياتها واتخاذ قرارتها فحاولت أن تكون صاحبة قرار بالتأثير على سيدها، أما هو فيقول إنه عبدٌ لها على الرغم من أنه صاحب الأمر ، وعلى الجارية أن تبقى جارية لسيّدها سواءً أكان شاباً أم كهلاً أما السيّد فهو عبدٌ لجمالها وجمالها زائل إذن عبوديته زائلة، والجارية لا تستطيع أن تُخلِّص نفسها من مُلكية سيدها كي تنقل ملكيتها لسيد أفضل، أما هو فله الحق أن ينتقل من جارية لأخرى ويُسلِّم ملكيته لأي جارية يبتغيها.

وكان هناك عبيد لصفات أحبوها في الجواري؛ فقد عشق بعض الأندلسيين وعلى رأسهم خلفاء بني مروان الجواري الشقراوات[1]، وقد كُنّ من أسيرات الحروب[2] أو الوافدات عن طريق التجارة من أوروبا[3]، واستعبدت هذه الصفة ابن حزم بعد أن عشق **نُعم**، فتغزّل بالشقرة على الرغم من أن الجميع يَعيبُ الشقرة ولونها، ويرى أن من كان ذوقه عكس مايرى فهو أبعد خلق الله عن الحكمة والعقل: [4] [الطَّويل]

يعيبونها عندي بشُقرة لونها ... فقلتُ لهمْ هذا الذي زانَها عِندي
يعيبون لون النور والتِّبر ضلة ... لِرأيٍ جَهولٍ في الغَوايةِ مُمتَدِّ
وهل عابَ لونَ النَّرجسِ الغَضِّ عائبٌ ... ولونَ النَّجومِ الزَّاهراتِ على البُعْدِ
وأبْعدُ خَلقِ الله مِنْ كلِّ حِكمةٍ ... مُفَضِّلُ جِرمٍ فاحمِ اللونِ مُسْوَدِّ
بهِ وُصِفَتْ ألوانُ أهلِ جهنَّمٍ ... ولِبسةُ باكٍ مُثكَلِ الأهْلِ محتدِّ

---

[1] - ابن حَزم، رسائله، 1/130-131.
[2] - ج. ب. ترند، تراث الإسلام، 1/11-12.
[3] - انظر آدم متز، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، 298-299، ليفي بروفنسال، الحضارة العربيَّة في إسبانيا، 53.
[4] - ابن حَزم، رسائله، 1/133.

ويبدو أن بعض الأندلسيين كانوا على دين ملوكهم وميّزوا الجواري الشقراوات عن السوداوات؛ فاختصوا الشقراوات للسادة أما السوداوات فألزموهنّ المطبخ وذلك بقولهم _عند انقلاب الأوضاع _[1] : " السُّود للسَّادة، والبيض للرمادة " [2]، كما أنهم عبَّروا عن الحادث التافه الذي لا يعيرونه اهتماماً بقولهم[3]: " سَوْدَ زَنَتْ، قال: قُلَّة انْكَسَرَتْ " [4] وربَّما كان هذا المثل دلالة على شكٍّ الأندلسيين في إخلاص الجواري السوداوات، وربَّما أضحت خيانتهن أمراً طبيعياً اعتاد عليه الأندلسيون وأضحت خيانتهن وسوء أخلاقهن من الأسباب في تفضيل الشقراوات عليهن.

وعلى الرغم من أن الأندلسيين عرفوا الجواري السوداوات واتخذوهنّ للفراش والولد[5]، إلا أني لم أجد غير مقطوعة غزلية واحدة في جارية سوداء، نظمها أميّة بن عبد العزيز الدانيّ في جارية سوداء اسمها **عزَّة** فقال: [6] [السَّريع]

يا **عزُّ** عزَّ الوَجْدُ صَبريْ بِما ... أصْبَحت مِنْ حُسنكِ تُبْدِينَهْ
ما أنْتِ إلاّ لعبةٌ ما بَدَتْ ... للمَرءِ إلاّ أفْسَدَتْ دِينَهْ
وقدْ أفَدْتِ المِسْكَ فَخراً بأن ... أصْبَحَ يَحْكيكِ وتَحْكِينَهْ
لا شَكَّ إذ لونُكُما واحِدٌ ... أنّكُما في الأصْلِ مِنْ طِينَهْ

وافتقاري إلى أبيات غزلية في السوداوات لا يعني أن كلّ أهل الأندلس فضَّلوا الشقراوات عليهن؛ ذلك أن ابن حزم قال: [7] [الطَّويل]

يعيبون لون النور والتِّبر ضلة ... لِرأيِ جَهولٍ في الغَوايةِ مُمتَدِّ

---

[1] – انظر أبو يحيى الزجالي، أمثال العوام (المُقدِّمة) 219/1.
[2] – أبو يحيى الزجالي، أمثال العوام، 68/2.
[3] – انظر أبو يحيى الزَّجالي، أمثال العوام (المُقدِّمة) 221/1.
[4] – أبو يحيى الزَّجالي، أمثال العوام، 421/2.
[5]– انظر توفيق بن عامر، الحضارة الإسلامية وتجارة الرقيق ، 293، نقلاً عن السقطي، آداب الحسبة، 48-49.
[6] – العماد الأصفهاني، الخَريدَة، ق4 ج324/1-325.
[7]– ابن حَزم، رسائله، 133/1.

وأبْعَــدُ خَلْــقِ الله مِــنْ كــلِّ حِكمَــةٍ   مُفَــضِّلُ جِــرمٍ فــاحِمِ اللــونِ مُــسْوَدِّ

وشِعر ابن حزم وإن كان يدلُّ على ذوقه وذوق بني أمية إلا أنه يدلُّ علــى أن بعــض الأندلسيين فضَّلوا الجواري السوداوات الفاحمات على غيرهن، كما أنهم رأوا أن الشُقرة عيــب من العيوب التي تحول دون اقتناء الجارية، ولا أعتقد أن ذوقاً واحداً ساد الأندلس، أي أنــي لا أظن أن كل الأندلسيين فضلوا الجواري الشقراوات على السوداوات أو العكس، فهذه أمور نسبيَّة تختلف باختلاف الأفراد وأذواقهم.

ولم يتوقف بعض الشُّعراء عند التغزّل بالجمــال فحــسب، فقــد تغــزّل أبــو عثمــان السَّرَقُسْطي[1] بصوت الجارية وجمالها معاً، فهو يرى أنه لا معنى للحيــاة إلا بالمــدام ورفقــة جارية تغني على أوتار آلتها، وغناء هذه الجارية ليس كغيرها من الجواري؛ فهــي تُبــدع فــي الغناء وتُحسن صنعته، وتَبرع في المزج بين الأنغام والألفاظ فتصب الألحان الذهبية في وعــاء الكلمات الفضي كي تُمتع الآذان بسبيكة فنية بارعة، كما تُمتع العيون بجمالها وإشراقها يقــول: [2]
[الكامل]

لا عــيشَ إلا فــي المــدامِ وقينــةٍ   تَــشدو علــى وتــرٍ فــصيحٍ ألثــغِ[3]
تُغنَــى بتَقْــديرِ الزَّمــانِ ومَــسْحِهِ   فيجــيءُ بــينَ مُمــلأٍ ومُفَــرَّغِ
وكأنمــا نغماتُهــا فــي لفظهــا   ذهــبٌ أُســيلَ علــى لُجــيْنٍ مُفْــرَغِ
وإذا نظــرتَ إلــى محاســنِ وجهِهــا   ناديــتَ يــا قَمَــر الــسَّما لا تَبــزُغِ

---

[1] – هو سعيد بن فتحون بن مُكْرَم التجيبي السَّرقسطي الملقَّب بالحمــار، كــان عالمــاً بــالنحو واللغة، وجمع رسائل في الفلسفة تدل على تمكّنه فيها، رحل إلى صقلية بعد أن خرج من ســجن المنصور بن أبي عامر ومات فيها. انظر الحميدي، جَذوَةُ المُقتــبس،1/ 362، الــضَّبي، بُغيَــة المُلتَمس، 311، ابن عبد الملك المرَّاكشي، الذَّيل والتَّكمِلة، 40/4، الــسيوطي، بغيــة الوعــاة، 256.

[2] – الكتَّاني، التَّشبيهات، 105.

[3] – الألثغ: الذي لا يستطيع أن يتكلم بالراء، وقيل: هو الذي يجعل الراء غيناً أو لاماً أو يجعــل الراء في طرف لسانه أو يجعل الصاد فاءً، وقيل: هو الذي يتحول لسانه عن السين إلــى الثــاء وقيل: هو الذي لا يتم رفع لسانه في الكلام وفيه ثقل. ابن منظور، لسان العــرب، مــادة (لثــغ) 448/8.

وأظن أن الحياة التي يقصدها هي حياة اللهو ومجالس الأُنس، فإذا لم تشدُ فيهــا جاريــة مغنية فقدت الحياة معناها وأضاعت رونقها، ويبدو أن الجواري المغنيــات أصــبحن حاجــة لا يمكن الاستغناء عنها في مجالس المجتمع الأندلسي وركناً أساسياً في مجالس اللهو.

وكأن الجواري لم يقنعن بما نلنه من غزل في جمالهنّ ومــواهبهنّ، فاســتعنّ بوســائل الزينة ومنها الخضاب الذي زيّنّ به أيديهن، ويبدو أن الجواري الأندلسيَّات لم يستخدمن الزينــة دون ذوق بهدف الزينة فحسب؛ فقد فكّرن بتناسب ألوان الخضاب مع بشرتهنّ ونَسَّقنَها مع لــون شعرهنّ، وعرفن ما يناسبُهنّ وما يناسب غيرهنّ من زينة، وهذا ما فعلته الجارية التي تغزّل بها أبو الحسن الحصري[1] فقد خضبت يديها البيضاء الجميلة بخضاب أسود فزاد يديها جمالاً، كمــا أنها نسّقت لون خضابها الأسود مع شعرها، ويبدو أن ذوق الجارية لم يتوافــق مــع ذوق أبــي الحسن فقد أنكرت عليه خضاب شعره ربَّما لأن الخضاب لا يليق بهيئته أو عمره، أو لأنــه لــم يعرف أصول الزينة مثلها، فردّ عليها بقوله: [2] [الكامل]

خَــضَبَتْ يَــديها لــونَ فاحِمِهــا فمــا	نَقُــصَ البيــاضُ ملاحــةً بــل زادا
مــا بــالُ شــيبي تُنكِــرين خِــضابَه	وأراكِ خاضِــبة البيــاض ســوادا
قالــت نجيعُــك[3] فــي يــديَّ وإنَّمــا	بدَّلتُــه أســفاً عليــكَ حــدادا

وتغزّل الشُّعراء بشَعْر الجواري وهيئته، فظهر من غــزلهم مــدى اهتمــام الجــواري بشَعرهنّ وتصفيفه بطريقة جميلة، وعندما تغزّل ابن بطال[4] بتصفيفة شَعر إحداهن ظهر لــي أن

---

[1] – هو أبو الحسن علي بن عبد الغني الفهري الحصري، مقرئ ولغويّ ونحويّ وأديب ضرير، دخل الأندلس بعد الخمسين وأربعمائة فمدح ملوكها إلا أنه لم ينل تقديراً كافياً فقرر الرحيل. قال شعره المذكور في مدينة مُرْسِيَة سنة إحدى وثمانين وأربعمائة. انظر ابن دحية، المُطـرب، 79، السيوطي، بغية الوعاة، 341.

[2] – ابن دحية، المُطرب، 79.

[3] – النَّجيع: الدّم وقيل: هو دم الجوف خاصة، وقيل: هو الطّري منه، وقيــل: مــا كــان إلــى السواد. ابن منظور، لسان العرب، مادة (نجع) 348/8.

[4] – هو أبو أيوب سليمان بن محمد بن بطال البَطَلْيَوسيّ المعروف بالمتلمس، شــاعر محــسن كثير الشعر، وعالم في المذهب المالكي توفي سنة 400هــ. انظر الحميدي، جَــذوَةُ المُقتــبس، 344/1، الضَّبي، بُغيَة المُلتَمس، 297، المَقَّري، النَّفح، 260/4، 404/4.

تصفيف شعرهن تصفيفٌ بسيطٌ جميل يلفت الأنظار ويُشغل الخاطر، فقد عقفت جارية ابن بطال شعرها على هئية هلال يتجه طرفُه نحو صدغها، فظهرت خصلةُ شَعرها كعقرب يحــرس ورد خدودها ويلدغ كل من ينظر وكان غزله فيها: [1] [الكامل]

تَرنـــــو لواحظُنــــا لتقطـــــفَ وردَه | فتـــدبُّ عقربُـــهُ فتلـــسعُ مَـــن رنــا
فكـــأن عقـــربَ صُـــدْغِه فـــي خـــدِّه | دبَّـــت لتمنـــعَ ورده أن يُجْتَنـــى

أما ابن بسام فقد تغزّل بجارية تزيّنت بقرط لامع وسوار وضعته على عــضدها، كمــا تغزّل بلباسها الأنيق الذي جمع ألوان الطيف، وعلى الرغم من أني لم أجد أي نــص أو شــعر يتحدث عن كيفية اقتناء هؤلاء الجواري الحلِي أو الملابس إلا أنّ المنطق يــستوجب أن يُــوفر مالك الجارية كل احتياجاتها من مأكل وملبس وحلِي وغيره، ولابد من أن هذه الاحتياجات كــان لها حيِّزٌ في ميزانية مالك الجارية، وأظن أن هذا الحيِّز اختلف تبعاً لثروة المالــك واحتياجــات الجارية، فربَّما كان قرطاها من ذهب وملابسها من الحرير أو كانــا غيــر ذلــك، إلا أن هــذه الجارية بكل زينتها نالت إعجاب ابن بسام فتغزّل بها قائلاً : [2] [الرَّمَل]

صـــاغت الجـــوزاءُ قـــرطين علـــى | مـــــسمعيها والثريـــــا دُملُجـــــا[3]
واســـتجادتْ مـــن ســـماها حلـــلاً | فكــــساها قُـــزَحٌ مـــا نـــسجا

ويظهر _ للوهلة الأولى _ وكأن ابن عمَّار الشَّاعر الوحيد الذي نظم شعراً عذرياً فــي جارية، فقد توجّه في قصيدة له للجارية **نُعْمى**، وأخبرها كيف يتعذب من حبها ويتمنى لقاءهــا، وأعلمها أنه يزور محل إقامتها أملاً برؤيتها، كما ضمّن اسمها أوائل الأبيات الأربعــة الأولــى فقال: [4] [الكامل]

نَفْـــــسيْ وإن عـــــذَّبتِها تَهـــــواكِ | ويهزُّهـــا طـــربٌ إلـــى لُقيـــاكِ
عَجَبـــاً لهـــذا الوَصْـــلِ أصـــبحَ بيننـــا | مُتَعـــذَّراً ومُنـــايَ فيـــه مُنـــاكِ

---

[1] – الكتَّاني، التَّشبيهات، 126.
[2] – ابن بسَّام، الذّخيرَة، ق3 م1/491.
[3] – الدُّمْلُج: والدُّمْلُوج المِعضَد من الحُلي. ابن منظور، لسان العرب، مادة (دملج) 2/276.
[4] – ابن الأبَّار، الحُلَّة السِّيراء، 2/164.

ما بـــالُ قلبــي حــينَ رامَــكِ لــمْ ينــلْ ولقـــدْ تَرومـــكِ مُقلتـــيْ فَتَـــراكِ
اللهُ أعلـــــمُ مـــــا أزورُ لحاجـــــةٍ ذاكَ المَحَـــــلَّ لغيـــــرِ أنْ ألقـــاكِ

إلا أن الأبيات اللاحقة تُظهر أن ابن عمَّار لم ينظم في **نُعْمى** أيَّ غــزل عــذري؛ فقــد صرَّح أنه يودّ لقاء **نُعْمى** دون رقيب كي يرتوي من لماها، ويروح ويجيء في رياض خــدها، ويشرب من كأس فتور عينيها، ويرقب قدّها الممشوق، إذن حب ابن عمَّار لم يكن سوى إعجاب مادي، قال:[1] [الكامل]

ليـــتَ الرقيـــبَ إذا التقينـــا لـــمْ يكـــنْ فأنـــالَ ريَّـــاً مـــنْ لذيـــذِ لَمـــاكِ
متنزهـــاً فـــي روضِ خـــدِّكِ شـــارباً كـــأسَ الفُتـــورِ تُـــديرها عَينـــاكِ
حَكَـــتِ الغـــصونُ جمـــالَ قَـــدِّكِ فانثنـــتْ والفـــضلُ للمحكـــيِّ لا للحـــاكي
لا تعـــذُبي يـــا روضـــةً ممطـــورةً حتـــى أمـــدَّ يـــديْ إلـــى مَجْنـــاكِ

ويبدو أن غزل ابن خفاجة **لعَفْراء** نبع من إعجاب مادي أيضاً، فعلى الــرغم مــن أنــه يُظهر الحب والشوق لها ويُرسل سلامه إليها مع برق السماء، إلا أنه يتمنى أن يلقاها كي يلــثم ثغرها ويضمها إلى صدره ويتمتع بها، يقول: [2] [الطَّويل]

أرِقـــتُ لـــذكرى منـــزلٍ شـــطَّ نـــازحٍ كَلِفـــتُ بأنفـــاسِ الـــشَّمال لـــه شـــمّا
فقلـــتُ لبـــرقٍ يَـــصدعُ الليـــلَ لائـــحٍ ألا حـــيِّ عنّـــي ذلـــكَ الرَّبْـــعَ والرَّســـما
وبلّـــغ قَطـــينَ الـــدَّارِ أنّـــي أُحـــبّهمْ علـــى النـــأي حُبـــاً لـــو جزونـــي بـــه جمّـــا
وأقـــرئْ **عُفيـــراءَ** الـــسّلامَ وقُـــل لهـــا ألا هـــل أرى ذاكَ الـــسّها قَمَـــراً تمّـــا
وهـــل يتثنّـــى ذلـــك الغُـــصنُ نَـــضرةً بجَرْعـــا[3] وهـــل ألـــويْ معاطفَـــهُ ضَـــمَّا
ومن لـــي بـــذاك الحـــشفِ مـــن مُتقَـــنّصٍ فآكُلَـــــهُ عـــــضّاً وأشْـــــرَبَهُ لَثمـــــا

---

[1] – ابن الأبَّار، الحُلَّة السِّيراء، 164/2.
[2] – ابن بسَّام، الذّخيرَة، ق3 م577/2.
[3] – بجَرْعا: الجَرْعاءُ: الأرض ذات الحُزُونة تُشاكِل الرَّمل، وقيل: هي الرَّملةُ السَّهلةُ المُستوية، وقيل: هي الدِّعْصُ لا تُنبتُ شيئاً. ابن منظور، لسان العرب، مادة (جرع) 46/8.

وأظنُّ أن الكثير من الأندلسيين لم ينظموا شعراً عذرياً في الجواري، وأن غزلهم فـيهنّ كان غزلاً ماديّاً نبع من جمالهنّ وسهولة الاختلاط بهنّ، فقد التقى الأندلـسي الجاريـة وبادلهـا الحديث وضمها ولثم ثغرها حتى الفجر، لذا لم يشعر الأندلسي بعذاب الهوى أو يتجرّع الحرمان ويسهر الليالي يذرف الدموع، ويبدو لي أن الجواري ساهمن في إخماد نار الغزل العذري ببذل الغالي والرخيص في أثناء تنافسهنّ مع بعضهنّ كي تظفر كل منهنّ بالرجل الموعود، وأظن أن الشعر الأندلسي لم يخلُ من الغزل والحب العذري، إلا أني لم أحظ به في المصادر التي توفرت بين يدي وربَّما ضاع دون أن يترك للباحثين أي أثر، ومن الجَدير بالذِّكر أن كلاً من ابن عمَّـار وابن خفاجة بدأ قصيدته بأبيات غزلية حسيّة ربَّما أراد الشَّاعران بذلك أن يُقلدا القصيدة العربيَّـة القديمة أو أنهما ألقياها على مسامع الجواري لغاية في أنفسهن.

2- الجواري في الحنين

كانت الجواري في الأندلس أداةً للمتعة والتـسلية بالدرجـة الأولـى، إلاّ أن جمـالهن وذكاءهن دفع الرجال الأندلسيين للوقوع في حبهنّ، فصارت الجارية للتسلية واللـذة الروحيـة، فَنَعِمَ الرجل بجمالها وذكائها وظُرفها، وتعلّق بها حتى صَعُبَ عليـه فراقهـا، وإذا مـا فارقهـا يُفارقها مُكرهاً لأنه عليه الخروج إلى الغزو أو لأنها ليست ملك يمينه ولا يستطيع رؤيتها كلّمـا شاء أو لأنها تخاف عيون الرُّقباء، فيعتريه الحنين إليها والشوق لرؤيتها ويذرف الدموع لفراقها، وينتظر طيفها ويتمنّى لقاءها.

وربَّما كان الحنين أسمى العواطف التي يتعرَّض لها الرجل عند فراقه الجارية فيتسامى في أشعاره عن كل ما هو مادي شهواني[1]، ويستشعر مدى حبه وتعلُّقه بالجارية التي وقـع فـي حبها، فتصبح الجارية أقرب مخلوق إليه، وينسى كلَّ أهله ولا يذكر غيرَها؛ فمعها يُحس السكينة والطمأنينة وإليها يشكو همّه، إلاّ أنه لا ينعم بها فهو بعيد عنها، ولا يملـك إلا الإيمـان بالقـدر والرِّضا بحال الدنيا.

---

[1]- انظر وائل أبو صالح، الجواري في الأندلس، 117.

ولم يكن شعر الحنين دائماً نتيجةً لشوق وحنين، فربَّما كان مجرّد غرض يـشحذ فيـه الرجل قريحته الشعرية ويتسلّى بلعبة كلامية مع أحد أصحابه، وربَّما لم ينبع شعر الحنـين مـن عاطفة سامية دائماً؛ فقد ينبع من عاطفة شهوانية يحنُّ فيها الشَّاعر إلى محاسن الجارية ويتمنـى أن يلقاها كي يعيدا زمن الوصل من جديد.

وبلغ شعر الأندلسيين في الحنين إلى الجواري مائة وثمانية وثلاثين بيتاً _ من المصادر المتوفرة بين يدي _ توزّع بين بيتين مفردين وثلاث نتف وثماني عـشرة مقطوعـة، وتركّـز معظمه في عصر ملوك الطَّوائف؛ فقيل فيه واحدٌ وخمسون بيتاً توزعت على خمـسة شـعراء أندلسيين من أصل خمسة عشر شاعراً، وذكر الشُّعراء الخمسة أسماء الجواري الخمس اللاتـي حنوا إليهن، فورد في شعر الحنين ثلاثة عشر اسماً من أسماء الجواري في الأندلس.

ولم يردع الرجل الأندلسي عن قول شعر الحنين الرقيق أيّ رادع، فقد أحسّ الأمير عبد الرّحمن بن الحكم بألم الحنين والشوق لمحبوبته **طَرُوب** في إحدى غزواته، فلم يملك إلا النحيـب في الليل ربَّما اتقاءً لعيون المتطفلين، أو لأن الشمس المنيرة _ التي تذكِّره **بطَرُوب** _ غابت عنه فلا يستطيع النظر إليها كي تؤنسه وتخفِّف من حنينه، فإذا غابت الشمس وحلّـت عتمـة الليـل زادت وحدته واستيقظ شوقه لها فلم يجد ما يُسلِيه عنها يقول:[1] [المتقارب]

فقـدتُ الهـوى مُـذْ فَقَـدتُ الحَبيبـا ... فمـا أقطـعُ الليـل إلاّ نَحيبـا
وإمَّـا بَـدَتْ لَـيَ شـمسُ النَّهـا ... رِ طالعـةً ذكَّرَتْنـي **طروبـا**
أُلاقـي بـوجهي سُـمومَ الهَجيـر ... إذا كـادَ منـهُ الحَـصى أن يـذوبا

وبما أن المصادر الأندلسيّة حفظت هذه المقطوعة فهذا يعني أن الأمير عبـد الـرّحمن قالها على الملأ أو أنه لم يكن وحده على الأقل، وما يعنيني هنا هو أن أمير الأندلس لم يـر أيّ حرج في أن يُصرِّح بحنينه وبكائه لبُعده عن جارية، وهذا يدل على أن المجتمع الأندلـسي لـم يستنكر حنين الرجال للجواري وبالتالي كان يتقبّل علاقة عاطفية تجمع بينهما.

---

[1] – ابن الأبَّار، الحُلّة السِّيَراء، 1/114-115.

وأنا أتساءل إذا كان الأمير عبد الرّحمن يحنّ **لطَرُوب** هذا الحنين ويبكي فراقها فلِمَ لَمْ يصطحبها معه في غزواته؟ ربَّما لأنه لم يكن من عادة الأندلسيين أن يأخذوا جواريهم معهم، أو لأن الأمير عبد الرّحمن لم يَعْتد أن يُطيل الغياب في غزواته فارتأى أنه لا ضرورة لاصطحابها إلا أن الحنين باغته فلم يكن بيده حيلة غير البكاء، أو لأنه كان من عادة الأمير عبد الرّحمن أن يُحس بالحنين **لطَرُوب** في كل غزواته سواءً طال غيابه عنها أم قصر؛ فالحنين يبدأ عند فراق المحبوبة بغض النظر عن الأيام و الساعات.

لقد كان حنين الأمير عبد الرّحمن لجاريته **طَرُوب** نتيجةً نابعةً من قراره الشخصيّ بالخروج للغزو، إلا أن الحنين لم يكن خياراً لدى الجميع؛ فقد وصف أبو بكر الزُّبيدي الإشبيلي[1] حنينه لجاريته **سلمى** التي تركها في إِشْبِيلْيَة عندما خرج إلى قُرْطُبَة كي يؤدب هشام المؤيد، ولما اشتدّ حنينه إليها طلب من هشام الإذن في العودة، إلا أن هشاماً لم يُعطه الإذن فزاد حنينه إليها وقال: [2] [مخلّع البسيط]

ويحكِ يا **سَلْمُ** لا تُراعي ... لا بُدَّ للبَيْنِ من زَمَاعِ
لا تَحْسَبِيني صبرْتُ إلا ... كصبر مَيْتٍ على النِّزاعِ
ما خلقَ اللهُ منْ عذابِ ... أَشَدَّ من وَقْفَةِ الوَداعِ
ما بيننا والحِمامُ فَرقٌ ... لولا المناحاتُ والنَّواعي
إن يفترِقْ شَمْلُنا وشيكاً ... من بَعْدِما كانَ ذا اجتماعِ
فكُلُّ شَملٍ إلى افتراقٍ ... و كُلُّ شَعْبٍ إلى انْصِداعِ
وكُلُّ قُربٍ إلى بعادِ ... وكُلُّ وَصْلٍ إلى انقِطاعِ

---

[1]– هو أبو بكر محمد بن الحسين الزبيدي الإشبيلي، إمام في النحو واللغة والإعراب والنوادر وشاعر غزير الشعر، كان من بطانة الحكم المُسْتَنصِر وأصحابه، وولاه قضاء إِشْبِيلْيَة وشرطتها، توفي 380هـ. انظر الحميدي، جَذوَةُ المُقتبس، 1/85–86، الضَّبي، بُغيَة المُلتَمس، 66–67، ابن خاقان، مطمع الأنفس، 276، عبد الواحد المرّاكشي، المُعْجِب، 62، ابن خلكان، وَفَيات الأعْيان، 4/372–373، ابن سَعيد، المغرب، 1/255–256، السيوطي، بغية الوعاة، 34.

[2] - الحميدي، جَذوَةُ المُقتبس، 1/88، الضَّبي، بُغيَة المُلتَمس، 66، عبد الواحد المرّاكشي، المُعْجِب، 65، ابن خلكان، وَفَيات الأعْيان، 4/373، ابن سَعيد، المغرب، 1/255–256، المَقَّري، النّفح، 5/157.

يبدو أن أبا بكر الزبيدي عانى من آلام حنين حقيقي، إلا أنه لم يملك الخيار في وقف ألمه ولم يجد غير الرضا بقدر الله والصبر على فراق **سلمى**، ولكن ماذا عن زوجته وأولاده؟، الواقع أنني لم أجد أيَّ ذكر عن كونه متزوجاً ورُزق بأولاد أو غير ذلك، ولكن إن كان ربّ أسرة فيُتوقع منه أن يحنّ لأهله أيضاً، إلا أنني لم أجد شيئاً من هذا، ربَّما لأن **سلمى** احتلت مكانة مميّزة في قلب أبي بكر، أو لأنه اصطحب معه عائلته إلى قُرْطُبَة وتركها في إِشْبيلْيَة، وإن كان تركها في إِشْبيلْيَة فلِم فعل ذلك؟ ومهما كانت أسباب فراقهما أو أسباب منع هشام المؤيد أبا بكر أن يعود إلى إِشْبيلْيَة، فإن حنينه **لسلمى** يدلّ على أن الجارية في الأندلس كان لها دور وأهميّة، وأنها أضحت حاجة روحية لا غنى عنها.

ويتضح دور الجارية كرفيقة وسَكَن عندما يشعر مالكها بالحنين إليها ويذكرها دون غيرها فيشكو لها صروف الدهر؛ وقد حنّ هاشم بن عبد العزيز[1] لجاريته **عاج** وهو قابع في سجن الأمير محمد بن المنذر، وعلى الرغم من إحساسه بالضيق في سجنه وعلمه أنه هالك لا محالة، إلا إنه لم يُقاوم حنينه **لعاج** فكتب إليها يخبرها عن حنينه وأنه لا يستطيع رؤيتها؛ فهو حبيس سجن منيع وضحية صروف دهر عجيب ملأ نفسه غماً وحزناً، ومنع وصول النوم إلى عينيه فبات ساهراً: [2] [الطَّويل]

وإنِّي عَداني[3] أن أزورَكِ مَطْبَقٌ ... وبابٌ منيعٌ بالحديد مُضَبَّبُ
فإنْ تعجبيْ يا **عاجُ** مما أصابَني ... ففي رَيبِ هذا الدّهرِ ما يُتعجبُ
وفي النفس أشياء أبيتُ بغمِّها ... كأنِّي على جَمْرِ الغَضى أتَقَلَّبُ
تركتُ رَشَادَ الأمْرِ إذ كنتُ قادراً ... عَلَيه فلاقيتُ الذي كنتُ أَرْهَبُ

---

[1] – هو أبو خالد هاشم بن عبد العزيز بن هاشم، كان جواداً وفارساً وكاتباً وشاعراً، تزوج حمدونة بنت زرياب، واختاره الأمير محمد بن عبد الرّحمن وزيراً لدولته، ولما توفي الأمير محمد أعطاه ابنه الأمير المنذر الحجابة إلاّ أن حُسّاده أوقعوا بينه وبين الأمير فقتله بعد أشهر من توليه الحجابة في 273هـ. انظرابن حيَّان، المُقتبس، 159-171، ابن الأبَّار، التَّكملة، 242/4، الحُلَّة السِّيَراء، 137/1-140، ابن سَعيد، المغرب، 94/2.

[2] – ابن الأبَّار، الحُلَّة السِّيَراء، 140/1-141، ابن عِذَاري، البيانُ المُغرب، 115/2-116.

[3] – عَدَاني: ظلمَ ظُلماً جاوز فيه القَدْر. ابن منظور، لسان العرب، مادة (عدا) 32/15.

وحنين هاشم **لعاج** لم يتضمّن العجز عن اللقاء والشكوى من الدهر فحسب، بل شاركها أفكاره وما يدور في رأسه وما قيل له من أحاديث ونصائح وتوصيات مفادها انجُ بنفسك واهرب إلى أرض الله الواسعة، ووسط عواطف الحنين والشكوى يُقدّم هاشم خلاصة تجربته لعاج فيقول: [1] [الطَّويل]

وكَمْ قائلٍ قال انْجُ وَيْحَكِ سالماً ففي الأرضِ عنهُمْ مُستراذٌ ومذهبُ
فقلت له إن الفرار مذلةٌ ونفسي على الأسواءِ أحلى وأَطْيبُ
سأرضى بحكم الله فيما ينوبني وما من قَضاءِ الله للمرءِ مَهْرَبُ
فمن يكُ أمسى شامتاً بي فإنهُ سينهلُ في كاسي وشيكاً ويَشْرَبُ

وصادفني حنينٌ غريبٌ وهو ما نظمه سعيد بن جودي في **جيجان** جارية الأمير عبد الله ابن محمد؛ فقد أوقعه صوتها في حبها دون أن يراها، وظلّ قلبه معلقاً بها، ولم يُسله شيء عنها، ولم يعرف حنينُه لها نهاية، فاشتاقت أذناه لسماع صوتها ولكن الوصول إليها محال؟ لذا قرر سمعه ألا يحيا دونها وحرّم على نفسه روحه، ولما كان قراره مستحيلاً اعتاض قلبه بلوعة الحزن، وذرفت عيناه الدموع شوقاً وحنيناً إلى **جيجان** التي لم يرها وظلّ يبكيها ويحنّ إليها بقوله: [2] [البسيط]

سمعي أَبى أنْ يكونَ الرُوحُ في بَدني فاعتاضَ قَلبيَ منهُ لَوعَةَ الحَزَنِ
أعطيتُ **جيجانَ** روحي عنْ تذكُّرِها هذا ولمْ أرَها يوماً ولمْ تَرَني
كأنّني واسمُها والدَّمْعُ مُنسكبٌ منْ مُقلتي راهبٌ صَلى إلى وَثَنِ

ولا أدري السبب وراء عدم تمكّن ابن جودي من رؤية **جيجان**، فهي ليست كغيرها من الحرائر اللواتي قُدّر لهن أن يقضين حياتهن في الخدور ولا يرين الرجال، كما أن الشرع أباح للجواري السفور ومنعهن من الجلباب[3]، وقد يعود السبب وراء تستّر **جيجان** إلى غيرة الأمير عبد الله بن محمد أو حبه لتملك كل ما هو جميل.

---

[1]- ابن الأبَّار، الحُلّة السِّيَراء، 1/140-141، ابن عِذَاري، البيانُ المُغرِب، 2/115-116.

[2] - ابن الأبَّار، الحُلّة السِّيَراء، 1/-157-158.

[3]- انظر ابن عطية الأندلسي، المُحَرّر الوَجيز في تفسير الكتاب العزيز، 12/116.

أما المُعتَمد فلم يوارِ **الرُّمَيْكيَّة** عن الأنظار ولم يمنع أخباره معها من الذيوع والانتشار، فقد ذُكر أنه قرّر يوماً الخروج في نزهة مع ابن عمَّار وعندها أحسّ بالحنين **لاعتماد**، ويبدو أن حنينه لها بدأ من لحظة غيابها عن عينيه وإن كانت مقيمة في قلبه، ومما يُثير الغرابة والدهشة أن المُعتَمد لم يصبر على بُعده عنها في أثناء نزهة عابرة ولم يقاوم حنينه فأرسل لها مقطوعة ضمّن أوائل أبياتها حروف اسمها على الرغم من أنه لم يُطِل الغياب عنها: [1] [المتقارب]

أغائبةَ الشّخصِ عنْ ناظري ... وحاضرةً في صَميمِ الفُؤادِ
عليكِ سلامٌ بقدرِ الشُّجونِ ... ودمعِ الشؤونِ وقَدرِ السُّهادِ
تملّكتِ منّيَ صَعبَ المرامِ ... وصادفتِ وُدّيَ سَهلَ القيادِ
مراديَ لُقياكِ في كلِ حينٍ ... فيا ليتَ أنّيَ أُعْطَى مُرادي
أقيمي على العَهدِ ما بيننا ... ولا تَستَحيلي لِطولِ البِعادِ
دَسَستُ اسمكِ الحُلْوَ في طيّهِ ... وألَّفتُ فيهِ حروفَ **اعتمادِ**

إن أبياته التي خطَّ فيها حنينه وصدّرها بحروف اسم **اعتماد** تدفعني إلى الشك في أنها مجرد لعبة كلامية ابتدعها المُعتَمد للتسلية وشاركه فيها وزيره ابن عمَّار.

وتظهر هذه اللعبة الكلامية في شعر الحنين بشكل أوضح بين ابن السَّراج المَالقي[2] وصاحبه ابن الغليظ [3]، فعلى الرغم من أن ابن بسام قال إن ابن السَّراج هام بحب الجارية **حُسْن الوَرد**، وأن أصحابه وعلى رأسهم ابن الغليظ تحينوا الفرص لتذكيره بها وتحفيزه لنظم الشعر فيها؛ إلاّ أني رأيت أن ما نظموه مجرد مُسابقة شعرية بعيدة عن الحب، والغرض منها ارتجال

---

[1]- الدّيوان، 8.

[2] – هو أبو عبد الله محمد بن السَّراج المالقي، شاعر وأديب، له أشعار في دولة العلويين من بني حمود. انظر الحميدي، جَذوَةُ المُقتبس، 106/2، الضَّبي، بُغيَة المُلتَمس، 81، ابن بسَّام، الذّخيرَة، ق1 م870/2، ابن سَعيد، المغرب، 434/1.

[3]– هو أبو علي الحسن بن الغليظ المالقي، من شعراء عصر الطَّوائف وصاحب ابن السَّراج وبينهما مكاتبات كثيرة. انظر الأزدي، بدائع البدائه، 81، ابن سَعيد، المغرب، 435/1-436، المَقَّري، النّفح، 270/3.

الشعر وشحذ القريحة والتسلية؛ فبينما كان ابن السَّراج يجلس مع ابن الغليظ في حديقة غنّاء ذكَّرَه الورد المعلق في الأغصان **بحُسْن الوَرد** الهيفاء المشرقة فقال: [1] [البسيط]

ذَكَرتُ بالوردِ **حُسنَ الوردِ** شِقَّته ... حُسناً وطيباً وعهداً غيرَ مضمونِ
هيفاءُ لو بعثتُ أيامي لرؤيتها ... بساعةٍ لمْ أكنْ فيها بمغبونِ
كالبدرِ ركَّبَهُ في الغُصنِ خالقهُ ... فما ترى حينَ تبدو غيرَ مَفتونِ
فاشرَبْ على ذِكرِها خمراً كَريقتها ... وخُصّني بهواها حينَ تَسقيني

ثم تبعه صاحبه ابن الغليظ ونظم شعر حنين في **حُسْن الوَرد**، فالورد عنده يُلاصقه ذكراها كيف لا وهو جزءٌ من اسمها وقطعة من خدِّها؟، حتى إن خدَّها روضة ورود رائعة الجمال تهيم بها أيّة روضة [2] [الطَّويل]

ولما تَبَدّى الوردُ فوقَ غُصونه ... وذكّرني بالوَرْدِ في صفحةِ الخدِّ
ذكرتُ به مَن خدُّهُ ليَ روضَةٌ ... تهيمُ بها من حسنها روضةُ الوَرْدِ
فقلتُ لمن عَهدي له مثلُ عَهده ... سقاكَ الحَيَا[3] من صاحبٍ حافظ العهدِ
وقلتُ اسقني كأساً على طيب ذكرها ... فإنّيَ مشغوفٌ بها بينكُم وحدي

يبدو أن حنين كلٍ من ابن السَّراج وابن الغليظ **لحُسْن الوَرد** لم ينبع من حب لها، وإنما من اشتياق لمحاسنها الجسدية ومن الرغبة في وصالها، وبما أن كلا الشَّاعرين يشعران بهذا الحنين فإنهما يتسليان بنظم الشعر في مجالس الأنس وهما تحت تأثير الخمر، وأظن أن ابن السَّراج تعلّق **بحُسْن الوَرد** أكثر من ابن الغليظ لذا ظنّ ابن بسام أن ابن السَّراج هام بها، وقد يعود السبب إلى أن ابن الغليظ كان دوماً يهيج ابن السَّراج لذِكرها ويُهيِّئ له الجوّ المناسب كي ينظم الشعر فيها، لذا ظهر ابن السَّراج وكأنه عاشق يتعذَّب من بُعد **حُسْن الوَرد** عنه على الرغم

---

[1]- الذّخيرَة، ق1 م2/872-873.

[2]- ابن بسَّام، الذّخيرَة، ق1 م2/873.

[3]- الحَيَا: المطر. ابن منظور، لسان العرب، مادة (حيا) 215/14.

من أنه لا يشتاق إلا لمحاسن جسد **حُسْن الوَرد**، وأظن أنه رجل من جَمعٍ كبيرٍ من الرجال الذين اعتبروا الجارية تسلية ولم يَرَوا فيها غير الجسد.

3- الجواري في الرِّثاء

لم يقتصر القول في الجواري على الغزل والحنين؛ فتعدّاه كي ينتهي بالشَّاعر إلى رثــاء جاريته إذا ما توفاها الله، وهكذا يكون الرِّثاء آخر غرض يقوله الشّاعر في جاريته بعد رحيلهــا عن الدنيا؛ وربَّما كان تعبيراً عن إخلاصه وحبه لها حتى وهي بعيدة عنه في الدار الآخــرة، أو أنه ندب نفسه لخسارتها وفراقها.

ورثاء الجواري في الأندلس أو رثاء المرأة عموماً ما هو إلا دليل على تحــرُّر الفكــر العربي في الأندلس، وعلى الرغم من أن هذه الظاهرة موجودة من قبل في المــشرق إلا إنهــا كانت أوضح وأكبر حجماً في الأندلس، وخير مثالٍ على ذلك رثاء ابن جبير زوجــه أم المَجْــد بديوان شعر كامل[1]، وتميَّز هذا الرِّثاء بلوعة شديدة وبصدق عاطفي، وذلك لضياع السَّكن الــذي كان الرجل يأوي إليه في حياة سادها القلق والاضطراب[2]، وسمَّى إحسان عباس هذا اللون مــن الرِّثاء " البكاء على زوال الرِّقَّة والجمال "، وهو يرى أنه لون ذاتيّ خالص، باح فيــه الــشَّاعر بمكنونات نفسه دون حرج، وتحدَّث فيه عن الجمال وحلاوة العِشرة، ومثَّــل فيــه دور المُحــبِّ المشغوف، وذلك لأن الرجل الأندلسي شعر بقيمة المرأة وقدَّرها، وأحس بحاجتــه إلــى ســكن يرجع إليه وكانت المرأة تمثِّل هذا السكن لأنها كانت _ في الغالب _ تشاركه صعوبات الحياة[3].

ولاحظت أن رثاء الجواري في الأندلس يُعبّر عن مشاعر الحــزن والفجيعــة لفقــدان الشَّاعر جاريته الغالية، فهو يُريق الدمع لفراقها، كيف لا وهو لن يراها من جديــد ولــن يــنعم بصحبتها مرة أخرى، حتى إن بعض الشُّعراء يكاد لا يصدّق أنه نعم بوصل جاريته يوماً أو أنها ملأت أيامه أُنساً وفرحاً، فيندب الشّاعر نفسه لفقدانه جاريته صاحبة الجمال والــدَّلال، ويــشكو

---

[1] – انظر محمد مجيد السعيد، الشعر في عهد المرابطين والموحدين في الأندلس، 51.

[2] – انظر سعد شلبي، البيئة الأندلسيّة وأثرها في الشِّعر، 456-457.

[3] – انظر تاريخ الأدب الأندلسي عصر الطَّوائف والمرابطين، 119-120.

لياليه وزمانه ويهبُّ مسرعاً إلى قبر محبوبته فيعانقه، ولا يملك الشَّاعر إلاّ أن يرضى بقضاء الله ويُسلِّم بقدره.

ويتضح في بعض الرِّثاء أنه لم يجمع بين الشَّاعر والجارية أية علاقة؛ فابن دراج القسطلي رثى **صُبْح البَشْكَنسيَّة** أم هشام المؤيد، وأثنى على خصالها وأعمالها الخيِّرة كما أنَّه عزّى المنصور بن أبي عامر فيها بمرثيته التي بلغت أربعة وخمسين بيتاً.

و بلغ شعر الرِّثاء مائة وعشرة أبيات منها مائة وسبعة أبيات في عصر الطَّوائف، ونظم ابن دراج أربعة وخمسين بيتاً وابن حمديس خمسة وأربعين بيتاً منها _ من المصادر المتوفرة بين يدي _ ، وتوزّع شعر الرِّثاء بين نتفة وأربع مقطوعات وثلاث قصائد لستة شعراء ذكروا ثلاثة أسماء فقط هي **جوهرة** و **نُعم وصُبْح البَشْكَنسيَّة.**

وكان ابن حمديس من أبرز الشُّعراء الذين رثوا جواريهم، فبكى جاريته وأراق دمعه على فراقها عندما غرقت في البحر بعد خروجها معه إلى إفريقية، ولا يبكي ابن حمديس جاريته فحسب؛ وإنَّما يذرف الدم من مقلتيه على جمالها ومحاسنها بالإضافة إلى فضائلها التي لخّصها في ثلاث: الأخلاق والنَّفْسُ وصِغَر السن: [1] [البسيط]

لا صبرَ عنكِ وكيفَ الصَّبرُ عنكِ وقدْ ... طَواكِ عنْ عينيَ الموجُ الذي نَثَرَكْ
هلاّ وروضةُ ذاك الحسنِ ناضرةٌ ... لا تلحظُ العينُ فيها ذابلاً زَهَرَكْ
أماتكِ البحرُ ذو التيارِ من حَسَدٍ ... لمّا دَرَى الدرُّ منه حاسداً ثغَرَكْ
أيَّ الثلاثةِ أبكي فَقْدَهُ بدمٍ ... عميمَ خُلْقِكِ أم مَعناكِ أم صِغَرَكْ

ومن الجَدير بالذِّكر أن سعد شلبي _في دراسته لشعر ابن حمديس– عقد مقارنة بين رثاء ابن حمديس لكلٍّ من زوجته وجاريته، فلاحظ أن ابن حمديس بكى الصلاح والتقوى والكرم وأصالة النسب في زوجته، أما جاريته فبكى فيها الجمال والدَّلال وسماحة الأخلاق ورقة الطباع وصغر السن [2].

---

[1] – ابن حمديس، الدّيوان، 212.

[2] – انظر ابن حمديس الصقلي حياته من شعره، 118.

وأظن أن الشّاعر لم يتغزّل بزوجته ولم يتحدّث عن جمالها ودلالها وقدّم الحــديث عــن فضائلها الرئيسة من تقوى وأصالة نسب لكونها زوجته وأم أولاده بالإضافة لكونها امرأة حــرّة، أما عن جاريته **جوهرة** فعلى الرغم من كونها جارية كغيرها من الجواري اللــواتي اشــتراهنّ الأندلسيون للمتعة ولم يعتبروهنّ عورة، إلاّ أن صفاتها المذكورة فضائل عامة يرجوها الرجــل في الحرة والجارية على حدٍّ سواء.

وعلى الرغم من حزن الشّاعر على محبوبته وألمه لفراقها، إلاّ أن هذا لم يمنع الــشّاعر من ندب نفسه عن طريق التغزّل بمحبوبته؛ فذكر حال جاريته القديم وما آل إليــه اليــوم بعــد موتها، فقد حجب الموت بريق وجه محبوبته الغالية **جوهرة**، واستلّ روحها من جسدها بعــد أن كان حيّاً ينبض بالحياة: [1] [البسيط]

يا وَجْهَ **جوهرةَ** المحجوبَ عــنْ بــصريْ	من ذا يقيكَ كُــسوفاً قــدْ عــلا قَمَــركْ
يا جسمَها كيفَ أخلو مــنْ جــوىْ حَزَنــيْ	وأنتَ خالٍ من الــرّوحِ الــذيْ عَمَــركْ

وملأ ندب الشُّعراء لأنفسهم حيزاً واسعاً في رثائهم لجواريهم؛ لذا اعتقــد فــوزي ســعد عيسى أن "رثاء ابن طفيل[2] لجاريته كغيره من رثاء الجواري؛ فالشّاعر لا يهتم بالبكــاء علــى الجاريه بقدر اهتمامه بندب محاسنها والتغزل في جمالها والإشادة بمفاتنها الجسدية التــي حُــرم منها، فهذا البكاء ما هو إلاّ حزن على زوال الجمال، وانتهاء دولة الوصل" [3] وعلى الرغم مــن أني أظن أن الدّافع الرئيس لاقتناء الجواري وشرائهن هو الجمال والمفاتن الجسدية، وأن العلاقة الأولى التي تجمع السيّد والجارية هي العلاقة القائمة على الجمال والمتعة، إلا أن هذا لا يستبعد أن تتطوّر العلاقة فيقع السيد في حب جاريته، وبهذا تتخذ العلاقة بين السيد والجارية بُعداً آخــر فتجمع التعلُّق العاطفي إلى جانب الانجذاب الجسدي.

---

[1] – الدّيوان، 213.

[2] – هو أبو القاسم بن طفيل سكن مَالَقَة، وكان يكتب عن وُلاتها من ملوك بنــي عبــد المــؤمن عاصر أبا ابن سَعيد. انظر ابن سَعيد، المُغرب، 84/2.

[3] – الشعر الأندلسي في عصر الموحدين، 235.

ويرى سعد شلبي أن ابن حمديس لم يرفع جاريته جوهرة إلى منزلة زوجته أو إحدى بناته؛ فعلى الرغم من أنه ذكر اسم محبوبته إلا أنه لم يذكر اسم أي من بناته،[1] ولكن الأندلسيين والعرب عامّة لم يعتبروا ذكر اسم المرأة مما يُشينها، فقد ذكر بعض المشارقة أسماء زوجاتهم عندما رثوهنّ ومنهم الفرزدق الذي قال: [2] [الطويل]

يقولونَ زُر حَدْراءَ والتُّرْبُ دُونَها   وكَيْفَ بِشيءٍ وَصْلُهُ قَدْ تَقَطَّعا

ونظم الوليد بن يزيد بن عبد الملك رثاءً في زوجته سليلة عثمان بن عفان فذكر اسمها قائلاً: [3] [الوافر]

أَلَمَّا تَعْلَما سَلْمى أقامت   مُضَمَّنَةً مِنَ الصَّحراءِ لَحْدا

وأعتقد أن ذكر اسم المرأة في الرثاء لا يحطُّ من شأنها، فإن كان أهل المشرق ذكروا أسماء زوجاتهم فكيف بأهل الأندلس الأكثر تحرراً وانفتاحاً، إذن فالأندلسيون وابن حمديس لم يميِّزوا بين رثاء جواريهم وحرائرهم.

وأظن أن ابن حمديس عانى من تأنيب الضمير؛ فعلى الرغم من أن ما أصاب جاريته كان قدراً سلّم الشّاعر به إلا أنه في الوقت نفسه يذكّرها بأنه كاد أن يغرق هو الآخر غير أنه لم يشرب كأس الموت التي شربت منها محبوبته، لذا أراق الشّاعر دمعه وبكاها وبكى نفسه معها وهو يتحسّر على فقدانها، وكأن ابن حمديس يُحسّ بالذنب لأنه لم يتمكن من إنقاذها ويبرِّرُ لها طول أجله وقِصر أجلها فيقول: [4] [البسيط]

إنْ كانَ أسلمكِ المضطرُّ عن قَدَرٍ   فلمْ يَخنْكِ على حالٍ ولا غَدَرَكْ
هل كان إلاّ غريقاً رافعاً يَدَهُ   نهاهُ عن شُربِ كاسٍ من بها أمرك
وما نجوتُ بنفسي عنكِ راغبةً   وإنّما مَدّ عُمْري قاصرٌ عُمُرَكْ

---

[1] – انظر ابن حمديس الصقلي حياته من شعره، 118– 120

[2] – الدّيوان، 422/1.

[3] – الأصبهاني، الأغاني، 32/7.

[4] – الدّيوان، 212–213.

وظلت ذكرى **جوهرة** محفورة في قلب الشّاعر وعقله؛ فكأنه متأهب لأي محفّز يُذكِره بها حتى يبكيها من جديد، فقد قال لما رأى صبياً يغرق في البحر ويستنجد بمن حوله: [1] [البسيط]

وسابحٍ لاعبٍ في بحره مَرَحاً ... تُشيرُ كفّاهُ تعويذاً من الغَرَق
يدعو ولم يكُ مضطراً خذوا بيدي ... وعنده الفرْق بين الأمْنِ والفَرَق
فإن بكيتُ فإني قد ذَكَرْتُ به ... مَن جُرّعتْ منه كأس الموتِ بالشرَق
رُدّتْ على البحر من كفَّيَّ **جَوهرَةٌ** ... ثم انْقَلَبْتُ بقلبٍ دائمِ الحُرَق

ورثى ابن طفيل جاريته وندب نفسه في رثائها؛ فهو يفتقد مكانها في سريره الذي أضحى فارغاً بعد أن كان عامراً، ويُحسُّ بغيابها عنه فيتساءل إن وُجدت أصلاً في حياته وإن قضى معها أوقاتاً سعيدة وضمها إلى صدره، وعندما يحل الليل وظلمته عليه يفتقد ابن طفيل نورها فيقول: [2] [الكامل]

أمسيتُ أندبُ في الفِراشِ مَكَانَها ... وكَأَنَّه ما كانَ منْها عامِرا
وكأَنّني لمْ أجنِ منها روضَةً ... وكأنّني لمْ أَثْنِ غُصْناً ناضِرا
وكأَنّني والليلُ أَرْخى سِتْرَهُ ... لم يبدُ لي منها هلالاً زاهِرا

ولم يكتف شعراء الأندلس برثاء جواريهم فحسب؛ فرثا ابن دراج القسطلي **صُبْح البَشْكَنسيَّة** في قصيدة طويلة ويبدو أنه وجهها إلى المنصور بن أبي عامر، ومنها قوله يرثيها: [3] [المتقارب]

ألَمْ تَرَ كيفَ استَباحَت يَداهُ ... كَريْمَ المُلوكِ وعِلْقَ السَّنَاءِ
ووَافى بِسَيِّدَةِ السَّيِّدا ... تِ مَأوَى البِلى ومُناخَ الفَنَاءِ
هُوَ الرُّزْءُ أَلْوَى بِعَزمِ القُلوبِ ... مُصَاباً وأَوْدَى بِحُسنِ العَزَاءِ
فَما في العَويلِ لَهُ منْ كَفِيء ... وَلا في الدُّموعِ لَهُ منْ شِفَاءِ
فهيهاتَ فيهِ غَناءُ الزَّفيرِ ... وهيهاتَ منهُ انتصارُ البُكاءِ

---

[1] – الدّيوان، 324.
[2] – ابن سَعيد، المُغرب، 84/2.
[3] – الدّيوان، 99.

وأنَّـــــى يُـــــدافَعُ سُـــــقْمٌ بِـــــسُقْمٍ   وكيـــــــفَ يُعــــــالَجُ داءٌ بـــــــداءٍ

وقصيدة ابن دراج من القصائد التي يعُدُّها ابن رشيق صعبة؛ ذلك أنها في رثاء امرأة، وأشد الرثاء صعوبة على الشاعر أن يرثي طفلاً أو امرأة لقلة الكلام والصفات فيهما[1]، كما يصعب عليه الجمع في قصيدته بين التعزية والتهنئة[2]، وأظن أن قيمة المرأة ومركزها في المجتمع الأندلسي بالإضافة إلى المركز السياسي الذي احتلته السلطانة **صُبْح** سهّلت على ابن دراج تكبُّد عناء رثاء امرأة بالإضافةً لجمعه بين الرثاء والتهنئة في قصيدة واحدة.

4- الجواري في الوصـــــف

أ- وصف السَّاقيات

انشغل المسلمون في الأندلس بالجهاد وتقوية دعائم الدولة الإسلاميّة، فكان هدفهم الوحيد هو نشر الإسلام وحماية الثغور وربَّما نالوا بعض التسلية والمتعة آنذاك، إلاّ أن حـــالهم تغيّـــر فاكتفوا بالقعود ورضوا بتفكيك الأندلس إلى ممالك صغيرة، فأغرق بعضهم نفسه فـــي مجـــالس الأُنس واتخذها مكاناً يتردد عليه للتسلية، فكانت السَّاقيات جزءاً من الخدمة والتسلية المُقدَّمة فـــي تلك المجالس، لذا ليس غريباً أن أجد أول شعرٍ يُنظم في وصف السَّاقيات في آخر أيام المنصور ابن أبي عامر.

ولم تترك المصادر الأندلسيّة المتوفرة بين يدي الكثير من الشعر في وصف الـــسَّاقيات، فقد عثرت على ستة وثلاثين بيتاً شعرياً فقط، توزعت بين بيت مفرد ونتفة وســـت مقطوعـــات شعرية، وانقسمت هذه الأبيات بين عصر الخلافة وملوك الطَّوائف وعصر المـــرابطين، ونـــال عصر ملوك الطَّوائف واحداً وعشرين بيتاً لثلاثة شعراء من بين خمسة بالإضافة إلـــى شـــاعر مجهول لم يُذكر اسمه، ولم يُشر الشُّعراء إلى أسماء السَّاقيات إلاّ أن ابن شُهيد خلّد اســـم ســـاقية واحدة، كما ذكر في شعره ساقية غلاميّة هي إحدى الساقيتين الغلاميتين اللتين وُصفتا.

---

[1] – انظر ابن رشيق، العُمدة، 154/2.

[2] – انظر ابن رشيق، العُمدة، 155/2.

وكانت السَّاقيات من خيرة الجواري؛ ويبدو أن الأندلسيين اصطفوهنّ من الجواري الشابات ذوات القدود الممشوقة والدل والغنج، كيف لا وهنّ أنيسات مجالس اللهو والطرب ونديمات الشراب والسهر؟ لذا كان وصف الشُّعراء للساقيات يتنوع ما بين وصف رشاقتهن ومشيتهن ونظرتهن الناعسة، مما يجعلني أرجح أنهنّ كنّ جواري لذّة أيضاً.

وحذا ابن حمديس هذا الحذو فوصف ساقيته الحسناء بأنها رشيقة تتمايل في مشيتها حتى إنك تحسبها ستسقط أرضاً، وهي ذات سحر لا يقاوم وعيون ناعسة وحديث عذب، ويبدو أن تأثير السَّاقية على الشاربين ازداد بتقديمها الخمر، كما أنّ الخمر أصبح أشد تأثيراً وفتكاً بالهموم لمجرد أن السَّاقية حملتها بأناملها الناعمة: [1] [الرَّمَل]

أقبَلَت تسعى بها خُمصانَةٌ[2]   عمَّ منها حُسنُها خُلْقاً عميمِ
كلّما قامَتْ تَثَنَّى خَلَعَتْ   مَيَلَ التيه على خُوطٍ[3] قويمِ
سِحْرُ هاروتَ وماروتَ بها   في فُتورِ اللَّحظِ واللَّفظِ الرَّخيمِ
تُودِعُ الكفَّ شِهاباً مُحرقاً   كلَّ شيطانٍ منَ الهَمِّ رجيمِ
في ظلامٍ بَرَقَ الصُبحُ له   فتولّى عنهُ إجفالُ الظَّلِيْمِ[4]

وأظن أنه لم تكن كل السَّاقيات من الجواري الشابات؛ فقد وصف ابن شُهيد ساقية ابن المظفر بن المنصور بن أبي عامر[5]، وهي ساقية فتيَّة صغيرة في السن، لفتت انتباه الحاضرين

---

[1] – الدّيوان، 449.

[2] – الخَمْصانُ و الخُمْصانُ: الجائعُ الضّامرُ البطنِ والأنثى خُمْصانة وخَمْصانة. ابن منظور، لسان العرب، مادة (خمص) 29/7.

[3] – الخُوط: الغُصنُ الناعم. ابن منظور، لسان العرب، مادة (خوط) 297/7.

[4] – الظَّلِيْم: الذَّكرُ من النعامِ، والجمعُ أَظْلِمَةٌ وظُلْمانٌ وظِلْمانٌ. ابن منظور، لسان العرب، مادة (ظلم) 379/12.

[5] – هو أبو عامر بن المظفر بن المنصور بن أبي عامر، عاش في قُرْطُبَة إلى أن ثارت بينه وبين هشام المعتد ضغينة فغادرها إلى شاطبَة وحمل معه أثمن ما يملك، وأجمل حريمه، وأوفى أعوانه، ثم انتقل إلى الوادي الكبير وظل يتنقّل حتى مات. انظر ابن بسَّام، الذخيرة، ق1 م304/1-305.

بنشاطها وقدرتها على السهر على الرغم من صغر سنها، لذا طلب ابن المظفر من ابن شُهيد أن يصفها فقال: [1] [مخلّع البسيط]

أفْـــديْ **أُســــيماءَ** مــــنْ نــــديمٍ مــــلازمٍ للكــــؤوسِ راتِــــبْ[2]
قـــد عجبُـــوا فـــي الـــسُّهاد منهـــا وهْـــيَ لَعمْـــري مـــن العجائـــبْ
قـــالوا تجـــافىْ الرّقـــادُ عنهـــا فقلـــــتُ لا ترقـــدُ الكواكـــبْ

وأثارت مقطوعة ابن شُهيد فيَّ تساؤلات عدَّة؛ فالمتوقع أن تكون الجـواري الـسَّاقيات جواري شابات أمّا السَّاقية التي وصفها ابن شُهيد فهي صغيرة السن كما أن صِغر سـنها كـان الدافع من وراء وصفها، فهل كانت هناك قوانين تتعلق بعمر السَّاقيات ومتى يبدأن عملهن؟ وهل سُنَّت هذه القوانين في السنوات التي تلت ابن شُهيد أم قبله؟ وهل كان ابن المظفر بن المنـصور فوق هذه القوانين؟ أظن أن معظم السَّاقيات كنّ من الجواري الشابات وأن قلّة منهنّ كُـن مـن صغيرات السِّن، وما يدلل على هذا بيت شعري آخر لابن شُهيد وصف فيه ساقية فقال إنها دون الصبايا، أي أن الصّبا هو العمر الذي تبدأ فيه الجواري السَّاقيات عملهنّ، يقول: [3] [الرَّمَل]

ظبيـــةٌ دون الـــصبايا قُصِّـــصتْ فأتـــتْ غيـــداءَ فـــي شـــكلِ الـــصَّبي

ومن الجَدير بالذِّكر أن مقطوعة ابن شُهيد تدل على أن بيع الجواري لم يقتـصر علـى الشَّابات منهن، بل تعداهنّ إلى الجواري الصَّغيرات إلا أني لم أجد أي ذكر عن العمر الذي يبدأ فيه بيع الجواري؟ فهل يحق بيع الجواري مهما كُنّ صغيرات في السن؟ أم أن هؤلاء الجواري الصغيرات كُنّ بنات جوارٍ وعبيد وبدأن العمل والسِقاية منذ الصِغر؟ للأسف لم أستطع الإجابـة عن هذه الأسئلة لأن المعلومات المتوفرة في المصادر الموجودة لم تُقدِّم لي صورة كاملـة عـن السَّاقيات.

---

[1] – ابن بسَّام، الذّخيرَة، ق1 م303/1، الأزدي، بدائع البدائه، 353، المقَّري، النّفح، 214/4.
[2] – رَتَبَ الشيءُ يَرتُبُ رتُوباً و تَرَتَّب: ثَبتَ فلم يتحرك. ابن منظور، لسان العرب، مادة (رتب) 409/1.
[3] – ابن بسَّام، الذّخيرَة، ق1 م211/1.

كما أنّ صورة السَّاقيات الغلاميات لم تختلف كثيراً عن بقيّة السَّاقيات؛ فقد وصف الشُّعراء رشاقتهن وشعرهن وعطرهن، وزادوهنّ وصفاً عندما وصف ابن شُهيد ملابس إحداهن وشعرها، فقد لبست ملابس الصبيان وعقربت شعرها حتى يحمي صدغها من كل سوء فقال: [1] [الرَّمَل]

وَرَبيبٍ قام فينا ساقياً — كالرَّشا أُرضِعَ بين الرَّبربِ[2]
ظبيةٌ دون الصبايا قُصِّصتْ — فأتتْ غيداءَ في شكلِ الصَّبي
فُتِّح الوردُ على صَفْحَتها — وحماهُ صُدغُها بالعقربِ

ووصف ابن بلِّيطة [3] زينة السَّاقيات الغلاميات، فهنّ _ بالإضافة لشعرهن المعقرب_ يزينّ وجوههنّ بخال، وينظِّفن أسنانهنّ بالمسواك، ويُعطِّرن ضفائرهنّ بالمسك، ويرسمن خطّاً أخضر فوق شاربهن: [4] [الطَّويل]

توهَّم عطَفُ الصُدغِ نوناً بخدِّها — فباتَتْ بمسكِ الخالِ تنقطُهُ نَقطا
غلاميّة جاءتْ وقد جُعِلَ الدُّجى — لخاتمِ فيها فَصٍّ غاليةٍ خَطَّا
فقلتُ أُحَاجِيها بما في جُفونِها — وما في الشفاه اللعسِ من حُسنِها المُعطى
مُحَيَّرةُ العينين من غَيْرِ سَكْرَةٍ — متى شَرِبَتْ ألحاظ عينيكِ إسْفِنْطَا[5]

---

[1] – ابن بسَّام، الذَّخيرَة، ق1 م211/1.

[2] – الرَّبرب: القطيعُ من بقرِ الوحش وقيل من الظباء، ابن منظور، لسان العرب، مادة (ربب) 409/1.

[3] – هو الأسْعد بن إبراهيم بن بلِّيطة، شاعر وناثر تردد في بلاد المغرب، وهو شاعر من شعراء المعتصم بن صُمَادح المقرّبين، توفي سنة 440هـ. انظر الحميدي، جَذوَةُ المُقتبس، 273/1، ابن خاقان، قَلائد العِقيَان، 894/4، مطمع الأنفس، 341–344، العماد الأصفهاني، الخَريدَة، ق4 ج166/2، الضَّبي، بُغيَة المُلتَمس، 243، ابن دحية، المُطرب، 126، ابن خلكان، وَفَيات الأعْيان، 42/5، ابن سَعيد، المغرب، 17/2، المقَّري، النَّفح، 198/5–200.

[4] – ابن خاقان، مطمع الأنفس، 343، ابن بسَّام، الذَّخيرَة، ق3 م491/1، ابن خلكان، وَفَيات الأعْيان، 43/5، المقَّري، النَّفح، 199/5.

[5] – إسْفَنْط: الإصْفِنْط الخمر بالرومية وهي الإسْفِنْط. ابن منظور، لسان العرب، مادة (أصفط) 256/7.

أرى نكهَةَ المِسْواكِ فـي حُمـرة اللَّمـى وشَـاربك المُخـضرِّ بالمِـسْكِ قـد خُطّـا
عَـسَى قَـزَحٌ قَبَّلْتِـهِ فإخَالُـه علـى الـشّفَة اللميـاءِ قـد جـاءَ مُخْتَطّـا

ووصف السَّاقيات لم يوفر لي صورة كاملة عنهن، فلم يذكر الشُّعراء شيئاً عن حياتهن اليومية أو كيف مارسن عملهنّ، وما هي طبيعة عملهنَّ في الحانات والبيوت؟ وإذا ما عملت ساقية في أحد البيوت هل يقتصر عملها على مجالس الأنس الليلية أم أنها قامت ببعض الأعمال المنزلية في النهار أيضاً؟

ب- وصف الرَّاقصات

كانت الرَّاقصات _كأخواتهن السَّاقيات_ جزءاً من التسلية المُقدَّمة في مجالس الأنس أيضاً، إلا أن وصفهن تأخر حتى عصر ملوك الطَّوائف، وقد يعود السبب وراء تأخر وصف الرَّاقصات إلى أن الرَّقص الأندلسي لم ينشأ في الأندلس أصلاً وانتقل إليها من صقلية كما يذهب بعض الدارسين[1]، أو أن ملامح الرَّقص الأندلسي تطورت حتى نضجت في عصر ملوك الطَّوائف فلفتت أنظار الشُّعراء إلى الرَّاقصات فوصفوهنّ.

ووجدت في المصادر المتوفرة بين يدي واحداً وأربعين بيتاً شعرياً توزّعت بين بيت مفرد وست نتف وسبع مقطوعات شعرية، وانحصرت هذه الأبيات في عصري ملوك الطَّوائف والموحدين، إلا أن عصر ملوك الطَّوائف نال النصيب الأكبر منها؛ فحظي بستة وعشرين بيتاً لثلاثة شعراء من أصل سبعة، وللأسف لم يصرّح شاعر باسم أية راقصة عدا ابن كسرى المالقي[2].

---

[1] – انظر فوزي سعد عيسى، الشعر العربي في صقلية، 209.

[2] – هو أبو علي الحسن بن محمد بن علي الأنصاري، أديب وشاعر، وعالم في اللغة و النحو، عُرف بحُسن الخُلُق وكرم النفس، توفي سنة 603هـ. انظر ابن الأبَّار، تحفة القادم، 130، ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غَرْناطة، 469/1.

وقد يتساءل الدارس إن كانت كل الرّاقصات جواري أم انضم إليهنّ بعض الحرائر؟ ومن حسن الحظ أن رجلاً سأل ابن حمديس الصقلي أن " يصف له راقصة على مذهبهم في رقص قيناتهم"[1]، ومقولته هذه تشير إلى أن الرّاقصات كنّ من القيان أي الجواري.

ومن الجَدير بالذِّكر أن مذهب راقصات صقلية امتاز بإشارات الجواري إلى كل عضو وما يحلّ به من تعذيب الحب أثناء رقصهن[2]، ولم أجد شعراً يصف هذه الخاصيّة إلا في شعر ابن حمديس، كما لاحظت أن كلاً من ابن حمديس وابن الطُّوبى الصقلي[3] والبلنوبي الصقلي[4] وصفوا راقصات يُجدن الغناء ويسحرن القلوب بأصواتهن، وعلى الرغم من أن جميع الوصّافين من صقلية إلا أن هذا لا يعني أنهم وصفوا راقصات صقلية فحسب؛ فهذا أمر لا أستطيع أن أثبته أو أنفيه، ومن الجَدير بالذِّكر أن كلاً من ابن حمديس وابن أبي الخصال[5] وصفا راقصات يرقصن رقصاً جماعياً ولم يذكر ذلك شاعر آخر، كما وصف ابن الطُّوبى راقصة غلاميّة ولم يأت على ذكرها شاعر فيما توفر بين يدي من مصادر.

ومن المثير للغرابة أني وجدت شعراً لابن أبي الخصال يصف فيه راقصات قبيحات! فالدارس يتوقع أن الجمال هو المعيار الأول للجواري، ولكني لم أجد أي شعر أو نثر يتحدّث عن المواصفات المطلوبة في أيّة راقصة، ولكن الشِّعر الذي تركه الشُّعراء الأندلسيون يساعدني

---

[1] – ابن حمديس، الدّيوان ، 133.

[2] – ابن حمديس، الدّيوان، 133.

[3] – هو أبو عبد الله محمد بن الحسن بن الطُّوبى، نحوي طبيب عالم بالرسائل وفن الإنشاء، تعلم النحو على يد نفطويه والطب على ابن ماسويه، أقام في صقلية، وله مقامات وإخوانيات. انظر القفطي، إنباه الرواة، 3/107-108.

[4] – هو أبو الحسن علي بن عبد الرّحمن بن أبي البشائر، كاتب صقلي بليغ. انظر العماد الأصفهاني، الخَريدَة، ق4 ج5/1، القفطي، إنباه الرواة، 2/290.

[5] – هو أبو عبد الله محمد بن أبي الخصال، لُقِّب بذي الوزارتين وكان كاتباً لعلي بن يوسف ابن تاشفين، وله باع في علم القرآن والحديث وما يتعلق بهذه العلوم، توفي سنة 540هـ. انظر ابن خاقان، قلائد العقيان، 2/518-520، ابن بسّام، الذّخيرَة، ق3 م2/784-797، الإستجي، سمط الجمان، 40، ابن دحية، المُطرِب، 187، عبد الواحد المرّاكشي، المُعْجِب، 1/137، ابن سَعيد، المغرب، 2/66، ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غَرْناطَة، 2/388.

على استخلاص بعض هذه المواصفات ومنها الجمال والرَّشاقة والخفة في أداء حركات الرَّقص التي تسحر المتفرجين.

إلا أن الجمال والخفة والرَّقص الحَسَن لم تدفع أحد واصفي الرَّاقصات أو غيرهم من المتفرجين إلى النهوض لمشاركتهن في الرَّقص كما هو الحال في أيامنا هذه، وقد يعود السبب إلى أن الشُّعراء أحجموا عن مشاركة الرَّاقصات رقصهن، أو أنهم رقصوا معهن ولم يذكروا ذلك.

1- وصف راقصات جميلات

تركّز وصف الرَّاقصات حول رشاقتهنّ وليونة قدودهنّ، ونالت حركات أقدامهنّ وسرعتها اهتمام بعض الوصافين دون وصف حركات الأقدام، إلا أن ابن كسرى المالقي وصف إحدى حركات الرّاقصة **نُزهَة** المعروفة بـ " **يخُطُّ الشَّوق**"، فهي تثني جسدها وتبرمه ثم تقف معتدلة، ويبدو أنها تكرّر هذه الحركات فتظهر كحرف النون حيناً والألف حيناً أخرى: [1] [الطَّويل]

تَخُطُّ **يَخُطُّ الشَّوقَ** في القلبِ شَخصُها ... ففي كُلِّ ما تأتيهِ حُسْنٌ وتَحْسِيْنُ
وليسَتْ تُطيْقُ الشِّينَ في كُلِّ نُطقِها ... فمن أجلِ بُعدِ الشِّينِ باعَدَها الشَّيْنُ
إذا رقصتْ أبصرتَ كلَّ بديعةٍ ... تُري ألفاً حيناً وحيناً هي النونُ
فيا نُزهَةَ الأبْصَارِ سُمِّيتِ نُزْهَةً ... لكي يُوضِحَ المعنى بيانٌ وتبيينُ

ووصف ابن حمديس الرَّاقصات _حسب ما توفر لي من مصادر _ أكثر من غيره من أهل الأندلس ، ولاحظت أنه لم يكتف بوصف الرَّاقصات بل تخطّاه ليصف طبيعة رقصهنّ؛ فإحدى الرَّاقصات اللاتي وصفهن راقصة رشيقة بيضاء البشرة توفِّق بين رقصها وأنغام أغانيها، كما أنها تمثِّل أن عذاب الحب يكويها، وتشير بأناملها وهي تغني وترقص إلى كل عضو وما يعاني من تباريح الهوى كتعبير عن تذلل المحبوب للمحب؛ فتشير إلى عينها إذا

---

[1] - ابن الأبَّار، تحفة القادم، 131.

ماذكرت الدمع، وإذا ما تحدثت عن حبها وما تقاسيه منه أشارت إلى قلبها[1]، وعلى الـرغم مـن إشاراتها لما تعانيه من عذاب إلا أن المُعذَّب الحقيقي هو من يشاهدها، وهو ابن حمـديس هنـا يقول: [2] [الطَّويل]

وراقـصةٍ بالـسِّحرِ فـي حركاتِهـا	تقـيمُ بـه وزنَ الغنـاءِ علـى حَـدِّ
مُنَغِّمـةٌ ألفاظَهَـا بتـرَنُّمٍ	كـسا معبـداً مـن عـزِّهِ ذلَّـةَ العبـدِ
تـدوسُ قلـوبَ الـسامعينَ برَخْـصةٍ[3]	بهـا لَقَطَـتْ مـا لِلُّحـونِ مـن العَـدِّ
بِقَـدٍّ يمـوتُ الغـصْنُ مـن حَركاتـه	سكوناً وأيـنَ الغـصنُ مـن بَـرَهِ[4] القـدِّ
وتحـسبُها عمَّـا تـشيرُ بأنمـلٍ	إلى ما يلاقي كـلُّ عـضوٍ مـنَ الوجْـدِ
بنا لا بها ما تشتكي مـن جَـوَى الهـوى	وأدمـعُ أشـواقٍ مُخَـدِّدَةِ الخـدِّ

ويبدو أن الرَّاقصات اتّفقن على إذابة جميع القلوب وتعذيبها؛ فقدّمن رقـصات جماعيـة ضمّت أكثر من جارية ربَّما لترضي جميع الأذواق، وحفظ لنا ابن حمديس وصـف رقـصهنّ، فهنّ يظهرن بضفائرهنّ السود ويرُحن ويجئن وراء بعـضهن، ويُرقِّـصن أقـدامهنّ بتوافـق وانسجام، وعلى الرغم من أن كلَّ واحدة منهنّ تشير إلى عضو في جسدها كي تُعبّر عما تلاقيه من ألم الحب، إلا أن المتفرجين على رقصهن هم من يعانون ذلَّ الحب وألم القلب: [5] [المتقارب]

وسُـودِ الـذّوائبِ[6] يـسحَبْنَها	كَـسَعي الأساودِ[7] فـوقَ الكثيـبِ[8]

---

[1] – انظر الدّيوان، 133.

[2] – الدّيوان، 133.

[3] – رَخْصَة: الرَّخْصُ: الشيءُ الناعمُ اللَّيّن إن وَصَفتَ به المـرأة فرُخْـصَانُها نَعْمَـةُ بَـشَرَتها ورِقّتُها، وكذلك رَخاصَة أناملها لينُها. ابن منظور، لسان العرب، مادة (رخص) 40/7 .

[4] – البَرَه: البَرَهْرَهة التي لها بريق من صفائها، وقال غيره هي الرقيقة الجلد كأن الماء يجري فيها من النَّعْمَة. ابن منظور، لسان العرب، مادة (بره) 476/13.

[5] – الدّيوان، 13.

[6] – الذُّؤَابة: منبت الناصية من الرأس والجمع الذّوائب. ابن منظور، لسان العرب، مادة (ذأب) 379/1.

[7] – الأساود: الحيّات. ابن منظور، لسان العرب ، مادة (سود) 226/3.

[8] – الكثيب: الرَّمل المستطيل المُحْدَودِب. ابن منظور، لسان العرب، مادة (كثب) 703/1.

تَوَافَـــــقَ بـــــالرَّقص أقْـــــدامُهُنَّ يَطَـــأنَ بهـــا نَغَمـــاتِ الـــذُّنوبِ
يُـــشِرْنَ إلـــى كُـــلِّ عُـــضوٍ بمـــا يَحُـلُّ بِـهِ فـي الهَـوى مِـنْ كُـرُوبِ
بَـسَطْنا لهـا وَهْـيَ مثـلُ الغُـصُونِ تَمِـيْسُ بِهَـبِّ الـصَّبا والجنـوبِ
علـى الأرْضِ مِنَّـا خـدودَ الوُجُـوهِ وبَـيْنَ الـضُّلُوعِ خُـدودَ القُلـوبِ

واتضحت صورة الجواري الرّاقصات أكثر لما وصف ابن حمديس راقصات أخريات فذكر أنهنّ رشيقات بضفائر طويلة يرقصن بانسجام مع الموسيقا، كما أنهنّ يتعطرن بالمسك ويرتدين ثياباً طويلة تضطرهنّ أن يجررن أذيال أثوابهن وهن يغنين ويرقصن فكأنهن حمام الأيك في هديلهن أو الطواويس في حسنهن: [1] [الطَّويل]

ومِـنْ راقـصاتٍ سـاحباتٍ ذيولَهـا شـوادٍ بمـسكٍ فـي العبيـرِ تَـضَمَّخُ
كمـا جـرّرَتْ أذيالَهـا فـي هـديلِها حمـائمُ أيـكٍ أو طـواويسُ تَبْـذَخُ

2- وصف راقصات قبيحات

لم تتساو مواصفات الرّاقصات دوماً؛ فقد كان هناك راقصات حِسان رشيقات يُزلن الهمّ والحَزن وأُخر قبيحات يُثرن الهمّ والكآبة في نفوس الناظرين، ووصف ابن أبي الخصال مجموعة راقصات قبيحات أرجّح أنه لقيهنّ عند علي بن يوسف بن تاشفين، فصعُب عليه مجرد النظر إليهن لبشاعتهنّ، ويبدو أنه لم يستطع إطالة النظر كثيراً فاكتفى بقوله: [2] [مخلّع البسيط]

جـاءَ علـيٌّ بملهيـاتِ للهـمِّ والقُـبحِ جامعـاتِ
لـمْ يلتفـتْ نـاظريْ إليهـا إلاّ تـذكَّرتُ سـيئاتي

---

[1] - الدّيوان، 112.

[2] - ابن بسّام، الذّخيرَة، ق3 م795/2.

ولم يتوقف حظُّ ابن أبي الخصال العاثر هنا؛ فعانى مرّة أخـرى بمـشاهدة راقـصات قبيحات، وعلى الرغم من أنه كان بينهنّ راقصة واحدة حسنة المظهر إلا أن الثلاث الأخريـات أفسدن عليه متعته، فجافاه النوم وأضحت ليلته سَنَة طويلة: [1] [المنسرح]

وليلَـــــة طولُهــــا علــــيَّ سَـــنَهْ بـــاتَ بِهـــا الجَفْـــنُ نادبـــاً وَسَـــنَهْ
بـــــــأربعٍ بيــــــنهنَّ واحــــــدةٌ كــــــسيئاتٍ وبينَهــــــا حــــــسنهْ

ولاحظت أن هذه هي النتفة الوحيدة التي ذكر فيها شاعر أندلسي عدد الرَّاقصات اللواتي يشاركن في الرَّقص الجماعي، إلا أني لا أعمم عددهن بأن أقول إن الـرَّقص الجمـاعي فـي الأندلس ضم أربع جوارٍ فقط، فما زال هناك الكثير من الأسئلة التي لا أجد لهـا جوابـاً حـول الرَّاقصات اللواتي رقصن بشكل جماعي، ومنها هل قامت الرَّاقصات بإنشاء فِرَق لهـن؟ وأيـن تعلمن الرَّقص؟ وأين رقصن؟

وعلى الرغم من أنه لم يكن هناك تفاصيل عن الرَّاقصات أو مواصفاتهن، إلا أنه يتضح من شعر ابن أبي الخصال أن الجمال شرط أساسـي لممارسـة الجاريـة الـرَّقص كيـف لا والجواري متعة للعين والنفس، كما أنه لم ينتقد رقصهن أو يُشر إلى حركـاتهن فقـد أسـماهن المُلهيات ولم يقل راقصات، وكأنه لا يعترف بكون من رآهن راقصات حقاً، وامتنع عن النظـر إليهن وكأن قُبحهنّ يؤذي عينه، وأظن أن ابن أبي الخصال شاهد هؤلاء الرَّاقصات عند علي بن يوسف بن تاشفين، وعلى الرغم من أن المكان يُحدّد نوعية الرَّاقصات فيه؛ فقـصور الأغنيـاء والأمراء تضم خيرة الرَّاقصات وأجملهن أما مجالس الأنس العامة فستكتفي بما هو متـوفر، إلا أن ابن أبي الخصال لم يعجبه ما رآه في قصر علي، فربَّما كان ذا ذوق مختلف أو أنـه ابتُلـي حقاً بجوارٍ قبيحات.

---

[1] – ابن بسَّام، الذّخيرَة، ق3 م2/795، المقَّري، النّفح، 296/5.

3- وصف راقصات غلاميّات

لم يكتف الشُّعراء الأندلسيون بوصف راقصات جميلات وقبيحات فحسب، بل وصفوا بعض الراقصات الغلاميّات ومنهم ابن الطُّوبى، ولكن ابن الطُّوبى لم يقدِّم ميِّزات خاصة بهنّ؛ فهو لم يذكر إن كانت تلبس ملابس الغلمان أم لا، كما إنه لم يتحدَّث عن أية ميِّزة مختلفة في رقصها أو حركاتها، وكل وصفه للراقصة الغلاميّة اقتصر على أنها تمتاز بالرَّشاقة والليونة، وتلهب النار في نفوس الناظرين، وتثير موسيقى ساحرة برجلها، فيصبح المتفرج أسير سحرها وتمسي هي الداء والدواء له: [1] [السَّريع]

راقصةٌ كالغصنِ من فوْقِه بدرٌ يُنيرُ تحتَ ظلماءِ
تُلْهِبُ مثلَ النَّارِ في رقصِها وَهْيَ منَ النّعمة كالماءِ
كأنّما في رِجْلِها عُودُها وزامرٌ يَتْبَعُ بالنَّاءِ
ساحرةُ الرَّقص غلاميّة مِنْها دَوَائي وبها دائي
إذا بَدَتْ تَرْقُص ما بيننا يرقص قلبي بين أحشائي

وبعد هذا العرض السَّريع حاولت أن أرسم صورة متحركة لإحدى الجواري الرَّاقصات في الأندلس، فرأيتها تتقدم إلى مكان الرَّقص وهي ترتدي ثوباً طويلاً وملوناً كذيل الطاووس، وربَّما رفعت شعرها وزيّنته كي تصبح صورتها مشابهة للطاووس، وإذا ما بدأت الرَّقص تسحر الحاضرين برشاقتها وحركاتها السَّريعة الخفيفة، وتتركز حركاتها ورقصها في ثلاث مناطق من جسدها أولها: الخصر فهي تثني خصرها وتصبح ألفاً مرة ولاماً أو نوناً مرة أخرى، أما العضو الراقص الثاني فهو الأقدام، فالجارية تقوم بتحريك أقدامها مع الموسيقا، كما أنها تعزف موسيقى مميزة بقدميها وكأن في رجلها عوداً، والأنامل هي العضو الثالث والأخير في الرَّقص الأندلسي عامة والصقلي خاصة، فالجارية تشير بأناملها إلى كل عضو في جسمها وما يلقى من عذاب الهوى.

---

[1] - العماد الأصفهاني، الخَريدَة، ق4 ج66/1-67.

ومن الجَدير بالذِّكر أن الرَّقص الأندلسي كان أحد الروافد الأساسية لرقص الفلامنجو[1]، فالفلامنجو يعتمد على مرونة العجيزة وحركات الأقدام، والنقر بالأقدام، والأصابع الممتدة، ورشاقة الجسد واليدين، واللَّفَّات السَّريعة التي يقوم بها راقصو الفلامنجو وراقصاته[2]، ومرونة العجيزة مشابه لمرونة الخصر الذي يؤدي الحركات الصعبة وأصدق مثال عليها قول ابن كسرى المالقي في إحدى الرَّاقصات : [3] [الطَّويل]

إذا رقصتْ أبصرتَ كلَّ بديعةٍ تُري ألِفاً حيناً وحيناً هي النونُ

أما حركات الأقدام فعلى الرغم من أنه لايوجد أي توضيح لهذه الحركات في الرَّقص الأندلسي، إلا أن انعدام تفاصيل حركات الأقدام لا ينفي وجودها خصوصاً أن ابن حمديس ذكر أن أقدام الرَّاقصات ترافق نغمات الموسيقا بقوله: [4] [المتقارب]

توافق بالرَّقص أقدامهن يطأن بها نغمات الذُّنوبِ

كما أن ابن ماء السماء ذكر أن حركات أقدامهن سريعة خفيفة فقال: [5] [المنسرح]

تنقلُ أقدامَها على عَجَل كأنَّما رقْصُها على سيفِ

ويبدو النقر بالأقدام في الرَّقص الأندلسي واضحاً عند ابن الطُّوبى، فقد رأى أن راقصة تحمل عودها برجلها، أي أنها تعزف موسيقا الرَّقص بأقدامها وهذه إشارة على أن الجواري الرَّاقصات صنعن أصواتاً وربَّما حركات ذات نغم موسيقي بأرجلهن، ولا يمكن إصدار أي

---

[1]- انظر http://www.red2000.com/spain/flamenco
http://www.streetswing.com/homepage.htm
http://www.centralhome.com/ballroomcountry/flamenco_history.htm

[2]- انظر
http://www.centralhome.com/ballroomcountry/flamenco_history.htm

[3] – ابن الأبَّار، تحفة القادم، 131.

[4] – الدّيوان، 13.

[5] – ابن خميس، أدباء مالقة، 289.

صوت بالأرجل إلا عند النَّقر بالرجل على الأرض، وقول ابن الطُّوبى هـو الـدليل علـى أن الجواري نقرن بأرجلهن على الأرض بقوله: [1] [السَّريع]

كأنَّمـــا فـــيْ رِجْلِهـــا عُودُهـــا وزامــــرٌ يَتْبَـــعُ بالنَّــــاءِ

أما عن توظيف الأصابع في رقص الفلامنجو فلا أظنه مشتركاً في تفاصيله مع الرَّقص الأندلسي؛ فراقصة الفلامنجو لا تُشير بأصابعها إلى قلبها أو كبدها أو أي جـزء مـن جـسدها كدلالة على تعذيب الهوى، وإنما تحرِّك أصابعها بأشكال انسيابية مختلفة ومتعددة[2]، إلا أن كـلاً من الرَّقص الأندلسي والفلامنجو يعتمد على الأصابع كعضو أساسي في الرَّقص.

واشترك كلٌّ من الرَّقص الأندلسي والفلامنجو في صفة أساسـية للراقـصة، ألا وهـي الرَّشاقة، وأظن أن جميع أنواع الرَّقص تحتاج إلى الرَّشاقة والليونة لأداء حركات الرَّقص بيُسر وسهولة.

أما اللفات السَّريعة التي تقوم بها راقصات الفلامنجو فلم أجـد فـي الـشعر الأندلـسي المتوفر بين يدي أي ذكر لها، وافتقار الشعر لتفاصيل كهذه لا يعني أن الرَّقص الأندلسي خـلا منها.

ومن الجَدير بالذِّكر الإشارة إلى إمكانية التشابه بين ملابـس الرَّاقـصات الأندلـسيَّات وشَعرهنّ وراقصات الفلامنجو، فقد قال ابن حمديس: [3] [الطَّويل]

ومـــنْ راقـــصاتٍ ســـاحباتٍ ذيولَهـــا شـــوادٍ بمـــسكٍ فـــي العبيـــرِ تَـــضَمَّخُ
كمـــا جـــرّرَتْ أذيالَهـــا فـــي هـــديلِها حمـــائمُ أيـــكٍ أو طـــواويسُ تَبْـــذخُ

ووصف ابن حمديس للراقصات اللاتي شاهدهنّ يدلُّ على أنهن كُنَّ يلبسن ملابس لهـا ذيل ويُشبهن الطاووس، أي أن ملابسهن ملابس طويلة وملونة بألوان عديدة تشابه ألوان ريـش

---

[1] – العماد الأصفهاني، الخَريدَة، ق4 ج66/1.
[2] – انظر الملحق صورة 1.
[3] – الدّيوان، 112.

الطاووس المختلفة المتناسقة، وهذه الملابس مشابهة لملابس راقصات الفلامنجو فهـي ملابـس طويلة ومزركشة ومتعددة الألوان[1]، وأظن أن ما يضعه بعض راقصات الفلامنجو مـن تيجـان صغيرة[2] وما يحملنه من مراوح هي لزيادة التشبه بـالطواويس[3]، وربَّمـا زينـت الرَّاقـصات الأندلسيَّات شعورهن أو وضعن عليها إضافات تجعلهن يشبهن الطواويس، وبهذا يُـضفن وجـه شبه جديد يجمع بينهن وبين راقصات الفلامنجو.

وربَّما كان رقص الجواري في الأندلس مشابهاً لرقص فتيانها؛ فبعض الجوانـب التـي وصفها الشُّعراء في رقص الفتيان مشابهةٌ لرقص الجواري، ومنها الرَّشاقة والليونة التي تحلـى بها كلٌ من الفتيان والجواري الرَّاقصات، وملك الفتيان القدرة على ثني القوام بسهولة وسـرعة، فأضحى المشاهد يرى كلَّ حركة يقوم بها الرَّاقص حرفاً، فإذا استوى الرَّاقص وشدَّ قوامـه رأى المشاهد عيناً، وإذا انثنى الرَّاقص وحنى ظهره أصبح أمام مشاهديه قلباً، ووصف عبادة بن ماء السماء راقصاً فقال: [4] [الطَّويل]

ألا رُبَّ ظبـيٍ قـدْ تَثَنَّـى قوامُـه ... فأخْجَلَ فـي حَالاتـهِ الغُـصُنُ الرَّطْبـا
إذا يَـستَوي أو يَنْثَنِـي وَهْـوَ لاعِـبٌ ... فَطَوْراً تَرى عَيْناً وطَـوْراً تَـرَى قلبَـا

ونقر الرَّاقصون بأقدامهم كالجواري، وكان نقرهم موسيقا كاملة بحدِّ ذاتها، فكأن قدمي الراقص مزمار وعود يعزفان ليرقص الفتى على أنغامها، وهكذا تمَّت للمشاهد المتعة بالوجه الحَسَن والموسيقا الجميلة، وكان ابن الجبار الكموني[5] ممن نال هذه المتعة فقال يصف راقصاً:[6] [مجزوء الكامل]

مـا إنْ رَأيْـت كَـرَاقِصٍ ... مُـستَطْرَفٍ فـي كُـلِّ فَـنْ
يَحْكِـي الغِنـاءَ بِرَقْـصِهِ ... كمـراقِصٍ يَحْكِـي المُغَـنْ

---

[1] – انظر الملحق صورة 2.
[2] – انظر الملحق صورة 3.
[3] – انظر الملحق صورة 4.
[4] – ابن خميس، أدباء مَالَقَة، 289.
[5] – هو أبو بكر محمد بن علي ابن الجبار الكموني، لم أجد له ترجمة في المصادر المتوفرة.
[6] – العماد الأصفهاني، الخَرِيدَة، ق4 ج122/1.

رِجْـــــلاه مِزمَـــــارٌ وعُـــــو … دٌ فــــي نِهَايَـــةِ كُـــلِّ حُـــسْنْ
فَهُـــوَ الـــسُّرورُ لِكُـــلِّ عَيْـــ … ـــنٍ والنَّعـــيمُ لِكُـــلِّ أُذْنْ

5- الجواري في الشّكوى

قد يسأل سائل كيف لرجل أندلسي أن ينظم شعراً في الشكوى والجارية مُلْك يمينه ويستطيع التصرف بها كما يشاء؟ أظن أن هذا يعود إلى أن بعض السادة كانوا عبيداً لجواريهم بعقد شريعة الحب أو الإعجاب كما كانت الجواري ملكية خاصة بعقد بيع وشراء كما ذكرت سابقاً.

ومن الجَدير بالذِّكر أن شكوى الرجل الأندلسي من جاريته كان إما لغضبها منه أو لصدودها وجفائها وقسوتها عليه، وغضب الجارية أو صدودها يُظهر مدى قُدرتها على اتّخاذ موقف اتجاه سيدها وإن كان مَلكاً، وهذا يدل على أنها حظيت بحرية الإرادة والاستقلالية التي افتقرت إليها بعض الحرائر، ومن الطبيعي أن تختلف الاستقلالية من جارية لأخرى تبعاً لشخصيتها وشخصية مالكها.

وأظنُّ أن شكوى الأندلسي من صدِّ جاريته وتجرؤ الجارية على الصدّ والهجران ما هو إلا وجه آخر من وجوه العلاقة التي تجمع بين الرجل والجارية، وهذه العلاقة في جوهرها ما هي إلا علاقة رجل بامرأة.

وشكا الأندلسيون جواريهم في تسعة وخمسين بيتاً _ من المصادر المتوفرة بين يدي _ جاءت في نتفة وثلاث مقطوعات وقصيدتين ذَكر فيها شاعران من أصل ثلاثة أسماء ثلاث جوارٍ، ومن الجَدير بالذِّكر أن شعر الشكوى انحصر في عصر ملوك الطَّوائف؛ وقد يعود هذا للضعف الذي ساد العصر ورجاله مما أدى إلى علو شأن الجواري ولمعان نجمهنّ، فأخذن يزدن من دلالهنّ ويتحكمن بهم فشكا السادة مما لم يعتادوا عليه.

وشكا المُعتَمد تمادي غضب جاريته **جوهرة** عليه؛ فقد ملأ الهمُّ صدره والدموعُ عينيه فقال: [1] [مجزوء الرجز]

جَـوهرُ قَـدْ عَـذَّبَنِي مِنْـكِ تَمـادي الغَـضَبِ
فَزَفْرَتِـيْ فـي صَـعَدِ وعَبرتـي فـي صَـبَبِ
يـا كوكـبَ الحُـسنِ الـذي أزرى بزُهَـرِ الـشُّهُبِ
مـسكنُك القلـبُ فـلا تَرضـي لـهُ بالوَصَـبِ

ومن المُثير للغرابة أن **جـوهرة** تجرّأت وغضبت من سيدها، وكأن غضبها لـم يكفهـا فتمادت وقست أكثر حتى إن المُعتَمد بكى من غضبها عليه ورجاها أن ترضى عنه، وممـا زاد الأمر غرابة أن المُعتَمد _ مالك **جوهرة** وملك إِشْبِيلْيَة_ يقف عاجزاً أمام غضبها ولا يفـرض عليها سلطته كسيد أو ملك، بل إنه يناديها ويدللها قائلاً **جوهرُ** وكأنه يرجوهـا ويمـسح علـى أعتابها، وربَّما كانت هذه القصة إشارة على أن حواجز الرِّق والاستعباد بين السيّد والجارية في الأندلس زالت أو لم يكن لها وجود أصلاً، فظهرت الجارية وكأنها إنسان مستقلٌ بإرادتـه علـى الرغم من فقدانها حريتها.

ولم تتوقف استقلالية الجارية بشخصيتها عند الغضب وإنما تعدته إلى اتِّخـاذ المواقـف الصعبة؛ **فسحر** جارية المُعتَمد اختارت أن تفارق سيدها، وأظن أن فراق السيّد أو الرجل قـرار صعب قد لا تجرؤ الحرائر على اتّخاذه، ويبدو من شعر المُعتَمد أن **سحر** فارقته بكامل إرادتها؛ فهي التي اختارت الفراق والهجران، وقد يكون الفراق دائماً أو مؤقتاً يتبعه صلح ومودة، إلاّ أن ما يهمني هنا هو أنه كان للجارية القدرة على اتّخاذ قرار فيما يتعلق بعلاقتها بـسيدها ومالـك أمرها يقول: [2] [الطَّويل]

عفا اللهُ عـنْ **سِـحْرٍ** علـى كـلِّ حالـةٍ ولا حُوسِـبتْ عمّـا بهـا أنـا واجـدُ
أسِحْرٌ ظلمـتِ الـنّفسَ واختـرتِ فُرقتـي فجمّعـتِ أحزانـي وهُـنَّ شـواردُ
وكانـتْ شُـجوني باقترابِـكِ نُزَّحـاً فهـا هُـنَّ لمـا أن نأيـتِ شـواهدُ

1- الدّيوان، 3.
2- الدّيوان، 8.

فـــإن تـــستلذّي بَـــردَ مائـــك بعـــدنا   فبعدكِ مـــا نـــدريْ متـــى المـــاءُ بـــاردُ

ويتبادر إلى الذهن أن المُعتَمد أفسد جواريه بالدَّلال، فخرجن عن طوعــه و أغــضبنه وفارقنه، إلا أني أظن أن حال المُعتَمد كان كغيره ممن تعلّق بالجواري؛ فقد شُــغف التُّطيلــي [1] بحب القينة **لَذيذَة** التي كنّاها **بأم الوفاء** وشكا صدودها وهجرانها له، فظهرت متقلبة في حبها له وقاسية معه رغم حبه الكبير لها فقال: [2] [الكامل]

يـــا حَبَّـــذا **أمُ الوفـــاءِ** وإنْ جَفَـــتْ   وتَغَيَّـــرتْ فَهِـــيَ التـــي لا تـــسأمُ
وَهـــيَ التـــي انفـــردت بـــوِدّي كلِّـــه   ولطالمـــا قـــدْ كـــانَ وهْـــوَ مُقَـــسَّمُ

ويبدو أن **لَذيذَة** عذّبته في حبّها وصدودها بعد أن سَبَت فؤاده، وأظنها حظيت بشخــصية قوية وبسلطة كبيرة بلغت مبلغاً كبيراً، فقد بدا لي وكأنه يشكو من هجرانها ســراً، وأن الخــوف تملكه من أن تسمع **أم الوفاء** شكوته فتعاتبه فقال: [3] [البسيط]

يـــاربِّ قـــدْ سَـــفكتْ **أمُّ الوفـــاءِ** دَمـــي   وقـــدْ تَخوَّفـــتُ يومـــاً أنْ تؤاخَـــذَ بـــي
وقدْ وَهَبْـــتُ لهـــا قلبـــي ومَـــا خَطَـــرِي   حتّى يُعاقَبَ ذاكَ الحُـــسنُ مِـــنْ سَـــبْيِي
سَـــبَتْ فـــؤادِيَ ذاتُ الخـــالِ قـــادرةً   ولا نصيبَ لهُ منهـــا ســـوى النَّـــصَبِ

---

[1]- هو أبو جعفر أحمد بن عبد الله بن هريرة الأعمى التُّطيلي، أديب بـــارع عُـــرف بذكائـــه وفهمه لبواطن الأمور، وُلد ضريراً فلُقِّب بالأعمى، عاش في عصر ملوك الطَّوائف وتوفي فـــي سنة 530هـــ. انظر ابن بسَّام، الـذّخيرَة، ق2 م728/2، العمـــاد الأصـــفهاني، الخَريـــدَة، ق4 ج567/2، ابن الأبَّار، تحفة القادم، 27، ابن سَعيد، المغرب، 451/2، المقَّري، أزهار الرياض، 208/2.

[2]- ابن بسَّام، الذّخيرَة، ق2 م739/2.

[3]- ابن بسَّام، الذّخيرَة، ق2 م2/ 736.

6- الجواري في الهجاء

بعد عرض شعر الغزل والحنين والشكوى يصعُب على المرء أن يتوقع هجاءً قيل في جارية، ذلك أن الفكرة القائمة هي أن كل الجواري رائعات الجمال فاتنات، يُجدن كل صنعة ويُتقنّ كل فن فكيف يقوم الشُّعراء بهجائهن؟ إلا أن الجواري كغيرهنّ من البشر، كان فيهنّ الجميلة والقبيحة، والذكية والبلهاء، كما كان لهنّ معجبون وأعداء، ويبدو أن الأندلسيين كغيرهم من الرجال مالوا إلى الجميلات وابتعدوا عن القبيحات والغبيات، وعندما اضطروا أن يُجالسوا القبيحات والبلهاوات ثاروا وغضبوا وعبّروا عن غضبهم بشعر هجوا فيه الجواري، ذلك أنهم لم يجدوا ما توقّعوه من جمال وذكاء اعتادوا على ملاقاته في مجالسهم ومجتمعهم.

كما أنهم لم يعتادوا على العداوة ما بينهم وبين الجواري، فلما وُلدت العداوة وسنحت الفرصة للهجاء نظموا الهجاء المقذع الذي مُلئ بغلٍّ وغضب وسبٍّ وشتم، حتى أصبحت الجارية أداة من أدوات الهجاء الموجه ضد المهجوّ بُغية إظهاره كماجن فاسد لا يستحق إلا الهجاء.

وكان هجاء الجواري قليلاً؛ فقد هجا سبعة أندلسيين بعض الجواري بواحد وثلاثين بيتاً، جاءت في ثلاث نتف وخمس مقطوعات، بدأت من عصر الإمارة مروراً بأيام الخلافة وعصر ملوك الطَّوائف وانتهاءً بعصر الموحدين ، ولم يذكر الشُّعراء سوى اسم **تَفْتِير** و**اعتماد الرُّمَيْكِيَّة** وأهملوا أسماء بقية الجواري.

وكان القُبح إحدى الدوافع لنظم شعر الهجاء في الجواري؛ ومن سوء حظِّ إسماعيل بن بدر [1] أنه لقي جارية قبيحة الشكل والصوت أيضاً؛ فهي صلعاء لا أسنان لها، كما أن صوتها قبيح كصوت الكلاب المتعاركة أو كنقيق الضفادع : [2] [الطَّويل]

---

[1]- هو أبو بكر إسماعيل بن بدر بن إسماعيل بن زياد، كان مولى نعمة لبني أمية، كان من حظوة النَّاصر والمقربين إليه وولاه إِشْبِيلْيَة، كان عالماً بالحديث والشعر، إلا أن صناعة الشعر غلبت عليه. انظر الحميدي، جَذوَةُ المُقتبس، 250-251، الضَّبي، بُغيَة المُلتَمس، 230، ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، 66/1، ابن الأبَّار، الحُلَّة السِّيَراء، 254/1.

[2]- الكتَّاني، التَّشبيهات، 245.

تـــنفّس لمـــا لاحـــظَ القـــومُ خبـــزَهُ وقطَّـــــب لمـــــا لامـــــستهُ الأصـــــابعُ
فقلنـــا لـــه إنـــا شـــباعٌ فجُـــد لنـــا بعـــودٍ فمـــا فـــي القـــوم غيـــرُكَ جـــائعُ
فأسْـــمَعَنا درداءَ صـــلعاءَ رجَّعـــتْ بِـــصوتٍ لهـــا تـــستكُّ منـــه المـــسامعُ
فـــوالله مـــا أدري كـــلابٌ تهارشـــتْ بحلقومهـــا أم نقنقـــتْ بـــي ضـــفادعُ

وتبادر إلى ذهني تساؤل عن كيفية وصول هذه الجارية القبيحة إلى مجلس الأنس هـذا؟ وأظن أن سيّدها الذي بَخِل على ضيوفه بالطعام بَخِل عليهم وعلى نفسه بالمتعـة الحـسية لمـا اشترى جارية قبيحة، وربَّما اشترى جارية قبيحة لأن سعرها سيكون أرخص بكثير من غيرهـا من الجواري الجميلات، وربَّما لم ينوِ سيدها أن يشتري جارية قط إلاّ أن سعرها الزهيد أغـراه بشرائها فاعتبرها صفقة رابحة واغتنمها.

ولم يهجُ الشُّعراء القُبح فحسب؛ فقد هجا شاعر مجهول غباء قينة تُدعى **تَفْتير**، وربَّمـا كان محقاً في هجائه لها فهي قبيحة لا تُحسن العزف كما أنها حمقـاء بلهـاء، أي أن صـفاتها معاكسة لكل ما يتمنى الرجل في جاريته لذا قال فيها: [1] [السَّريع]

وقَينــــــــةٍ تُــــــــدعَى **بتَفْتيـــــــــر** مُفْرَغَـــــــةٍ فـــــي قالَـــــبِ الـــــزُّورِ
تبـــــدو بوجـــــهٍ مـــــا رآهُ امـــــرؤ إلا تَمنَّـــــى الـــــنفخَ فـــــي الـــــصُّورِ
كأنهـــا والعـــودُ فـــي حِجْرهـــا حاســـــــبةٌ تُنبـــــــي بمَجـــــــذورِ [2]
لكعـــاءُ مـــن أحْـــسَنِ حالاتِهـــا صَـــــــفْعُ قفاهـــــــا بالمَـــــــسَاويرِ [3]
وصـــيدُها الأعْـــرادَ[4] فـــي خَلْـــوَةٍ يُنـــسيكَ مـــن صـــيدِ الـــسَّنانيرِ [5]

---

[1]- الكتّاني، التّشبيهات، 246.

[2]- مَجذور: المُجَذَّر: القصيرُ الغليظُ الشَّثْنُ الأطراف. ابن منظور، لسان العرب، مادة (جـذر) 123/4.

[3]- المَسَاوير: المِسْوَرْ والمِسْوَرَة متكأ من أدم وجمعها المساور. ابن منظـور، لـسان العـرب، مادة (سور) 388/4.

[4] – الأعْراد: العَرْدُ ذَكَر الإنسان وقيل هو: الذكر الصُّلْبُ الشديد وجمعه أعْراد. منظور، لـسان العرب، مادة (عرد) 287/3 .

[5]- السَّنانير: السِّنَّوْرُ الهرُّ مشتق منه وجمعه السَّنانير. ابن منظور، لسان العرب، مادة (سـنر) 381/4.

تبَّـــــاً لهــــا مـــــن قينــــةٍ عقلُهـــــا   أخـــــفُّ مـــــن ريـــــشِ العـــــصافيرِ

وتعدّى بعض الشُّعراء حدود الهجاء إلى الهجاء المقذع والشتم والسّب، فقد هجــا ابــن عمَّار المُعتَمد وسبّ **الرُّمَيْكِيَّة** أم أولاده، وكان هجاؤه نتيجة لعداوة وغيرة دامت سنين طويلــة، فكانت النتيجة هجاءً وشتماً مسّ الأعراض؛ فقد اعتبر ابن عمَّار **الرُّمَيْكِيَّة** وضيعة النسب، ولــم يكتف بسبِّها فأساء إلى أولادها، وقال إنهم قصار القدود لئيمو النسب: [1] [المتقارب]

تَخَيَّرتَهـــا مـــن بنـــاتِ الهجـــانِ   **رُمَيْكِيَّـــةً** مــا تُـــساوي عِقَـــالا
فجـــاءتْ بِكـــلِّ قَـــصيرِ العِـــذَارِ   لَئـــيمِ النِّجَـــارين عَمَّـــاً وخَـــالا
قِـــصَارِ القُـــدودِ ولكِـــنَّهمُ   أقـــامُوا عَليهـــا قُرونـــاً طِـــوَالا

ولم تكن الجارية موضع هجاء فحسب، بل اعتبرها بعض الشُّعراء عنصراً من عناصر الهجاء وأداة من أدواته التي يلجأ إليها الهَجَّاءُ كي ينال من خصمه فيُظهره على أنه رجل فاســد، لذا أضاف محمد بن أحمد الأنصاريّ [2] صوت القيان إلى نغمــات الأوتــار ورنــات المزمــار والكؤوس للدلالة على انحلال الزبير الملثم[3] وعلى أنه يستحق الهجاء فقال: [4] [الكامل]

عكفَ الزبيــرُ علــى الــضلالةِ جاهــداً   ووزيـــرُه المـــشهورُ كَلْـــبُ النَّـــارِ
مـــا زال يَأْخُـــذُ سَـــجْدةً فـــي سَـــجْدَة   بـــين الكـــؤوسِ وَنَغْمَـــة الأوتـــارِ
فَـــإذا اعتَـــراهُ الـــسَّهْوُ سَـــبَّحَ خَلْفَـــهُ   صـــوتُ القِيَـــانِ وَ رَنَّـــةُ المِزْمَـــارِ

1- ابن الأبَّار، الحُلّة السِّيَراء، 63/2، ابن خلكان ، وَفَيات الأعْيان، 428/4، المَقّري، النَّفح، 348/5.

2- هو أبو بكر محمد بن أحمد الأنصاري الإشبيلي المعروف بالأبيض، أصله من قرية همدان وتأدّب بإشْبِيلْيَة و قُرْطُبَة، شاعر مشهور ووشّاح، وهجَّاء متمكِّن، ولَعَ بهجاء الزبير أمير قُرْطُبَة وقُتِل على يده. انظر ابن سَعيد، المغرب، 127/2، المَقَّري، النَّفح، 362/4، 233/9.

3- هو الزبير بن علي بن يوسف ابن تاشفين، هزم الموحدين وقتل منهم الكثير في لقائه معهــم قرب مراكش سنة 517هـ . انظر ابن سَعيد، المغــرب، 127/2، عبــد الواحــد المرّاكــشي، المُعْجِب، 260.

4- ابن سَعيد، المغرب، 127/2-128 .

7- الجواري في العتاب

ظهر في شعر الشكوى تذلل بعض السادة لجواريهم أو تمثيل الضعف عليهن لكسب ودِّهن وإنهاء الخصومة بينهم، ويبدو أن بعض الشُّعراء لم يلجأ إلى الشكوى من جاريته واتجه إليها مباشرة يعاتبها عتاباً رقيقاً يدلُّ على سلاسة الرجل وتفهمه لجاريته ورغبته في كسب وُدِّها.

وكان المُعتَمد رجلاً سلِساً رقيقاً مع جواريه، واتّبع معهنّ العديد من الوسائل الرقيقة لينال رضاهنّ كي يُرضينَه؛ ذلك أنه لما حلّ الخصام بينه وبين جاريته **جوهرة** كتب إليها يسترضيها فأجابته برسالة لم تُعنونها باسمها فردّ عليها المُعتَمد برسالة أخرى قال فيها: [1] [السَّريع]

لم تَصِفُ لي بعدُ وإلاّ فَلِمْ ... لَمْ أرَ في عُنوانها جوهَرهْ
دَرَتْ بأني عاشقٌ لاسمها ... فلم تُرِدْ للغيظ أن تذكرَهْ
قالت إذا أبصرَه ثانياً ... قَبَّله والله لا أبْصَرَهْ

وشعر المُعتَمد يُظهر مدى فهمه واهتمامه بنفسية جاريته ومعرفته بشخصيتها، فهو يعرف أنها لم تسامحه بعد، وأنها تريد أن تُغيظه بعدم ذكر اسمها، وكما يعلم أنها تفهمه وتعرف طباعه، وأظن أني أمام ثنائي متناغم؛ فكلٌّ من المُعتَمد و**جوهرة** يفهم شخصية الآخر ويعرف ما يدور في رأسه، وفَهْم المُعتَمد **لجوهرة** يعني أنه يهتم بها ويعنيه أمرها ويفكر بها، ولم يعتبرها غرضاً فحسب، بل هي شخصية إنسانية ذات طبائع وأفكار وعليه التعامل معها بطريقة مناسبة.

ولم يوفر لي شعر المُعتَمد صورة واضحة عن رسائل العتاب والحب والغرام، إلا أنه بيَّن لي بوجود هذا النوع من الرسائل بين السادة وجواريهم دون أي تفاصيل لطريقة الكتابة باستثناء إثبات اسم المرسل.

1- الدّيوان، 14.

أما سعيد بن جودي فقد عاتب جاريته على حركة خجولة قامت بها لا على رسالة مكتوبة؛ فبعد أن حُملت إليه من قُرْطُبَة وخلا بها أعرضت عنه ونظرت إلى الأرض فعاتبها قائلاً: [1] [الطَّويل]

أمائلةَ الألحاظِ عني إلى الأرضِ ... أهذا الذي تُبدين ويحك من بُغضي
فإن كان بُغضاً لستُ والله أهلَهُ ... ووجهي بذاك اللحظ أولى من الأرض

8- الجواري في موضوعات أخرى

لم يكتف الأندلسيون بنظم الشعر في الجواري في الأغراض التقليدية فحسب، بل أبدعوا أشعاراً مختلفة في موضوعات متعددة، وقد جمعت هذه الأشعار فوصل عددها إلى أربعة وثمانين بيتاً _من المصادر المتوفرة بين يدي_ وانقسمت إلى بيتين مفرد وست نتف وأربع عشرة مقطوعة وقصيدة واحدة وأربع أراجيز لواحد وعشرين شاعراً وذكروا أسماء تسع جوارٍ، وكما هي الحال في معظم الأغراض السابقة نال عصر ملوك الطَّوائف النصيب الأكبر الذي وصل إلى اثنين وأربعين بيتاً، وأهم تلك الموضوعات هي:

أ- طلب جارية

كانت الجارية أداة للإلهام والمتعة للأندلسيين، ويبدو أنهم سَعِدوا لوجودها في حياتهم واستمتعوا بالإلهام الذي تمدُّهم به، فنظموا أشعاراً مختلفة ومتعددة الأغراض فيها، فلما بَعُدت عنهم أو عزَّ وجودها في حياتهم، بحثوا عن سبيل لإعادتها إليهم أو تملكها بأية طريقة؛ لذا اقتنص ابن شُهيد فرصة رجوع المنصور من الغزو مُحمَّلاً بالجواري وأرسل إليه يطلب منه جارية بقوله: [2] [الخفيف]

---

[1]- ابن الأبَّار، الحُلَّة السِّيَراء، 158/1.

[2]- ابن خاقان، مطمح الأنفس، 396، ابن بسَّام، الذَّخيرَة، ق4 م29/1، ابن عِذَاري، البيانُ المُغرِب، 300/2، المقَّري، أزهار الرياض، 131/5.

أَنَــا شــيخٌ والــشيخُ يهــوى الــصبايا	يــا بنَفْــسي أقيــكَ كــلَّ الرَّزايــا
ورســولُ الإلــهِ أســهمَ فــي الفــي	ء لِمَــنْ لــمْ يُخَــبَّ فيــه المطايــا
فــاجْعَلَنّي فُــدَيْتَ أشــكُرُ مَعــرو	فَــكَ وابْعــثْ بهــا عِــذابَ الثَّنايــا
هــوَ عُــرْفٌ فــإنْ تَحَــوّل صِــهْراً	كــانَ واللهِ آيَــةً فــي البَرايــا

فلم يُخيِّب المنصورُ ظنَّه وكان كريماً معه، فأرسل إليه جارية رومية جميلة حفّها بثلاث جوارٍ أُخر وكتب إليه قائلاً: [1] [الخفيف]

قــد بَعثنــا بهــا كَــشمسِ النَّهــارِ	فــي ثــلاثٍ مــنَ المَهــا أبكــارِ
فاجتَهِــدْ واتَّئِــدْ فإنّــكَ شــيخٌ	سَــلَخَ الليــلَ عــن بَيــاضِ النهــارِ
صــانَكَ اللهُ عــن كَلالِــكَ[2] فيهــا	فمــنَ العــارِ كَلَّــةُ المِــسمَارِ

وبعد أن أسبغ المنصور هذه العطايا وكان له هذه اليد الكريمة، لم يملك ابن شُهيد نفسه فنظم شعراً يشكرُ سيده على عطائه، ويقصّ عليه مغامراته مع هداياه الجديدة، ويُخبره أنه ملك يمينه وسيف من سيوفه فكتب إليه قائلاً: [3] [الخفيف]

قــدْ فَضَــضْنا خِتــامَ ذاكَ الــسِّوارِ	واصْــطَبَغنا مِــنَ النَّجيــعِ الجــاري
ونَعِمْنــا فــي ظِــلِّ أنْعــمِ لَيــلٍ	ولَهونــا بالبــدرِ ثــم الــدّراري
وقــضى الــشيخُ مــا قَــضَى بحُــسامٍ	ذي مَــضاءٍ عَــضْبِ الظُّبــى بَتَّــارِ
فاصــطنِعه فلــيس يُجزيــكَ كُفْــراً	واتّخِــذْه ســيفاً علــى الكُفّــارِ

---

[1]- ابن خاقان، مطمح الأنفس، 396، ابن بسَّام، الذّخيرَة، ق4 م29/1، ابن الأبَّار، الحُلَّة السِّيَراء، 276/1، ابن عذَاري، البيانُ المُغرِب، 300/2، المقَّري، أزهار الرياض، 132/5.

[2]- كَلال: كَلَّ يكِلُّ كَلاًّ و كَلالاً و كَلالة الأخيرة عن اللحياني: أعيا. ابن منظور، لسان العرب، مادة (كلل) 591/11.

[3] – ابن خاقان، مطمح الأنفس، 397، ابن بسَّام، الذّخيرَة، ق4 م30/1، ابن الأبَّار، الحُلَّة السِّيَراء، 276/1–277، ابن عذَاري، البيانُ المُغرِب، 300/2، المقَّري، أزهار الرياض، 132/5، النّفح، 384/1، 121/2.

ويبدو من شعر ابن شُهيد أنه طلب عطيّة غالية، ونال هديّة ثمينة أوجبته إخلاصاً للهادي وعِرفاناً أبدياً له.

أمّا لسان الدين بن الخطيب فلم تدفعه الحاجة إلى المتعة والإلهام كي يطلب جارية؛ فقد توفيت زوجته في المغرب وأصبح بحاجة لامرأة تملأ حياته، وتُلبي احتياجاته، فكتب رسالة إلى تاشفين الموسوس[1] سلطان المغرب يطلب منه جارية، ويبدو أن لسان الدين بن الخطيب كان بحاجة ماسّة لهذه الجارية وهو يائس لدرجة أنه يطلب أي جارية من الجواري اللاتي يملأن قصر السلطان، كما أنه راضٍ بها مهما كان دينها يقول: [2] [الطَّويل]

قَصدتُ إلىْ المولىْ أبي عُمَر الرِّضا	غَدتْ بالذي يَرضىْ المشيئةُ جاريهْ
وطُوفانُ هَمِّي قدْ طغىْ ليُجيرَني	وتُركبَنيْ آلاؤهُ فوقَ جاريهْ
وإنيْ لراضٍ بالذي يَرْتَضيه لي	ولو عبَدَتْ آباؤها شَنتَماريه[3]
وإنّ ظُنونيْ في الإمامِ وفَضْله	مُحَقَقةٌ واللهِ لا مُتماريهْ
ففازَ بما يَهواهُ منْ فَضلِ ربِّه	وأمُّ الذيْ يَهْوَى لهُ الشرَّ هاويهْ

وأظن أن السبب الرئيسي وراء طلبهما جارية هو الطمع في جارية مجاناً، فكلاهما طلب جارية من ولي أمر تملأ الجواري قصره، وكأنهما واثقان أن طلبهما لَن يُرد وأنهما سيفوزان بجارية جميلة تملأ حياتهما دون دفع أي شيء.

---

[1]– هو السلطان أبو عمر تاشفين الموسوس ابن أبي الحسن المريني، كان فارساً قوي الساعد إلا أنه كان ناقص العقل لا يملك في حكمه ضرّاً ولا نفعاً، وكان نقصان عقله بسبب الأسر الذي تعرّض له أيام والده أبي الحسن، وبقي على حاله هذه حتى توفي، وُلي الأمر سنة 762 هـ ودام حكمُه ثلاثة أشهر ويومين ومات وسنه ستون سنة. انظر النَّاصري، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، م2 ج4، 41.

[2]– الدّيوان، 781/2.

[3] – شَنتَماريهْ أو شَنْتَ مَرِيَّة (Santa Maria de Algavre): مدينة أندلسيّة قديمة، ومعناها مدينة مريم، وهي من مدن أكشونبة، بُنيت على نهر أرغون على مسافة ثلاثة أميال منه. انظر ياقوت، مُعجَم البُلدان، 367/3، القزويني، آثار البلاد، 542-453، الحِميَري، الرَّوض المِعطار، 347، البغدادي، مراصدُ الاطِّلاع، 815/2.

ب- الطَّمع في الجواري

طمع أبو عامر بن يَنَّق[1] في مجلس أنس مميّز تُحييه القينة **هنـد**، فاستدعاها لزيارة مجلس أنسه كي تُتحفه وأصحابه بموسيقا عودها الشادي وأرسل إليها قائلاً: [2] [الكامل]

يا **هنـدُ** هلْ لكِ في زيارةِ فتيةٍ   نَبذوا المَحارمَ غيرَ شُربِ السَّلْسَلِ
سَمعُوا البَلابلَ قد شَدَتْ فتذكروا   نغماتِ عودِكِ في الثّقيلِ الأوّلِ

فأجابته **هند** بالقبول ووعدته بالإسراع والحضور لمجلسه، وما يُثير انتباهي هنا هو هذه الدعوة الغريبة؛ فابن يَنَّق يدعو جارية ليست مُلك يمينه كي تحضر ويُرسل إليها دون خوف من رقيب أو عاذل، فتُجيبه دون تردّد أو سؤال لمالكها بأنها ستحضر في الحال، ويبدو لي أن المجتمع الأندلسي تقبّل هذا النوع من المراسلات والزيارات بين الرجال والجواري، لذا لم يكن هناك حَرَج أو شبهة فيما جرى، وكأني أمام موظفة تعمل في شركة للأُنس والترفيه، وتتخصص في عزف العود، ويصلها طلبٌ بالهاتف كي تذهب وتقوم بعرض فنها، فتُلبي نداء العمل وتخرج، لذا أشك في أن بعض الجواري استغللن مواهبهن ومهاراتهن وحولنها إلى صنعة يتقاضين عليها أجراً، وربَّما ادّخرن ما حصّلنه لينفعهنّ في أيامهنّ المقبلة.

---

[1]- هو أبو عامر محمد بن يحيى بن محمد بن خليفة بن ينّق الشاطبي، طبيب شُهر بالذكاء وحُسن الطِّباع لولا عجب استهواه، مال إلى الآداب والعروض، وتوفي سنة 547هـ. انظر ابن خاقان، قلائد العقيان، 2/552-554، الإستجي، سمط الجمان، 64، ابن الأبَّار، التَّكملة، 2/13-14، ابن سَعيد، المغرب، 2/388.

[2]- ابن الأبَّار، تحفة القادم، 239، التَّكمِلة، 4/259، المَقَّري، النّفح، 6/67.

وطمع بعض الرجال في أموال الجواري؛ فقد حفظ لنا عقيل بن عطيّة [1] حادثة _ ربَّما كانت _ نادرة، فقد نظم شعراً في رجل أحب قينة ورثت مالاً من مولاها، وكانت تنفق عليه منه، فلمّا نفد مالُها نفد حبُّه لها وتركها، فقال ابن عطيّة فيهما: [2] [السَّريع]

لا تَلحَهُ أن مَلَّ مِنْ حُبِّها ... فلمْ يكنْ ذلكَ منْ وُدِّ
لمّا رآها قدْ صَفا مالُها ... قالَ صفا الوَجْدُ معَ الوُجْدِ[3]

ج- في وفاء الجواري وخيانتهن

لم يتنكّر كلُّ الأندلسيين لجواريهم؛ فقد انتظر أبو الحسن الحصري جاريته على شاطئ مَالَقَة، ولم يركب السفينة ويتركها، بل ظلّ قابعاً على الشاطئ يُفكِّر فيها وينتظرها، ويتمنّى أن تأتي بسرعة وتراه ينتظرها كي تُدرك مقدار حبِّه لها، وشَغَل نفسه بنظم الشعر فقال: [4] [الخفيف]

ربِّ سَهِّل على فتاتي فتاتي ... لِتَرى هلْ سلا فتاها فتاها[5]
علَّمَتْهُ جُفُونُها آيَ سِحرٍ ... ما تلاها عن حُبِّها مُذ تلاها

---

[1]- هو أبو طالب عقيل بن عطية بن أبي أحمد جعفر القضاعي، ويكنى أبا المجد ولد بمراكش وأصل سلفه من طرطوشة، كان حسن الخط وله باع في الأدب والحديث وروى عن علماء الأندلس، وُلي قضاء غَرْناطَة، وفي آخر عمره وُلي قضاء سجلماسه وتوفي بها سنة 608هـ. انظر ابن الأبَّار، التَّكملة، 33/4، ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غَرْناطة، 230/4-231، النَّاصري، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، م1 ج2، 134.

[2]- المقَّري، النَّفح، 178/7، النَّاصري، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، م1 ج1، 134.

[3] - الوُجْد والوَجْدُ والوِجْدُ: اليسار والسَّعَة. ابن منظور، لسان العرب، مادة (وجد) 445/3.

[4]- ابن الأبَّار، التَّكملة، 162/1.

[5] - فتاها: التَّوه لغة في التِّيه وهو الهلاك وقيل الذهاب. ابن منظور، لسان العرب، مادة (توه) 482/13.

أمّا الجواري فقد وقفن إلى جانب سادتهن في الأوقات الحُلوة والصعبة، ولـم يتـركنهم حين ضاقت الدنيا عليهم، ورَأفنَ بحالهم عندما حلّت بهم بلوى، **فَسِحر** جارية المُعتَمد لم تتركـه أثناء مرضه، وسهرت عليه ترعاه وتعتني به، حتى إنه تمنى دوام المرض كي تبقى **سِحر** إلـى جانبه، ويتلذّذ باهتمامها به ويرقبها وهي تسهر إلى جانبه يقول: [1] [الطَّويل]

سأســألُ رَبّــي أنْ يُـديمَ بــيَ الـشَّكْوى ... فقدْ قَرَّبتْ منْ مـضجعي الرَّشَـأ الأحْـوى
إذا عِلَّـــةٌ كانـــتْ لقربـــكِ عِلَّـــةً ... تَمَنَّيْــتُ أن تَبقــى بجــسمي وأن تَقــوى
شــكوتُ وســِحْرٌ قــد أغبَّـت زيــارتي ... فجاءتْ بها النُّعمــى التــي سُـمِّيتْ بَلْـوى
فيــا علّتــي دومــي فأنــتِ حبيبــةٌ ... ويــا ربِّ سَـمعاً مــن نـدائيَ والـشكوى

وهناك جوارٍ امتزن بدهاءٍ لم يُدركه إلاّ أهل التجربة والخبرة الطَّويلة في الحيـاة، أمـا الشبان فاغترّوا بهن وصدّقوهنّ، ومن حُسن حظ محمد بن ميمون[2] أن والده عـرف أن جاريـة ابنه داهية، فحذّره منها وأوصاه ببيعها، إلاّ أنه لم يُصغِ لنُصحه وأصرّ علـى الاحتفـاظ بهـا، وبعدها أتاه رجلٌ في منامه وحذّره من جاريته قائلاً:[3] [الكامل]

تــصبُو إلــى مَــيٍّ ومَــيٌّ لا تَنــي ... تَزْهُــو ببلــواكَ التــي لا تنقــضي
وفخــاركَ القــومُ الأُلــى مــا مــنهمُ ... إلا إمــــامٌ أو وصــــيٌّ أو نبــــي
فــاثْنِ عنانَــكَ للهُـدى عــن ذيْ الهــوى ... وخَفِ الإلــهَ عليــكَ ويحـكَ وارْعَــوِي

فأحسّ ابن ميمون أن الرجل الذي أتاه هو الحسين بن علي بن أبي طالب، فسأل جاريته إن كان لها اسم آخر تسمّت به قبل الاسم الذي يعرفه، فأنكرت ثم ذكرت له أنها كانـت تُـسمى **ميّة**، ففزع وباعها في الحال[4].

---

[1]- الدّيوان، 2.

[2]- هو أبو عبد الله محمد بن ميمون القرشي الحسيني، فقيه وأديب ونحـوي وعـالم بالعربيَّـة وآدابها ومدرس لها، كان ابن ميمون من أهل سَرَقُسْطَة، وقيل إنه من ولد الحـسين بـن علـي رضي الله عنهما. انظر ابن الأبَّار، التَّكمِلة، 320/1.

[3]- ابن الأبَّار، التَّكمِلة، 320/1، المقَّري، النّفح، 258/5.

[4]- انظر ابن الأبَّار، التَّكمِلة، 320/1، المقَّري، النّفح، 258/5-259.

ويبدو لي أن ابن ميمون اعتمد في حياته على أبعاد غير واقعية؛ فهو لم يستمع لنُـصح والده ولم يتحقق من أمر جاريته بعد أن حاول أبوه إبعاده عنها، ومن ناحية أخرى أُصيب بالهلع والفزع بعد أن رأى رجلاً غريباً في منامه يُنشده شعراً، فبدأ التحقيق مع جاريتـه ليتأكـد مـن اسمها، وعندما تطابق اسمها القديم مع ما سمعه في منامه باعها على الفور.

الخصائص الفنيّة

ظهر في شعر الشُّعراء في الجواري خصائص فنيّة عدَّة، وكان أهم هذه الخصائص هو سيطرة المقطوعات الشِّعرية على شعر الشُّعراء، وعلى الرغم من أن شعر الشُّعراء في الجواري أظهر استعانتهم بالموروث الثقافي العربي، إلا أنه أبرز الكثير من المظاهر الأندلسية في شعرهم، كما ظهر جلياً استعانة الشُّعراء بالمحسنات البديعية ومحاولاتهم التجديد في الأخيلة والصور رغم تقليدهم بعض الصور القديمة.

1- سيطرة المقطوعات

سيطرت المقطوعات الشِّعرية على الشُّعراء الذين نظموا أشعاراً متعدّدة الأغراض في الجواري في الأندلس؛ فجاء فيهنّ أحد عشر بيتاً مفرداً وخمس وثلاثون نتفة وست وثمانون مقطوعة وسبع عشرة قصيدة وأربع أراجيز وموشّحان، وكان مجموع الأبيات سبعمائة وثلاثة وستين بيتاً لستة وسبعين شاعراً، ويُلاحظ من هذه الأرقام مدى شيوع المقطوعات وحتى النتف فيما يتعلّق بشعر الشُّعراء في الجواري، فلماذا أكثر الأندلسيون من المقطوعات وقلّلوا من القصائد؟ ولِمَ أوجزوا الشعر فيهنّ ولم يُطيلوا ؟

قد تكون هذه المقطوعات مظهراً حضارياً وشكلاً من أشكال التجديد التي تتناسب مع طبيعة عصرهم[1]، وربَّما طمح هؤلاء الشُّعراء _ الذين نظموا مقطوعات شعريَّة في الجواري _ أن يتّسموا بالبلاغة؛ فقد عرّف ابن حزم البلاغة على أنها: "ما فهمه العاميّ كفهم الخاصي... واستوعب المُراد كلّه ولم يزد فيه ما ليس منه ولا حذف ما يحتاج من ذلك المطلوب شيئاً... وسهل عليه حفظه لقِصره وسهولة ألفاظه" [2].

---

[1]- انظر محمد صبحي أبو حسين، المرأة في الأدب الأندلسي في عصر الطّوائف والمرابطين، ص 164، رسالة دكتوراة، جامعة اليرموك، 2001.

[2]- ابن حَزم، التقريب لحد المنطق، 204.

وبهذا فإنّ أحد كبار نقّاد الأندلس يرى أن البلاغة تقتضي الإيجاز غير المُخل، وربّما نظم الشُّعراء مقطوعاتهم في الجواري رغبةً منهم في إدراك شيء من البلاغة، أو أنهم رغبوا في أن تُحفظ أشعارهم وتتداولها الألسن والأسماع؛ فقد أشار ابن رشيق لهذه الجزئية التي شارك فيها السابقين الذين رأوا أن العرب تُوجز ليُحفظ عنها [1].

وأظن أن العوامل السابقة اجتمعت لتدفع الشّاعر الأندلسي أن يُفضّل المقطوعات إذا ما نظم شعراً في الجواري، ناهيك أن الأجواء التي جمعت ما بين الشّاعر والجارية لم تُعطه الفرصة أن يجلس ويُفكر وينظم قصائد طويلة؛ فكان نظمه الشعر إما في لقاء أُعجب بها فيه، أو في مجلس أنس سقته ورقصت له، أو أنه حنّ أوشكا إليها فعبّر عن مكنونات نفسه، أي أن مُعظم الشعر كان ارتجالاً نابعاً من تحفيز قريحة الشّاعر، ووليد تجربة شعورية خاطفة، إلاّ أنها أثّرت في نفس الشّاعر فارتجل شعراً مناسباً لهذه الحادثة العابرة فكانت على هيئة مقطوعة شعرية.

2- الموروث الثقافي

وظّف الشُّعراء الأندلسيون موروثهم الثقافي الذي جمعوه من حضارتهم الإسلاميّة وما أحاط بهم من بيئة لخدمة أسلوبهم وشعرهم، وكان القرآن هو أساس الحضارة العربيَّة الإسلاميّة، لذا وظّفوا معرفتهم به في أشعارهم، وقد يستبعد أيّ باحث وجود تأثيرات قرآنية في شعر الشُّعراء في الجواري، إلا أني أعتقد أن هذه التأثيرات جزءٌ لا يتجزأ من نفس أيّ شاعر مسلم يُخرجها في شعره متى شاء.

وظهر تأثير القرآن الكريم كثيراً في أسلوب الأندلسيين عندما نظموا شعراً في الجواري ومنها قول ابن سَكن[2]: [3] [الكامل]

[1]- انظر ابن رشيق، العُمدة، 186/1 .

[2] – هو أبو بكر ابن سكن، من أهل شِلب، انظر الصفدي، الوافي بالوفيات، 232/10 .

[3] – ابن الأبَّار، تحفة القادم، 63-64 .

فكأنهـــا بلقـــيسُ وافـــتْ صَـــرْحَها لـو أنهـا كـشفتْ لنـا عـنْ سـاقِها[1]

وفي قول ابن حزم: [2] [الوافر]

أراكِ نَـــذرتِ للـــرّحمنِ صـــوماً فلـــستِ تُكلِّمـــينَ اليـــومَ حيـــا[3]

وقول ابن حمديس: [4] [الرَّمَل]

ســحْرُ هـــاروتَ ومـــاروتَ بهـــا في فتــورِ اللَّحــظِ واللَّفــظِ الــرَّخيمِ
تُـــودِعُ الكـــفَّ شـــهاباً محرقـــاً كــلَّ شــيطانٍ مــنَ الهــمِّ رجــيمِ[5]

وقول لسان الدين بن الخطيب: [6] [الطَّويل]

ففـــازَ بمـــا يَهـــواهُ مـــنْ فـــضلِ ربِّـــه وأمُّ الــذيْ يهــوى لــهُ الــشرَّ هاويــهْ[7]

---

[1] – مأخوذ من قوله تعالى: ﴿ فقيلَ لها ادخلي الصَّرحَ فلمّا رأتهُ حَسِبَتهُ لُجَّـةً وكَشفتْ عن ساقيها﴾ سورة النمل، آية 44.

[2] – رسائله، 1/ 251.

[3] – مأخوذ من قوله تعالى: ﴿ إنّي نَذَرْتُ لِلرَحمنِ صَوْماً فَلن أُكلِّم اليومَ إنسيّا﴾ سورة مريم، آية 26.

[4] – الدّيوان، 449.

[5] – مأخوذ من قوله تعالى: ﴿ يُعَلِّمون النّاس السِّحرَ وما أُنزِل على المَلَكَين ببابِلَ هروت ومروت﴾ سورة البقرة، آية 102، و من قوله تعالى: ﴿ وحَفِظنها مِن كلِّ شيطن رجيم ﴿17﴾ إلاّ من استَرَقَ السَّمعَ فأتْبَعَهُ شهابٌ مبين﴾ سورة الحِجر آية 17، 18.

[6] – الدّيوان، 781/2.

[7] – مأخوذ من قوله تعالى: ﴿ وأمّا من خفّت موازينه فأمّه هاوية ﴾ سورة القارعة، آية 9.

ولم يتأثر الأندلسيون بالقرآن فحسب؛ فثقافتهم اتّسعت لتشمل العروض والموسيقا والرّقص والشّعر المشرقي، ومنها قول ابن الجيّاب[1] متأثراً بثقافته البلاغية: [2] [البسيط]

كنَّيتُ عنها بذكرِ النجمِ توريةً   وفي الكناياتِ إجمالٌ وتفسيرُ

وظهر تأثير الموسيقا على النِّحْلي[3] عندما رأى جارية تُحضِّر عودها فقال:[4] [الوافر]

إذا سَوَّتْ طريقَ العُودِ نَقراً   وغنَّتْ فيْ مُحبٍّ أو حَبيبِ
فيُمناها تقدُّ بها فؤاديْ   ويُسراها تَعدُّ بها ذنوبي

أمّا ابن حمديس فيظهر أنه كان مُتأثراً بكل ما يختص بالرَّقص، فقد عرف كيف على الرّاقصة أن ترقص ولما رأى إحداهن تُحسنه قال فيها: [5] [الطَّويل]

وراقصةٍ بالسِّحر في حركاتها   تقيمُ به وزن الغناءِ على حَدٍّ
مُنَغِّمَةٌ ألفاظَهَا بترنُّمٍ   كسا معبداً من عزِّهِ ذلّةَ العبدِ

وظهر تأثير الشِّعر المشرقي عند ابن حزم لما غنّت جارية شعراً على مسامعه فعرف أن صاحب الشعر هو العباس بن الأحنف فقال: [6] [الوافر]

---

[1] – هو أبو الحسن علي بن محمد بن سليمان الأنصاري الغرناطي، كاتب وأديب، وهو شيخ طلبة الأندلس ورئيس كتابها، اختص به ذو الوزارتين أبو عبد الله ابن الخطيب فنال عنده الحظوة، وعلا شأنه حتى أنسى الناس شيخه ابن الخطيب، توفي سنة 749هـ. انظر الحميدي، جَذوَةُ المُقتبس، 489/2، ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غَرْناطة، 125/4–128، ابن الأحمر، نثير فرائد الجمان، 55، المقَّري، النَّفح، 407/7.

[2] – الدّيوان، 274.

[3] – النّحلي: أبو الوليد البطليوسي، شاعر مجيد ومتميز رفض التكسُّب. ابن بسام، الذخيرة، ق2 م810/2، الأزدي، بدائع البدائه، 113،ابن دحية، المطرب، 37، المقري، النفح، 9/4

[4] – المقري، النفح، 399/4

[5] – الدّيوان، 133.

[6] – رسائله، 1/ 251.

وقـــدْ غَنَّيـــتِ للعبـــاسِ شـــعراً　　هنيئـــاً ذا لعبـــاسٍ هنيّـــا
فلـــوْ يلقـــاكِ عبّـــاس لأضـــحى　　لفـــوز قانيـــا وبكـــم شـــجيّا

كما ظهر تأثير الموروث على الشُّعراء عندما تغنّى بعضهم بأسماء نساء تغنّى بها الأقدمون كسلمى ومي وعَفْراء وأشباههن، وربَّما لم يقنعوا بالأسماء الأندلسيّة لأنهم ارتأوا أن الأسماء التقليدية خفيفة على اللسان[1]، أو لأنهم ارتأوا أنها تتلاءم بشكل أفضل مع أسلوبهم وهذا كقول الزبيدي في **سلمى**: [2] [مخلّع البسيط]

ويحـــك يـــا **سَـــلْمُ** لا تُراعـــي　　لا بُـــدَّ للبَـــيْنِ مـــن زَمَـــاعِ

وقول ابن ميمون في **ميّ**:[3] [الكامل]

تـــصبُو إلـــى **مَـــيٍّ** و**مَـــيٌّ** لا تَنـــي　　تَزْهُـــو ببلـــواكَ التـــي لا تنقـــضي

وقول ابن خفاجة في **عَفْراء**: [4] [الطَّويل]

وأقـــرئْ **عُفَيـــراءَ** الـــسّلامَ وقُـــل لهـــا　　ألا هـــلْ أرى ذاكَ الـــسُّها قَمَـــراً تمّـــا

3- مظاهر أندلسيّة

على الرغم من أن الحضارة المشرقيّة أَثّرت في الأندلسيين وحياتهم وأساليبهم، إلا أن هذا لا يعني أنهم عاشوا في قوالبها، فقد تأثروا بحياتهم الأندلسيّة وتحدّثوا في أشعارهم عنها، وتأثر أسلوبهم بنمط الحياة الجديد؛ فأخذ الشّاعر يتحدّث عن الموسيقا والغناء والرَّقص _مما تعرّضت له سابقاً_ ، كما تأثّر الأندلسيّ ببيئته وما حوته من ورود وعصافير وأنهار وغيرها

---

[1]- ابن رشيق، العمدة، 2/121-122.

[2]- الحميدي، جَذوَةُ المُقتبس، 1/88، الضَّبي، بُغيَة المُلتَمس، 66، عبد الواحد المرّاكشي، المُعْجِب، 65، ابن سَعيد، المغرب، 1/256، المقَّري، النّفح، 5/157.

[3]- ابن الأبّار، التّكملة، 1/320، المقَّري، النّفح، 5/258.

[4] - ابن بسَّام، الذّخيرَة، ق3 م2/577.

من مظاهر الحياة الأندلسيّة فانعكست على شعره، وربّما ضمنوها في شعرهم لأنهم ارتـأوا أن جمال الجواري جمع حوله كلَّ جمال في الطبيعة فتوحّد معه وأصبح جسداً واحداً.

وتأثّر أسلوب الأمير عبد الرّحمن بن الحكم بما أحاط به من رياض وخضرة فذكر الورد والياسمين والرياض والزَّهر في بيت شعري واحد: [1] [الطَّويل]

تـرى الـوردَ فـوقَ الياسـمينِ بخـدِّها كما فَـوَّق الـروضُ المـنعَّمُ بـالزَّهرِ

أما المُعتَمد فقد ذكر البلابل عندما قال: [2] [الكامل]

بَكَـرَتْ تلـومُ وفـي الفـؤاد بلابـلُ سَـفَهاً وهـلْ يَثنـي الحلـيمَ الجاهـلُ

وتأثر أسلوب الأندلسيين بأسلوب الحياة وما فيها من ترف، فبالإضافة إلى ما ذكروه في شعرهم من موسيقى وغناء ورقص، فإنهم لم يُهملوا الحديث عن الجوانب الحضارية الأخـرى كلباس الرَّاقصات وتصفيف الشعر وحتى استخدام الند؛ فقد ذكره أبوالفضل الـدارمي[3] عنـدما ارتجل الشعر قائلاً: [4] [الطَّويل]

إذا ما دُخَانُ النّدِّ مـنْ جَيبِهـا عَـلا على وجهِها أبْـصَرْتَ غيمـاً علـى الـشمسِ

وتأثّر أسلوب الأندلسيين تبعاً لتغيُّر أذواقهم التي عرفت ألواناً جديدة للجمال في المجتمع الأندلسي، فقد مال ابن حزم للشقراوات وصرّح بذلك قوله: [5] [الطَّويل]

---

[1] – انظر مجهول، أخبار مجموعة، 123، ابن الأبَّار، الحُلّة السِّيَراء، 117/1، ابن عِذَاري، البيانُ المُغرِب، 92/2-93.

[2] – الدّيوان، 23.

[3] – هو الوزير محمد بن عبد الواحد التميمي الدارمي البغدادي، من بيت علم وأدب، خرج مـن بغداد رسولاً عن أمير المؤمنين القائم بأمر الله العباسي إلى صاحب إفريقية المعز بن بـاديس، ثم خرج منها إلى كنف المأمون بن ذي النون بطُلَيْطُلَة وله فيه أمداح كثيرة، توفي بطُلَيْطُلَة سـنة 454هـ. انظر الحميدي، جَذوَةُ المُقتبس، 124/1، الضَّبي، بُغيَـة المُلـتَمس، 108، المقَّـري، النّفح، 97/4-104.

[4] – ابن بسَّام، الذّخيرَة، ق4 م1/95-96، المَقَّري، النّفح، 100/4.

[5] – رسائله، 133/1.

يعيبونَهـــا عنـــديْ بـــشُقْرةِ لونهـــا   فقلتُ لهـمْ هـذا الـذيْ زانَهـا عنـدي

وتأثّر الأندلسيون بالألوان الجديدة التي حوتها بيئتهم، فلوّنت حياتهم وملأوا بها شعرهم، حتى أضحت الألوان عنصراً مألوفاً في شعرهم ومنها قول سعيد بن جودي في جاريته عنــدما مرّت به في غلالتها الحمراء وقال: [1] [الطَّويل]

قضيبٌ مــن الريحــانِ فــي وَرَقٍ حُمْــرِ

ولم تُنقذه قريحته بأكثر من هذا فلما حضره عبيديس[2] أنشده ما نظمه في جاريته فأجابه قبــل أن يجلس: [3] [الطَّويل]

وعَهْدِيَ بالريحــانِ فــي وَرَقٍ خُــضْرِ

4- المحسنات البديعية

وكما تأثّر الأندلسيون بما أحاط بهم من مظاهر حضارية، فقد تأثّروا بالتيارات الأدبيــة التي اتّبعها غيرهم من الشُّعراء في المشرق والمغرب، وكانت المحــسّنات البديعيــة مــن بــين التيارات الجديدة التي أثّرت في شعر الشُّعراء في الجواري بدرجات متفاوتة، فأكثر بعضهم مــن المحسنات وابتعد عنها آخرون.

---

[1] – انظر ابن الأبَّار، الحُلّة السِّيَراء، 1/ 158.

[2] – هو عبيديس بن محمود السمنتاني، شاعر وأديب انقطع لخدمة لب بن عبيــد الله بــن أميــه المعروف بابن الشالية زمناً طويلاً فأكثر من مديحه ووصف قصوره ومغازيه، ثم وقعت بيــنهم خصومة فانتقل إلى جانب ابن حفصون. انظــر الحميــدي، جَــذوَةُ المُقتــبس، 2/ 469-470 الضَّبي، بُغيَة المُلتَمس، 400، ابن الأبَّار، الحُلّة السِّيَراء، 1/ 230، ابن سَعيد، المغرب، 2/ 69.

[3] – انظر ابن الأبَّار، الحُلّة السِّيَراء، 1/ 159.

أ- الـــجـــنـــاس

أقبل الشُّعراء الأندلسيون على الجناس أثناء نظمهم الشعر في الجواري، وأكثروا منه في الغزل والحنين بهنّ، ويبدو أنهم وجدوا أن الجناس في الغــزل والحنــين وتــشابه الألفــاظ أو الحروف يُنتج موسيقا جميلة تسبي قلوب الجواري وتثير عطفهنّ حتى يَملنَ إليهم، وربَّمـــا رأوا أن الجناس _ وهو حلية العصر_ وسيلة لإثبات مقدرتهم الشعرية وبراعتهم لجواريهم.

ومن الجناس قول المنذر بن عبد الرّحمن في محظيته **طَرَب**: [1] [المنسرح]

لـــيسَ يُفيـــدُ الـــسرورُ والطـــربُ ... إنْ لـــمْ تُقابـــلْ لـــواحظيْ **طَـــرَبُ**

وقول المُعتَمد: [2] [السَّريع]

يرُوعُهَـــا البَـــرقُ وفـــي كَفِّهـــا ... بَـــرقٌ مـــن القهـــوة لَمَّـــاعُ

ونحو قول ابن محفوظ[3]: [4] [البسيط]

ما القلبُ عنْ حــبِّ ذاتِ الخــالِ بالخــالِ ... أطعـــتُ إلاّ إلـــى لميـــاءَ عـــذالي

ولم يلجأ الأندلسيون إلى الجناس التّام المُماثل الذي جمع بين لفظة وأخرى فحسب، وإنّما جانسوا بين الاسم والفعل كقول أبي الحسن الحصري: [5] [الخفيف]

---

[1] - المَقَّري، النّفح، 5/118-119.

[2] - الدّيوان، 21.

[3] - هو ماجد بن محفوظ بن مرعى بن طرخان بن سيف الشريف الطلحي البكري، من ولد طلحة بن عبد الله بن عبد الرّحمن بن أبي بكر الصديق رضي الله عنه، من أهل بلنسية، و يكنى أبا المعالي وأبا الشرف، كان أديباً وشاعراً مجيداً، توفي بمراكش سنة ثلاث أو أربع وستمائة. انظر ابن الأبَّار، التَّكملة، 2/209، تحفة القادم، 134.

[4] - ابن الأبَّار، تحفة القادم، 134.

[5]- ابن الأبَّار، التّكملة، 1/162.

ربِّ سَـــهْلٍ علـــى فتـــاتي فتـــاتي لِتَــرى هـــلْ ســـلا فتاهـــا فتاهـــا
علَّمَتْـــــهُ جُفُونُهـــــا آيَ سِـــــحرٍ مـــا تلاهـــا عـــن حُبِّهـــا مُـــذ تلاهـــا

كما جانسوا بين الفعل والحرف كقول أبي الفضل الدارمي: [1] [الطَّويل]

إذا مـــا دخـــانُ النّـــدِّ مـــنْ جَبينهـــا عَـــلا علي وجهِها أبْـصَرْتَ غيمـاً علـى الـشمسِ

ولم يكن جناسهم تامّاً دائماً؛ فقد قال ابن حمديس: [2] [الكامل]

فَنَهـــضْتُ أَشـــرُقُ بالـــدموع كَمـــا شَـــرِقَ الفـــضاءُ بكثـــرةِ النّبْـــلِ

وقال عقيل بن عطية: [3] [السَّريع]

لمّـــا رآهـــا قـــدْ صَـــفا مالُهـــا قـــالَ صـــفا الوَجْـــدُ مـــعَ الوُجْـــدِ

كما قال الحكم بن هشام : [4] [الخفيف]

نِلـــتُ كـــلَّ الوِصـــالِ بعـــدَ البِعـــادِ فكـــأنِّي ملكـــتُ كـــلَّ العِبـــادِ

ويبدو أن بعض الشُّعراء تأثّروا برسم المفردات فبحثوا عن مفردات أخـرى تـشاركها الحروف أو الموسيقا كما هو حال علي بن أبي الحسين[5] عندما قال: [6] [البسيط]

أحبِـــبْ **بِبِدْعَـــةَ** إذ أحيَـــتْ بـــدائعُها ما ماتَ مـــنْ لهـــوِ أيـــامي وأوطـــاري

---

[1] – ابن بسَّام، الذَّخيرَة، ق4 م1/95-96، المَقَّري، النّفح، 100/4.

[2] – الدّيوان ، 363.

[3] – المَقَّري، النّفح، 178/7.

[4] – انظر ابن عِذَاري، البيانُ المُغرِب، 79/2.

[5] – هو أبو الحسن علي بن محمد ابن أبي الحسين ابن بلج الأصبحي القنسري من أهل قنسرين من جند الشام، أخذ عن مشايخ قُرْطُبَة، كان شاعراً وأديباً مشهوراً، وعالماً بـالنحو واللغـات، توفي سنة 430هـ. انظر ابن بَشْكَوال، الصِّلة، 2/ 412-413، الضَّبي، بُغيَة المُلتَمس، 413، ابن الأبَّار، التّكملة، 3/ 174، ابن عبد الملك المرَّاكشي، الذَّيل والتَّكملة، 1/5/ 317.

[6] – الكتَّاني، التّشبيهات، 105.

وكقول ابن السَّراج: [1] [الطَّويل]

رسولُ التيْ في صـــوتِها ســـوطُ لحظِهـــا   على هـــائمٍ مثلـــيْ بهـــا غيـــرِ مُقْــصِرِ

ولاحظت أنّ بعض الشُّعراء عمدوا إلى تكرار الحرف نفسه في البيت الواحــد فكــأنهم أرادوا بذلك أن يُقيموا جناساً حرفياً وذلك كتكرار أبي الفضل الدارمي لحرف الميم في قولــه: [2] [الطَّويل]

ومَخطوطةُ المتنـــين[3] مهـــضومةُ الحَـــشا   مُنَعّمـــةُ الأردافِ تَـــدْمَى مـــنَ اللّمـــسِ

وكقول أميّة بن عبد العزيز الدانيّ عندما كرّر التاء: [4] [مخلّع البسيط]

تلـــــك **تجنِّـــــي** التـــــيْ بَرَتْنـــــيْ   بالتِّيــــــهِ والــــــصدِّ والتَّجنـــــــي

وكما كرّر ابن الوبّة[5] الهاء في قوله: [6] [السَّريع]

فأنْـــــشدَتهُ و هْـــــيَ ممّـــــا بهـــــا   مـــنْ حُزنهـــا فـــي دمعِهـــا عـــاثرة

أمّا ابن ماء السماء فلم يكتفِ بتكرارِ حرفٍ واحدٍ فكرّر حرفي الميم والـــراء قـــائلاً: [7] [مجزوء البسيط]

---

[1]– ابن بسَّام، الذّخيرَة، ق1 م872/2.

[2] – ابن بسَّام، الذّخيرَة، ق4 م95/1–96، المَقَّري، النّفح، 100/4.

[3] – المَتْنان: والمَتْنتان جَنَبَتا الظهر وجمعهما متون. ابن منظور، لسان العرب ، مـــادة (مـــتن) 398/13.

[4] – العماد الأصفهاني، الخريدَة، ق4 ج326/1.

[5]– ابن الوبّة: أبو محمد عبد الله بن الوبّة المالقي، شاعر مجيد، انظر ابن خميس، أدباء مَالَقَــة، 223 -224.

[6]– ابن خميس، أدباء مَالَقَة، 225.

[7]– ابن بسَّام، الذّخيرَة، ق1 م471/1–472، ابن خميس، أدباء مَالَقَة، 288.

مـــا مَـــرَّ يـــومٌ علـــيَّ لـــمْ أَرَكِ ... إلاّ وطَـــرْفُ الـــضَّميرِ صَـــوَّرَكِ

كما كرّر ابن زُهر[1] الحاء والسين بقوله: [2]

يـــا سِــماكُ حـــسبكِ أو حـــسبي
قـــدْ قـــضيتُ فـــي حـــبِّكُمْ نحبـــي
واحتـــسَبْتُ نفـــسي فـــي الحُـــبِّ
إنّهـــا نفـــسٌ لـــذا الحُـــبِّ أمّـــاره ... وبالـــسوءِ أمَّـــاره

ب- الــطــبــاق

لم يُهمل ناظمو الشِّعر في الجواري المحسنات المعنوية فجمعوا المعاني المتقابلــة فــي طباقٍ سلسٍ واضح، وأكثروا منه ونوّعوه فجمعوا بين لفظين متقابلين كقــول ابــن الجيّــاب: [3] [البسيط]

فأطيــبُ الحُــبِّ عنــدي مــا تجاذبَــهُ ... وصـــلٌ وهجـــرٌ وتـــسكينٌ وتنفيـــرُ

---

[1] – هو أبو بكر محمد بن عبد الملك بن زهر الإيادي الإشبيلي المعروف بالحفيد بن زهر، أخذ عن أبيه أبي مروان وعن جده أبي العلاء علم الطب، وكان له حظ وافر في اللغة والأدب، كمــا كان من أعلم الناس بمذهب المالكية، نال الحظوة والمكانة العالية لدى المــرابطين والموحــدين، وتوفي بمراكش سنة 595هـ وهو ابن إحدى وتسعين سنة. انظر ابــن بــسَّام، الــذّخيرَة، ق2 م219/1، الضَّبي، بُغيَة المُلتَمس، 130، ابن دحية، المُطرِب، 203، ابن الأبَّار، التَّكملَة، 75/2، ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، 521، المقَّري، النّفح، 15/3-16.

[2] – ابن سَعيد، المغرب، 277/1-278.

[3] – الدّيوان، 274-275.

وقول النحوي الزبيدي: [1] [مخلّع البسيط]

فكُـــــلُّ شَـــــملٍ إلـــــى افتـــــراقٍ   وكُـــلُّ شَـــعْبٍ إلـــى انْـــصِداعِ
وكـــــلُّ قُـــــربٍ إلـــــى بِعـــــادِ   وكـــلُّ وَصـــلٍ إلـــى انقطـــاعِ

ونحو قول أبي المغيرة: [2] [الخفيف]

كيـــفَ كيـــفَ الوصـــولُ للأقمـــارِ   بـــين سُـــمْرِ القنـــا وبـــيضِ الـــشّفار

وقول ابن حزم: [3] [الطَّويل]

يُبَكِّـــي لِمَيْـــتٍ مـــاتَ وهْـــوَ مُكَـــرَّمُ   ولَلْحَـــيُّ أولـــى بالـــدُّموعِ الـــذَّوارفِ

وكقول المُعتَمد: [4] [المتقارب]

تملّكـــتِ مِنِّـــيَ صَـــعبَ المـــرامِ   وصـــادفتِ وُدّيَ سَـــهلَ القيـــادِ

كما جمعوا بين فعلين متقابلين كقول ابن عبد ربِّه: [5] [البسيط]

لـــو أنَّ أســـماعَ أهـــلِ الأرضِ قاطبـــةً   أصغْتْ إلى الصَّوتِ لـمْ يَـنقُصْ ولـمْ يَـزدِ

وقول ابن حمديس: [6] [البسيط]

ويـــا شـــؤوني وشـــأني كُلّـــهُ حَـــزَنٌ   فُضّي يواقيتَ دمعـي واحبـسي دُرَرِكْ

ونحو قول لسان الدين بن الخطيب: [7] [الطَّويل]

أروحُ وأغـــدو بـــينَ كـــاسٍ وقَينـــةٍ   ضـــجيعاً لهـــا أو مـــن مُـــدامتها مُلْقـــى

---

[1] – الحميدي، جَذوَةُ المُقتبس، 88/1، الضَّبي، بُغيَة المُلتَمس، 67، عبد الواحد المرَّاكشي، المُعْجِب، 65، ابن سَعيد، المغرب، 256/1، المَقَّري، النَّفح، 157/5.

[2]– المَقَّري، النَّفح، 617/1.

[3]– رسائله، 1/ 252.

[4]– الدّيوان، 8.

[5] – ابن دحية، المُطرِب، 152.

[6] – الدّيوان، 212.

[7] – الكتّاني، التَّشبيهات، 97.

وكقول ابن الغليظ: [1] [الخفيف]

يـــا خلـــيلاً صـــفا وكَـــدَّر يـــوميْ ... هل إلي الطِيبِ فـــي غـــدٍ مـــنْ ســـبيلِ

5- الأخـــيـــلـــة والـــصُّـــور

زيَّن الشُّعراء الأندلسيون أشعارهم في الجواري بتشبيهات واستعارات مستمدة من شعر الأقدمين؛ فشكَّلوا بها صوراً جميلة جاءت على هيئة صور جزئية، وقد يرجع السبب وراء قلَّة الصور الكُليَّة في أشعار الشُّعراء في الجواري إلى أن معظم شعرهم كان مقطوعات شعرية.

أ- الـــصُّـــور التقليديَّة

كانت صورة الغزال والظبي والرشأ إحدى الصور التقليدية التي لجأ إليها الشُّعراء الأندلسيون في شعرهم في الجواري، فالجارية ظبي شارد كما صوّرها الغزال قائلاً: [2] [الكامل]

وكأنهـــا فـــي الـــدَّارِ حـــينَ تعرَّضَـــتْ[3] ... ظبـــيٌ تدلَّـــه بـــالفَلا مَرعـــوبُ

ونحو ما صورها أبو المطرِّف الزهريُّ فقال: [4] [البسيط]

يـــا ظبيـــةً نَفَـــرتْ والقَلـــبُ مِكْنَـــسُها ... خوفـــاً لخَتْلـــيَ[5] بـــل عمـــداً لتعـــذيبي

---

[1] – ابن بسَّام، الذّخيرَة، ق1 م874/2، ابن سَعيد، المغرب، 435/1.

[2] – ابن دحية، المُطرِب، 149.

[3] – تعرّضت: لم تستقم في سيرها. ابن منظور، لسان العرب، مادة (عرض) 169/7.

[4] – ابن الأبَّار، تحفة القادم، 221، المقَّري، النّفح، 397/4.

[5] – الخَتْل: تَخادُعٌ عن غفلة. ابن منظور، لسان العرب، مادة (ختل) 199/11.

وكقول ابن حزم يتغزّل بجارية: [1] [الخفيف]

هـــل يكـــونُ الهـــلالُ غيـــرَ بعيـــدٍ أو يكـــونُ الغـــزالُ غيـــرَ نفـــورِ

أمَّا المُعتَمد فلم يقنع بأن يُصوِّر جاريته بالغزال فحسب؛ فصوَّرها ظبية سلبت فؤاده وما فؤاده إلا فؤاد هزبر شجاع، أي أنه صورها بالظبية وصوَّر نفسه بالأسد فقال: [2] [الكامل]

يـــا ظبيـــةً سَـــلبتْ فـــؤادَ محمـــدٍ أو لـــمْ يُروِّعْـــكِ الهِزبـــرُ الباســـلُ

وهكذا صوّر المُعتَمد الصراع بين الغزال والأسد، والصراع بينهما أحـد الـصراعات الطبيعية، فأحدهما فريسة والآخر صيّاد ماهر، إلا أن ابن بطّال قلب هذه الحقيقة الطبيعية إلـى صورة شعرية معهودة؛ فأضحى الغزال صيّاداً ماهراً أمّا الـضحية فهـي كـلّ مـن يـراه: [3] [المتقارب]

رشـــــاً راشَ[4] بالــــسحرِ أجفانَـــه أنـــيسٌ يَـــصيدُ قُلـــوبَ الأَنَـــسْ

ولم يتوقف الشُّعراء عند الصور التقليدية للغزال فحسب، فقد أولعـوا بـصور القَمَـر والشمس والنجوم، ويبدو أن صورة القَمَر بدراً وهلالاً نال الاهتمام الأكبر لديهم، ولـم يقتـصر استخدام النجوم على الغزل كما قد يخطر بالبال للوهلة الأولى فقد ظهر في معظم الأغـراض، وكان المُعتَمد ممّن أولعوا باستخدام صور وظَّف فيها القَمَر فقال في **الرُّمَيْكيَّة:** [5] [الطَّويل]

أأهجـرُ ظبيـاً فـي ضـلوعي كناسُـهُ وبـدرَ تمـامٍ فـيْ جفـوني مطالعـهُ

---

[1] - رسائله، 1/ 251.

[2] - الدّيوان، 23.

[3] - الكتّاني، التّشبيهات، 126.

[4] - راش: كسا. ابن منظور، لسان العرب، مادة (ريش) 310/6.

[5] - الدّيوان، 20.

وقال ابن حمديس في **جوهرة:** [1] [البسيط]

يا وجهَ **جوهرةَ** المحجوبَ عــن بــصري   من ذا يقيكَ كــسوفاً قــد عــلا قَمَــركْ

ونالت صورة الشمس مكانةً طيّبة في شعر الشُّعراء في الجواري حتى ظهرت مسيطرة على صورهم بشكلٍ مساوٍ لصورة القَمَر؛ كقول ابن الوبّة في فتــى يُعــرف بــأبي الــدرداء: [2] [السَّريع]

مــــرّ أبــــو الــــدرداءِ يومــــاً علــــى   جَاريَــــــةٍ ماجِنَــــــةٍ شــــــاطرة
فَراعَــــــه منظرُهــــــا إذ بَــــــدَتْ   كالــــشَّمسِ فــــي طلعَتهــــا الزَّاهــــرة

ونحو قول ابن سكن في جارية جميلة: [3] [الكامل]

وعقيلــــةٍ لاحــــتْ بــــشاطئ نَهرِهــــا   كالــــشَّمسِ طالعــــةً لــــدى آفاقهــــا

وكقول ابن حمديس: [4] [الكامل]

وكأنّهــــا شــــمسٌ علــــى غُــــصْنٍ   مُتَــــــرَنِّحِ التَّقــــــويمِ والمَيــــــلِ

واستغل شعراء الأندلس الكواكب في صورهم الشعرية، فذكروا النجوم كقول المُعتَمد: [5] [مجزوء الرّجز]

يــــا كوكــــبَ الحُــــسنِ الــــذي   أزْرَى بزُهَــــــــرِ الــــــــشُّهُبِ

---

[1] – الدّيوان، 213.
[2]– ابن خميس، أدباء مَالَقَة، 224.
[3] – ابن الأبَّار، تحفة القادم، 63-64.
[4]– الدّيوان ، 363.
[5]– الدّيوان، 3.

وقول سليمان المستعين: [1] [الكامل]

وتملَّكـــت نفـــسيْ ثـــلاثٌ كالـــدُّمى زُهـــرُ الوُجـــوهِ نَـــواعمُ الأبـــدانِ
ككواكـــبِ الظَّلمـــاءِ لُحْـــنَ لِنـــاظِرٍ مِـــنْ فـــوقِ أغـــصانٍ علـــى كُثبـــانِ

وجاءت معظم صور الشُّعراء في الجواري في موضوع الغزل؛ فصوروا الجارية شمساً مشرقة، كما أنها ظبي شارد قدُّها غصن بان، ووجهها كالقَمَر، ولواحظهـا الـسيوف البـواتر، وريقها مُسكرٌ لكل شارب، ووجهها الياسمين وخدودها كالورد، وفمهـا كـالأقحوان، وأسـنانها اللؤلؤ والدرِّ المنظوم وغيرها من التشبيهات والصور والاستعارات التقليدية المعروفة نحو قول يحيى بن حكم الغزال في جاريته **لَعُوب**: [2] [الكامل]

لـــم أنْـــسَ إذ بـــرزتْ إلـــيّ **لَعُـــوبُ** طَرَبـــاً وحيـــثُ قميـــصُها مقلـــوبُ
وكأنّهـــا فـــي الـــدارِ حـــينَ تعرَّضـــتْ ظبـــيٌ تدلَّـــه بـــالفَلا مَرعـــوبُ
تَفْتَـــرُّ[3] عـــن درّ تناســـقَ نظمُـــه فيـــه لَثـــاةٌ عذبـــةٌ وغـــروبُ[4]

وكقول ابن سَعيد في **صُبْح** الرّوميّة: [5] [مخلّع البسيط]

أَوَجْـــهُ **صُـــبْحٍ** أم الـــصبّاح ولَحظُهـــا أمْ ظِبَـــا الـــصفّاح
وثَغرُهـــا أمْ نظـــيمُ دُرٍّ وريقُهـــا أمْ سُـــلافُ راح
وقـــدُّها أم قـــوامُ غُـــصن وعُرفُهـــا أم شـــذا البِطـــاح
وافـــتْ فأمـــسى فمـــيْ مُـــداماً وســـاعِدايَ لهـــا وشـــاح

---

[1]- الحميدي، جَذوَةُ المُقتبس، 51/1، ابن بسَّام، الذّخيرَة، ق1 م47/1 ، عبد الواحد المرَّاكشي، المُعْجِب، 92، ابن الأبَّار، الحُلَّة السِّيَراء، 8/2، ابن عِذَاري، البيانُ المُغرِب، 118/3، المَقَّري، النَّفح، 412/1.

2 – الكتَّاني، التَّشبيهات، 149.

3 – تفتَّر: وفلان يَفتُر و يَفتِر فُتُوراً و فُتاراً سكن بعد حدّة ولانَ بعد شدة. ابن منظـور، لـسان العرب، مادة (فتر)، 5/ 43.

4 – غُروب: وغَرْبُ الفم هو كَثرةُ ريقه وبَلَله، وجمعه غُرُوب. ابن منظور، لسان العـرب، مادة (غرب)، 1/ 643.

5 – المَقَّري، النَّفح، 3/74-75.

كأنّمـــــــا بِـــــــتٌّ بـــــــينَ روضٍ   والغُـــــصنِ والــــورَدِ والأقــــاح

وقول ابن الغليظ في **حُسْن الورَد:** [1] [الطَّويل]

ولمـــا تَبَـــدّى الـــوردُ فـــوقَ غُـــصونه   وذكّرنـــي بـــالورْدِ فـــي صـــفحة الخـــدِّ
ذكـــرتُ بـــه مَـــن خـــدُّهُ لـــيَ روضَـــةٌ   تهـيمُ بهـا مـن حـسنها روضـةُ الـوَرْدِ

ونحو قول ابن الجياب في **نجمة:** [2] [البسيط]

سلطانُ حُـسنٍ علـى الأمـلاك منـصورُ   سلَّ السّيوفَ وهُـنَّ الأعـينُ الحـورُ
حيّـت تحيّـةَ مـشتاقٍ وقـد بـسمَتْ   فـاللؤلؤُ الرطـبُ منظـومٌ ومنثـورُ
أوَجْهُها القَمَر الوضـّاحُ شـمسٌ وضـحىً   أم قـدُّها الغَـضُّ الميّـادُ ممطـورُ
يـا أيهـا القَمَـرانِ اسـتخفيا فلهـا   نجـمٌ إذا لاحَ يمحـي منكمـا النـورُ

ب- الـصُّـور المُبتكرة

ولم يعتمد الشُّعراء الأندلسيون على خيال أجدادهم العرب وصـورهم، وإنّمـا أعملـوا خيالهم ورسموا صورهم الخاصة بهم، ومن الجَدير بالذِّكر أن معظم الـصور المبتكـرة التـي ألفيتها كانت في وصف الشُّعراء الرَّاقصات والسَّاقيات وفي الغـزل بـالجواري عامّـة، ومـن الصور المبتكرة قول البلنوبي في راقصة: [3] [البسيط]

خفيفـةُ الـوطء لـوْ جالـتْ بخُطوَتِهـا   في جفنِ ذى رَمَدٍ لـم يـشتكِ الوَصَـبا[4]

فالجارية الرّاقصة رشيقة خفيفة لا تكاد تلمس الأرض، حتى لو أنها خطت بقدميها فـي جفن مريض لم يشتك ألماً وهذا دلالة على خفتها، فالرمد يصيب العين بألم مُبرح دون أي مؤثر

---

[1]- ابن بسَّام، الذّخيرَة، ق1 م873/2.

[2] - الدّيوان، 274-275.

[3] - العماد الأصفهاني، الخَريدَة، ق4 ج5/1.

[4] - الوَصَب: الوَجَع والمرض. ابن منظور، لسان العرب، مادة (وصب) 797/1.

ورغم أن الرّاقصة ستصول وتجول بخطواتها وجسدها الرشيق في الجفن المريض إلا إن المريض لن يشعر بأي ألم لخفة الرّاقصة.

والرّاقصة التي رسم عبادة بن ماء السماء صورتها كانت راقصة خفيفة الوطء كما أنها سريعة الحركة، فهي تنتقل من مكان إلى آخر بسرعة وكأنها ترقص على سيف حاد لا تقدر أن تقف عليه لحظة فتقفز من فوقه بسرعة لتحطَّ عليه من جديد وتُعيد الكَرَّة بخفّة وسرعة فائقة، وهكذا رسم ابن ماء السماء صورة هذه الرّاقصة فقال: [1] [المنسرح]

راقصةٌ لاتُحَسُّ وطأتُها   كأنَّها فيْ الهُبوبِ كالطيْفِ
تنقلُ أقدامَها على عَجَلِ   كأنَّما رقْصُها على سيفِ

كما رسم صورة متحركة لراقصة أخرى؛ فقد رآها تعتدل كالألف الممدوة، ثم تنثني لترسم بجسدها حرف اللام وهذه صورة لطيفة: [2] [المنسرح]

يُعجِبُنيْ أنْ تَقومَ قُدَّاما   تَفْتِلُ قَبلَ الجُفونِ أكماما
كأنّها فيْ اعتِدالِها ألِفٌ   تَرْجِعُ عِندَ انْعِطافِها لاما

أما الصور المبتكرة التي جاءت في وصف السَّاقيات فمنها الصورة التي رسمها ابن حمديس في ساقية تسقيه خمراً فيدها التي تسقيه بها فم ينفث السِّحر في نفوس الشاربين، وعبَّر عن صورته للساقية بقوله: [3] [الكامل]

وكأنما يدُها فمٌ متكلم   بالسحر فيه مِقولُ المضرابِ

كما أن للسان الدين بن الخطيب صورة في إحدى القيان ربَّما تحتل الصّدارة في الصور المبتكرة، فقد صوَّر إحدى الجواري ممسكة العود وكأنه وليدها الذي تُرضعه، وإذا ما لمست

---

[1] – ابن خميس، أدباء مَالَقَة، 289.
[2] – ابن الأبَّار، تحفة القادم، 131، ابن خميس، أدباء مَالَقَة، 288-289.
[3] – الدّيوان، 21.

أوتاره كي تضبطها فهي كالطبيب الماهر الذي يعرف موضع الألم من مجرد فحص النــبض: [1] [الطَّويل]

ومُرضِــعةٍ طفــلاً مــنَ العــودِ ثَــدْيُها ولا دُرَّ إلاّ الــدُّرُّ مــنْ أدبٍ مَحْــضِ
إذا لَمَـــسَتهُ بالبَنــانِ تخالهـــا طبيباً منَ الحُذَّاقِ جـسَّ علــى نَــبْضِ

وصوَّر ابن بطّال خدود جارية بالورد وشَعرَها المحيط بصدغها بالعقرب، فكــأن هــذا العقرب هبّ ليمنع أي أحد أن يجني الورد الذي في الخدود، وهذه صورة غير تقليديــة جــاءت لتُخلِّد صورة زينة الجارية وشعرها وهو مظهر أندلسي جميل: [2] [الكامل]

تَرنـــو لواحظُنـــا لتقطـــفَ وردَه فتــدبُّ عقربُـــهُ فتلــسعُ مَــن رنــا
فكـــأن عقـــربَ صُـــدْغِه فـــي خـــدِّه دبَّـــت لتمنـــعَ ورده أن يُجْتَنـــى

وتوجّه بعض الشُّعراء في شعرهم في الجواري إلى التشخيص، وكان القلــب والجفــن أكثر ما لاقا رواجاً بين الشُّعراء في شعرهم في الجــواري، وتبعــت القلــبَ والجفــنَ الآلاتُ الموسيقية ثم العقاربُ، وأسبغ الشُّعراء صفات البشر على القلب فكان فرحاً مبتهجاً حتى إن قلب ابن الطُّوبى يرقص بين أحشائه إذا ما رقصت إحدى الجواري: [3] [السَّريع]

إذا بَـــدَتْ تَـــرْقُصُ مـــا بَيْنَنـــا يـــرقصُ قلبـــيْ بـــينَ أحـــشائي

ولم يكن قلب ابن الطوبى الوحيد الذي فرح ورقص مع الجواري الرَّاقصات، فكلٌّ مــن قلب البلنوبي وأصحابه رقصوا لما قامت الجارية الهيفاء بالرَّقص في مجلس أنسهم وعندها قال البلنوبي: [4] [البسيط]

هيفاءُ إنْ رقصتْ فــيْ مجلــسٍ رَقَــصَت قلوبُ منْ حولهــا مــنْ حَــذْقِها طَرَبــا

---

[1] – الدّيوان، 638/2.
[2] – الكتّاني، التّشبيهات، 126.
[3] – العماد الأصفهاني، الخَريدَة، ق4 ج66/1.
[4] – العماد الأصفهاني، الخَريدَة، ق4 ج5/1.

أما الجفون فقد رآها أبو الحسن البصري على أنها مُعلِّمة تُعلّم السحر وآياته فإذا ما تعلم التلميذ هذه الآيات وتلاها أصبح كأبي الحسن عندما وصف حاله قائلاً: [1] [الخفيف]

عَلَّمَتْــــــهُ جُفُونُهـــــــا آيَ سِـــــــحرٍ   مــا تلاهــا عــن حُبِّهــا مُــذ تلاهــا

ورأى الأمير عبد الرّحمن بن الحكم الأذن إنساناً يتحدّث فقال: [2] [طويل]

إذا شــــــــافَهَتهُ الأذنُ أدَّى بـــــــــسحْرِها   إلى القلــبِ إبــداعاً فجــلَّ عــن الــسّحرِ

ويبدو أن بعض الجواري العازفات نفخن في آلاتهن الموسيقية فبثثن فيها أرواحهن كي تصبح بشراً، وعندها تغزلت جارية بالعود الوسيم، وقبّلت أخرى المزمار فرآها ابــن حمــديس فقال: [3] [المتقارب]

فَهَـــــذيْ تُغــــازِلُ لـــــيْ عُودَهـــــا   وتِلْــــــكَ تُقبِّــــــلُ مِزْمارَهـــــــا

ولكن بعض الآلات الموسيقية تجاوز أن يكون مفعولاً به، فقد عشق عود الجارية **بِدْعَة** وعانى تباريح الحب واشتكى من هذه البلوى بألحانه، فقال فيه علي بن أبي الحسين: [4] [البسيط]

كأنّ عــودَكِ صــبٌّ يــشتكي أَلَــمَ الـــ   ـــبَلوى وألفاظُـــهُ تَرجيـــعُ أوتـــارِ

---

[1]- ابن الأبّار، التّكملة، 162/1.

[2] - انظر مجهول، أخبار مجموعة، 123، ابن الأبّار، الحُلّة السِّيَراء، 117/1، ابن عِذاري، البيانُ المُغرِب، 2/92-93.

[3] - الدّيوان ، 182.

[4] - الكتّاني، التّشبيهات، 105.

أما عقارب الشَّعر فأضحت بشراً حقاً، وهي تنادم بعضها وتُعدُّ مجالس أُنسها على الخدود، وتشرب هناك الكؤوس، وإذا ما اقتربت من بعضها تتعانق كالبشر لحظة الوداع وفيها قال محمد بن أبي الحسين[1]: [2] [الوافر]

بنفسيَ عَقْرَبانِ بِصَحْنِ خدٍّ ... بِخَمْرِ جُفونِهِ مُتَنادمانِ
إذا التَقَيا تَرى لَهُما عِناقاً ... كأنَّ لِفرْقَةٍ يَتوادعانِ

6- الموسيقا

كان الشُّعراء الذين نظموا شعراً في الجواري من مُحبي الجمال والتسلية، فما الجارية _في نظر معظمهم _ إلا أداة متعة ومظهر جميل يزينون به بيوتهم وحياتهم ويلونون به شعرهم، لذا قالوا فيهن شعراً جميلاً، ولكي يكتمل جمال الشعر فلا بد له من موسيقى جميلة تُزيّنه وتُلقي عليه سحراً يناسب اللقاء الذي جمع الشَّاعر والجارية الجميلة.

وجمع الشُّعراء في شعرهم بين البحور الطَّويلة والقصيرة، وجاء شعرهم في اثني عشر بحراً احتل كلٌّ من بحر الطَّويل والكامل والبسيط النصيب الأكبر، وإن كان بحر الطَّويل تفوَّق على البحور الأخرى لما عُرف به من بهاء وقوة [3] فتكرّر ست وثلاثون مرة في مائة وخمسة وثلاثين بيتاً شعرياً، وتلا الطَّويل بحرُ الكامل الذي تكرر أربعاً وعشرين مرة في مائة وثلاثة وعشرين بيتاً، كيف لا ومجال الشَّاعر فيه أفسح منه في غيره[4]، أما البسيط فتبع الكامل بفارق بسيط وظهر اثنتان وعشرون مرة في مائة وستة وثمانين بيتاً، ومن الجَدير بالذِّكر أن هذه البحور جاءت في الأغراض كلها التي عَرَضْتُ لها ولم يقتصر أيٌّ منها على غرض بعينه، وتبع البحور السابقة كلٌّ من بحر السَّريع الذي تكرر ثلاث عشرة مرة في خمسين بيتاً شعرياً،

---

[1]- هو رئيس جليل وعالم باللغة والأدب أيام الحكم المُستَنصِر، أمره الحكمُ بمقابلة كتاب العين للخليل مع أبي علي البغدادي. انظر الحميدي، جَذوَةُ المُقتبس، 1/91-94 ، الضَّبي، بُغيَة المُلتَمس، 71.

[2]- الكتَّاني، التَّشبيهات، 127.

[3] - انظر حازم القرطاجني، منهاج البلغاء، 269.

[4] - انظر حازم القرطاجني، منهاج البلغاء، 268.

ثم بحر الخفيف الذي تكرر اثنتي عشرة مرة في ثمانية وعشرين بيتاً، ولحقه المتقارب في إحدى عشرة مرة ضمّت سبعة وتسعين بيتاً، وغطى بحر السَّريع معظم الأغراض الشعرية بينما اكتفى الخفيف بالغزل والحنين وموضوعات متفرقة، وتبعهما بحر المنسرح الذي تكرر سبع مرات في سبعة وعشرين بيتاً، ولحق به كلٌ من بحر الوافر ومخلّع البسيط إلا أن مخلّع البسيط نال بتسعة وثلاثين بيتاً بينما اكتفى بحر الوافر باثني عشر بيتاً، وجاء بعدهما كلٌ من بحر الرجز الذي نُظم فيه أربع أراجيز والرَّمَل الذي تكرر أربع مرات في سبعة عشر بيتاً، أما مجزوء الرَّمَل فجاء مرتين في ثمانية أبيات، وتكرر كل من بحر المجتث والمديد ومجزوء الرجز ومجزوء البسيط ومجزوء الكامل مرة واحدة.

أما القافية وهي جزء مهم من الموسيقا الشعرية فما هي إلا عدة أصوات تتكرر في أواخر الأشطر أو الأبيات من القصيدة[1]، ونظم الشُّعراء شعرهم في الجواري على خمسة وعشرين حرفاً من حروف المعجم فاستثنوا منها الذال والزاي والظاء، ورتبت هذه الحروف حسب كثرتها: كان أوّلها الراء التي تكررت في تسعة وعشرين قصيدة ومقطوعة ونتفة وبيت مفرد، ثم الباء التي جاءت في تسع عشرة قصيدة ومقطوعة ونتفة وبيت مفرد، ثم الدال والنون التي جاءت في ثلاث عشرة قصيدة ومقطوعة ونتفة وبيت مفرد، وتبعتهما اللام التي تكررت في عشر قصائد ومقطوعات ونتف، وتلتها الميم والكاف اللتان تكررتا في ثمان قصائد ومقطوعات ونتف، ولحقتهما القاف التي أتت في سبع مقطوعات وأبيات مفردة، ثم وجه الشُّعراء اهتمامهم نحو الياء التي استعملوها كحرف روي في ست قصائد ومقطوعات، ثم استعملوا العين في خمس مقطوعات ونتف، وتبعتهما كل من السين والفاء والضاد التي تكرر كل حرف منها في خمس مقطوعات، وجاء في المرتبة قبل الأخيرة حرف الهمزة والواو والخاء والتاء والجيم والهاء، ونظم على كل حرف منها بالترتيب: قصيدة ومقطوعة، و مقطوعتان، ونتفتان، ومقطوعة ونتفة، ومقطوعة ونتفة، ونتفة ومقطوعة، أما أقل حروف المعجم استعمالاً فكانت كل من الثاء و الشين والطاء والصاد والغين الذي جاء كل منهما في مقطوعة، أما حرف الحاء فجاء في قصيدة واحدة لابن سَعيد في الجارية **صُبْح**.

ولاحظت أن حروف الروي الأكثر استعمالاً في شعر الشُّعراء في الجواري متناسبة مع ما هو شائع ومعروف في الشعر العربي[2]، ومن الجَدير بالذِّكر أن حرف الكاف والقاف والياء

[1] – انظر إبراهيم أنيس، موسيقى الشعر، 246.

[2] – إبراهيم أنيس، موسيقى الشعر، 248.

على الرغم من أنها من الحروف المتوسطة الشيوع في الشعر العربي عامـــة إلا أنهـــا وجـــدت رواجاً في شعر الشُّعراء في الجواري وتغلبت على بعض الحروف الشائعة بين الشُّعراء العرب نحو حرفي العين والسين، وكما ذكرت سابقاً فإن شعراء الأندلس في شـــعرهم فـــي الجـــواري توجهوا إلى جميع حروف الروي باستثناء الذال والظاء وهما حرفان من بين الحروف التي يندر مجيئها روياً[1].

[1] – إبراهيم أنيس، موسيقى الشعر، 248.

الفصل الثّانـي

شِعر الجواري

موضوعاته وخصائصه

أتاحت الأندلس حريّة مميزة لكلِّ من عاش بها أو وفد إليها، فنَعِم الأدب بشعراء نظموا أشعارهم في كل ما هو جميل، وكانت الجواري من مظاهر الجمال في الأندلس، فأثْرى وجودهنَّ في المجتمع الأندلسي الشعر العربي إلاّ أنهن لم يكتفين بهذا الأثر فنظمن أشعارهن في موضوعات عدّة، وأظن أن البيئة الأندلسيّة حفّزت مشاركة الجواري في الشِّعر؛ فقد عاش أبناء المجتمع الأندلسي وسط أجواء الحرية والانفتاح على الأعراق الأخرى وتقاليدها وكل ما هو جديد، وتمتعت الجواري بهذه الحرية وشاركن في نشرها وأغرقن أنفسهن فيها، كما أن بعض عصور الأندلس اكتظت بمجالس الأُنس والغناء التي أحيتها الجواري بأشعارهن أو بغناء أشعار غيرهنّ من الشُّعراء.

ولم تكن مشاركة الجواري في الشعر الأندلسي ظاهرة طارئة ظهرت فجأة وانحصرت في عصر من العصور ومجموعة من الجواري، بل كانت ظاهرة ممتدة عاشت في معظم عصور الأندلس وكان لها عصور ازدهار وانتكاس، إلا أن المصادر المتوفرة بين يدي لم تحو الكثير من أشعار الجواري على الرغم من أن كثيرات منهن وُصفن بأنهنّ شاعرات، واجتهد الكثير من الباحثين لمعرفة الأسباب وراء قلة الشعر النسوي فجمعت اجتهاداتهم ولخصتها في الأسباب التالية: إهمال المؤرخين الأندلسيين والمؤرخين القدماء لذكر كامل أشعار النّساء، وضياع الكثير من المؤلفات والكتب الأندلسيّة أو إتلافها على يد الإسبان المتعصبين[1]، أو أن رواة الشعر والمؤرخين مالوا إلى الشعر الغريب الحوشي وشعر النّساء يكاد يكون خالياً من الغريب، أو أنهم فضلوا عدم ذكره لوجود كتب خاصة في أشعار النّساء نحو كتاب " قيان الأندلس " لفتحونة بنت جعفر الأندلسيّة[2]، وكتاب " ذهبية المساء في حلي النّساء " لمؤلف مجهول[3]، وكتاب " النّساء " لابن مسلمة بن قاسم[4] وغيرها من الكتب المتخصصة[5].

---

[1] – انظر محمد عبد المنعم خفاجي، الأدب الأندلسي التطور والتجديد، 125–126.

[2] – انظر ابن الأبّار، التّكملة، 254/4.

[3] – انظر ابن سَعيد، المغرب، 143/1.

[4] – انظر الضَّبي، بُغيَة المُلتَمس، 143.

[5] – محمد صبحي أسعد أبو حسين، المرأة في الأدب الأندلسي في عصر الطّوائف والمرابطين، ص 130–131، رسالة دكتوراة، جامعة اليرموك، 2001.

وأظن أنه كان لكُلٍ من الأسباب السابقة أثر في فقداننا شعر النّساء عامـة والجـواري خاصة في الأندلس، وربَّما تكشف الأيام عن كتب متخصصة وغنيَّة بشعر الجـواري والنّـساء فيعوضنا عن الفجوات التي تقابلنا ولا نستطيع سدّها إلا بالتخمين ووضع فرضـيات تعوزهـا الأدلة، وقد بقي من نظم الجواري ثمانون بيتاً غنَّين منها ثلاثين بيتاً.

موضوعات شعر الجواري

1- الـغـزل

تمتعت الجواري كغيرهن من أبناء الأندلس بقدر كبير من الحريّة، وتجـسدت حـريتهن في مظاهر حياتهن المختلفة؛ ابتداءً من حرية اللباس مروراً بارتياد الأسواق ومشاركة الرجـال مجالس الشراب والغناء، وانتهاءً بنظم الشعر وتأليف الكتب.

وكما لقي الرجل الأندلسي الجارية في البيت والأسواق والطرقـات ومجـالس الأُنـس وتحدّث إليها، فقد عرفته سيّداً في البيت، وعابر طريق في الأسـواق، وضـيفاً فـي مجـالس الشراب، ومُستمعاً لشعرها وغنائها في مجالس الأُنس، وعاشقاً ينظم شعر الحب والغزل فيهـا، وقد تلتفت هذه الجارية _ التي تلاقي عديداً من الرجال أينما ذهبت _ لأحدهم وتُعجب به وربَّما تهيم به، ولكن كيف لها أن تُعبِّر له عن حبها له كما يتحدث هو عن عواطفـه؟ وكيـف لهـا أن تشكو إليه آلام الحب ولواعج الهوى؟

أظن أن بعض الجواري العاشقات كتمن حبَّهن ولم يعرف به محبـوبُهن، وأن بعـضهن لجأن إلى التلميح والإشارة ليلفتن نظر محبوبهن أو يوقعنه في حبهن، وربَّما نجحن أو فشلن، إلا أن بعض الجواري لم يرضين بالفشل فتجرأن وبُحن بحبهن شعراً وهكذا كُنّ من الرّائدات فـي شعر الغزل، إلا أن غزلهن لم يكن غزلاً فاحشاً باستثناء إشارة مُحيّرة **لعُتبَة** جارية ولاّدة بنـت المستكفي في ابن زيدون، ومن الجَدير بالذِّكر أن جواري أُخر **كأُنْس القُلوب** و**مُتْعَـة** و**بَزيعَـة** تحدّثن عن عواطفهن ومشاعرهن حيال محبوبهن وما عانينه من آلام الحب، كما أنهـن اتخـذن من الشعر المُغنّى وسط مجالس الأنس أداة لعرض حبهن.

أمّا جارية السلطان أبي الحجاج يوسف الثالث بن يوسف الثاني[1] فقد نظمت شعراً على لسان ابن فُرْكُون[2] تتغزل بنفسها، وكان غزلها بنفسها غزلاً تقليدياً انتحلت خلاله الجارية عيني ابن فُرْكُون فرأت قدَّها ولحظها، واستعارت قلبه فأحست بما أحس به من شوق وترقّب وانتظار.

وعلى الرغم من جُرأتهن في نظم الشعر وإنشاده على الملأ إلا أنه ظهر في شعر كُلٍ من **أُنْس القُلوب** و**مُتْعَة** أن بعض أفراد المجتمع الأندلسي لم يتقبلوا تصريح الجارية بحبها لرجل غير مالكها؛ فالعادة عند العرب أن الرجل هو المُتغزّل، أما العجم فالمرأة هي الطالبة والراغبة والمخاطِبة[3]، وأحسست أن شعرهن يُظْهِر أنهن خائفات من أسيادهن، أو أنهن خلعن عذارهن وابتعدن عن الحياء الذي يراه المجتمع العربي ميّزة رئيسة من ميّزات المرأة، كما أن ردّة فعل سادتهن على نظمهن شعراً غزلياً في رجل آخر غيرهم تدلّ على أنهم لم يتقبّلوا تصريح جواريهم لأن فيه إهانة لكبريائهم أو لأنهم يغارون على جواريهم، إلا أن هذين النموذجين ليسا قاعدة في الأندلس؛ فالمؤرخون الذين أوردوا شعر الجواري في الغزل لم يستنكروا شعرهنّ، وأوردت المصادر الأندلسيّة المتوفرة بين يدي سبعة وعشرين بيتاً شعرياً نظمتها جواري الأندلس في التغزل بالرجال، وتوزَّعت بين بيتين مفردين ونتفتين ومقطوعتين وقصيدة شعرية انحصرت في عصر ملوك الطَّوائف الذي قالت فيه أربع جوار عشرة أبيات شعرية، وعصر بني الأحمر الذي نظمت فيه جارية عشرة أبيات في التغزل بنفسها، وعصر الإمارة الذي حاز على سبعة أبيات لجاريتين.

---

[1] – هو يوسف الثالث ابن السلطان أبي الحجاج يوسف وولي عهده، استولى أخوه محمد السابع على العرش فسجنه، وفي السجن تفجّرت موهبته الشعرية، وعندما توفي محمد السابع خرج ليحكم الأندلس ويرعى أدباءها وشعراءها، توفي وهو لم يتجاوز الأربعين بسبب مرض أصابه. انظر ديوان ابن فُرْكُون، (المُقدّمة) ص 19– 44.

[2] – هو أبو الحسين بن أحمد بن سليمان بن هشام القرشي، ورث عن أبيه الذكاء الحاد والنبوغ، ونظم الشعر وهو طالب صغير بالسن، توفي حوالي 718هـ. انظر محمد بن شريفة، ديوان ابن فُرْكُون، 9–12، ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غَرْناطة، 220/1، الكتيبة الكامنة، 305، المَقَّري، النّفح، 141/10.

[3] – انظر ابن رشيق، العمدة، 124/2.

ولم تكن أشعار الجواري في الغزل بالرجال مطابقة لأشعار الرجال في الجواري أو النّساء عامة؛ فالجواري لم يتغزلن بقدِّ الرجل أو شعره وعينيه ولم يَهمن بملاحته ومشيته، وربَّما لم ينظمن في هذا القبيل لأنهن لم يجدن من يقتفين أثره في وصف معايير الوسامة عند الرجل؛ أي أن الرجال الأندلسيين حذوا حذو أجدادهم، فكانت المرأة الجميلة التي اعتادوا التغزل بها رشيقة القد، ممشوقة القوام، عجزاء هيفاء حوراء، أما الجواري الأندلسيَّات فإنهن لم يجدن شعراً يُفصِّل معايير وسامة الرجل من منظور نسائي، وربَّما حاول بعضهن ابتكار مقاييس خاصة فيما يتعلق بوسامة الرجل وهيئته الخارجية فنجحن وعجزت الأخريات عن وضع معاييرهن، أو أنهن ارتأين أنه لا ضرورة للحديث عن الرجل الكامل مادام معيار الجمال والوسامة متغيراً من إنسان لآخر، أو أن حياءهن منعهن عن الخوض في مواضيع كهذه، وربَّما خفن من ردة فعل بيئتهن أو مجتمعهن عامة، لذا اكتفت بعض الجواري بالحديث عن لواعج الهوى وآلام الحب الذي يعانين منه، نحو **أُنْس القُلوب** جارية المنصور بن أبي عامر التي تجرأت وقالت في الوزير أبي المغيرة بن حزم: [1] [الخفيف]

قدم الليلُ عند سَيْرِ النّهارِ ... وبدا البدرُ مثل نصف سوارِ
فكأنَّ النّهارَ صَفْحةُ خَدٍّ ... وكأنَّ الظَّلامَ خَطُّ عِذارِ
وكأنَّ الكؤوس جامدُ ماءٍ ... وكأنَّ المُدام ذائبُ نارِ
يا لَقَوميْ تعَجَّبوا منْ غَزالٍ ... جائرٍ في مَحَبَّتي وَهْوَ جَاري
ليْتَ لَو كانَ ليْ إليهِ سَبيلٌ ... فَأُقَضِّيْ منْ حُبِّهِ أوطاري

ولا تملك **أُنْس القُلوب** سوى النظر لمحبوبها وتأنيب ضميرها على هذه النظرات، فهي موجهة لرجل غريب ليست في ملكه، إلا أنها ترغب في لقائه وتتمناه، ومن الجَدير بالذِّكر أن **أُنْس القُلوب** أشارت في عُجالة إلى صفة ماديّة واحدة رأتها متوفرة في محبوبها؛ ألا وهي أنه وسيم كالغزال، وربَّما اعتقدت أن صورة الغزال هي الصورة المثالية التي يجب أن يكون عليها الرجل أو أنها قدّمت وصفاً لما هو عليه حال محبوبها من وسامة فقالت: [2] [الخفيف]

يا لَقَوميْ تعَجَّبوا منْ غَزالٍ ... جائرٍ في مَحَبَّتي وَهْوَ جَاري

---

[1] – المقَّري، النّفح، 151/2.
[2] – المقَّري، النّفح، 151/2.

ولاحظت أنه على الرغم من أن **أُنْس القُلوب** جمعت في مقطوعتها بين عواطف تُصرِّح فيها بآلام الحب والندم وعتاب الناس المُنكرين حبها والرغبة في لقاء المحبوب لقضاء الوطر، وقد رأى محمد صبحي أسعد أبو حسين أن بيتها الأخير " يمثِّل أوج الجرأة في إعلان الرغبة بقضاء شهوتها بمعشوقها، وهذا أمر مُستكرَةٌ من النّساء"[1] وقد يكون هذا الرأي صحيحاً إلا أني لم أجد في هذا البيت ما يقطع في هذه الرغبة؛ فقضاء الوطر في الحب لا يكون بقضاء الرغبات الجسدية، فالوَطَرُ هو " كلُّ حاجة كان لصاحبها فيها همّة فهي وَطَرُه "[2] ، وقد تكون هذه الحاجة حاجة إلى اللقاء أو تبادل أطراف الحديث أو التعبير عن مشاعر الحب أو حتى بتبادل النظرات.

وبعد أن سمع المنصور بن أبي عامر شعرها استلّ سيفه وثارت ثائرته بعد سماعه شعرها، وسألها عن المقصود بشعرها، إلا أنها استطاعت وسط هذا الجو المتوتر المشحون أن تنظم أبياتاً شعرية تستعطف فيها المنصور وتطلب منه السماح فقالت: [3] [المجتث]

أَذْنَبْتُ ذَنْباً عظيماً	فكيفَ منْهُ اعتِذاري
واللهُ قَدَّرَ هذا	ولمْ يَكُنْ باختياري
والعَفْوُ أحْسنُ شيء	يكونُ عندَ اقْتِدارِ

وربَّما لم تكن غضبة المنصور لاستنكاره نظم الجارية شعراً غزلياً، وإنما لأن جاريته نظمته في رجل آخر وغنته أمام الملأ وكأنها لا تأبه بهيبة المنصور أو قوته، ولكنه ظَنٌّ فحسب ولا يعتمد على أي دليل مادي، كما أن المؤرخين الذين أوردوا الخبر لم يدوِّنوا أي تعليق عليه؛ فكلّ من الحميدي وابن خاقان والضبي والمقَّري لم يستنكروا شعر **أُنْس القُلوب** كما أنهم لم يُشيدوا به.

---

[1] – المرأة في الأدب الأندلسي في عصر الطَّوائف والمرابطين، ص 142، رسالة دكتوراة، جامعة اليرموك، 2001.

[2] – ابن منظور، لسان العرب، مادة (وطر) 285/5.

[3] – المقَّري، النّفح، 151/2.

ولم يقتصر غزل الجواري على التعبير عن آلام الحب؛ فمحمد صبحي أسعد أبو حسين يرى أن **عُتبَة** بلغت مرادها من محبوبها ولم تتورع بأن تبوح بحلاوة الوصل واللقاء مع حبيبها[1] فقالت: [2] [الطَّويل]

أحبَّتَنَــــا إنِّـــــي بَلَغـــــتُ مُـــــؤمَّلي ... وسَـــاعَدَني دَهْـــري وواصَـــلَني حِبِّـــي

وجــــاءَ يُهَنِّيْنِـــــي البَـــــشيرُ بِقُربِـــــهِ ... فأعطيتُـــهُ نَفْـــسِي وزدتُ لَـــهُ قَلْبِـــي

ولا أملك أي دليل قاطع إن كان شعر **عُتبَة** شعراً جريئاً كما يرى محمد صبحي أســعد أبو حسين كما أني لا أراه شعراً ماجناً، ولكن يبدو أنه لم يكن شعراً ماجناً أو مكــشوفاً حــسب معايير أهل الأندلس؛ فكل من ابن الأبار والمقَّري اللذين أوردا الخبر لم يُعلّقــا علــى شــعرها بالفُحش، كما أنهما لم يستنكرا كيف أن جارية أو امرأة تنظم شعراً غزلياً فاحشاً، وربَّما نظمــت الجواري والنّساء الكثير من الشعر الغزلي حتى إن المؤرخين لم يَعدوه ظــاهرة غريبــة فــي مجتمعهم فأوردوه دون تعليق.

ولاحظت أنّ كُلاً من **أُنْس القُلوب** و**عُتبَة** ضمّنتا رسالة غير مباشرة لأحد السامعين في المجلس، ويبدو أنهن وجدن الشعر أكثر أمناً من الكلام المحكي المباشر الذي قد يــوقعهنّ فــي مصاعب مع سادتهنَّ، أو أنهنّ لجأن إلى الشعر لما فيه من جمال لا يتوفر في الكلام المحكــي، وربَّما منعهن حياؤهن من التصريح بعواطفهن فلجأن إلى التلميح.

أما **مُتْعَة** _ جارية زرياب المشرقيّة_ فعندما أحست بإعجاب الأميــر عبــد الــرّحمن الأوسط تجرأت وصارحته بحبها وإعجابها به فقالت: [3] [المجتث]

يــــــا مَـــــــنْ يُغطِّـــــــي هَـــــــواهُ ... مَـــــــنْ ذا يُغَطِّـــــــي النَّهـــــــارا

قـــــدْ كنّـــــــتُ أمْلـــــكُ قَلبِـــــــي ... حتّـــــــى عَلِقْـــــــتُ فَطَـــــــارا

يـــــــا وَيْلَتـــــــا أتُـــــــراهُ ... لـــــــي كـــــــانَ أو مُـــــــستَعارا

---

[1] – انظر المرأة في الأدب الأندلسي في عصر الطّوائف والمرابطين، 142-143، رسالة دكتوراة، جامعة اليرموك، 2001.

[2]– ابن بسَّام، الذّخيرَة، ق1 م431/1.

[3] – ابن الأبَّار، التّكمِلة، 243/4، المقَّري، النّفح، 115/4.

يــــــــــا بِـــــــــــأبي قُرَشِّـــــــــيٌّ   خَلَعْــــــــــتُ فيــــــــهِ العِـــــــــذارا

ولما أحسّ زرياب بهذا الإعجاب المتبادل بين الأمير وجاريته **مُتْعَة** أهداها إليه[1]، وأظن أن قصة **مُتْعَة** مع الأمير عبد الرّحمن الأوسط ما هي إلا دلالة على أن المجتمع الأندلسي أتــاح الظروف وهيّأ الأجواء المناسبة لظهور شعر تتغزل فيه الجارية بالرجال، **فمُتْعَة** جارية مشرقية عاشت أيام صباها في بَغْداد وربّما لم تسمع بامرأة مشرقية تتغزل فــي رجــل، وإن تخيّلنــا أنّ **مُتْعَــة** ظلت في المشرق فلا أظن أنها كانت ستجرؤ على نظم شعر مــشابه لمــا نظمتــه فــي الأندلس، إلا أنها بعد رحيلها إلى الأندلس وجدت أن المجتمع الأندلسي بكل ما فيه من حريــات يسمح لها ولغيرها أن ينظمن شعراً غزلياً، وعندما تحركت عاطفتها وأُعجبــت بــالأمير عبــد الرّحمن نظمت شعرها فيه وغنته على الملأ وعلى مسمع سيدها زرياب، إلا أنها لم تنسَ أنهــا قَدِمت من مجتمع مشرقي يحتكم إلى الإسلام والعادات العربيّة وأنها نزلت في مجتمع إســلامي عربي، وأن كليهما يوجبان الحياء على المرأة عموماً، فاعترفت أنها خلعت عذارها في حب هذا الأمير القرشيّ، وربّما قصدت أن الحياء وغيره من صفات تهون في سبيل الأمير القرشــيٌّ ذي القوة والبأس والنسب الأصيل، وقد تكون هيبة الأمير وقوته هي الــدافع وراء إهــداء زريــاب جاريته له.

إلا أن عواقب تغزّل الجواري بالرجال لم تكن حميدة دوماً، فلــم يُقــدِّم كــلُّ المــالكين جواريهم لمن أحببنهم وتغزلن بهم؛ ذلك أن عثمان بن الأمير محمــد ضــرب جاريتــه **بَزِيعَــة** المعروفة بالإمام بعد أن غنّت أبياتاً غزلية بعد حضور أخيه إبراهيم لزيارته، فقد طلب إبــراهيم ما يؤنسه وعندها سأل عثمان جاريته **بَزِيعَة** أن تُقدِّم أحسن مــا عنــدها فانطلقــت تقــول : [2] [الطَّويل]

ويَفْــرَحُ قَلبـــي أنْ أرى الـــزَّوْرَ مِـــنكُمُ   ويَـــزْدادُ عِنـــدي مَـــنْ أحَـــبَّكُمُ قُرْبـــا

---

[1] – انظر ابن الأبّار، التّكملة، 242/4-243، المقّري، النّفح، 116/4.

[2] – ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، 126.

وبعد انصراف الضيوف أخذ عثمان السوط وقال لها: أتُغنين " ويفــرح قلبــي أن أرى الزَّورّ منكمُ، لست والله أشكُّ أنك تعشّقته" ، وبعد زمن أعاد إبراهيم الزيارة، فطلب عثمان مــن **بَزيعَة** أن تُقدِّم أحسن ما عندها فقالت: [1] [البسيط]

لمَّــا رَأَيْــتُ وُجُــوهَ الطَّيــرِ قُلــتُ لَهــا ... لا مَرحبــاً بِغُــرابِ البَــيْنِ والــصَّدِّ

وعندما سمعها إبراهيم استنكر قولها، فعزم عثمان أن يضربها خمسمائة ســوط، إلا أن أحد الجالسين قام إلى إبراهيم وأخبره ما نالته المسكينة جزاء شعرها السابق، فغــضب إبــراهيم وقال: "وها هنا بَلَغَتْ بك الغَيْرةُ يا أخي عليّ، لله عهدٌ لا دخلت لك داراً بعدها" [2].

ومقولة إبراهيم ما هي إلا دليل على أن السبب وراء عقاب الجارية لــم يكــن الــشعر الغزلي بحد ذاته وإنما هي الغَيرة، ذلك أن الأمير عثمان غضب لأن جاريته أُعجبت برجل آخر غيره وهو موجود، كما أنها تغزّلت به أمامه، وسواءً كانت الغيرة أم لا، فــإني أرى أن حــديث إبراهيم لا يدل على استنكار لشعر **بَزيعَة** أو أنها قامت بما هو غير مقبول أو مكــروه، وكــأن شعرها أمر مألوف ولكنه وُجِّه إلى رجل غير سيدها.

ومن الجَدير بالذِّكر أنه عندما أرسل السلطان أبو الحجاج يوسف الثالــث بــن يوســف الثاني جارية لابن فُركُون كتب شعراً إليه وطلب من جاريته جواباً على شعره فنظمت شــعرها وكأنه على لسان ابن فُركُون، وبعد أن مدحت سيِّدها وأشادت بكرمه وجوده، انتقلت إلى التغزل بنفسها وكان غزلها بنفسها غزلاً تقليدياً عن القدِّ وسحر اللحظ وإشراق الوجه، وما يهمني هنــا أنها ظهرت لي وكأنها تستعير عيني ابن فُركُون لترى بهما نفسها فرأت نفــسها كمــا قالــت: [3] [الكامل]

ميَّـــادةُ الأَعْطـــافِ سَـــاحِرُ لَحْظِهـــا ... يَرْمِـــي بِـــسَهْمٍ للقُلـــوبِ مُفَـــوَّقِ
لِـــمْ لا يَفُـــوقُ الـــشُّهُبَ نَيِّـــرُ وَجْهِهـــا ... وَسَـــنَاهُ عَـــنْ بَـــدْرِ الكَمَـــالِ المُـــشْرِقِ

---

[1] – ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، 126.
[2] – ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، 126– 127.
[3] – ابن فُركُون، الدّيوان، 240.

لِــــمْ لا يَـــــرُوقُ الآنَ رَوضُ مَحاسِـــــنٍ   منها بِجُــودِ نَــدَى يَمْيِنِــكَ قَــدْ سُــقِي

كما أنها استعارت قلب ابن فُرْكُون؛ فتحدثت عما اعتراه مــن شــوق عنــدما عــرف بقدومها، وكأنها تقمصت شخصيته فرسمت صورة عن شوقه لها وانتظاره وصولها بفؤاد مولع وعين لا تبارح الطريق، وقلب خافق يكاد يخرج من الضلوع فقالت: [1] [الكامل]

وأَتَـــــى يُبَــــشِّرُنِي برائِقَـــةِ الحُلَـــــى   فَطَفِقْــتُ بَــــينَ تَــشَوُّف[2] وتَـــشَوُّقِ
جـــاءَتْ بهـــا البُــشْرى فـــأيُّ صَـــبَابَةٍ   تَخْفَـــى وأيُّ جَـــوانحٍ لَـــمْ تَخفُـــقِ
قَدْ كِــدْتُ أَذْهَــبُ لَوعَــةً لَــو لــمْ تَجُــد   بالوَعْــدِ أَنّــا عَــنْ قَريــبٍ نَلْتَقـــي
أَنَـــا فـــي العَــشِيَّةِ بَـــينَ قَلْــبٍ مُولَـــعٍ   فيهـــا وَجَفْـــنٍ للطَّريـــقِ مُحَـــدِّقِ
والعَبــدُ يُمْـــسِي بَـــينَ فِعْـــلٍ مُرسَـــلٍ   فيهـــا وَقَلْـــبٍ بالـــصَّبَابَةِ مُوثَـــقِ
فَاعْجَــبْ لَـــهُ يَرتَـــاحُ تَحْــتَ ضُـــلوعِهِ   أو فَوْقَهـــــا بِمُقَيَّـــــدٍ وَبِمُطْلَـــــقِ
فَتَخالُـــهُ مِثْـــلَ الجَـــوادِ لَـــدَى الـــوَغَى   حِينـــاً وَحِينـــاً يَرْتَمِـــي أو يَرْتَقِـــي

وشعر هذه الجارية ما هو إلا دليل على أن جواري الأندلس نظمن فـــي الموضـــوعات الشعرية التي كانت حِكراً على الرجال من قبل، فهنّ لم يكتفين بالتغزّل بالرجال، والحديث عــن عواطفهن ومشاعرهنّ نحو الرجال، بل إنهنّ تمكنّ من رؤية أنفسهن بعيون الرجال؛ وهذا يــدل على معرفتهنّ بطبيعة الرجل ودرايتهنّ بالشعر العربي، ذلك أني لما قرأت شعر هــذه الجاريـــة أحسست أني أقرأ شعر عمر بن أبي ربيعة، فقد تقمّصت شخصية ابــن فُرْكُــون ورأت بعينيــه وعاشت ما اعترى صدره فنطقت بلسانه، مثلما عاش عمر بن أبي ربيعة شخصيات نسائية فـــي المشرق، وكما تحدّث ابن مسعود في أرجوزته على لسان جاريته في الأندلس.

---

[1] – ابن فُرْكُون، الدّيوان، 240.

[2] – تَشَوُّف: تَشَوَّفَت المرأة تزيَّنت ويقال شِيفت الجارية تُشافُ شَوْفاً إذا تزيَّنت. ابن منظــور، لسان العرب، مادة (شوف) 185/9.

2- الـــمدح

لم ينحصر شعر الجواري في الأندلس على الغزل؛ فهنّ لم يتغزلن بمحاســن الحبيــب الماديّة ويصفن عواطفهن وحبهن له طوال الوقت، بل ذهب بعضهن للحديث عن خصال الــسيِّد النبيلة من كرم وجود وشجاعة وعُلوٍّ شأن في أبيات مدح جميلة، ووجدت ثلاث جوارٍ نظمن في المدح وهنّ **قَمَر** التي مدحت سيدها إبراهيم بن حجّاج اللخمي، وجارية السلطان يوسف الثالــث الذي مدحته وشكرته في قصيدة شعريّة، و**هند** جارية ابن مسلمة الشاطبي التي مــدحت الــوزير أبا عامر بن يَنَّق، ومن الجَدير بالذِّكر أن مجموع شعر المديح الذي حصلت عليه لــم يتجــاوز عشرة أبيات، وكان نصيب كُلٍّ من **قَمَر وهند** منه بيتين فقط، أما جارية ملك غَرْناطَة فمــدحت سيدها بستة أبيات، ونعتت **قَمَر** وجارية السلطان يوسف الثالث ممدوحها بالكَرَم والجُود، أما **هند** فأشادت بمكانة أبي عامر وعُلوِّ شأنه.

ومدحت **قَمَر** كَرَمَ سيدها إبراهيم بن الحجاج، كيف لا وهو الكريم حليفُ الجود، وبيتــه منزل نعمة لا مثيل له، تقول: [1] [الكامل]

ما فــي المَغــارِبِ مِــنْ كَــريمٍ يُرْتَجَــى | إلاّ حَليــــفُ الجُــــود إبــــراهيمُ
إنِّــــي حَلَلْــــتُ لَديــــهِ مَنــــزِلَ نعمــــةٍ | كُــلُّ المَنــازِلِ مــا عَــداهُ ذَمُــيمُ

وربَّما يتبادر إلى الذهن أنها نظمت هذه الأبيات لأنها جارية مشرقية متأثرة بالأغراض التقليدية في الشرق، إلا أني أرجح أنها مدحت سيِّدها لمعاملته الحسنة لها ولما لاقته من حظــوة واهتمام منه؛ فهي لم تتلق المعاملة نفسها من غيره من الأندلسيين، ولاحظت أن شــعرها يمــدح مولاها بينما يذم غيره؛ فهي لا ترى كريماً يُرتجى في المغرب سواه أي أن غيره إما بخيــل أو كريم لا يُرتجى خَيرُه، ومنزله منزل نعمة أما غيره من المنازل فهو ذميم قبيح.

---

[1] - ابن الأبَّار، التَّكملة، 246/4، المقَّري، النَّفح، 124/4.

ويبدو أن الكَرَمَ هو الصفة الأساسية التي رأت جواري الأندلس أنها تستحق المدح ونظم الشعر في الممدوح، فجارية السلطان أبي الحجاج يوسف الثالث بن يوسف الثاني أشادت بكرمه ومدحته عندما أهداها لابن فُرْكُون فقالت : [1] [الكامل]

مَـــوْلى المُلـــوكِ بِمَغـــرِبٍ وبِمَـــشرِقٍ عَنْ شُـكْرِ مـا أَوْلاهُ أَعْجَـزَ مَنْطقـي
أهْـدَى إلـى المَمْلُـوكِ مِـنْ مَنْظُومِـهِ دُرّاً ولكـنْ مِثْلُـهُ لَـمْ يَنْـسَقِ
وَافَــى لِيُعْلِمَنِــي بأفْــضَلِ مِنْحَــةٍ جَـادَتْ بِهـا كَـفُّ الكَـرِيْمِ المُـشْفِقِ

كما أن ممدوحها هُمامٌ ناصر جواد، يتشرَّفُ كلُّ من اختاره وانتقاه، وكانت الجارية مـن بين المحظوظات اللواتي نلنَ هذا الشرف فقالت: [2] [الكامل]

لا شَيْءَ أَشْرَفُ فـي الوُجُـودِ مِـنَ التـي يَتَخيَّـرُ المَـوْلَى الهُمـامُ وَيَنْتقـي
وُفِّقْـتَ لِلـشُّكْرِ الجَمِيْـلِ وَقَـدْ أَتَـتْ مِـنْ عِنـدِ مَـوْلَىً نَاصِـرٍ لِمُوَفَّـقِ
لا زَالَ مَوْلانـا يَجُـودُ لِعَبْـدِهِ مِنْ قَصْدِهِ الأَرْضَـى بِمـا هُـوَ مُنْتَـقِ

أما **هند** جارية ابن مسلمة الشاطبي فمدحت الوزير أبا عامر بن يَنَّق على ظهر الرسالة التي أرسلها إليها، فقد دعاها إلى مجلس أنس، وأجابت دعوته بأن مدحته وأثنت علـى مكانتـه وعُلوِّ شأنه بين السادة وعلية القوم، وما إسراعها بالذهاب إليه إلا دليل على ارتفاع مكانته ومدح له فقد قالت: [3] [الكامل]

يـا سَـيِّداً حـازَ العُـلا عـنْ سـادةٍ شُـمِّ الأُنـوفِ مِـنَ الطِّـرازِ الأوَّلِ
حَـسْبِي مِـنَ الإسـراعِ نَحـوكَ أنَّنـي كُنتُ الجَـوابَ مـعَ الرَّسـولِ المُقبـلِ

---

[1] – ابن فُرْكُون، الدّيوان، 240.
[2] – ابن فُرْكُون، الدّيوان، 240-241.
[3] – ابن الأبَّار، تحفة القادم، 239، التَّكملة، 259/4، المقَّري، النّفح، 67/6.

3- الـحنين إلـى الـمشـرق

انصهرت الجواري بألوانهنّ وأجناسهنّ وثقافاتهنّ في المجتمع الأندلسي، إلا أن بعض الجواري المشرقيَّات لم يستطعن نسيان موطنهنّ الأول الذي عِشْنَ فيه، ولم تُنْسِ الأندلس وأهلُها الجواري المشرقيَّات بلادهنّ، ولم تحل قُرْطُبَة أو إِشْبِيلْيَة أو غَرْناطَة محلّ بَغْداد، فالوطنُ يحملُ ميِّزات لا يحملها أي بلد آخر.

.

ولم تنس **قَمَر المَشرقِيَّة** بَغْداد والعِراق، وظلّت ذكراها حُرقة دائمة، فلا شيء كبَغْداد وفراتها، ولا نعيم ولا محاسن كنعيمها ومحاسنها، لذا قالت **قَمَر** في الحنين إلى المشرق: [1] [الكامل]

آهـا علـى بَغْـدادِها وعِرَاقِها ... وظبائها والسِّحْر في أحْـدَاقها
ومَجَالِها عِنْدَ الفُراتِ بِأوْجُهٍ ... تبدو أَهِلَّتُها على أَطْوَاقِها
مُتَبَخِّراتٍ في النَّعِيمِ كأنَّما ... خُلْقُ الهَوى العُذْرِيِّ مِنْ أخْلاقها
نَفْسُ الفِداءِ لَها فأيُّ مَحَاسِنٍ ... في الدَّهْرِ تُشْرِقُ مِنْ سَنَا إشْرَاقها

أما الجواري الأُخر فلم يُصرحنَ بشوقهن، فظهرت نبرة الشوق والحزن والإحساس بالضياع في شعرهن، وانعكست حيرتهن على كل ما رأينه؛ فرأت جارية مشرقية لأحد وزراء المنصور بن أبي عامر النجوم حائرة ضائعة وربَّما كانت في فلك ليس فلكها فقالت: [2] [البسيط]

ما بالُ أنجُمِ هذا الليلِ حائرةً ... أضَلَّت القَصْدَ أمْ لَيسَتْ على فَلَكِ
عَادَتْ سَوَارِيْهِ وَقْفاً لا حِراكَ لها ... كأنَّها جُثَثٌ صَرْعَى بمُعتَرَكِ

---

[1] - ابن الأبَّار، التَّكمِلة، 246/4، المقَّري، النَّفح، 124/4.

[2] - إحسان عباس، تاريخ الأدب الأندلسي عصر سيادة قُرْطُبَة، 59، نقلاً عن التجيبي، شرح المختار من شعر بشار، 15-16.

خصائص شعر الجواري

ظهر في شعر الجواري خصائص فنيّة عدَّة، وكان أهم هذه الخصائص سيطرة الأبيات المفردة والنُتف والمقطوعات الشِّعرية على شعرهنَّ، واعتمدت بعض الشاعرات على الشعر القصصي، وظهر جلياً استعانتهنّ بالمحسنات البديعية ومحاولات بعضهنَّ أن يبتكرن الصور والأخيلة رغم اعتمادهنَّ على الصور القديمة، كما كان واضحاً مدى اهتمامهنَّ بموسيقا الشعر الذي نظمنه .

1- سيطرة الأبيات المفردة والنُتف والمقطوعات

لجأت الجواري إلى الأبيات المفردة والنتف والمقطوعات وقلّلن من نظم القصائد؛ فنظمت ثمان عشرة جارية ثمانين بيتاً جاءت في خمسة أبيات مفردة وإحدى عشرة نتفة وأربع مقطوعات وثلاث قصائد، ومن الجَدير بالذِّكر أن خمساً منهن عشن إبان عصر الإمارة وعاشت واحدة منهن إبان الخلافة، وشهدت عشر جوار أيام الطَّوائف، وعاصرت جارية واحدة كلاً من عصري الموحدين وبني الأحمر.

وقد يظهر أن الجواري عانين من قِصَر النَفَس وعجزن عن التطويل، إلا أني أظن أن طبيعة الأندلس وطبيعة المجالس التي نظمت فيها الجواري شعرهن اجتمعت لتدفع بهنّ أن ينظمن أبياتاً مفردة ونتفاً ومُقطَّعات، فالجواري كغيرهنّ من أهل الأندلس لا يعشن في الصحراء ويرتحلن فيها، كما أنهنّ لا يضطررن إلى التنقل ويتركن أطلالهن وراءهن، ولا يعمدن إلى الصيد ليعتشن منه، إذن فهنّ لسن بحاجة إلى نظم القصائد التقليدية الطَّويلة التي تعبِّر عن حياة أخرى بعيدة عن حياتهنّ، بل إنهن بحاجة إلى أشكال شعريَّة جديدة قصيرة كي تُعبِّر عن حياتهن المنعَّمة ونفوسهنّ المرهفة الراغبة في كل ما هو جميل وظريف.

كما أن الجواري أدوات تسلية أولاً وأخيراً، وهدفهنّ الأول هو إمتاع سادتهنّ وإبعاد الملل والسأم عن نفوسهم، وربَّما قللن من القصائد كي لا يُثرن السأم في المستمعين إليهنّ، خصوصاً أن بعضهن نظمن الشعر كي يغنينه؛ أي أنه توجّب عليهنّ مراعاة متطلبات الغناء

وطقوس مجالس الغناء والأنس البعيدة عن المَلَل فنظمن الأبيات المفردة والنتف والمقطوعات لغنائها وقد بلغت واحداً وأربعين بيتاً شعرياً.

ولاحظت أن معظم الأبيات المفردة التي نظمتها الجواري جاءت عند إجازتهن، كما أن معظم النتف نُظمت من أجل الغناء، أي أن طبيعة الموقف دفعت الجواري إلى الارتجال فساعدتهن سرعة بديهتهن وفطنتهن وأدبهن على ارتجال الشِّعر، ويبدو أنهن لم يرين ضرورة الاستمرار بنظم أبيات أكثر؛ فالإجازة لا تكون بنظم القصائد، كما أن الغناء لا يستدعي قصائد طويلة، ونظم الجواري للأبيات المفردة والنتف والمقطوعات إشارة إلى أنهنَّ فهمنَ طبيعة مجالس الأُنس وعرفن كيف يُبعدنَ الملل عن نفوس المستمعين إليهن، وربَّما رغبن أن يتّسم شعرهنّ بالبلاغة؛ فالبلاغة قليل يُفهم وكثير لا يُسأم[1].

2- الشِّعر القصصي

ظهر الشعر القصصي عند بعض الجواري، وربَّما ساعدتهنّ طبيعتهنّ كنساء على نظم هذا الشعر، ويرى عبد الله عفيفي أن الشعر النسوي القصصي انتشر في عصر ملوك الطَّوائف تحديداً[2]، وكانت **بُثَيْنة بنت المُعتَمد** من رائدات القصة الشِّعرية[3]؛ فقد نظمت شعراً قصصياً تحدّثت فيه عن حالها وعن سقوط مملكة بني عباد، وسردت قصتها في قصيدة من أحد عشر بيتاً وأرسلتها لوالدها في أَغْمَات وبدأت قصيدتها بإخبار ذويها أنها وقعت في السَّبي بعد سقوط مُلك بني عباد الذين ولّى عصرهم وانتهت أيام حكمهم فقالت: [4] [الكامل]

اسْمَعْ كلامي واستمعْ لمقالتي ... فَهْيَ السلوكُ بَدَتْ مِنَ الأجْياد
لا تُنكِروا أنّي سُبيتُ وأنَّنِي ... بنتٌ لِمَلْكٍ مِنْ بَنِي عَبَّادِ
مُلْكٌ عَظيمٌ قدْ تَولَّى عَصْرُهُ ... وكَذا الزَّمانُ يَؤُولُ للإفسادِ

---

[1] – انظر ابن رشيق، العُمدة، 242/1.

[2] – المرأة العربيَّة في جاهليتها وإسلامها، 134/3.

[3] – محمد جميل بيهم، المرأة في حضارة العرب والعرب في تاريخ المرأة، 247.

[4]– المقَّري، النَّفح، 59/6.

لمّــــــا أرَادَ اللهُ فُرقَـــــــةَ شَـــــمْلِنا وأذاقَنـــا طعـــمَ الأســـى مِـــنْ زادِ
قــامَ النِّفــاقُ علـــى أبـــي فـــي مُلكِــهِ فَـــدَنا الفِـــراقُ ولـــمْ يَكُـــنْ بِمُـــرادِ

ثم سردت تفاصيل سبيها؛ فبعد خروجها من قصر أبيها هاربة من النهب والسرقة وقعت في السبي، وبيعت لأحد تجار إِشْبِيلْيَة الذي اشتراها ووهبها لابنه على أنها جارية، وعنـدما أراد ابنه الدخول عليها امتنعت وأخبرته بأصلها وقالت له: "لا أحلُّ لك إلا بعقد النكاح إن رضي أبي بذلك"[1]، واقترحت عليه أن تُرسل كتاباً لأبيها وتنتظر ردّه، وفي هذا قالت: [2] [الكامل]

فَخَرَجـــتُ هارِبــةً فَحَـــازَنِيَ امـــرؤٌ لـــمْ يَـــأتِ فـــي إعجالِـــهِ بِـــسَدَادِ
إذ بـــاعنيْ بَيْـــعَ العَبِيـــدِ فَـــضَمَّنِي مَـــن صـــانَنِي إلاّ مِـــنَ الأنكـــادِ
وأرَادَنِـــي لِنِكـــاحِ نَجْـــلٍ طـــاهِرٍ حَـــسَنِ الخَلائـــقِ مِـــنْ بَنـــي الأنجـــادِ
ومَضَى إليْكَ يَـسُومُ رَأيَـكَ فـي الرِّضـا وَلأَنْـتَ تَنْظُـرُ فـي طَرِيـقِ رَشَـادي

وعلى الرغم من أن **بُثَيْنَة** أضحت جارية سُبيت وبيعت إلا أنها رفضت الرضوخ لحـال السبايا وتعاملت بأخلاق الحرائر، فأصرَّت على إعلام أهلها وانتظار موافقة أبيها ودعاء أمهـا، وهكذا أعلت شأن أهلها ورفعت قدرهم وهي خاصيّة لا تنالها إلا حُرَّة أصيلة فقالت: [3] [الكامل]

فَعَـساكَ يـا أَبَتـي تُعَرِّفُنـي بِـهِ إنْ كـانَ مِمَّـنْ يُرتَجـى لِـوِدادِ
وَعَـسى **رُمَيْكِيَـةُ** المُلـوكِ بِفَـضْلِها تَـدْعُو لَنـا بـاليُمْنِ والإسْـعَادِ

كما أنها فخرت _ في قصيدتها _ بنسبها وبمُلك أهلها رغم سقوط حكمهم، ولم تـنسَ أن تُثني على زوجها المستقبلي فأشادت بدينه وأخلاقه ونسبه، وكأنها تُشير على أبيهـا بالموافقـة،

---

[1] – المقَّري، النّفح، 59/6.
[2]– المقَّري، النّفح، 59/6.
[3]– المقَّري، النّفح، 59/6.

ويبدو أنها كانت ذات حكمة وحُسن تصرُّف، فقد أخذ أبوها برأيها ووافق على الزواج بأن كتب إليها قائلاً: [1] [السَّريع]

بُنَيَّتِــــي كُــــونِي بِــــهِ بَــــرَّةً فقـــدْ قَـــضَى الـــدَّهْرُ بإسـعافِهِ

3- المحسِّنات البديعيَّة

لم تُعْنَ الجواري بالمحسنات البديعيّة اعتناءً كبيراً، حتى إن المحسِّنات شبه معدومة فـي شعرهن، وقد يُعزى السبب إلى أن نظمهن الشعر كان على الفطرة وعفو الخاطر، وكانت معظم أشعارهن ارتجالاً ولم يسمح لهنّ الوقت بالتنميق أو التكلُّف، وربَّما لم يُعِرنَ المحسنات انتباههن ولم يرين حاجةً لها؛ فجمالهن وسلاسة أشعارهن تُعوِّض أي تنميق أو تزيين لأشعارهنِّ إلا مـا جاء عفو الخاطر، ومن المحسنات التي وجدتها في شعرهنّ:

أ- الــطــبــاق

اهتمت الجواري في شعرهنّ بالأندلس بالطباق أكثر من اهتمامهن بالجناس، وقد يعـود هذا لاهتمامهنّ بالمعنى أكثر من الشكل، ومن الجَدير بالذِّكر أن المعاني المتقابلة في أشـعارهن لم تكن غزيرة كثيرة بل محدودة ومنها قول **أُنْس القُلوب:** [2] [الخفيف]

وكـــأنَّ الكـــؤوس جامــدُ مـــاءٍ وكـــأنَّ المُـــدام ذائـــبُ نـــارِ

وقولها: [3] [الخفيف]

قـــدم الليـــلُ عنـــد سَـــيْرِ النّهـــارِ وبـــدا البـــدرُ مثـــل نـــصف ســـوارِ

1- المَقَّري، النّفح، 60/6.

2 - المَقَّري، النّفح، 151/2.

3 - المَقَّري، النّفح، 151/2.

ونحو قول جارية ملك غَرْناطَة: [1] [الكامل]

مَـــوْلى المُلـــوكِ بِمَغـــرِبٍ وبِمَـــشرِقٍ   عَـــنْ شُـــكْرِ مـــا أَوْلاهُ أَعْجَـــزَ مَنْطِقـــي

كما أن الجواري جمعن في أشعارهن بين أفعال متقابلة وأكثرن منها _ مقارنة بالألفـاظ المتقابلة_ كقول **مَرْجان:** [2] [مجزوء الرجز]

يـــا ليلـــةً لـــوْ أنَّهـــا   تُبـــاعُ لـــي أو تُـــشْتَرى

ب- الـجـنـاس

كان الجناس التام معدوماً في شعرهنّ، إلاّ أنه ظهر عند بعضهن جناس غير تام تغيَّـر فيه حرف واحد كقول جارية ملك غَرْناطَة: [3] [الكامل]

وأَتَـــى يُبَـــشِّرُني بِرائِقَـــةِ الحُلَـــى   فَطَفِقْـــتُ بَـــينَ تَـــشَوُّفٍ وتَـــشَوُّقٍ

كما ظهر في شعرهنّ جناس غير تام تغيّر فيه موضع الحرف مع استبدال حرف آخـر في الكلمة كقول **أُنْس القُلوب:** [4] [الخفيف]

يـــا لَقَـــوميْ تعَجَّبـــوا مـــنْ غَـــزالٍ   جـــائرٍ فـــي مَحَبَّتـــي وَهْـــوَ جَـــاري

ونحو قول **بُثَيْنة بنت المُعتَمد:** [5] [الكامل]

قـــامَ النِّفـــاقُ علـــى أبـــي فـــي مُلكِـــهِ   فَـــدَنا الفِـــراقُ ولـــمْ يَكُـــنْ بِمُـــرادِ

---

1 – ابن فُرْكُون، الدّيوان، 240.

2 – ابن الأبَّار، التَّكملة، 4/247-248.

3 – ابن فُرْكُون، الدّيوان، 240.

4 – المَقَّري، النّفح، 2/151.

5 – المَقَّري، النّفح، 6/59.

وبدا في شعر الجواري مدى اهتمامهنّ بالجناس الحرفيّ الذي تُكرِّرُ فيه الشَّاعرة حرفـاً واحداً بشكل ملفت للانتباه، وكان للنون الحصة الكبرى بين الحروف المكررة، فالياء والميم، ثـم الهاء، كتكرار **بُثَيْنة بنت المُعتَمد** النون في قولها: [1] [الكامل]

لا تُنكِـــروا أنّـــي سُـــبيتُ وأنّنِـــي   بنـــتٌ لِملْـــكٍ مـــنْ بَنِـــي عَبَّـــادِ

أما تكرار حرف الياء فقد ظهر في قول **عُتبَة**: [2] [الطَّويل]

وجـــاءَ يُهَنيْنِـــي البَـــشيرُ بِقُربِـــهِ   فأعطيتُـــهُ نَفْـــسِي وزدتُ لَـــهُ قَلْبِـــي

وفي قول جارية ملك غَرناطَة: [3] [الكامل]

لا شَيْءَ أَشْرَفُ فـــي الوُجُـــودِ مِـــنَ التـــي   يَتَخيَّـــرُ المَـــوْلَى الهُمـــامُ وَيَنْتَقِـــي

وكررت جارية ملك غَرناطَة الميم في قولها: [4] [الكامل]

مَـــوْلى المُلـــوكِ بِمَغـــرِبٍ وبِمَـــشرِقٍ   عَنْ شُـــكْرِ مـــا أَوْلاهُ أَعْجَـــزَ مَنْطِقِـــي

كما كررته **قَمَر المَشرِقيَّة** في قولها: [5] [الكامل]

إنِّـــي حَلَلْـــتُ لَديـــهِ مَنـــزِلَ نعمـــةٍ   كُـــلُّ المَنـــازِلِ مـــا عَـــداهُ ذَمُـــيمُ

وكررت الهاء في قولها: [6] [الكامل]

آهـــا علـــى بَغْـــدادِها وعِراقِهـــا   وظِبائهـــا والـــسِّحْرِ فـــي أحْـــدَاقِها

---

[1]- المَقَّري، النَّفح، 59/6.

[2]- ابن بسَّام، الذّخيرَة، ق1 م431/1.

[3] - ابن فُركُون، الدّيوان، 241.

[4] - ابن فُركُون، الدّيوان، 240.

[5] - ابن الأبَّار، التَّكمِلة، 246/4، المَقَّري، النَّفح، 124/4.

[6] - ابن الأبَّار، التَّكمِلة، 246/4، المَقَّري، النَّفح، 124/4.

4- الأخـــيــلة والــصـُّــور

كانت العاطفة عند الجواري هي إحدى المحركات الأساسية لنظم الشعر بحكم كونهن نساءً، ومن المعروف أن العاطفة والخيال هما المكونان الأساسيان لتكوين الصورة الفَنِّية، ولم تُغفل الجواري أهميّة الصورة الشعرية وجمالها، فنَهَلن من الصور الفنيّة التقليدية المعروفة الشيء الكثير وأفدن من الموروث العربي.

فالممدوح حليف الجُود، وهديّته الدرُّ من منظومه، وحياته هي حياة الأمة، وشجاعته تضاهي شجاعة الأسود، وإذا ما تغزلت الجواري لجأ بعضهن إلى الصور التي ألّفها غيرهن من الرجال عندما تغزلوا بالنّساء، فمحبوبهنّ غزال جائر في الحب، وثغره مُسْكر كأقداح النبيذ، والمسك رائحته، والضياء وجهه، أما الجارية فقلبها طائر يطير من الحب، وتخلع عذارها في سبيل حبها لمحبوبها.

كما أن الجواري أظهرن شخصياتهن ووضعن لمساتهن الخاصة في أشعارهن؛ فقمن ببعض التغييرات على الصور الفنية التقليدية وأضفن إليها بعضاً من روحهن، وابتكر بعضهنّ صوراً خاصة بهن، وغلبت الصور الحسية الصور المعنوية التي كادت تكون معدومة في أشعارهن، وظهر التشخيص والتشبيهات المُستمدّة من الطبيعة في شعرهنّ، فامتازت جميع صورهن بالسهولة والوضوح وابتعدت عن التعقيد والإغراب.

وقدمت الجواري بأسلوبهن وشخصياتهن الصُّور الفنيّة التقليدية بكل وضوح في أشعارهن، وذلك نحو مدح **قَمَر المَشرِقيَّة** مولاها ابن الحجاج اللخمي، فهو حليف الجود ورفيقه الذي لا يخلف له وعداً، تقول: [1] [الكامل]

ما فـي المَغـارِبِ مِـنْ كَـريمٍ يُرْتَجَـى ـِ إلاّ حَليـفُ الجُـودِ إبـراهيمُ

[1] - ابن الأبّار، التّكملة، 246/4، المقَّري، النّفح، 124/4.

ولجأت الجارية **بَزيعَة** إلى الصور التقليدية فصوَّرت الرجل الذي هجته غراباً يُنذر بالفراق والصدِّ وتفريق الأحبة فقالت: [1] [البسيط]

لمَّا رَأَيْتُ وُجُوهَ الطَّيرِ قُلتُ لَها   لا مَرحباً بِغُرابِ البَيْنِ والصَّدِّ

كما أن **أُنْس القُلوب** استمدت إحدى صورها من الصور الفنية التقليدية المعروفة، ذلك أنها في غزلها بأبي المغيرة بن حزم رأته غزالاً جائراً ظالماً كما هو حال النّساء في صور الشُّعراء: [2] [الخفيف]

يا لَقَوميْ تعَجَّبوا منْ غَزالٍ   جائرٍ في مَحَبَّتي وَهْوَ جَاري

وظهر لي أن بعضهنّ أخذن الصور الفنية التقليدية وقمن بإجراء تغييرات قليلة عليها، فصبغنها بأسلوبهنّ وجددنها حتى أضحت الصور التقليدية القديمة وكأنها صور أندلسيّة جديدة، فجارية وزير المنصور بن أبي عامر أخذت صورة نجوم امرئ القيس المتوقفة التي لا تعرف الحركة عندما قال: [3] [الطَّويل]

فيا لَكَ مِنْ لَيْلٍ كأنَّ نُجُومَهُ   بكلِّ مَغَارِ الفُتْلِ شُدَّتْ بِيَذْبُلِ

فغيَّرت حال النجوم الساكنة المتوقفة إلى نجوم تائهة حائرة لا تعرف الطريق فقالت: [4] [البسيط]

ما بالُ أنجُمِ هذا الليلِ حائرةً   أضَلَّتِ القَصْدَ أمْ لَيسَتْ على فَلَكِ
عَادَتْ سَوَارِيْهِ وَقْفاً لا حِراكَ لها   كأنَّها جُثَثٌ صَرْعَى بمُعتَرَكِ

---

[1] – ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، 126.

[2] – المقَّري، النَّفح، 151/2.

[3] – التبريزي، شرح القصائد العَشر، 68.

[4] – إحسان عباس، تاريخ الأدب الأندلسي عصر سيادة قُرْطُبَة، 59، نقلاً عن التجيبي، شرح المختار من شعر بشار، 15-16.

كما أن **أُنْس القُلوب** لم ترتضِ أن تنقل الصور المعروفة من الشعر العربي، فلجأت إلى قريحتها وملَكتها الشعرية وابتكرت صورة ظريفة، ذلك أنها رأت البدر كالسِّوار في لمعانه، والظلام كخط العذار، كما جعلت المدام ذائب نار، وهو تشبيه جميل ذلك أنها انتزعته من أثر الشراب في إطفاء اللوعة أي أنه أضحى كالماء في إطفاء النار[1] فقالت: [2] [الخفيف]

قدم الليلُ عند سَيْرِ النّهارِ   وبدا البدرُ مثل نصف سوارِ
فكأنَّ النّهارَ صَفْحةُ خَدٍّ   وكأنَّ الظَّلامَ خَطُّ عِذارِ
وكأنَّ الكؤوس جامدُ ماءٍ   وكأنَّ المُدام ذائبُ نارِ

وتوجّهت الكثير من الجواري إلى التشبيه والصُّور، فأضحى الجهل والهوى والمنازل والنفاق والليل إنساناً كاملاً، وأصبح كلٌّ منهم يتنفس ويتنقل ويُصاحب ويُشتَم ويتملّك ويَجُور، كما أن بعض الجواري حوّلن الأشياء حولهنّ إلى بشر ذميمين أو سعداء أو مُفسدين في الأرض، فقد رأت **قَمَر المَشرقيَّة** الجهل إنساناً سيئاً لا ترضى به أو حتى بصاحبه، فهو إنسان سيء السُّمعة ينال الكثير من السب والعار لذا قالت: [3] [البسيط]

دَعني مِنَ الجَهلِ لا أرضى بصاحِبِه   لا يَخلُصُ الجهلُ من سبٍّ ومن عارِ

وكانت المنازل **لقَمَر المَشرقيَّة** أُناساً ذميمين بشعين خالين من النِّعمة والجمال باستثناء بيت سيدها الكريم ابن الحجاج فقد كان بيت نعمة: [4] [الكامل]

إنِّي حَلَلْتُ لَديهِ مَنزِلَ نعمةٍ   كُلُّ المَنازِلِ ما عَداهُ ذَميمُ

---

[1] – انظر محمد صبحي أسعد أبو حسين، المرأة في الأدب الأندلسي في عصر الطّوائف والمرابطين، ص 206، رسالة دكتوراة، جامعة اليرموك، 2001.

2 – المَقَّري، النَّفح، 151/2.

[3] – ابن عِذاري، البيانُ المُغرِب، 129/2.

[4] – ابن الأبَّار، التّكمِلة، 246/4، المقَّري، النَّفح، 124/4.

كما كان النفاق ثائراً أنهى مُلك المُعتَمد حسب صور **بُثَيْنة بنــت المُعتَمــد**، وبحــضور النفاق سنحت الفرصة للفراق الذي بدأ يتقدم وإن كان غير مرغوب فيه: [1] [الكامل]

قــامَ النِّفــاقُ علــى أبــي فــي مُلكِــهِ   فَــدَنا الفِــراقُ ولــمْ يَكُــنْ بِمُــرادِ

أمّا **أُنْس القُلوب** فرأت الليل إنساناً حيّاً يتحرك ويسير قُدُماً فقالت: [2] [الخفيف]

قــدم الليــلُ عنــد سَــيْرِ النّهــارِ   وبــدا البــدرُ مثــل نــصف ســوارِ

واعتمدت بعض الجواري على الطبيعة كمصدر لصورهنّ، فاستعنّ بالنهار والأقمــار، كما أنهنّ شبهن بعض الأشياء أو الأشخاص ببعض الحيوانات في الطبيعة؛ كالأسود والغــزلان والطيور، إلا أنهنّ لم يُكثرن من التشبيهات المُنتزعة من الطبيعة، ومن هــذه التــشبيهات شــعر **مُتْعَــة** للأمير عبد الرّحمن الأوسط تسأله ألا يُغطي هواه، فهواه واضح جليّ كالنهــار الــذي لا يمكن إخفاؤه: [3] [المجتث]

يــا مَــنْ يُغطِّــي هَــواهُ   مَــنْ ذا يُغَطِّــي النَّهــارا

ولجأت **أُنْس القُلوب** _ عند تغزلها بأبي المغيرة بن حزم _ إلى مظهر واحد في الطبيعة ألا وهو الغزال فقالت: [4] [الخفيف]

يــا لَقَــوميْ تعَجَّبــوا مــنْ غَــزالٍ   جــائرٍ فــي مَحَبَّتــي وَهْــوَ جَــاري

---

[1]- المقّري، النّفح، 59/6.

2 - المقّري، النّفح، 151/2.

[3] - ابن الأبّار، التّكملة، 243/4، المقّري، النّفح، 115/4.

4 - المقّري، النّفح، 151/2.

ولم تستعن كل الجواري بالحيوانات من الطبيعة، فقد ارتأت **بَزيعَة** أن تُشبّه ضيوفها بالطيور كي تهجو مهجوّها بالغراب، وبهذا راعت أن يكون وصف المهجو متناسباً مع القوم الذين حضر معهم: [1] [البسيط]

لمَّا رَأيْتُ وُجُوهَ الطَّيرِ قُلتُ لَها لا مَرحباً بِغُرابِ البَيْنِ والصَّدِّ

5- الموسيقا

ليس الشعر إلا كلاماً موسيقياً تنفعل لموسيقاه النفوس وتتأثر بها القلوب[2]، لذا اهتمّت الجواري _ كغيرهنّ من الشُّعراء _ بالموسيقا الشعرية، كيف لا وهنّ جوارٍ متأدِّبات عالمات بالشعر؟ كما أن معظمهنّ جوارٍ مغنيات يُدركن أهميّة الموسيقا وأثرها.

ويتلخص اهتمام الجواري بالموسيقا من خلال تكرار الحرف الواحد في البيت الشِّعري _ وقد عرضت له سابقاً _ وباختيار البحر العروضي والقافية، ولاحظت أن الجواري مِلْنَ إلى البحور الطَّويلة، وجاء مجموع شعرهن في ثمانية بحور رتبتها حسب كثرتها وهي: الكامل الذي تكرر خمس مرات في أربعة وثلاثين بيتاً أي ما يقارب نصف مجموع شعر الجواري في الأندلس، وتبعه بحر البسيط الذي تكرر أربع مرات في ثلاثة عشر بيتاً، وتلاه بحر الخفيف الذي ظهر مرتين بحراً تاماً ومرة مجزوءاً وكان مجموع الأبيات فيهما خمسة عشر بيتاً، ثم جاء المجتث الذي نُظم فيه سبعة أبيات لمرتين فقط، وتلاه بحر الطَّويل الذي ظهر مرتين وكان مجموع ما نُظم فيه ثلاثة أبيات فقط، وجاء كلٌّ من مجزوء الرجز ومجزوء الرَّمَل في نتفة من بيتين فحسب، أما المتقارب **فالعبّاديّة** الشَّاعرة الوحيدة التي نظمت فيه بيتاً واحداً وكان بيتها هذا رداً على شعر للمعتضد، كما نُظم بيت واحد على البحر الرَّمَل.

وعلى الرغم من أن بحر الطَّويل احتل المرتبة الأولى في الشعر العربي ونُظم فيه ما يقارب ثلث الشعر العربي[1] إلا أن الجواري لم ينظمن غير ثلاثة أبيات، وشابهن الشُّعراء العرب

---

[1] - ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، 126.

[2] - إبراهيم أنيس، موسيقى الشعر، 17.

عندما احتل البحر الكامل والبسيط المرتبة الأولى والثانية في شعرهن، كما كان لهما المرتبة الثانية في شعر الشُّعراء العرب عامة[2].

ومن الجَدير بالذِّكر أنه لم يرتبط أي موضوع من الموضوعات التي نظمت الجواري الشعر فيها ببحر محدد باستثناء المدح الذي جاء على البحر الطَّويل فحسب، كما أن الشعر الذي نُظم بغرض الغناء والشعر الذي أنشدته الجواري تساويا في كل البحور.

أما القوافي فقد اعتنت الجواري بقوافيهن، ربَّما لأنهن سمعن قول العربي لبنيه: " اطلبوا الرماح فإنّها قرون الخيل، وأجيدوا القوافي فإنها حوافر الشِّعر"[3]، و هكذا نظمت الجواري شعرهن على اثني عشر حرفاً من حروف المعجم رتبتها حسب كثرتها وهي: الراء التي تكررت في خمس قصائد ومقطوعات وأبيات مفردة، ثم الدال التي جاءت في بيتين مفردين ونتفة وقصيدتن، وتلتهما النون التي تكررت في ثلاث نتف، ولحقتها كل من القاف واللام والباء التي تكرر كل منها مرتين على هيئة أبيات مفردة ونتف ومقطوعات وقصائد، أما أقل حروف المعجم استعمالاً فكانت الميم والكاف والتاء والياء والشين التي وردت كل منها على هيئة بيت نتفة أو بيت مفرد.

ومن الجَدير بالذِّكر أن كلاً من الراء والميم والدال واللام والباء والنون هي من أكثر حروف الروي شيوعاً في أشعار العرب، أما القاف والكاف والحاء والياء فهي من الحروف المتوسطة الشيوع، والتاء من حروف الروي قليلة الشيوع، أما الشين فهي من الحروف النادرة في مجيئها روياً [4].

---

[1] – إبراهيم أنيس، موسيقى الشعر، 191.

[2] – إبراهيم أنيس، موسيقى الشعر، 191.

[3] – حازم القرطاجني، منهاج البلغاء، 271.

[4] – إبراهيم أنيس، موسيقى الشعر، 248.

الفصل الثّالث

أثر الجواري

في

شِعر الغناء

انتشر الغناء العربي في الأندلس كما كان حاله في المشرق من قبل، فأقبل عليه الأندلسيون أيام عزِّهم لينتشوا بشعره وألحانه، ثم لاذوا إليه أيام انكسارهم ليَنسوا هزيمتهم وما آل إليه حالهم، وملأت مجالسُ الأُنس الأندلس على اختلاف عصورها، وكان لابدّ من حضور الجواري ليُرفِّهنَ عن قاصدي المجالس، ومن الضروري لهنّ أن يملكن مخزوناً شعرياً كبيراً كي يُلبينَ جميع الأذواق أو يُعبِّرن عن بعض المواقف أو يعكسن عواطفهنّ وشخصياتهنّ من خلال غنائهنّ الشعر.

وتهافت الأندلسيون على الغناء وعقدوا له المجالس، وكان إقبال حكام الأندلس على الغناء ومجالسه من أيام الإمارة الأولى حتى آخر أيام المسلمين في الأندلس، وعلى الرغم من أن المرابطين والموحدين لم يشجعوا الغناء وحاربوه، إلا أن هذا لم يمنع الأندلسيين من ممارسة الغناء وبروز أعلام الغناء والموسيقا الأندلسيّة إبَّان عصر الموحدين، وشارك العامةُ الخاصة حبَّهم الغناء حتى إن مدناً مثل إِشْبِيلْيَة وأُبَّذَة[1] ومَالَقَة اشتُهرت بحب أهلها للغناء والموسيقا.

واعتمد الأندلسيون في الغناء على المشرق في أيامهم الأولى، وسَعَوا إلى نقل جميع الآداب والفنون التي عرفوها هناك، كما عمل بعضهم على تقليدها، واتَّجه آخرون _ فيما بعد _ إلى نقل الفنون المشرقية وصبغها بصبغة أندلسيّة، حتى تمكنّوا أخيراً من ابتكار فنون وآداب أندلسيّة خالصة نبعت من بيئتهم وحياتهم، لذا كان للمشرق دورٌ كبيرٌ في نشأة الغناء وتطوّره وفي انتقاء المقطوعات الشعرية المُغناة وألحانها، وكان للجواري الوافدات وزرياب وأبنائه وجواريه دورٌ كبير في وضع حجر الزاوية للغناء الأندلسي، كما كان هناك تأثيرات أجنبية مثل الأغاني الإسبانيَّة الشعبية التي اندمجت مع التأثيرات العربيَّة المشرقية وصقلت الغناء الأندلسي.

---

[1] – أُبَّذَة أو أُبَّدة (Ubeda) مدينة بالأندلس من كورة جيَّان تعرف بأُبَّـذَة العـرب أو عُبَّـادة العرب (Ubbadat al-Arab)، بينها وبين بيَّاسة سبعة أميال، وهي مدينة صغيرة وعلى مقربة من النهر الكبير. انظر ياقوت، معجم البلدان، 64/1، الحِميَري، الرّوض المِعطار، 6.

1- إقبال الأندلسيين على الغناء

أقبل معظم الأندلسيين على الغناء ومجالسه، وفُتنوا بلذَّاته وجواريه، وربَّما نبع هذا الإقبال من طبيعة مُركَّبة في نفوسهم، غذّاها إقبال حكامهم _ على اختلاف أجناسهم وعصورهم_ على الغناء، ورعايتهم للمغنين والجواري المغنِّيات، وعقدهم مجالس الأُنس واللهو.

وبدأ اهتمام حكام الأندلس بالغناء عندما اشترى عبد الرّحمن الداخل الجارية **العجفاء**[1]، وإن كان من قبل ردَّ جارية قُدِّمت إليه[2]، وأرجِّح أنه اشتراها بعد أن أمسك بزمام الأمور وثبَّت دعائم دولته، وسار معظم أمراء بني أميّة على النهج نفسه، فرعوا الفنون والموسيقا والغناء وأقاموا مجالسه، ومنهم من أقام هذه المجالس سرّاً كالحكم بن هشام الذي ملك العديد من الجواري المغنيات اللواتي كُنَّ يُسْمعنه ألواناً مختلفةً من الشعر، وينظمن شعراً في كل ما يشتهيه قلبه، ويصنعن ألحاناً فيما يقترح من أشعار[3]، أما عبد الرّحمن بن الحكم فأقام مجالس الغناء دون حَرَج وأنشأ دار المدنيَّات[4]، وشجَّع زرياباً على دخول الأندلس[5]، لذا كان معظم أمراء البيت الأمويُّ رُعاةً للفنون والغناء باستثناء الأمير عبد الله بن محمد بن عبد الرّحمن الأوسط[6]، " فلم يكُن ممَّن اشتغل بلَذّة أو قارَف شيئاً مِن الأَنْبِذَة في أيام خلافته ولا قبلها " [7].

وعند بداية أُفول نجم الأمويين كان الغناء حاضراً بهيجاً تُحييه مجالس المنصور بن أبي عامر[8] وملوك الطَّوائف من بعده، وكتاب الذَّخيرَة والنَّفح وغيرهما من المصادر الأندلسية التي

---

[1] – انظر المقَّري، النّفح، 125/4.

[2] – انظر المقَّري، النّفح، 35/4.

[3] – انظر ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار، 185/10، رقم المخطوط 3423، ميكروفيلم الجامعة الأردنية.

[4] – انظر ابن الأبَّار، التَّكملة، 241/4، المقَّري، النّفح، 123/4-124.

[5] – انظر المقَّري، النّفح، 110/4.

[6] – انظر إحسان عباس، أخبار الغناء والمغنين في الأندلس، مجلة الأبحاث، 1963، 11.

[7] – ابن عذَاري، البيانُ المُغرِب، 153/2.

[8] – انظر المقَّري، النّفح، 229/4.

تناولت مرحلة عصر ملوك الطَّوائف تزخرُ بروايات وأحاديث عن مجالس الغناء، وأشهرها مجالس المُعْتَمد بن عبّاد[1] الذي اجتمع إليه الكثير من الشُّعراء والأدباء.

أمّا المُرابِطون فكانوا أهل جهاد ودين، لا أهل دعة ومجالس غناء، وأوضح مثالٍ لهم تاشفين بن علي بن يوسف بن تاشفين الذي قيل إنه لم يشرب قطُّ مُسكراً، ولم يستمع إلى قينة[2].

وعندما دخل المُوحِّدون الأندلس ظهر للأندلسيين أنّ الموحِّدين أكثر ثقافة ومدنيّة من المُرابِطين، إلا أن موقفهم من الغناء ومجالسه كان مشابهاً لموقف المُرابِطين؛ ولخّص ابن طفيل موقفهم من الغناء والموسيقا فقال: " لو نفق عندهم علم الموسيقا لأنفقته عندهم " [3]، ولكنَّ موقفهم تغيَّر بعد انتهاء حُكم الخليفة الثالث منهم[4] فتنكَّروا لمبادئ الدّعوة المُوحِّديَّة التي قامت على مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وعاشوا حياةً لاهية[5].

وظهر لي أنَّ جُلَّ حكام الأندلس أحبُّوا الغناء ومجالسه وقيانه، وكان حال عامَّة الأندلس كحال حكامهم، حتى إن أهل مدن أندلسيَّة كاملة عُرفوا بحبِّهم للغناء والموسيقا، وكان أهل إِشْبِيلْيَة على رأس الأندلسيين المولعين بالغناء؛ حتى قيل إنه إذا مات مطرب بقُرْطُبَة فأُريد بيع آلاته، حُملت إلى إِشْبِيلْيَة[6]، وكان أهل إِشْبِيلْيَة يجلسون في واديها يطربون ويشربون، وحاول بعض ولاتها أن يمنعوا أهل المدينة عن عادتهم هذه إلا أنهم لم يستطيعوا، فأهل إِشْبِيلْيَة معروفون بخفة أرواحهم وإقبالهم على الطرب والفكاهة، وجمع أدوات الطرب والموسيقا[7].

---

[1] – انظر المَقَّري، النَّفح، 6/53–55.

[2] – انظر ابن عِذَاري، البيانُ المُغرِب، 4/79.

[3] – عبد الواحد المرَّاكِشي، المُعْجِب، 156.

[4] – هو أبو يوسف يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن، صاحب الأندلس والمغرب، ولي الحكم سنة 580هـ، وهو قائد معركة الأَرَك التي هُزم فيها أذفونش سنة 591هـ، وحاصر طُلَيْطُلة ورماها بالمجانيق، إلا أنه رجع عنها بعد أن توسَّلت إليه أم أذفونش وبناته أن يبقي البلد عليهن، فرقَّ لحالهنّ ورجع إلى قُرْطُبَة، توفي سنة 585هـ. انظر ابن خلدون، المُقدِّمة، 1/269، المَقَّري، النَّفح، 1/423-424.

[5] – انظر فوزي سعد عيسى، الشعر الأندلسيّ في عصر المُوحِّدين، 53.

[6] – انظر المَقَّري، النَّفح، 1/154.

[7] – انظر المَقَّري، النَّفح، 4/188.

ومن الجَدير بالذِّكر أن أبا القاسم بن محمد بن المليح[1] الزّاهد فرَّ إلى إِشْبِيلْيَة بعد أن تهتَّك، فقد كان شيخاً زاهداً ثم نصحه أهله بمخالطة الظُّرفاء والأدباء فتهتَّك ورحل إلى إِشْبِيلْيَة وتزوّج امرأة وصار يضرب معها الدف[2].

وشارك أهلُ أُبَّذَة أهل إِشْبِيلْيَة حبَّ الغناء، فحوت المدينة أفضل الملاهي وحازت على الرواقص المشهورات الحاذقات[3]، ونالت مَالَقَة نصيبَها من مجالس الغناء؛ فقد ذُكر إنه إذا ما جنَّ الليل بمَالَقَة سُمعت أصوات أوتار العيدان والطنابير والمعازف من كل ناحية[4].

وأظن أن إقبال الأندلسيين على الغناء لم يتوقف في أي عصر؛ ففي عصر المرابطين الذين حاربوا الغناء ومنعوه ظهر ابن باجة[5] وهو إمام الأندلسيين في الألحان والموسيقا، وكان

---

[1] – هو أبو القاسم أحمد بن محمد بن إسحاق اللخمي، نشأ طاهراً عفيفاً زاهداً، فكان أبوه يلومه على إفراطه في الزُّهد ويحضه على الأدب، إلى أن اشتهر بالخلاعة وفرَّ إلى إِشْبِيلْيَة وتزوَّج عاهراً ترقُص في الأعراس. انظر ابن سَعيد، المغرب، 1/ 384، المقَّري، النّفح، 5/218-219.

[2] – انظر المقَّري، النّفح، 5/218-219.

[3] – انظر المقَّري، النّفح، 4/191.

[4] – انظر إحسان عباس، أخبار الغناء والمغنين في الأندلس، مجلة الأبحاث، 1963، 18، نقلاً عن التجيبي، شرح المختار من شعر بشار، 15-16.

[5] – هو أبو بكر محمد بن الحسين بن باجة التجيبي السَّرقُسْطي المعروف بابن الصائغ، كان فيسلوف الأندلس وطبيبها وشاعرها وإمامها في الألحان، تميَّز في العربيَّة والأدب، وكان حافظاً للقرآن متقناً لصناعة الموسيقا، جيّد اللعب بالعود، استوزره ابن تِيفَلْويت صاحب سَرَقُسْطَة، وبلي بمحن كثيرة، توفي بمدينة فاس سنة 529هـ. انظر ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، 1/515، ابن خلكان، وَفَيات الأعْيان، 4/429، ابن سَعيد، المغرب، 2/119، ابن خلدون، المُقدّمة، 1/584، المقَّري، النّفح، 4/162.

يُحيي مجالس ابن تِيفَلْوِيت[1] صاحب سَرَقُسْطَة[2]، فقد ذُكر أنه ألقى على بعض قيناته موشحته التي أولها : [3]

جـــــرّر الـــــذيلَ أيّمـــا جـــــرّ   وصـــلِ الـــشُّكرَ منـــك بالـــشُّكرِ

وختمها بقوله: [4]

عَقَـــــد اللهُ رايـــــةَ النَّـــــصرِ   لأميـــرِ العُـــلا أبـــي بَكْـــرِ

فصاح ابن تِيفَلْوِيت: واطرباه، وشقّ ثيابه، وحلف بالأيمان المغلَّظة أن لا يمشي ابن باجة إلى داره إلاّ على الذّهب، فاحتال بأن جعل ذهباً في نعله ومشى عليه إلى داره[5]، فإن كان هذا الحال في عصر الموحدين المتزمّتين المعارضين للغناء فما بالنا بالعصور الأخرى التي عقد فيها أمراء الأندلس مجالس الغناء واستقطبوا المغنين والمغنّيات.

ومن الجَدير بالذِّكر أن إقبال الأندلسيين على الغناء لم يقتصر على سماع الغناء والموسيقا وجلب المُغنين والجواري المشارقة وإقامة مجالس الغناء؛ فجلبوا المؤلفات الموسيقيَّة المشرقيَّة إلى الأندلس ونشروها، كرسائل الكِندي، وكتاب الموسيقا الكبير، وكتاب إحصاء العلوم

---

1 – هو أبو بكر بن إبراهيم المعروف بابن تِيفَلْوِيت، كان صاحب سَرَقُسْطَة أيام المرابطين، أكثر ابن باجة من رثائه، توفي سنة 510هـ. انظر ابن سَعيد، المغرب، 119/2.

2 – سَرَقُسْطَة (Zaragoza) : بلدة مشهورة بالأندلس تتصل أعمالها بأعمال تطيلة، وهي على ضفة النهر الكبير المسمى أبره الذي ينبع من جبال القلاع وهو نهر كبير يأتي بعضه من بلاد الروم، وسُميت المدينة البيضاء لكثرة جصها وجيارها، ومن مدينة سَرَقُسْطَة إلى وشقة أربعون ميلاً، ومن سَرَقُسْطَة إلى تطيلة خمسون ميلاً. انظر الإدريسي، نُزهةُ المشتاق في اختراق الآفاق، 554/2، ياقوت، مُعجَم البُلدان، 212/3، القزويني، آثار البلاد، 534، الحِمْيَري، الرَّوض المعطار، 317.

3 – انظر ابن خلدون، المُقدِّمة، 584/1، المَقّري، أزهار الرياض، 209/2، النّفح، 233/9.

4 – ابن خلدون، المُقدِّمة، 584/1، المَقّري، أزهار الرياض، 209/2، النّفح، 233/9.

5 – انظر ابن خلدون، المُقدِّمة، 584/1، المَقّري، أزهار الرياض، 209/2، النّفح، 233/9.

للفارابي وغيرها من المؤلفات الموسيقية المشرقية[1]، كما أن الأندلسيين ألَّفـوا كتبـاً فـي علـم الموسيقا ككتب ابن باجة[2] ورسالة أميَّة بن عبد العزيز الداني[3] في الموسيقا، وأتقن الكثيـر مـن الأندلسيين علم الموسيقا ومنهم أبو الفضل بن حسداي[4] وعباس بن فرناس[5].

2- دور المشرق في نشأة الغناء الأندلسيّ وتطوُّره

جلب الأندلسيون كلَّ ما هو متميِّز من المشرق من كتب ومؤلفات ودواوين، ولم يكتفوا بالكتب والأغراض فأرسلوا في طلب بعض العلماء، وشجعوهم على اجتياز بحر العدوة ودخول الأندلس، كما أنهم اشتروا الجواري المشرقيَّات المتميِّزات المعروفات بعلومهنّ أو فنونهنّ، وكان الغناء أحد الفنون التي أجادتها الجواري المشرقيَّات، ويبدو أن الأندلسيين فضّلوا غناءهنّ المَدنيّ على سائر أنواع الغناء، لذا كان للجواري المشرقيَّات تأثير كبير في نشأة الغناء الأندلسيّ، ناهيك عن تأثير زرياب وأبنائه وجواريه في الأندلس الذي ظهر وكأنه ثورة غنائية مشرقيَّة اجتاحت أرض الأندلس.

---

[1] – انظر عباس الجراري، أثرالأندلس على أوروبا في مجال النغم والإيقـاع، مجلة عالم الفكـر، 1981، 25.

[2] – انظر المَقَّري، النَّفح، 162/4.

[3] – انظر ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، 515/1.

[4] – انظر ابن خاقان، قلائد العقيَان، 545/2-546 ، ابن بسَّام، الذّخيرَة، ق3 م457/1-486، ابن دحية، المُطرِب، 196، ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، 499/1،

[5] – هو عباس بن فرناس حكيم الأندلس وفيلسوفها، كيميائي وأديب وشـاعر، وهـو أول مـن اخترع صناعة الزجاج من الحجارة في الأندلس وأول من فكَّ بها كتاب العَروض للخليل، وأول من فكَّ الموسيقا وحاول الطيران، كان كثير الاختراع حتى نُسب إليه السِّحر، وكثُر عليه الطعن في دينه، توفي سنة 274هـ. انظر ابن سَعيد، المغرب، 333/1، المَقَّري، النَّفح، 334/4.

أ- الجواري الوافدات

كان للجواري الوافدات تأثير كبير في نشأة الغناء الأندلسي، إلا أني لم أجد ذكراً لأيٍّ منهنَّ _ أو لأي جارية أندلسيّة أو بربريّة_ في عصر الولاية، وقد يعود السبب وراء عدم ذكرهنّ أن ولاة الأندلس انشغلوا بالفتوح وبإخماد الفتن فلم يهتموا بالغناء، إلاّ أني أرجّح أنهم وجدوا وقتاً للتسلية والمتعة وعقد مجالس الأُنس التي تُحييها الجواري بحكم العادة، وأغلب الظنّ أنهنَّ كنّ من الجواري المشرقيَّات؛ ذلك أن معظم ولاة الأندلس كانوا عرباً ولا أعتقد أنهم اشتروا جواري يُغنين أغاني إسبانيَّة أو حتى بربريَّة، وربَّما أهمل المؤرخون ذكر الجواري الوافدات وغيرهنَّ لاهتمامهم بتدوين أخبار الفتوحات وانتصارات المسلمين، أو أنهم أعرضوا عن ذكرهنّ لعدم وجود جوارٍ متميِّزات ذوات تأثير وفتنة، أو أنهم ذكروهنّ ولم تصلنا كتبهم ومؤلفاتهم التي أشارت إلى الجواري الوافدات أيام عصر الولاية.

وأول ذكرٍ وجدته لجارية مغنِّية وافدة من المشرق كان للجارية **العجفاء** التي اشتراها عبد الرّحمن الداخل[1]، وذُكرت جارية **عراقيَّة** أيام المغيرة بن الحكم بن هشام، إلاّ أن اسمها أُهمل ذُكره، وما ذُكر عنها يدلُّ أنها كانت جارية تُحسن الغناء، وتُلمُّ بمعرفة واسعة في الغناء والموسيقا، وأغلب الظن أنها علّمت سُليم مولى المغيرة ومغنيه الغناءَ العراقيّ، فقد قال ابن فضل الله العمري: إنها " كانت تطارحه الغناء حتى برع وجَمَعَ الغناءَ العراقيّ مع ما جمع "[2]، وحديث ابن فضل الله العمري عن هذه الجارية ما هو إلا دليل على مساهمة الجواري في نشر الغناء من جهة، ونشر الغناء المشرقيّ من جهة أخرى.

وعجّت أيام الأمير عبد الرّحمن الأوسط بوفود المغنِّيات والمغنين المشارقة إلى الأندلس، فقد أرسل عبد الرّحمن في شراء مجموعة من الجواري المدنيَّات، وهنّ **فَضْل المدنيَّة** و**عَلَم المدنيَّة** و**قَلَم البَشْكَنسيَّة** وصواحب أخريات لهنّ[3]، ووجود دار المدنيَّات بقصر الإمارة ما هو إلا دليل على استكثار الأمير عبد الرّحمن منهنّ، إلا أني لم أجد معلومات أخرى عن هذه الدار وما آلت إليه في العصور اللاحقة، فهل بقيت تستقبل الجواري المشرقيَّات والمدنيَّات أم

---

[1] - انظر المقَّري، النّفح، 125/4.

[2] - مسالك الأبصار، 193/10، رقم المخطوط 3423، ميكروفيلم الجامعة الأردنية.

[3] - انظر التّكملة، 241/4 ، المقَّري، النّفح، 123/4-124.

أنها أُهملت؟ أم أنَّ دوراً جديدة افتتحت لهن؟، وذُكرت الجارية **قَمَر المَشرِقيَّة** التي اشتراها إبراهيم بن حجاج الثَّائر على الأمير عبد الله بن المنذر[1].

ولم أجد _ فيما توفَّر بين يدي من مصادر _ ذكراً لجواري مشرقيَّات أيام المرابطين أو الموحدين أو بني الأحمر، ربَّما لأن الجواري الأندلسيات أجدن الغناء والموسيقا وأصبحن يُضاهينَ الجواري المشرقيّات، وقد يعود السبب إلى أن الغناء في الأندلس صُبغ بصبغة أندلسيَّة وأصبح له شخصيَّة مستقلَّة، بالإضافة إلى ظهور الموشَّح الذي برع فيه الأندلسيون وتغنَّوا به ولم يستطع المشارقة منافستهم فيه.

ب- زرياب وأبناؤه وجواريه

تجلَّى دور المشرق في نشأة الغناء الأندلسيِّ وتطوّره بدخول زرياب إلى الأندلس، فقد أجرى تغييرات عدّة لم تشمل الغناء فحسب بل شملت حياة الأندلسيين وملابسهم وعاداتهم وحتى طبيخهم.

وحظي أهل الأندلس بقدوم زرياب إليهم، كما أنه حظي باستقبالهم له؛ فبعد أن خرج من المشرق إلى المغرب وأرسل إلى الأمير الحكم بن هشام يُعْلمه بمكانته ومواهبه الموسيقيَّة ويستأذنه الدخول إلى الأندلس، أذِن له الحكم وسُرَّ بمجيئه، وبعد أن خطت قدم زرياب الجزيرة الخضراء وصله خبر وفاة الحكم، فتردَّد في إكمال رحلته، إلا أنّ خبره وصل الأمير عبد الرّحمن بن الحكم فشجَّعه على السَّير إلى قُرْطُبَة وكتب إلى عُمَّاله أن يُحسنوا إليه ويُوصلوه قُرْطُبَة، وبعد وصوله كتب له الأمير راتباً شهرياً بمائتي دينار وأقطعه ضياعاً وأجرى عليه وعلى أولاده جرايات متعدِّدة.[2]

---

[1] - انظر ابن الأبَّار، التَّكملة، 245/4، ابن عِذَاري، البيانُ المُغرِب، 128/2، المقَّري، النَّفح، 124/4.

[2] - انظر المقَّري، النَّفح، 110/4.

وأدخل زرياب تغييرات عدّة على المجتمع الأندلسي بأسره، وكان من بينها تغيير تصفيف الشَّعر للرجال والنّساء، وابتكار أنواع جديدة من الطَّبيخ، وتفضيل آنية الزُجاج الرفيع على آنية الذّهب والفضَّة، وارتداء الملابس البيضاء أيام الصَّيف والملابس الملوَّنة باقي أيام السَّنة، أما ابتكاراته الموسيقيَّة المشهورة فتمثَّلت بزيادة وتر خامس إلى أوتار العود، واختراع مضراب العود من قوادم النَّسر بدلاً من مرهف الخشب، وابتكار مراسيم متعدِّدة في الغناء وطريقة افتتاحه، وكيفية اختبار المُغنين، وطُرق تقوية الصَّوت[1]، وأضحت موسيقاه هي الموسيقا العالية الراقية في الأندلس[2] وعملت على ترسيخ الطابع الحضاري المشرقي في الأندلس، كما كان لها أثر فيما عُرف بالنّوبة الغنائية[3].

ويبدو أن الكثيرين من مُحبي الغناء توجّهوا لزرياب كي يُعلِّمهم، فقيل إنه " كان إذا تناول الإلقاء على تلميذه أمره بالقعود على الوساد المُدوّر المعروف بالمسورة.." [4] وهذا الحديث دليل على أنه كان له مُريدون، كيف لا والجميع يريد أن يتعلَّم مقطوعة من بين عشرة آلاف مقطوعة غنائية حفظها زرياب وعرف ألحانها[5]، وفُتِنَ بعض الأندلسيين بفنون زرياب وغنائه فأرسلوا جواريهم ليأخذوا عنه، وأرسل أبو حفص عمر بن قِلْهِيْل جاريته **مصابيح** لتتعلم الغناء عند زرياب[6].

ولم يتوقف تأثير زرياب بوفاته؛ فعند دخوله الأندلس لم يدخل وحيداً وجلب أهله وأبناءه معه، وكان له ثمانية أولاد هم: عبد الرّحمن، وعبيد الله، ويحيى، وجعفر، ومحمد، وقاسم، وأحمد، وحسن، ومن الإناث ثنتان: عليّة، وحمدونة، وأحسن جميعهم الغناء، وكان عبيد الله أعلاهم في صنعة الغناء، وتلاه أخوه عبد الرّحمن إلا أنه لم ينل محبَّة أهل الأندلس لغروره

---

[1] – انظر المَقّري، النّفح، 4/111–114.

[2] – انظر حسين مؤنس، معالم تاريخ المغرب والأندلس، 289.

[3] – انظر إحسان عباس، أخبار الغناء والمغنين في الأندلس، مجلة الأبحاث، 1963، 9–10.

[4] – انظر المَقّري، النّفح، 4/113.

[5] – انظر المَقّري، النّفح، 4/111.

[6] – انظر ابن الأبّار، التّكملة، 4/ 243، المَقّري، النّفح،4/116.

وعُجبه[1]، أما بناته فتقدّمت حمدونة على أختها عليَّة في الغناء، وتزوجت الوزير هاشم بن عبد العزيز، أما عليَّة فطال بها العمر ولم يبق من أبناء زرياب غيرها[2].

وأعتقد أن معظم أولاد زرياب وُلدوا في الأندلس ولم يعرفوا المشرق أو فنونه إلا عن طريق أبيهم، ذلك أن المقري قال: " وبعد ثلاثة أيام استدعاه وكتب له في كل شهر بمائتي دينار راتباً، وأن يُجرى على بنيه الذين قدموا معه، وكانوا أربعة: عبد الرّحمن، وجعفر، وعبيد الله، ويحيى عشرون ديناراً لكل واحد منهم كلَّ شهر" [3]، وربَّما كان السبب وراء تميُّز عبيد الله وعبد الرّحمن راجعاً إلى نشأتهم في المشرق، واطِّلاعهم على أشكال مشرقية متعدّدة في الفنون، وخبرتهم الموسيقية التي نهلوها من ينبوعها، إلا أن الأخبار لم تُسعفني في معرفة أعمارهم عند دخولهم الأندلس، أو الثقافة التي جنوها في بَغْداد، كما أن المصادر الأندلسية لم تزودني بتفاصيل عن أبناء زرياب وبناته.

وأرجح أن أبناء زرياب وبناته ساروا على دربه في استقبال المريدين والمتعلمين؛ فالمقري يذكر أن عمر حمدونة طال، فافتقر الناس إليها وحملوا عنها[4]، وعلى الرغم من أن هذه الرواية لا تدلُّ على أن سائر إخوتها علَّموا الأندلسيين وفتحوا لهم أبوابهم، إلا أنها تؤكد أن إحدى بنات زرياب نقلت الغناء الذي تعلَّمته من أبيها إلى أهل الأندلس.

ولم يكتفِ زرياب بتعليم أبنائه وبناته، فعلَّم جواريه الغناء والموسيقا وذُكر منهنّ ثلاث هنَّ: **غزلان** و**هُنَيدَة** اللتان كان يدعوهما ليطارحهما الغناء والعزف على العود كُلَّما خطر له صوت وإن كان نائماً[5]، كما اشتُهرت جاريته **مُتْعَة** التي أدَّبها وعلَّمها أحسن أغانيه، ولما أحسَّ بميلها إلى الأمير عبد الرّحمن وميله إليها أهداها إليه[6]، ولم يذكر المؤرخون الأندلسيون إن كُنَّ وافدات من المشرق مع زرياب أم أنه اشتراهنَّ من الأندلس، وإن كُنَّ مشرقيات فهنَّ جوارٍ مميَّزات عن غيرهنَّ من جواري الأندلس، وإن كُنَّ جوارٍ أندلسيات فقد حُزن ثقافة عالية من

---

[1] – انظر المقَّري، النّفح، 116/4.

[2] – انظر ابن الأبَّار، التَّكملة، 242/4، المقَّري، النّفح، 116/4.

[3] – النّفح، 110/4.

[4] – انظر ابن الأبَّار، التَّكملة، 242/4، المقَّري، النّفح، 116/4.

[5] – انظر المقَّري، النّفح، 111/4.

[6] – ابن الأبَّار، التَّكملة، 242/4، المقَّري، النّفح، 115/4-116.

سيِّدهنَّ ونِلن تميُّزاً خاصاً عن غيرهنَّ، لذا فمهما كان موطن جواري زرياب فهنَّ جوارٍ نِلن منزلة خاصة ويكفيهنَّ اقتران أسمائهنَّ باسم معلمهنَّ.

3- التأثيرات الأجنبية في الغناء الأندلسي

التأثيرات الأجنبية في الغناء الأندلسي هي التأثيرات الإسبانية والبربرية، ومن البدهي أن يتأثر الغناء العربي في الأندلس بغناء أهل البلاد التي فتحوها، وبغناء البربر الذين فتحوا معهم الأندلس، ولكنَّ المصادر الأندلسيَّة لم تُفصِّل الحديث في مدى هذا التأثير.

ووجدت روايتين ذكرتا الأثر الأجنبيّ في الغناء الأندلسي، الأولى: رواية التيفاشي الذي قال: إنه لم يكن في الأندلس سوى طريقة حُداة العرب وترانيم الكنائس قبل وفود زرياب إليها[1]، والثانية: لابن فضل الله العمري عندما ترجم للمُغني سُليم مولى المغيرة بن الحكم فقال عنه: " أخذ الطرب عن رُسل أتوه من قبل النصارى وأمر بتأخيرهم ووكل بهم إلى حين مسيرهم، وأتقن الفن وحقَّق الظن، ثم أتى المغيرة **بجارية عراقيَّة** وكانت تطارحه الغناء حتى برع، وجمع الغناء العراقيّ مع ما جمع" [2].

وأظنُّ أن رواية التيفاشي بعيدة عن الدِّقة وإن لم تخلُ من فائدة؛ فقد دخل زرياب قُرْطُبَة أيام عبد الرّحمن بن الحكم، ولكن سبقه إلى الأندلس جوارٍ ومغنون كُثر منهم: الجارية **العجفاء** أيام عبد الرّحمن الدّاخل[3]، و**جارية مشرقيَّة** للحكم بن هشام بالإضافة إلى جواريه **عزيز** و**بَهجَة** و**مُهْجَة** و**فاتن** اللواتي غنَّين الكثير من الأشعار المشرقيَّة بألحان مشرقيّة[4]، كما وفد علون

---

[1] - انظر عباس الجراري، أثرالأندلس على أوروبا في مجال النغم والإيقاع، مجلة عالم الفكر، 1981، 20، نقلاً عن التيفاشي، فصل الخطاب في مدارك الحواس الخمس لأولي الألباب، (مخطوط) 114.

[2] - مسالك الأبصار، 193/10، رقم المخطوط 3423، ميكروفيلم الجامعة الأردنية.

[3] - انظر المقَّري، النَّفح، 125/4.

[4] - انظر ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار، 184/10-192، رقم المخطوط 3423، ميكروفيلم الجامعة الأردنية.

وزرقون إلى الأندلس أيام الحكم بن هشام ولكن نجم زرياب غطى عليهما[1]، ووفدت كلٌ من **فَضْل** و**عَلَم** و**قَلَم** أيام عبد الرّحمن بن الحكم[2]، ومعظم من ذكرتهنّ وفدن من المشرق، وتلقّين علومهنَّ وفنونهنَّ فيه، وعِشنَ أواخر أيام الخلافة الأمويَّة أو في أوائل الخلافة العباسيَّة، وكان الغناء قد استوى على عرشه ونضجت شخصيته وبرزت ملامحه، لذا أعتقد أن غناء الخاصَّة في الأندلس قبل زرياب لم يكن بطريقة حُداة العرب، وإنما كان مشابهاً للغناء المشرقيِّ.

أما رواية ابن فضل الله العمري فأعتقد أنها جمعت كل التأثيرات التي تعرَّض لها الغناء الأندلسيّ وهي التأثير المشرقيِّ المتمثِّل بالغناء العراقيّ إضافة إلى التأثير الإسباني الذي جلبه سُليم عن طريق رُسُل أتوه، وربَّما كان عمل سُليم مثالاً لتاريخ الغناء الأندلسي، فهو خليط من تأثيرات مشرقية إلى جانب تأثيرات نصرانية انصهرت في بوتقة واحدة، وخرجت للنور وهي تحمل صفات أندلسية.

وربَّما شهدت الأندلس في أيامها الأولى نوعين من الغناء: غناء مشرقي خالص انتقل مع الفاتحين واستمروا في طلبه من المشرق، وغناء إسباني شعبي انتشر بين العامة الذين لم يُجيدُوا اللغة العربيَّة أو يفهموا حضارتها بعد، ومع مرور الوقت وانتشار الحضارة العربيَّة في الجزيرة جرى انصهار بين الغناء المشرقي والإسباني، ولكن الألحان العربيَّة ظلت مسيطرة كألحان جواري الحكم وألحان زرياب، وأتوقع أن الغناء الأندلسيّ لم يخلُ من تأثيرات إسبانية نبعت من المجتمع الأندلسي والجواري الإسبانيات اللاتي وفدن على الأندلس.

شعر الغناء

الغناء والشَّعر فنّان متلازمان يسير كلٌ منهما إلى جانب الآخر، وأدرك ابن خلدون أدرك هذه العلاقة فجعل من الشعر جزءاً لا يتجزأ من الغناء وذلك عندما عرّف الغناء فقال: "هذه الصناعة هي تلحين الأشعار الموزونة، بتقطيع الأصوات على نِسَبٍ منتظمة معروفة، يوقَّع

---

[1] – انظر المقَّري، النّفح، 115/4.

[2] – انظر ابن الأبَّار، التّكملة، 241/4، المقَّري، النّفح، 123/4-124.

على كل صوتٍ منها توقيعاً عند قطعهِ فيكونُ نَغَمة، ثم تؤلّف تلك النَّغم بعضُها إلى بعض على نسبٍ متعارَفَة فيلذُّ سماعها لأجل ذلك التناسب، وما يحدث عنه من الكيفيَّة في تلك الأصوات" [1].

ومُنيَت الأندلس بحكّام عرفوا أهميّة هذه الصناعة، وأجلُّوا الشِّعر ورعوا الشُّعراء وشجّعوا على الغناء، وكان على رأسهم الأمير عبد الرّحمن بن الحكم الذي استجلب كلاً من **عَلَم وقَلَم وفَضْل** من المشرق وأسّس دار المدنيَّات، كما أنه دعا زرياباً لدخول الأندلس[2]، وشجّع جواريه على غناء الشعر سواءً باقتراحاته للشعر الذي سيُغَنينَه أو بإشعال نار المنافسة بينهن في تلحين بعض النتف والمقطوعات الشعرية، وعلى الرغم من أن هناك الكثير من الحكام الأندلسيين الذين شُغفوا بسماع الشعر وهاموا بالجواري المغنيات، إلا إنني خَصَصْتُ الأمير عبد الرّحمن بن الحكم بالتميُّز لأني لمست مدى تشجيعه لجواريه على غناء شعر الشُّعراء.

وحديثي في هذا الفصل مخصَّص للأشعار التي غنتها الجواري ولن أضمَّ إليه الأشعار التي نَظَمْنها وغنَّينَها لأني تحدّثت عنها في الفصل السابق، ولاحظت أن المصادر الأندلسيّة لم تسعفني في تحقيق غايتي، فعلى الرغم من أن المصادر الأندلسيّة مليئةٌ بروايات عن مجالس الأُنس وما فيها من قيان وغناء إلاّ أني لم أجد فيها ضالتي، واهتديت إلى شيء منها في مخطوط مسالك الأبصار لابن فضل الله العمري، وكان الفضل لإحسان عباس الذي أشار إليه في مقالة له نشرها في مجلة الأبحاث، وتمكنت من استخراج مائة وخمسة عشر بيتاً من مسالك الأبصار، وألفيت بعض الأبيات الشعرية المنثورة في المصادر الأندلسيّة فأصبح مجموع ما وجدت من شعر الشُّعراء الذي غنته الجواري مائة وخمسة وأربعين بيتاً.

ولاحظت أن معظم الشُّعراء الذين غنت الجواري شعرهم كانوا من المشرق من العصر الإسلامي والعباسي باستثناء شاعر جاهلي واحد هو قيس بن الخطيم، ومن الأندلس المُعتَمد بن عباد وأبو الفضل بن حسداي وابن الحداد وابن باجة الذي غنت جواري ابن تِيفَلْويت موشحاً من نظمه، وعلى الرغم من أن إحسان عباس ذكر أنه لم يجد في الأصوات المذكورة في مخطوط مسالك الأبصار شعراً لشاعر أندلسي باستثناء شعر الجواري[3]، إلا أن الحظ حالفني فعثرت فيه على نتفتين من شعر المُعتَمد غنتهما جاريته **سُعدى**.

---

[1] - العبر، 758/7.

[2] - انظر المقَّري، النّفح، 110/4.

[3] - انظر أخبار الغناء والمغنين في الأندلس، مجلة الأبحاث، 1963، 7.

ويبدو أن الدور الأكبر في اختيار هؤلاء الشُّعراء ومقطوعاتهم الشعرية كان للجواري، فمن بين إحدى وأربعين نتفة ومقطوعة غنتها الجواري في الأندلس كان هناك نتفة ومقطوعة اقترحهما المُعتَمد على جاريته **سُعدى** وأربع مقطوعات اقترحها الحكم بن هشام على **مُهْجَة**، وهكذا يظهر دور آخر للجواري في الأندلس ألا وهو نشر الشِّعر عامة وشعر الشُّعراء المشارقة تحديداً بالإضافة إلى تلحينهنّ لهذه الأشعار، وتركّز غناء هذه الأشعار أيام الأمير عبد الرّحمن ابن الحكم وابنه المغيرة وجاءت نتف ومقطوعات معدودة أيام عبد الرّحمن المستظهر[1] والمُعتَمد ابن عباد ثم وجدت موشح ابن باجة الذي نظمه أيام دولة الموحِّدين، ولكني لم أجد مقطوعات شعرية تقليدية غنَّتها الجواري في بيوت العامة لذا ظلت خصائص الشعر الذي غنته الجواري عند العامة مجهول الهوية وغائب الملامح في بحثي.

الغناء وأثره في تمكين النماذج الشعريَّة المشرقيَّة

كان الغناء من بين العوامل التي مكَّنت للنماذج المشرقية في الأندلس، فقد غنَّت جواري الأندلس مقطوعات مشرقية متعددة بلغت مائة وعشرين بيتاً شعرياً لشاعر جاهلي واحد وشعراء من العصر الإسلامي والعباسي، ونال شعر ابن الرّوميّ نصيب الأسد من مجموع الشعر الذي غنته الجواري في الأندلس؛ فغنين له خمسة عشر بيتاً شعرياً في ثلاث مقطوعات ونتفة واحدة، وتلاه شعر القطامي الذي غنت منه الجواري اثني عشر بيتاً في مقطوعتين شعريتين، وتبعه شعر العباس بن الأحنف الذي تخيّرت منه الجواري أحد عشر بيتاً جاءت في مقطوعتين، كما غنين مقطوعتين من عشر أبيات لجرير، ومقطوعتين من ثمانية أبيات لكل من أبي تمام وذي الرّمّة، وتخيّرن مقطوعة من ستة أبيات لعُروَة بن حزام، كما غنّين مقطوعة من أربعة أبيات لكل من البحتري وتوبة بن الحمير والحطيئة والصنوبري وعمر بن أبي ربيعة وقيس بن

---

[1] – هو أبو المطرف عبد الرّحمن بن هشام بن عبد الجبّار بن الناصر، كان شاعراً بليغاً فطناً، وكاتباً بليغاً خطَّ عدَّة رسائل وتوقيعات، بويع يوم خروج البربر من قرطبة بعد زوال ملك بني حمود سنة 414هـ، ثمّ ثار عليه ابن عمه محمد بن عبد الرّحمن المستكفي بالله، فقُتل في السنة نفسها وهو ابن ثلاث أو اثنتين وعشرين سنة، فكانت خلافته 47 يوماً. انظر ابن الأبَّار، الحُلَّة السِّيَراء، 12/2-13، ابن عِذَاري، البيانُ المُغرِب، 135/3-140، الذهبي، سير أعلام النبلاء، 347/17-348.

الخطيم ونُصيب بن رباح وشاعر مجهول، واخترن مقطوعة من ثلاثة أبيات لكلٍ من الفرزدق ومسلم بن الوليد وشاعرين مجهولين، وغنّين نتفة شعريّة لكل من ابن الدُمينة وأبي دَهْبَل الجُمَحِي والصُّمّة القشيري وعمر بن أحمد الباهي، وتركَّزت معظم المقطوعات المشرقية الشعرية التي غنَّتها الجواري أيام الحكم بن هشام وابنه المغيرة وعبد الرّحمن المستظهر أي في عصر حُكم بني أمية، إلا إني وجدت مقطوعات أخرى أيام ملوك الطَّوائف.

وكان شعر ابن الرّوميّ وقصائده إحدى النماذج المشرقية التي مكّنتها الجواري في الأندلس، وأقبلن على شعره أكثر من شعر غيره من الشُّعراء المشارقة، فغنَّت شعره كل من **مُهْجَة** و**بَهجَة** و**عَزيز** وهنَّ من جواري الحكم بن هشام، وكان مجموع شعره الذي غنينه خمسة عشر بيتاً شعرياً، ومنه ما غنت **عَزيز**: [1] [المجتث]

تَأَمُّـلُ العَيْـبِ عَيْـبُ ... ولَيسَ فـي الحَـقِّ رَيْـبُ
فكُـلُّ خَيْـرٍ وشـرٍّ ... دُونَ العواقِـبِ غَيْـبُ
وإنَّمـا كُـلُّ شـيءٍ ... شـبيْبَةٌ ثُـمَّ شَـيْبُ
لا تَحْقِـرَنَّ شُـبَيْباً ... كَـمْ جَـرَّ نَفْعـاً شـبَيْبُ

وكانت **رَدَاح** جارية عبد الرّحمن المستظهر الجارية الوحيدة التي تخيَّرت شعراً لشاعر جاهلي هو قيس بن الخطيم، فمكَّنت لمقطوعة جاهلية في أرض الأندلس، قالت: [2] [الطَّويل]

أَتَعْـرِفُ رَسْـماً كـاطِّرادِ المَـذاهِبِ ... لَعَمْـرَةَ وَحْـشاً غيـرَ موقـوفَ راكِـبِ
ديـارَ التـي كـادَتْ ونَحـنُ علـى مِنـىً ... تَحُـلُّ بنـا لـولا نَجـاءُ[3] الركائِـبِ
تَبَـدّى لَنَـا كالـشَّمْسِ تَحـتَ غَمامَـةٍ ... بَـدا حاجِـبٌ منْهـا وضَـنَّتْ بِحاجِـبِ
ولَـمْ أرَهـا إلاّ ثلاثـاً علـى مِنـىً ... وعَهْـدي بِهَـا عَـذْراء ذاتَ ذوائِـبِ

---

[1] – ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار، 184/10، رقم المخطوط 3423، ميكروفيلم الجامعة الأردنية، الدّيوان، 135/1-136.

[2] – ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار، 198/10، رقم المخطوط 3423، ميكروفيلم الجامعة الأردنية، الدّيوان، 76-80.

[3] – النَّجاء: السرعة في السير. ابن منظور، لسان العرب، مادة (نجا) 305/15.

دور الجواري في اختيار أصوات الشِّعر

قد يتوقَّع المرء أن دور الجواري في اختيار أصوات الغناء ضئيل للغاية، فما هنَّ إلا مملوكات يفعلن ما يؤمرن، ويُغنين ما يُطلب منهنَّ، ربما كانت هذه هي الحال في أماكن أخرى غير الأندلس، أو أنها حال غير الأندلسيين وغير الجواري الأندلسيات، فمهاراتهنَّ ومخزونهنَّ الشِّعري وشخصياتهنَّ وفَّرت لهنَّ مكانة عالية عند أسيادهنَّ وصرن موضع ثقتهم، فأوكلوا إليهنَّ مهمة اختيار الأصوات، واعتمدوا على أذواقهنّ وسرعة بديهتهنَّ في اختيار مقطوعات الغناء، إلا أن ثقة الأندلسيين بأذواق جواريهم لم تمنعهم أن يطلبوا منهن أن يُغنين مقطوعات شعرية يرغبون في سماعها.

واقترح كلٌ من الحكم بن هشام والمُعْتَمد وابن باجة على الجواري خمس مقطوعات ونتفة وموشحين، أمَّا الجواري فاخترن وغنّين اثنتي عشرة نتفة ومقطوعة وقصيدة واحدة وموشحاً، كما أنهنَّ غنين من نظمهنَّ بيتين مفردين وأربع نتف ومقطوعتين شعريتين، وهناك مقطوعات شعرية أظنَّها من اقتراح الجواري ولكن لا يمكنني القطع بأنها من اقتراحهنَّ؛ فابن فضل الله العمري ذكر لسبع جوارٍ تسع عشرة نتفة ومقطوعة عَنوَن كلاً منها بقوله " من أصواتها "[1]، ولم تكن كلُّ الأصوات الشعرية التي غنَّتها الجواري من اقتراح سادتهنَّ أو اقتراحهنَّ؛ فهناك مقطوعتان لم يُذكر من غنتهما أو من اقترحهما، وكان هناك إشارة إلى أن هاتين المقطوعتين يُغنى بهما في الأندلس والمقطوعتان للمُعْتَمد[2] وابن الحدّاد[3].

وكان الحكم بن هشام أكثر السَّادة الذين اقترحوا الشِّعر، فاقترح أربع مقطوعات لكل من جرير وذي الرُّمَّة والفرزدق وأبي تمَّام وكانت **مُهْجَة** هي الجارية التي تأخذ اقتراحاته لأنه

---

[1] – انظر ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار، 10/194-202، رقم المخطوط 3423، ميكروفيلم الجامعة الأردنية.

[2] – انظر الديوان، 20.

[3] – انظر المقَّري، النّفح، 5/50.

يقترح الصوت عليها شخصيّاً، وأحياناً لأنها أسرع الجواري في صياغة الصوت الذي يطلبه؛ فبعد أن فارقت الحكم إحدى جواريه أنشد قول ذي الرُّمَّة: [1] [الطَّويل]

أفـــي الـــدَّارِ تَبْكِـــي أنْ تَحَمَّـــلَ أهْلُهـــا   وأنْـــتَ امْـــرؤٌ قَـــدْ حَكَّمَتْـــكَ العَـــشائرُ

وقال إن من تسبق الأخريات إلى عمل لحنٍ في هذا البيت وما يُضم إليه فلها ما تطلبه وتشتهيه، فبادرته **مُهْجَة** وقالت: [2] [الطَّويل]

أفـــي الـــدَّارِ تَبْكِـــي أنْ تَحَمَّـــلَ أهْلُهـــا   وأنْـــتَ امْـــرؤٌ قَـــدْ حَكَّمَتْـــكَ العَـــشائرُ
فَـــلا ضَـــيْرَ أنْ تَـــستَعْبِرَ العَـــيْنُ إنَّنِـــي   علـــى ذاكَ إلا جَوْلَـــةَ الـــدَّمعِ صَـــابرُ
وأنْ لا يَنِـــي يـــا مَـــيُّ مِـــنْ دونِ صُـــحبَتي   لكِ الدَّهرُ مِـــن أُحدوثَـــةِ الـــنَّفسِ ذاكِـــرُ
وأنْ لا يَنـــالَ الرَّكـــبُ تَهْـــويْمَ وَقْعَـــةٍ   مِـــنَ اللّيـــلِ إلاّ اعتـــادَني مِنْـــكِ زائـــرُ

أما المُعتَمد فبعد أن ودّع بعض حظاياه وأرسلهنَّ إلى بلد آخر، نظم شعراً ثم أرسله إلى **سُعدى** وأمرها أن تغني فيه صوتاً فغنّته: [3] [الكامل]

ســـــايرتُهم والليـــــلُ غُفْـــــلٌ ثوبُـــــه   حتـــى تَبَـــدَّى للنَّـــواظر مُكْلَمـــا
فوقفـــــت ثَـــــمَّ مودعـــــاً وتـــــسلَّمت   منّـــي يـــدُ الإصـــباحِ تلـــكَ الأنجُمـــا

وتخيّرت الجواري بعض المقطوعات الشعرية في مجالس الأُنس وغنّتهـا، ويبـدو أن بعض هذه المجالس ضمّ مغنيات عدّة وضيوفاً كُثر، فقد ذكر ابن حـزم قـصة جاريـة مغنّيـة

---

[1] – ابن فضل الله العمري، مسالك الأبـصار، 188/10، رقـم المخطـوط 3423، ميكـروفيلم الجامعة الأردنية، الدّيوان، 1012/2–1015.

[2] – ابن فضل الله العمري، مسالك الأبـصار، 188/10–189، رقم المخطوط 3423، ميكروفيلم الجامعة الأردنية، الدّيوان، 1012/2–1015.

[3] – ابن فضل الله العمري، مسالك الأبـصار، 200/10، رقـم المخطـوط 3423، ميكـروفيلم الجامعة الأردنية، الدّيوان، 26.

انتظرت دورها بعد العديد من الجواري المغنّيات في مجلس يجمع أكابر القوم، واختارت بنفسها شعراً يفضح محبوبها فضيحة مستورة، فغنّت له مقطوعة لشاعر قديم وقالت: [1] [الوافر]

غـــزالٌ قـــدْ حَكَـــى بَـــدْرَ التَّمَـــام ... كَـــشَمْسٍ قـــدْ تَجَلَّـــتْ مِـــنْ غَمَـــامِ
سَـــبَى قَلْبِـــي بألحَـــاظٍ مِـــراضٍ ... وقَـــدٍّ الغُـــصْنِ فـــي حُـــسْنِ القَـــوامِ
خَـــضَعْتُ خُـــضُوعَ صَـــبٍّ مُـــسْتَكِينٍ ... لَـــهُ وذَلَّلْـــتُ ذِلَّـــةَ مُـــستَهامِ
فَـــصِلْنِي يـــا فَـــدَيْتُكَ فـــي حَـــلالٍ ... فَمـــا أهْـــوَى وِصَـــالاً فـــي حَـــرَامِ

ومن الجدير بالذّكر أن مجالس الغناء لم تجمع بين الرجال والجواري فحسب، وضـمّت بعض المجالس جواري ونساء أندلسيات حرائر؛ فقد ذكر ابن حزم مجلساً اجتمعت فيـه بعـض قريباته وطلبن من جارية أن تطربهنّ بغنائها فاختارت مقطوعة للعباس بن الأحنـف وغنّتهـا ومنها : [2] [البسيط]

إنِّـــي طَرِبْـــتُ إلـــى شَـــمْسٍ إذا غَرَبَـــتْ ... كانَـــتْ مَغارِبُهـــا جَـــوْفَ المَقاصِـــيْرِ [3]
شَـــمسٌ مُمَثَّلَـــةٌ فـــي خلْـــقِ جاريَـــة ... كـــأنَّ أعطافَهـــا طَـــيُّ الطَّـــوامِيرِ

وجاءت معظم اقتراحات الجواري للأصوات الشعرية خارج مجالس الغناء، واخترن أصواتهنَّ وغنينها إما للتعبير عن مشاعرهنّ أو للتخفيف عن سادتهنَّ، ومن الأصوات التي اختارتها الجواري للتعبير عن مشاعرهن شعر لعمر بن أحمد الباهي غنَّته **رَدَاح** عندما خرجت لوداع عبد الرّحمن المستظهر فقالت وهي تبكي : [4] [الطَّويل]

إذا مـــا كَتَمْنـــا الحُـــبَّ نَمَّـــتْ عُيُونُنـــا ... عَلَيْنـــا وأبْدَتْـــهُ العُيُـــونُ الـــسَّواكِبُ

---

[1] – رسائله، 135/1.

[2] – رسائله، 249/1 –251.

[3] – مقاصير: إذا كانت دار واسعة محصَّنة الحيطان فكل ناحية منها علـى حيالهـا مقـصُورة وجمعها مَقاصِر ومَقاصير. ابن منظور، لسان العرب، مادة (قصر) 100/5.

[4] – ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار، 198/10، رقـم المخطـوط 3423، ميكـروفيلم الجامعة الأردنية.

وإنْ نَحـــــنُ أخْفَيْنَـــــا ضَـــــمايرَ حُبِّنَـــــا أشَـــارَتْ بِتَـــسْليمٍ عَلَيْنـــا الحَواجِـــبُ

وغنت **رَدَاح** صوتاً لتوبة بن الحمير كي تخفِّف عن سيدها عبد الرّحمن المستظهر بعد أن حُجِبت عنه جارية أحبها وهي في مُلك امرأة حرة، فقالت: [1] [الطَّويل]

تَمَـــسَّكْ بحُـــــبِّ الأخْيَلِيَّـــــةِ واطَّـــــرِحْ عَـدا النـــاسُ فيهـــا والوشـــاةُ الأدَانيـــا
فــــإنْ يَمْنَعُـــوا ليلـــى وحُـــسْنَ حَـــديثِها فلَــمْ يَمْنَعُــوا مِنِّــي البُكــا والقَوافيـــا
يَلومُـــــكَ فيْهـــــا اللائمُـــــونَ فَـــصَاحةً فليْــــتَ الهَـــوى بــــاللائمينَ مَكانيــــا
لَــوَ انَّ الهَـوى فـــي حُـــبِّ ليلـــى أطـــاعَني أطَعــتُ ولكــنَّ الهَــوى قَــدْ عَــصانِيا

كما شعرت **بَهجَة** بمُصاب سيدها الحكم عندما اشتاق لإحدى جواريه بعـد أن خرجـت للتنزّه، فاختارت له صوتاً من شعر البحتري وغنّت: [2] [الطَّويل]

أأَحْبابَنَـــــا قـــــدْ أنْجَـــزَ البَـــيْنُ وَعْـــدَهُ وَشِـيكاً ولـم يُنْجَـرْ لنَـا مـنكُمُ وَعْـدُ
أأطْـــــــلالَ دارِ العامِرِيَّـــــــةِ بـــــــاللِّوى سَقَتْ رَبْعَـكِ الأنْـواءُ مـا فَعَلَـتْ هِنْـدُ

وغنّت الجارية **عزيز** صوتاً من شعر نُصَيْب بن رباح عندما رأت الحكم حزيناً لإعراض إحدى جواريه عنه فقالت: [3] [الطَّويل]

بزَينَـــبَ ألْمِــمْ قَبْــلَ أنْ يَرْحَــلَ الرَّكْــبُ وقُــلْ إن تَمَلِّيْنــا فَمَــا مَلَّــكَ القلْــبُ

---

[1] – ابن فضل الله العمري، مسالك الأبـصار، 198/10، رقـم المخطـوط 3423، ميكـروفيلم الجامعة الأردنية.

[2] – ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار، 187/10، رقـم المخطـوط 3423، ميكـروفيلم الجامعة الأردنية، الدّيوان، 740/2-741.

[3] – ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار، 186/10، رقم المخطـوط 3423، ميكـروفيلم الجامعة الأردنية، الدّيوان، 60.

وقُـــلْ إنْ أَنَـــلْ بالحُـــبِّ منْهـــا مـــودَّةً
فما فوْقَ ما لاقيـتُ مـنْ حُـبِّكمْ حُـبُّ
وقُـــلْ فـــي تَجَنّيْهـــا لَـــكَ الـــذَّنْبُ إنّمـــا
عتابُـكَ إنْ عاتَبْـتَ فيمـا لَـهُ عَتـبُ
فمَـــنْ شَـــاءَ رَامَ الوَصْـــلَ أو قـــالَ ظَالِمـــاً
لـذِي وُدِّهِ ذنـبٌ ولـيسَ لَـهُ ذَنْـبُ

ولم ينتهِ دور الجواري عند اختيار المقطوعات الشعريّة فقامت بعضهنّ بتأليف الألحان للمقطوعات الشعريّة، وابن فضل الله العمري هو المؤرخ الوحيد _ بالاعتماد علـى المـصادر المتوفرة بين يدي_ الذي أشار إلى أن بعض الجواري وضعنَ ألحاناً للمقطوعات الشعريّة التـي غنينَها، فقال إنّ جواري الحَكم صنعنَ ألحاناً عدّة للفوز بمسابقة عقدها الحكـم، وفـازت فيهـا الجارية **بَهجَة** التي صنعت لحناً في شعر لعُروَة بن حزام[1]، كما صنعت **مُهْجَة** لحناً للحكم فـي شعر أبي تمام[2].

كما استخدم ابن فضل الله العمري كلمة صوت للدلالة على اللحن، فقال في **رَدَاح** جارية عبد الرّحمن المستظهر عندما صاغت لحناً في شعر لتوبة بن الحمير أنهـا: " صـنعت صـوتاً وجوّدته ثم دخلت عليه وهي تُغني به" [3]، وقال عنها في موضع آخر " ثم اندفعت فـي صـوت صنعته تُغنِّي" [4]، كما قال إن **مُهْجَة** صنعت صوتاً في شعر أبي تمَّام[5]، أي أنّ مجموع ما قامـت الجواري بتلحينه هو أربع مقطوعات ونتفة قامت كلٌّ من **بَهجَة** و**مُهْجَـة** و**رَدَاح** بتلحينهـا، ولا أظن أن هذه المقطوعات والنتفة هي كلّ ما لحنته الجواري ولكن هذا هو كلُّ ماتوفر لـي فـي المصادر التي تمكنت من الحصول عليها.

---

[1] – انظر ابن فضل الله العمري، مسالك الأبـصار، 187/10، رقم المخطوط 3423، ميكروفيلم الجامعة الأردنية.

[2] – انظر ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار، 189/10، رقم المخطوط 3423، ميكـروفيلم الجامعة الأردنية.

[3] – انظر ابن فضل الله العمري، مسالك الأبـصار، 198/10، رقم المخطوط 3423، ميكروفيلم الجامعة الأردنية.

[4] – انظر ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار، 198/10، رقم المخطوط 3423، ميكـروفيلم الجامعة الأردنية.

[5] – انظر ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار، 187/10، رقم المخطوط 3423، ميكـروفيلم الجامعة الأردنية.

موضوعات شعر الغناء

1- الغـــزل

لم تَقنَع الجواري في الأندلس بأن يتغنّى بهنَّ الشُّعراء ويتغزلوا بهـنّ وينظمـوا فـيهنّ المقطوعات القصيرة والقصائد الطَّويلة، فتخطين كلَّ ما سبق ووظفـن شـاعريتهنّ وعلمهـنّ بالشعر كي يُغنين شِعر الغزل ويَصُغن فيه الألحان.

وعلى الرغم من أن أحمد أمين يرى أن الأندلـسيين اسـتعانوا علـى الغـزل بالغنـاء والموسيقا[1]، إلا إنني أرى أنّ الجواري استعنّ بكلٍّ من الغزل والغناء على الآخر؛ فشعر الغـزل ومشاعر الحب ينتشران بطريقة أسرع وأسهل عن طريق الغناء، كما أن الغناء يلقى رواجاً بين الناس إذا ما كان عن الحب والغزل، ولما كان كلٌّ من الغناء وشعر الغزل والحب فناً تميل إليـه النفوس فقد تحققت في اجتماعهما لذّة كبيرة تاقت إليها نفوس الأندلـسيين، وقـد حققـت لهـم الجواري هذه اللذّة بمهارتهنّ وأدبهنّ؛ فوظفن أصواتهنّ وعلمهنّ بالموسيقا مع معرفتهنّ بالشعر.

وغنّت الجواري شعراً غزليّاً تقليدياً توجّهن في معظمه إلى مقدمات القصائد المـشرقيّة التي تناولت الأطلال والوقوف على الديار، وقدّمن هذه الأشعار البدوية القديمة ببراعة وتناسـق مع البيئة الأندلسيّة المُترفة، فوجدن لكلٍّ موقف يَعِشنه ما يوافقه من الغزل التقليدي، وبهـذا فقـد مكَّنَّ للشعر العربي ونشرنه في الأندلس من جهة، وأبدعن في التعبير عـن مجريـات حيـاتهنّ اليومية من جهة أخرى، كما أنهنّ أرضين أذواق سادتهنّ المفتونين بالشِّعر القديم والمتمسكين به وبأصولهم المشرقيّة.

كما غنينَ أبياتاً شعرية في الغزل العُذري وحرّكن مشاعر سـادتهنّ وتملكـنَ قلـوبهم ليستأثرن بهم ويحققن مطالبهنّ، ولم يكن غناء شعر الغزل العُذري حاجةً عند الجواري فحسب، فقد شجع بعض الأندلسيين أمثال الأمير عبد الرّحمن بن الحكم والمُعتَمد بن عبّاد جواريهم علـى

---

[1] – انظر ظهر الإسلام، 33/2.

غناء شعر الغزل العُذري وعقدوا المسابقات الشعرية بينهن أو اقترحوا عليهنّ غـزلاً عُـذرياً، وبهذا حاز السادة على المتعة ومكّنوا الثقافة العربيَّة في الأندلس.

ويبدو أن وجود الجواري اللواتي غنَّينَ الشِّعر لم يقتصر على قصور الأمـراء، وإنَّما تعدّاه إلى بيوت الخاصة والعامة، وما انتشار شعر الغناء في الأنـدلس إلا دليـل علـى حـب الأندلسيين للشعر والغناء والجواري المغنيات، فقد غنَّت إحدى عشرة جارية في كُلٍ من عـصر الإمارة وعصر ملوك الطَّوائف مائة وستة أبيات في الغزل مابين مقطوعة ونتفة شعرية، وكـان بينهنّ خمس جوارٍ للأمير عبد الرّحمن بن الحكم وابنه المغيرة، وقد غنـت الجـواري الخمـس تسعة وستين بيتاً شعرياً، كما ذُكرت جميع أسماء جواري الحكم وابنـه، ويتـضح أن صـاحب مسالك الأبصار ركّز على شعر الغناء في عصر الإمارة وأعطى تفاصيل عن الجـواري فيـه وعن أسمائهن؛ فوصف شكل بعض الجواري ومحاسنهنَّ، وتحدَّث عن صفات وعلـوم جـوار أخريات، وأورد قصصاً عن أحوالهن مع سادتهن، وبعض الأشعار التي غنينها أوعملـن فيهـا أصواتاً، ولكنه لم يُعط الاهتمام نفسه لعصر ملوك الطَّوائف.

وكان للغزل التقليدي النصيب الأكبر من الشعر الذي غنته الجواري في الأندلس، ويبدو أنهنّ ملنَ إلى اختيار أشعار حول أطلال المحبوبة وبكاء ديارها، وكان معظم الغزل العُذري من المقدمات الطلليّة لقصائد طويلة، ومنها الشعر الذي غنته **فاتن** وهو من شعر الحطيئة تقول: [1] [الطَّويل]

أَمِـنْ رَسْـمِ كَلْـدٍ[2] مَرْبَـعٌ ومَـصِيْفُ بعَيْنَيْـكَ مِـنْ مَـاءِ الـشُّؤونِ وَكِيـفُ[3]
تَـذَكَّرتُ فيهـا الجَهْـلَ حتـى تَبـادَرَتْ دُمـوعِي وأصـحابِي عَلـيَّ وُقُـوفُ
يقولونَ هَـلْ تَبْكـي مِـنَ الـشَّوْقِ حـازِمٌ وإنْ بـانَ حُـبٌّ بـالنّوى وأليـفُ

[1] – ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار، 191/10، رقـم المخطـوط 3423، ميكـروفيلم الجامعة الأردنية، الدّيوان، 166-168.

[2] – الكَلَد والكَلَنْدى: المكانُ الصُّلب من غير حصىً. ابن منظور، لسان العـرب، مـادة (كلـد) 380/3.

[3] – وكِيفُ: وكَفَ الدمعُ والماءُ وكْفاً ووكِيْفاً ووُكُوفاً ووكَفاناً: سال، ووكَفَت العينُ الـدمعَ وكْفـاً ووكِيفاً: أسالته. ابن منظور، لسان العرب، مادة (وكف) 362/9.

فَلأيـــاً أزاحَـــتْ عِلَّتِـــي ذاتُ مَنْـــسِمٍ   نَكيـــبٍ تَغـــالَى فـــي الزِّمـــامِ خَنُـــوفُ[1]

ولم يكن اختيارهنَّ شعر الغزل التقليديّ مفصولاً عن واقعهنّ؛ أي أن بعـضهنّ ربطـنَ بين الغزل التقليدي ومُجريات الحياة اليومية وأحداثها؛ **فبَهجَة** عندما رأت سيدها الأميـر عبـد الرّحمن مهموماً حزيناً لفراق إحدى جواريه التي خرجت لتتنزه غنّت لـه قـول البحتـري: [2] [الطَّويل]

أَأَحْبابَنَـــا قـــدْ أنْجَـــزَ البَـــيْنُ وَعْـــدَهُ   وَشِـيكاً ولـم يُنْجَـزْ لنَـا مـنكُمُ وَعْـدُ
أأطْـــــلالَ دارِ العامريَّـــــةِ بـــــاللَّوى   سقَتْ رَبْعَـكِ الأنْـواءُ مـا فَعَلَـتْ هِنْـدُ
بِنَفْـــسيَ مَـــنْ عَـــذَّبْتُ نفـــسي مَحَبّـــةً   وإنْ لـمْ يَكُـنْ منـهُ وِصـالٌ ولا وُدُّ
حبيبٌ مِنَ الأحبـابِ شَـطَّتْ بـهِ النَّـوَى   وأيُّ حَبيْـبٍ مـا أتَـى دُونَـهُ البُعْـدُ

وعلى الرغم من أن الشعر الذي اختارته **بَهجَة** كان عـن الأطـلال وسـقايتها، إلا أن الأبيات المُنتقاة _ من قصيدة طويلة_ كانت ملائمة للحالة التي عاشها سيدُها، كما أنهـا تتحـدّث عن فراق المحبوبة وهو ما يعانيه عبد الرّحمن بن الحكم.

وربَّما توجّهت الجواري إلى غناء الغزل التقليدي لأنهنّ توقعنَ أن سادتهنّ يميلون إلـى هذا النوع من الشعر، خصوصاً أن الجواري اللاتي غنينَ شعر الغزل التقليدي _ الذي وجدتـه_ كُنّ للأمير عبد الرّحمن بن الحكم وابنه المغيرة، وقد كان كلٌّ منهما من مُحبي الثقافة المـشرقيّة[3]

---

[1] – خَنُوف: الناقة التي إذا سارت قلبت خُفَّ يدها إلى وحْشيِّه من خارج. ابن منظـور، لـسان العرب، مادة (خنف) 97/9.

[2] – ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار، 187/10، رقـم المخطـوط 3423، ميكـروفيلم الجامعة الأردنية، الدّيوان، 740/2-741.

[3] – انظر ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار، 194/10، رقم المخطوط 3423، ميكـروفيلم الجامعة الأردنية.

التي يمتدُّ إليها أصلهما الأمويّ، ومما يؤكد ميل هؤلاء السادة الأمويين إلى الغزل التقليدي هو أنه لما ابتُلِي الأمير عبد الرّحمن بفراق إحدى محظياته طفق يُكرّر قول ذي الرُّمَّة: [1] [الطَّويل]

أفي الـدَّارِ تَبْكِـي أنْ تَحَمَّـلَ أهْلُهـا وأنْـتَ امْـرؤٌ قـدْ حكَّمَتْـكَ العَـشائرُ

ثمَّ قال لجواريه: " أيتكُنّ سبقَت إلى عمل لحنٍ في هذا البيت وما يُضم إليه فلها حكمُها " فسبقت **مُهْجَة** الجواري الأخريات وصنعت لحناً، وغنت قائلة: [2] [الطَّويل]

أفي الـدَّارِ تَبْكِـي أنْ تَحَمَّـلَ أهْلُهـا وأنْـتَ امْـرؤٌ قـدْ حكَّمَتْـكَ العَـشائرُ[3]
فَلا ضَـيْرَ أنْ تَـستَعْبِرَ العَـيْنُ إنَّنـي علـى ذاكَ إلا جَوْلَـةَ الـدَّمعِ صَـابرُ
وأنْ لا يَنِي يا مَيُّ مِـنْ دونِ صُـحبَتي لكِ الدَّهرُ مـن أُحدوثَـةِ الـنَّفسِ ذاكِـرُ
وأنْ لا يَنـالَ الرَّكْـبُ تَهـويْمَ[4] وَقْعَـةٍ مِـنَ اللَّيـلِ إلاّ اعتـادَني مِنْـكِ زائـرُ

وكان الغزل العُذري من الأبواب التي طرقتها الجواري كي يجذبن المستمعين الأندلسيين إليهنّ ويسكرنهم بألحانهنّ أو يؤثرن عليهم ويحققن مرادهنّ، وهذا ما فعلته **رَدَاح** مع الأمير عبد الرّحمن بن الحكم؛ ذلك أنه لما عقد العزم على الخروج للنزهة خرجت **رَدَاح** مع بقية الجواري لوداعه، فوقفت وِقفة المتعني وبكت وغنت صوتاً من شعر شاعر مجهول، تقول: [5] [الطَّويل]

إذا مـا كَتَمْنـا الحُـبَّ نَمَّـتْ عُيُونُنـا عَليْنـا وأبْدَتْـهُ العُيُـونُ الـسَّواكِبُ
وإنْ نَحـنُ أخْفَيْنـا ضَـمايرَ حُبِّنَـا أشَـارَتْ بِتَـسْليمٍ عَليْنـا الحَواجِـبُ

---

[1] – ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار، 188/10، رقم المخطوط 3423، ميكروفيلم الجامعة الأردنية، الدّيوان، 1012/2-1015.

[2] – ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار، 188/10، رقم المخطوط 3423، ميكروفيلم الجامعة الأردنية، الدّيوان، 1012/2-1015.

[3] – الدّيوان، 1012/2.

أفـي الـدَّارِ تَبْكِـي أنْ تَفَـرَّقَ أهْلُهـا وأنْـتَ امْـرؤٌ قـدْ حَلَّمَتْـكَ العَـشائرُ

[4] – التَّهويم: النوم الخفيف. ابن منظور، لسان العرب، مادة (هوم) 624/12.

[5] – ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار، 198/10، رقم المخطوط 3423، ميكروفيلم الجامعة الأردنية.

فلما سمعها الأمير عبد الرّحمن بكى لبكائها وضمّها، وسأل بقية جواريه إن كان بينهنّ من تستطيع أن تفعل ما فعلت **رَدَاح** فلم تستطع أيٌّ منهن، وعندها أمر **رَدَاح** أن تأتي معه فسألته أن تأتي معها بقية الجواري فوافق الأمير على طلبها [1].

ولم يكن غناء الجواري الشعرَ العُذري لتلبية حاجة في نفوسهن؛ فقد طلب بعض السادة من جواريه أن يُغنين شعراً عُذرياً ومن بينهم الأمير عبد الرّحمن بن الحكم الذي دخل يوماً على جواريه وقال لهن: إنه سيكافئ أفضلَ من تصنع لحناً في شعر من أشعار عشاق العرب، فصنعت كلٌّ منهن لحناً في شعر تخيّرته، إلاّ أنه فضّل ما غنته جاريته **بَهجَة** وكان شعراً لعُروَة ابن حزام العذري تقول: [2] [الطَّويل]

وإنِّي لَتَعروُني لِذِكراك هَزَّةٌ ... لها بَيْنَ جِلدي والعِظام دَبيْبُ
وما هُوَ إلاّ أنْ أرَاها فُجاءَةً ... فأُبْهَتُ حتَّى ما أكادُ أُجيبُ
وأطرُفُ عن رأيي الذي كنتُ أرْتَأي ... وأنسى الذي أعدَدْتُ حينَ تَغيبُ
ويُظهِرُ قلبي عُذرَها ويُعينُها ... عليَّ فما لي في الفؤاد نصيبُ
وَقدْ عَلمَتْ نَفْسي مَكانَ شِفائها ... قَريباً وهَلْ ما لايُنالُ قَريْبُ
لئن كانَ بردُ الماء أبيَضَ صافِياً ... إلَيَّ حبيباً إنَّها لَحَبيْبُ

ويظهر لي من الرواية السابقة أن الأمير عبد الرّحمن بن الحكم تَعَمّد خلق منافسة شعريّة موسيقيّة غنائيّة بين جواريه؛ فقد كان على كلٍ منهنّ أن تُفتِّش في مخزونها الشعري عن شعرٍ متميّز لشاعرٍ متميّز، وتُلحنه بلحن مناسب، ثم تقوم بغناء الشعر المُختار حسب اللحن المصنوع، وهكذا يفوز الأمير عبد الرّحمن بلذّة معنوية، وينشر الثقافة العربيَّة في قصره، ويُخلِّد شعر الغزل العربي القديم وشعراءه، ويفتح الباب على مصراعية أمام إبداع جواريه.

---

[1] – انظر ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار، 198/10، رقم المخطوط 3423، ميكروفيلم الجامعة الأردنية.

[2] – ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار، 187/10، رقم المخطوط 3423، ميكروفيلم الجامعة الأردنية، الأصبهاني، الأغاني، 310/23.

أمّا المُعتَمد بن عباد ففضّل تأريخ حادثة له مع إحدى جواريه، كما أنه خلّد جزءاً من مخزونه الشعريّ، وعكس حبّه للشعر الغزلي المشرقي الممزوج بالغناء؛ فبعد أن رأى إحدى جواريه مُصفرةً من الحُمّى اقترح على جاريته **سُعدى** أن تصنع لحناً في قول العباس بن الأحنف: [1] [السَّريع]

إنَّ التي هَامَتْ بِهَا النَّفْسُ عاوَدَها مِنْ سُقْمِها نُكْسُ
كانَتْ إذا ما جاءَها المُبْتَلَى أبْرَأَهُ مِنْ كَفِّها اللَّمْسُ
وا بِأبِي الوجْهَ المَلِيحَ الذي قَدْ عَشِقَتْهُ الجِنُّ والإنْسُ
إنْ تَكُنِ الحُمَّى أَضَرَّتْ بِهِ فربَّما تَنْكَسِفُ الشَّمسُ

ولم أجد في الشعر الذي _ توفّر لي _ وغنَّته الجواري ألفاظاً بذيئة أو فاحشة، لكنّ هذا لا يُدلل على أن شعر الغناء في الأندلس كان شعراً نقياً طاهراً، ولا يثبت أن جميع الجواري تخيّرن شعراً ملائماً لمجتمعهنّ.

وعلى الرغم من أن الأمثلة السابقة كانت عن جوارٍ غنينَ شعراً في قصور حكام الأندلس، إلاّ أن غناء الشِّعر لم يبق رهين قصور الحكام، فامتد إلى قصور الخاصّة وبيوت العامة؛ فقد ذكر ابن حزم أن جارية وفتىً كانا يتحابان فلما طلبها في ما لا يحلُّ فضحته فضيحةً مستورة لم يفهمها غيرهما، وكان ذلك أثناء جلوسهما في مجلس لبعض أكابر الملوك وأركان الدولة وأجَلِّ رجال الخلافة، وكانت فضيحتها إياه بأبيات قديمة مجهولة القائل، فغنتها قائلة: [2] [الوافر]

غزالٌ قدْ حكَى بَدْرَ التَّمَامِ كَشَمْسٍ قدْ تَجَلَّتْ مِنْ غَمَامِ
سَبَى قَلْبِي بألحَاظٍ مِرَاضٍ وقَدٍّ الغُصْنِ في حُسْنِ القَوامِ
خَضَعْتُ خُضُوعَ صَبٍّ مُستَكينٍ لَهُ وذَلّتُ ذِلَّةَ مُستَهامِ
فَصِلْنِي يا فَدَيْتُكَ في حَلالٍ فَما أهْوَى وِصَالاً في حَرَامِ

---

[1] – ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار، 200/10، رقم المخطوط 3423، ميكروفيلم الجامعة الأردنية، الدّيوان، 160-161.

[2] – رسائله، 135/1.

ونالت بعض بيوت العامّة نصيبَها من شعر الغناء الذي لاقى رواجاً في الأندلس؛ فقد ذُكر إنه إذا ما جنَّ الليل بمَالَقَة سُمعت أصوات أوتار العيدان والطنابير والمعازف من كل ناحية[1]، ولا بدَّ أن الجواري كان لهنّ نصيب من هذا العزف المرفُق بغناء لأشعار متعددة الموضوعات، وإن كان هذا حال مَالَقَة فما بالك بحال إِشْبِيلْيَة عاصمة الغناء والموسيقا في الأندلس؟ [2].

وواضحٌ جليٌ أن شعر الغزل الذي غنته الجواري كان لشعراء مشارقة، ولكن هناك جارية غنّت شعراً غزلياً لم يُشر أيٌ من الرواة الذين ذكروه إلى صاحبه، لذا هناك إمكانية في أن يكون صاحب الشِّعر المُغنى شاعراً أندلسياً، وقد سمع القاضي محمد بن أبي عيسى[3] هذه الجارية التي غنّت فقالت: [4] [الكامل]

طابَتْ بِطيبِ لِثاتِكَ الأقداحُ	وَزَهَتْ بحمرةِ خَدِكَ التّفّاحُ
وإذا الرَّبيعُ تَنَسَّمَتْ أرواحُهُ	طابَتْ بطيبِ نسيمِكَ الأرواحُ
وإذا الحَنَادِسُ[5] أُلْبِسَتْ ظَلْماءَها	فضياءُ وجهِكَ في الدُّجى المِصباحُ

---

[1] – انظر إحسان عباس، أخبار الغناء والمغنين في الأندلس، مجلة الأبحاث، 1963، 18، نقلاً عن التجيبي، شرح المختار من شعر بشار، 15-16.

[2] – انظر المقَّري، النّفح، 154/1.

[3] – هو أبو عبد الله محمد بن أبي عيسى من بني يحيى بن يحيى الليثي، كان فقيهاً عالماً أديباً وشاعراً، وُلِّي قضاء الجماعة بقُرْطُبَة بعد عودته من رحلة إلى المشرق، كان قد جمع فيها الأخبار والروايات وحجّ، كان يُكْثِر من الخروج إلى الثغور ليُصلِح ما وَهَى منها، فاعتلَّ في آخر خرجاته، وتوفي في بعض الحصون المجاورة لطُلَيْطُلَة سنة 337هـ. انظر الحميدي، جَذوَةُ المُقتبس، 126/1-127، ابن خاقان، مطمح الأنفس، 261-264، الضَّبي، بُغيَة المُلتَمس، 145، المقَّري، النّفح، 233/2-235.

4- الحميدي، جَذوَةُ المُقتبس، 126/1، ابن خاقان، مطمح الأنفس، 261-262، الضَّبي، بُغيَة المُلتَمس،111، المقَّري، النّفح، 233/2، 106/5-107.

[5] – الحَنَادِس: ليلة حِندِسَة وليلٌ حِنْدِس مظلم، والحَنَادِس ثلاث ليالٍ من الشهر لظُلمتهنَّ ويُقال دَحامِس. ابن منظور، لسان العرب، مادة (حندس) 58/6.

ويبدو أنه أُعجب كثيراً بهذا الشعر حتى إنه كتب الأبيات في ظهر يده، ولم يتحــرّج أن يخــرج بعدها إلى صلاة الجنازة والأبيات مكتوبة في ظهر يده[1].

2- الشكوى

كان الهدف الرئيس من شراء الجواري هو المتعة والتسلية ونشر أجواء المرح والسعادة، فكيف تُغني الجواري شعراً يُثير الحزن ويبعث الشجن في النفوس؟ وكيف استطعن انتقاء الشعر في الشكوى وغناءه وهنّ لم ينظمن أي شعرٍ يشتكين فيه من حالهن؟ حتى إن الأرجوزة اليتيمة التي وصفت معاناة إحدى الجواري وشكواها من حالها وسيّدها لم تكن من نظم الجارية وإنما نظمها سيدها ابن مسعود.

وأظن أن غناء الجواري شعراً في الشكوى ربّما كان لإثارة نوع جديد من مشاعر المستمعين، فلا بدّ أن بينهم من له همٌّ يشكو منه أو حبيبٌ فارقه أو حبٌ يعذّبه ، وربّما غنّت الجواري شعر الشكوى كي يُعبِّرن عن حالهن ّ ومشاعرهنّ؛ أي أنهنّ عبَّرنَ عن أنفسهنّ بشعر غيرهنّ وبطريقة غير مباشرة، ومن الطبيعي أن تذوق إحداهنّ طعم الهجران فتشكو من الفراق، أو أن تُحس بآلام الحب وعذاباته فتشكو منه، أو أن يتركها أحدهم فتتذكر خيبات أملها السابقة وكلّ من تركها من رجال.

وربَّما لاقى هذا الغرض الشعري رواجاً بين أهل الأندلس، فقد حلَّ في المرتبة الثانية بعد الغزل _ حسب المصارد المتوفرة بين يدي _ وغنت فيه الجواري أربعة عشر بيتاً شعرياً، وكان كلّ هذا الشعر في عصر الأمير عبد الرّحمن وابنه المغيرة باستثناء نتفة واحدة للجارية **رَدَاح** في عصر ملوك الطَّوائف.

وكان معظم شعر الشكوى الذي انتقته الجواري كي يغنينه لشعراء يشكون من هجران المحبوبة وبُعدها عنهم، سواءً أكان البُعد خيار المحبوبة أم أنه قضاء الله الذي قدره على

1- انظر الحميدي، جَذوَةُ المُقتبس، 126/1، ابن خاقان، مطمح الأنفس، 262، الضّبّي، بُغيَة المُلتَمس، 111، المقَّري، النّفح، 233/2، 106/5-107.

الشَّاعر، وقد يعود السبب وراء غناء **مُهْجَة** لشعر ابن الدمينة _ وهو يشكو من الهجران _ إلى أنها كانت تعاني من الفراق هي الأخرى أو أنها استذكرت محبوباً فارقها، كيف لا وهي تقابل رجالاً عدّة في مجالس الأُنس وقد تُحبُّ أحدهم فلا تستطيع لقاءه أو وصله، فما هي إلا جارية سليبة الإرادة ولا خيار أمامها غير الصبر، قالت: [1] [الطَّويل]

لقدْ كانَ فِي الهِجْرانِ أجْرٌ لَقَدْ مَضَى ... لِيَ الأجْرُ فِي الهِجْرَانِ مُنْذُ زَمَان
فوالله ما أدْرِي أَكُلُّ ذَوِي الهَوَى ... على ما بنا أم نحن مُبتليان

وغنّت الجواري شعراً شكا فيه ناظموه من آلام الحب وما يرافقه من أرق ودموع وتفكير في المحبوبة مثل غناء **رغد** لصوت في شعر الصّنوبري فقالت: [2] [المنسرح]

لا النَّومُ أدري بِهِ ولا الأرَقُ ... يَدْري بهذينِ مَنْ بِهِ رَمَقُ
إنَّ دموعي منْ طولِ ما استَبَقَتْ ... كَلَّت فما تَستطيعُ تَستَبِقُ
ولي مليكٌ لم تبدُ صورتُهُ ... مُذْ كان إلا صَلَّتْ لها الحدقُ
نويتُ تقبيلَ نارِ وجنتِهِ ... وخِفتُ أدنو منها فأحترِقُ

ويبدو أن **رغد** لم تشكُ من عذابات الحب فحسب، بل إنها أخذت تُعدِّدُ كل من هجرها واستعانت على ألمها هذا بغناء شعر لجرير كان قد عدّد فيه أسماء محبوباته السابقات فقال: [3] [الطَّويل]

---

[1] – ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار، 190/10، رقم المخطوط 3423، ميكروفيلم الجامعة الأردنية.

[2] – ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار، 193/10، رقم المخطوط 3423، ميكروفيلم الجامعة الأردنية، الدّيوان، 369.

[3] – ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار، 192/10 ، رقم المخطوط 3423، ميكروفيلم الجامعة الأردنية، الدّيوان، 834/2-835.

لقــد هــاجَ هــذا القَلــبُ عَيْنــاً مَرِيــضَةً أجَالتْ قَذَىً ظَلَّــتْ بِــهِ العَــيْنُ تَمْــرَحُ[1]
صَحا القَلبُ عنْ سَــلمى وقَــدْ بَرَّحَــت بِــهِ وما كــانَ يَلقْــى مِــن تُماضِــرَ أبْــرَحُ
إذا ســـايَرَتْ أسْـــماءُ يَومـــاً ظَعائِنـــاً فأسْــماءُ مِــنْ تِلــكَ الظَّعــائِنِ أمْلَــحُ
تقـــولُ سُـــلَيْمَى لَـــيسَ لِلبَـــيْنِ رَاحـــةٌ بَلَـــى إنَّ بَعــضَ البَــيْنِ أشْــفَى وأرْوَحُ

3- الفـــخر

لم تحفظ المصادر المتوفرة الكثير من شعر الفخر الذي غنّته الجواري، وربَّما كان هــذا لعدم إقبال سادتهنّ على الاستماع لهذا الغرض من الشعر أو لأنهن لم يملن إلى شــعر الفخــر، ومن الجَدير بالذِّكر أن المقطوعات الثلاث التي جاءت في الفخر غنتها **مُهْجَة** و**عَزيــز** جاريتــا الأمير عبد الرّحمن بن الحكم المعروف بحبه للثقافة والشعر المشرقي _ كما ذكــرت ســابقاً _، وربَّما عمدتا إلى شعر الفخر كي تُرضيا سيدهما خصوصاً أنه طلب من **مُهْجَة** أن تصوغ صوتاً في شعر لأبي تمَّام يفخر فيه بقومه وهو قوله: [2] [الطَّويل]

أنا ابنُ الّــذينَ استُرْضِــعَ المَجْــدُ فِــيهِمُ وسُـــمِّيَ فِـــيهِمْ وهْـــوَ كَهــلٌ ويـــافِعُ
مَـــضَوْا وكـــأنَّ المَكْرُمـــاتِ لَـــدَيهِمُ لِكَثْـــرَةِ مـــا أوْصَـــوا بِهِـــنَّ شَـــرائِعُ
فأيُّ يَــدٍ فــي المَجْــدِ مُــدَّتْ فَلَــمْ تَكُــنْ لهـــا راحَـــةٌ فـــي مَجْـــدِهِمْ وأصـــابِعُ
هُمُ استَوْدَعُوا المَعْــروفَ مَحْفــوظَ مالِنَــا فضَاعَ ومــا ضَــاعَتْ لَــدَينا الــصَنَايعُ

وربَّما أحسّت **مُهْجَة** بإعجاب سيدها بهذا اللون من الشعر، فعاودت الكَرَّة وغنّــت لــه مقطوعة أخرى من فخر أبي تمَّام بقومه فقالت: [3] [الطَّويل]

---

[1] – تمرح: مَرِحَت العينُ مَرَحاناً اشتدّ سيلانُها. ابن منظور، لسان العرب، مادة (مرح) 592/2.

[2] – ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار، 187/10، رقم المخطوط 3423، ميكروفيلم الجامعة الأردنية، شرح ديوان أبي تمّام، 958-959.

[3] – ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار، 189/10، رقم المخطوط 3423، ميكروفيلم الجامعة الأردنية، شرح ديوان أبي تمّام، 952.

جَرى حاتِمٌ فـــي حَلْبَــةٍ مِنْــهُ لَــوْ جَــرَى بها القَطْــرُ قــالَ النَّــاسُ أيُّهُمــا القَطْــرُ
فتـــىً دَخَـــرَ الـــدُّنيا أُنَـــاسٌ ولَـــمْ يَـــزَلْ لها بــاذِلاً فــانْظُرْ لِمَــنْ بَقِــيَ الــذُّخْرُ
فمَنْ شاءَ فلْيَفْخَــرْ بمــا شَــاءَ مِــنْ نَــدىً فلــيسَ لِحَــيٍّ غيرنـــا ذلــكَ الفَخْــرُ
جَمَعْنَــا العُلَــى بــالجُودِ بَعْــدَ افتراقِهــا إلَيْنــا كَمَــا الأيَّــامُ يَجْمَعُهــا الــشَّهْرُ

أمّا **عَزِيز** فغنّت مقطوعة لمسلم بن الوليد، ولم تَكن الأبيات التـي غنتهـا عـن الفخـر بالأنساب والأمجاد والجود والكرم، بل كانت عن الفخر بالشَّرف والعِرض حيث يقول مسلم بـن الوليد:[1] [الطَّويل]

وإنِّـــي لأسْـــتَحْيِي القُنـــوعَ ومَـــذْهَبِي فَـــسِيْحٌ وَآبَـــى الـــشُّحَ إلاّ عَلَـــى عِـــرْضِ
ومـــا كـــانَ مِثْلِـــي يَعْتَرِيْـــكِ رَجَـــاؤُهُ ولكنْ أسَـــاءَتْ شِـــيْمَةٌ مِـــنْ فَتَـــىً مَحْـــضِ
وإنِّـــي وإشْـــرَافِي عَلَيْـــكِ بِهِمَّتِـــي لكـــالمُبْتَغِي زَبْـــداً مِـــنَ المـــاءِ بـــالمَخْضِ

4- ندب الشباب

لم تَذكُر المصادر الأندلسيّة أو ابن فضل الله العمري تحديداً عُمــر أيٍ مــن الجــواري اللاتي تحدّث عنهن، إلاّ أنها لم تهمل _ غالباً _ وصف شخصياتهنّ وعلمهــنّ وعلاقــتهنّ مــع سادتهنّ، وظهر في الروايات الأندلسيّة مدى جمال الجواري وخفتهنّ، كما بدا واضحاً جلياً أنهن يملكن قلوب سادتهن، ومن الطبيعي أن الصفات السابقة لن تتوفر في جارية مُسنَّة، وأرجِّــح أن معظم الجواري اللواتي جاء ذكرُهن في المصادر الأندلسيّة كُنّ في سن الشباب، ولكــنّ ســنهنّ الصغيرة هذه لم تمنعهنّ من أن يعرفن لوعة التقدّم في السن والعجز أمام الشيب الــذي يجتــاح الرأس، كما أنهن يعرفن أنهن مجرد أدوات للتسلية واللذّة وأن زوال شبابهن يعني انقضاء أيــام

---

[1] – ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار، 189/10، رقم المخطوط 3423، ميكروفيلم الجامعة الأردنية، الدّيوان، 45.

عزّهن ونفوذهن، وربَّما كان هذا هاجس بعضهن ومنهنّ **عَزيز** التي اختارت مقطوعات معبِّـرة عن بكاء الشباب وتمكّنت من صناعة صوت في شعر لابن الرّوميّ فقالت: [1] [الخفيف]

يـــا شَـــبابُ وأيْـــنَ مِنّـــي شَـــبابِي ... آذَنَتْنِـــــي أيَّامُـــــهُ بانقِـــــضَابِ
ومُعَـــزٍّ عَـــنِ الـــشَّبابِ مُـــؤَسٍّ ... بِمَـــشيْبِ اللَّـــذَّاتِ والأَصْـــحابِ
قُلْـــتُ لمَّـــا انْتَحَـــى يَعُـــدُّ أسَـــاهُ ... مِـــنْ مُـــصَابٍ شَـــبابُهُ فمُـــصَابِ
لَـــيسَ تأسُـــو كُلُـــومُ غَيْـــرِي كُلُـــومِي ... ما بِــهِ مــا بِــهِ ومَــا بــي مــا بــي

ومن الجَدير بالذِّكر أن المقطوعتين الشعريتين اللتين غُنيتا في الأندلس _ فيما بين يــدي من مصادر_ كانت من نصيب الجارية **عَزيز** التي اختارت أن تصنع ألحانها في أشــعار ابــن الرّوميّ فحسب، ويبدو أنها كانت تُكثرُ من التفكير في مستقبلها وتخاف من أيامها القادمــة ومــا ستحمله لها، إلاّ أنها كانت تعلم أن التقدّم في السن ما هو إلا نتيجة حتمية، لذا صــاغت صــوتاً آخر في شعر لابن الرّوميّ فقالت: [2] [المجتث]

فكُـــــلٌّ خَيْـــــر وشــــــرٍّ ... دُونَ العواقِـــــــبِ غَيْـــــــبُ
وإنَّمـــــا كُـــــلُّ شـــــيءٍ ... شـــــبِيْبَةٌ ثُـــــمَّ شَـــــيْبُ
لا تَحْقِـــــــرَنَّ شُـــــــبَيْباً ... كـــــمْ جَـــــرَّ نَفْعـــــاً شـــــبَيْبُ

---

[1] – ابن فضل الله العمري، مسالك الأبــصار، 184/10، رقــم المخطــوط 3423، ميكــروفيلم الجامعة الأردنية، الدّيوان، 388/1-389.

[2] – ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار، 184/10،رقم المخطوط 3423، ميكروفيلم الجامعة الأردنية، الدّيوان، 135/1-136.

خصائص شعر الغناء

ظهر في شعر الغناء الذي تخيَّرته الجواري لمجالسهنَّ أنهنَّ اعتمدن على النُتف والمقطوعات الشِّعرية المناسبة للغناء ومجالس اللهو، كما أنهنَّ أولين عناية خاصة للمحسنات البديعية التي أضفت نغماً خاصاً على شعر الغناء الذي أنشدنه، وغناؤهنَّ الشعر لم يمنعهنّ من تخيُّر الأخيلة والصور التي سيُغنينها فجاء في غنائهن صور وأخيلة عدَّة، وأرجِّح أن اهتمامهنَّ انصب على الموسيقا بما حوته من بحورٍ وقوافٍ كي تناسب الغناء والموسيقا المعزوفة.

1- سيطرة النُتف والمقطوعات

غنّت الجواري أشعار شعراء مشارقة نظموا قصائد طويلة على طريقة أجدادهم والتزموا فيها بنظام القصيدة العربيَّة؛ كما أن بعضهم تحرّر من قيود القصيدة العربيَّة فصنع مقطوعات شعرية قصيرة، ويبدو أن الجواري ملن إلى الاتجاه الجديد ورأين في النتف والمقطوعات الشعرية مظهراً حضارياً يناسب الحياة الأندلسيّة المترفة من جهة ويتلاءم مع طبيعة الغناء الذي لا يُحبّذ القصائد الطوال من جهة أخرى.

وغنّت الجواري في الأندلس تسع نُتف وتسعاً وعشرين مقطوعة شعريّة وقصيدة وثلاثة موشحات، وعلى الرغم من أن الجواري لم يغنين قصائد طويلة وغنين نتفاً ومقطوعات قصيرة، إلا أن هذه النتف والمقطوعات ماهي إلا بضعة أبيات من قصائد طِوال أعمل فيها أصحابها عقولهم وبذلوا فيها جهداً كبيراً، وأعتقد أن الجواري قمن بمعادلة صعبة، ألا وهي: اختيار أبيات شعرية متناسقة ومنسجمة مع بعضها من قصائد طويلة، وغناؤها على أنها مقطوعات شعرية تألّف معظمها من أربعة أبيات، وهنّ بهذا لم يهملن القصائد فغنينَ أبياتاً منها كما شجَّعن على نظم المقطوعات وغنائها.

ولم تكتف الجواري باختيار أبيات من القصائد الطوال، فقمن بتغيير ترتيب بعض الأبيات ووضعن بيتاً مكان الآخر، ولكن هذه الظاهرة لم تنتشر عند معظم الجواري، **فرغد وبَهجَة** الجاريتان الوحيدتان اللتان غيّرتا ترتيب أبيات الشعر التي غنينها، وخصّتا شعر

القطامي بالتغيير، فلم تُجريا أي تغيير على شعر شاعر آخر عند غنائهما شعره، فقد غنّت **رغد** شعر القطامي فقالت: [1] [البسيط]

أمـــسَتْ عُلَيّـــةُ يرتـــاحُ الفـــؤادُ لهـــا ولِلرَّواسِـــمِ فيهـــا بينَنـــا عمَـــلُ
والعَـــيشُ لا عَـــيشَ إلاّ مـــا تَقَـــرٌّ بِـــهِ عـــينٌ ولا حالـــةٌ إلاّ ســـتنتقِلُ

إلا أن هذه الأبيات كانت على نحو آخر في الدّيوان، فقد قال القطامي: [2] [البسيط]

والعَـــيشُ لا عَـــيشَ إلاّ مـــا تَقَـــرُّ بِـــهِ عـــينٌ ولا حالـــةٌ إلاّ ســـتَنتَقِلُ
أمـــسَتْ عُلَيّـــةُ يرتـــاحُ الفـــؤادُ لهـــا ولِلرَّواسِـــمِ فيهـــا بينَنـــا عمَـــلُ

كما أن بعضهنّ غيَّرن صدور وأعجاز وألفاظ الشعر الذي غنينه، فقد غيّرت **عَزيز** صدر بيت غنته من شعر عباس بن الأحنف فقالت: [3] [المنسرح]

كـــانَ رَحيْلِـــي مِـــنْ أرْضِـــكُمْ عَجَبـــاً وحادِثـــاً مـــن حَـــوادِثِ الـــزَّمَنِ

بدلاً من أن تقول كما جاء في ديوانه: [4] [المنسرح]

كـــانَ خُروجـــي مِـــن عنـــدِكُمْ قَـــدَراً وحادِثـــاً مـــن حَـــوادِثِ الـــزَّمَنِ

وغيّرت **فاتن** عجُز بيت من شعر الحطيئة فقالت: [5] [الطَّويل]

---

[1] – ابن فضل الله العمري، مسالك الأبـصار، 193/10، رقـم المخطـوط 3423، ميكـروفيلم الجامعة الأردنية، الدّيوان، 24–25.

[2] – الدّيوان، 24–25.

[3] – ابن فضل الله العمري، مسالك الأبـصار، 186/10، رقـم المخطـوط 3423، ميكـروفيلم الجامعة الأردنية، الدّيوان، 264.

[4] – 264.

[5] – ابن فضل الله العمري، مسالك الأبـصار، 191/10، رقـم المخطـوط 3423، ميكـروفيلم الجامعة الأردنية، الدّيوان، 168.

يقولونَ هَــلْ تَبْكــي مِــنَ الــشَّوْقِ حــازِمٌ   وإنْ بـــانَ حُـــبٌّ بـــالنّوى وأليـــفُ

بدلاً من أن تقول: [1] [الطَّويل]

يقولونَ هَــلْ يَبْكــي مِــنَ الــشَّوْقِ حــازِمٌ   تَخَلَّـــى إلـــى ذاتِ الإلـــهِ حَنيـــفُ

وعملت كثير من الجواري على تغيير بعض الألفاظ **كرغد** التي غيّرت كلمة "خاطفُ" إلى "طايفُ" عندما غنّت شعراً لعمر بن أبي ربيعة فقالت: [2] [الطَّويل]

فـــأتْبَعتُهُنَّ الطَّـــرفَ مُتَّبِـــلَ الهَـــوى   كـــأنّي يُعـــانِيْني مِـــنَ الجِـــنِّ طـــايِفُ

وقد يرجع السبب في هذا التغيير إلى أن الجارية _ عندما اختارت المقطوعة الـشعرية أو اقترحها أحدهم عليها_ صُدمت بإحدى الألفاظ التي لم يحرص الشَّاعر على صـقلها لتنـسجم مع أخواتها، إما لسرعته أو لعدم اهتمامه بتهذيب شعره، لذا ارتأت الجاريـة أن تـضع لفظـة أخرى تنسجم مع سائر الألفاظ في البيت[3]، أو لأنها اختارت لفظة أيسر على لسانها وأقرب إلـى ذوقها الشخصي وشخصيتها الفنية، وربّما تمّت هذه التغييرات على يد الرواة وارتأت الجـواري أن يأخذن الرواية الأسهل على ألسنتهنّ.

ومن الجَدير بالذِّكر أن أغراض وموضوعات النتف والمقطوعات التي غنتها الجواري لم تكن هي الأغراض نفسها التي نظم فيها الشُّعراء شعرهم، فالمقطوعة الغزليـة التـي غنتهـا **بَهجَة** للبحتري كانت من قصيدة طويلها نظمها في وصف الذئب ولقائه إياه، والمقطوعة الغزلية التي غنتها **مُهْجَة** للفرزدق كانت من قصيدة له في مدح الخليفة هشام بن عبد الملك، ومقطوعـة ذي الرُّمَّة التي غنتها **فاتن** في الغزل نظمها في هجاء بني امرئ القيس.

---

[1] – الدّيوان، 168.

[2] – ابن فضل الله العمري، مسالك الأبـصار، 192/10، رقـم المخطـوط 3423، ميكـروفيلم الجامعة الأردنية، الدّيوان، 133.

[3] – انظر ناصر الدين الأسد، القيان والغناء في العصر الجاهلي، 212.

2- المحسنات البديعية

قد يُظَنُّ أنّ الجواري غيرُ مسؤولات عن المحسنات البديعية والنواحي الجمالية في شعر الغناء إذ إنه شعر ليس من نظمهنّ، إلا إنه من اختيارهنّ وانعكاس لأذواقهنّ الشعرية والغنائية أيضاً، ذلك أنهنّ وجدن أن هذه المقطوعة أو تلك النُتفة هي الأكثر ملاءمة للمناسبة أو الغرض الذي غنينه، والأقرب لشخصياتهنّ وذوقهنّ الشعريّ، ويبدو أنهن أدركن _ بحسّهن الموسيقي _ ما في بعض المحسنات البديعية من تأثيرات موسيقية على الشعر، وبهذا يتأتّى لهنّ صُنع الألحان وغناؤها بما يتناسب مع الموسيقا التي تُضفيها بعض المحسنات البديعية.

أ- الطباق

ظهر الطباق بوضوح أكبر من الجناس في الشعر الذي غنته الجواري في الأندلس، كما أن الألفاظ المتقابلة في الشعر الذي غنينه كانت أكثر منه في نظمهنّ، ومن الجَدير بالذِّكر أن الألفاظ المتقابلة في شعر الشُّعراء الذي غنينه _ على عكس نظمهنّ _ طغت على الأفعال المتقابلة.

ومن الألفاظ المتقابلة في الشعر الذي غنته الجواري قول **رغد** في شعر الصنّوبري :[1] [المنسرح]

لا النَّومُ أدرِي بِهِ ولا الأرَقُ   يَدْرِي بهذينِ مَنْ بِهِ رَمَقُ

وكقول **مُهْجَة** في شعر أبي تمّام: [2] [الطَّويل]

أنا ابنُ الّذينَ استُرْضِعَ المَجْدُ فِيهِمُ   وسُمِّيَ فِيهِمْ وهْوَ كَهلٌ ويافِعُ

[1] – ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار، 193/10، رقم المخطوط 3423، ميكروفيلم الجامعة الأردنية، الدّيوان، 369.

[2] – ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار، 187/10، رقم المخطوط 3423، ميكروفيلم الجامعة الأردنية، شرح ديوان أبي تمّام، 958-959.

وقولها في شعر جرير: [1] [الوافر]

فــــلا بُخــــلٌ فَيُـــوئِسُ منــــكِ بخــــلُ ولا جُـــــودٌ فينفَــــعُ مِنْــــكِ جُــــودُ

وكغناء **بَهجَة** في شعر القطامي: [2] [البسيط]

بـــانُوا فكانَـــتْ حَيَـــاتِي فـــي اجتمـــاعِهِمُ وفـــي تَفَـــرُّقِهِمْ مَـــوْتِي وإقْـــصَادِي

أما الأفعال المتقابلة في الشعر الذي غنته الجواري فكان كقول **فاتن** في شعر ذي الرُّمَّة: [3] [الطَّويل]

أَخُــطُّ وأَمْحُــو الخَــطَّ ثُــمَّ أُعيْــدُهُ بكفِّــيَّ والغِرْبــانُ فــي الــدَّارِ وُقَّــعُ

وكقول **رَدَاح** في شعر توبة ابن الحمير، تقول: [4] [الطَّويل]

لَوَ أنَّ الهَوى فــي حُــبِّ ليلــى أطــاعَنِي أطَعــتُ ولكــنَّ الهَــوى قَــدْ عَــصانِيا

وقولها في المقطوعة نفسها: [5] [الطَّويل]

تَمَــــسَّكْ بِحُــــبِّ الأخْيَلِيَّــــةِ واطَّــــرِحْ عَــدا النَّــاسُ فيهــا والوشــاةُ الأدَانِيــا

---

[1] – ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار، 187/10، رقم المخطوط 3423، ميكروفيلم الجامعة الأردنية، الدّيوان، 318/1-319.

[2] – ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار، 187/10، رقم المخطوط 3423، ميكروفيلم الجامعة الأردنية، الدّيوان، 80-81.

[3] – ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار، 190/10، رقم المخطوط 3423، ميكروفيلم الجامعة الأردنية، الدّيوان، 720/2-721.

[4] – ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار، 198/10، رقم المخطوط 3423، ميكروفيلم الجامعة الأردنية.

[5] – ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار، 198/10، رقم المخطوط 3423، ميكروفيلم الجامعة الأردنية.

ب- الـجـنـاس

أعتقد أن الجناس عنصر مهم من العناصر المؤثرة في الشعر وخصوصاً الشعر المُغنى، وذلك لما فيه من تماثل للألفاظ وحروفها ولما يحمله هذا التشابه من موسيقى جميلة، إلاّ أنّي لم أجد أي مثال على الجناس التام في المقطوعات والنُتف الشعرية التي غنّتها الجواري في الأندلس.

وبدا واضحاً أنّ الجواري أولين عناية كبرى للجناس الحرفي في شعر الشُّعراء الذي تخيّرنه لغنائهنّ، حتى إن عنايتهنّ بالجناس الحرفي في الشعر الذي غنينه أكبر منها في الشعر الذي نظمنه، ولكنهنّ ركّزن على تكرار الحروف نفسها في أشعارهنّ والأشعار التي غنينها على حدٍّ سواء؛ فكانت النون في طليعة الحروف المكررة، فالياء، ثم اللام، وتلتها الميم فالتاء، وجاء كلٌّ من الباء والهاء والراء في آخر قائمة الحروف التي تكررت في الشعر الذي غنته الجواري.

ومن الأشعار التي غنتها الجواري وتكرَّر فيها حرف النون شعر لعمر بن أبي ربيعة غنته الجارية **فاتن**، فقالت: [1] [الطَّويل]

فأَتْبَعتُهُنَّ الطَّرفَ مُتَبِّلَ الهَوى   كأَنّي يُعانِيْني مِنَ الجِنِّ طايِفُ

وكغناء **بَهجَة** شعر القطامي الذي كرّر فيه النون، تقول: [2] [البسيط]

وهُنَّ يَنْبِزْنَ من قولٍ يُصبْنَ بهِ   مواقعَ الماءِ من ذي الغُلَّةِ الصَّادي

---

[1] - ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار، 192/10، رقم المخطوط 3423، ميكروفيلم الجامعة الأردنية، الدّيوان، 133.

[2] - ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار، 187/10، رقم المخطوط 3423، ميكروفيلم الجامعة الأردنية، الدّيوان، 80-81.

أما **رَدَاح** فاختارت شعر توبة ابن الحمير الذي أكثر من تكرار اليــاء فــي مقطوعتــه، فقالت: [1] [الطَّويل]

فــإنْ يَمْنَعُــوا ليلــى وحُـسْنَ حَــدِيثِها فلَــمْ يَمْنَعُــوا منِّــي البُكــا والقَوافِيــا
يَلومُــكَ فيْهــا اللائِمُــونَ فَــصَاحَةً فليْــتَ الهَــوى بــاللائميْنَ مَكانِيــا

كما اختارت **بَهجَة** شعراً لعُروَة بن حزام العذري أكثر فيه من تكرار الياء، فقالت: [2] [الطَّويل]

وأطرُفُ عن رأيي الذي كنــتُ أرْتَــأي وأنــسى الــذي أعــدَدْتُ حــينَ تَغيــبُ

أما **عَزيز** فاختارت شعر نُصَيْب بن رَباح الذي كرّر فيه اللام، تقول: [3] [الطَّويل]

بزَينَــبَ أَلْمِــمْ قَبْــلَ أنْ يَرْحَــلَ الرَّكْــبُ وقُــلْ إن تَمَلِّيْنــا فَمَــا مَلَّــكَ القلْــبُ

وحذت **بَهجَة** حذوها فغنت شعراً لأبي دَهْبَل الجُمَحِي، قالت: [4] [الطَّويل]

فلمّــا التَقَيْنــا لَجْلَجَــتْ فــي حَــدِيثِها ومِــنْ آيــةِ الهَجْــرِ الحَـديثُ المُلَجلَــجُ

---

[1] – ابن فضل الله العمري، مسالك الأبــصار، 198/10، رقــم المخطــوط 3423، ميكــروفيلم الجامعة الأردنية.

[2] – ابن فضل الله العمري، مسالك الأبــصار، 187/10، رقــم المخطــوط 3423، ميكــروفيلم الجامعة الأردنية، الأصبهاني، الأغاني، 310/23.

[3] – ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار، 186/10، رقــم المخطــوط 3423، ميكــروفيلم الجامعة الأردنية، الدّيوان، 60.

[4] – ابن فضل الله العمري، مسالك الأبــصار، 187/10، رقــم المخطــوط 3423، ميكــروفيلم الجامعة الأردنية، الدّيوان، 56-57.

وغنت **مُهْجَة** شعراً للفرزدق كرّر فيه الميم، تقول: [1] [الوافر]

أُكَفكِـــفُ عَبْـــرَةَ العَيْنَـــيْنِ مِنِّـــي   ومـــا بَعْـــدَ المَـــدامِعِ مـــنْ مَـــلامِ

كما تخيّرت **مُهْجَة** شعراً لابن الرّوميّ كرّر فيه التاء، فقالت: [2] [الطَّويل]

وَصَـــلَتْ فَلَـــمْ تَبْخَـــلْ عَلَـــيَّ بِوَصْـــلِها   وقدْ بَخَلَـتْ بالوَصْـلِ تَكْنَـى[3] وتَكْـتُمُ

وغنت **مُهْجَة** شعراً لجرير كرّر فيه الهاء، فقالت: [4] [الوافر]

هَـــوىً بتهامَـــةٍ وهَـــوىً بنَجْـــدٍ   فَبَلَّتْنِـــي التَّهـــائِمُ والنُّجُـــودُ

أما **رَدَاح** فاختارت شعراً لقيس بن الخطيم _ الشّاعر الجاهلي الوحيد الذي غنين لـه_ كرّر فيه الراء، تقول: [5] [الطَّويل]

أتَعْـــرِفُ رَسْـــماً كـــاطِّرادِ المَـــذاهِبِ   لَعَمْـرَةَ وَحْـشاً غيـرَ موقـوفَ راكِـبِ

واختارت **بَهجَة** شعراً لعُروَة بن حزام كرّر فيه الباء، فقالت: [6] [الطَّويل]

لئن كانَ بـردُ المـاء أبـيَضَ صـافِياً   إلَـــيَّ حبيبـــاً إنَّهـــا لَحَبيْـــبُ

---

[1] – ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار، 189/10، رقم المخطوط 3423، ميكروفيلم الجامعة الأردنية، الدّيوان، 290/2.

[2] – ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار، 188/10، رقم المخطوط 3423، ميكروفيلم الجامعة الأردنية.

[3] – تكنى: كَنَى عن الأمر بغيره يَكْني كِناية يعني إذا تكلَّم بغيره بما يُستَدَلُّ عليه. ابن منظور، لسان العرب، مادة (كني) 233/15.

[4] – ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار، 187/10، رقم المخطوط 3423، ميكروفيلم الجامعة الأردنية، الدّيوان، 1/318-319.

[5] – ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار، 10/ 198، رقم المخطوط 3423، ميكروفيلم الجامعة الأردنية، الدّيوان، 76-80.

[6] – ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار، 187/10، رقم المخطوط 3423، ميكروفيلم الجامعة الأردنية، الأصبهاني، الأغاني، 310/23.

3- الأخـــيــلة والــصــُّــور

اعتمد الشُّعراء الذين غنت الجواري شعرهم على أخيلة الشُّعراء الأقــدمين وصـــورهم؛ وهم بهذا لم يشذوا عن شعراء عصرهم الذين نهلوا من الصور الفنية التقليدية رغــم محــاولات التجديد والابتكار عند بعضهم، ولم تظهر في المقطوعات الشعرية التي غنتها الجواري صـــور كُلِّيّة شاملة وجاءت بعض الصور الجزئية؛ كيف لا ومعظم المقطوعات الــشعرية مُنتقــاة مــن قصائد طويلة لم تغنِّ الجواري أبياتها بالتسلسل أو الترتيب الذي وضعه الشَّاعر وتخيّــره فــي قصيدته.

لذا ظهر في شعر الشُّعراء الذي غنته الجواري الصورُ التقليديةُ المعروفة وتركّزت في الغزل؛ ومنها صورة المحبوبة المشرقة كالشمس، والرشيقة كالغزال الشارد الذي يسبي القلــوب بنظراته، ذات الجمال منقطع النظير، البهية كالبدر، المضيئة كالنجوم.

ومن هذه الصور صورة محبوبة العباس بن الأحنف ذات الوجه المُنير والجسد الممتلئ، والرائحة الزكيّة، والخطوة الرشيقة، وقد غنت هذه المقطوعة جارية أندلسيّة فقالت: [1] [البسيط]

إنِّـــي طَرِبْــتُ إلـــى شَـــمْسٍ إذا غَرَبَــتْ كانَـــتْ مَغارِبُهـــا جَـــوْفَ المَقاصِـــيْرِ
شـــمسٌ مُمَثَّلَـــةٌ فـــي خلْـــقِ جاريَـــة كـــأنَّ أعطافَهـــا طَـــيُّ الطَّـــوامِيرِ
ليْـــسَتْ مِـــنَ الإنْـــسِ إلاّ فـــي مُناسَـــبَةٍ ولا مِـــنَ الجِـــنِّ إلاّ فـــي التَّـــصاويرِ
فالوَجْـــهُ جَـــوْهَرَةٌ والجِـــسْمُ عَبْهَـــرَةٌ والـــرِّيحُ عَنْبَـــرَةٌ والكُـــلُّ مِـــنْ نُـــورِ
كأنَّهـــا حـــيْنَ تَخْطُـــو فـــي مَجَاسِـــدِها تَخْطُو على البـيض أو حَـدِّ القَـوَارِيرِ

وكرّرت **سُعدى** صورةً مشابهةً للشاعر نفسه، رأى فيها جمال وجه محبوبتــه منقطــع النظير حتى إنّ كُلا من الإنس والجن وقعا في غرامه، كيف لا ووجها الملــيح شــمس منيــرة يخاف عليه الشَّاعر من أي كسوف، قالت: [2] [السَّريع]

---

[1]- رسائله، 1/249 -251.

[2] – ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار، 200/10، رقــم المخطــوط 3423، ميكــروفيلم الجامعة الأردنية، الدّيوان، 160-161.

وا بِـــأبِي الوجْـــهَ المَلَـــيحَ الـــذي　　　قـــدْ عَـــشِقَتْهُ الجِـــنُّ والإنْـــسُ
إنْ تَكُـــنِ الحُمَّـــى أَضَـــرَّتْ بِـــهِ　　　فربَّمـــــا تَنْكَـــــسِفُ الـــــشَّمسُ

وظهر في الشعر الذي غنته جارية أندلسيّة _ لـشاعر مجهـول _ الـصورة التقليديـة للمحبوبة ألا وهي الغزال الشارد الذي يسبي القلوب بألحاظه المراض وقدّه الرشيق، كمـا أنهـا بدر مضيء وشمس مشرقة لا يُحيطها أي غمام: [1] [الوافر]

غـــزالٌ قـــدْ حَكَـــى بَـــدْرَ التَّمَـــامِ　　　كَـــشَمْسٍ قـــدْ تَجَلَّـــتْ مِـــنْ غَمَـــامِ
سَـــبَى قَلْبِـــي بألحَـــاظٍ مِـــراضٍ　　　وقَـــدٍّ الغُـــصْنِ فـــي حُـــسْنِ القَـــوامِ

كما جاء في النتفة الشعرية التي غنتها **بَهجَة** من شعر ابن الرُّومـــيّ، صـــورة تقليديـــة معروفة شبّه فيها الشَّاعر محبوبته بالبدر في حُسنها وصعوبة الوصول إليها، قالت: [2] [مجزوء الرَّمَل]

يـــا شَـــبِيْهَ البَـــدْرِ فـــي الحُـــسْـ　　　ـــــنِ وفـــي بُعْـــدِ المَنَـــالِ
جُـــدْ فقَـــد تَنْفَجِـــرُ الـــصَّخْـ　　　ـــــرةُ بالمــــاءِ الـــزُّلالِ

أما المُعتَمد فبعد وداعه جواريه في ظلام الليل نظم شعراً صوّرهن على أنهنّ نجومٌ تُبدِّد عتمة الليل وظلماته، فغنّت **سُعدى** شعره، قالت: [3] [الكامل]

ســـايرتُهم والليـــلُ غُفْـــلٌ ثوبُـــه　　　حتـــى تَبَـــدَّى للنّـــواظر مُكلَمـــا
فوقفـــت ثَـــمَّ مودعـــاً وتـــسلّمت　　　منّـــي يـــدُ الإصـــباحِ تلـــكَ الأنجُمـــا

---

[1] – رسائله، 135/1.

[2] – ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار، 186/10، رقـم المخطـوط 3423، ميكـروفيلم الجامعة الأردنية، الدّيوان، 97/5.

[3] – ابن فضل الله العمري، مسالك الأبـصار، 200/10، رقـم المخطـوط 3423، ميكـروفيلم الجامعة الأردنية، الدّيوان، 26.

ولم تكن الشمس والقَمَر والنجوم هي المصدر الوحيد للتشبيهات التقليدية في الغزل؛ فقد غنت جارية سمعها محمد بن أبي عيسى شعراً لشاعر مجهول شبّه ثغر المحبوبة بأقداح الخمر وخدودها بالتفاح الأحمر، فقالت: [1] [الكامل]

طابَتْ بِطيبِ لِثاتِكَ الأقداحُ ... وَزَهَتْ بحمرةِ خَدِكَ التّفّاحُ

ولاحظت أن بعض الشُعراء لجأوا إلى التشخيص، فأضحى القلب والبَيْن والدموع والهوى والمجد بشراً يولدون ويتنفسون ويرتدون ملابسهم، ويُعانون كما يعاني غيرهم من البشر، ويوفون بوعودهم، ويخلصون لأصحابهم أو يعصونهم، ومن الجَدير بالذِّكر أن التشخيص _ وإن كان قليلاً _ لم يقتصر على غرض واحد كما هي حال الأخيلة والصور التي تركّزت في الغزل؛ فقد غنت **مُهْجَة** شعراً لأبي تمّام فخر فيه بقومه حتى جعل المجد طفلاً رضيعاً في قومه، يأخذ منهم أصول مكارم الأخلاق والمروءة ويعيش بينهم وهو شاب وكهل كبير، تقول: [2] [الطَّويل]

أنا ابنُ الّذينَ استُرْضِعَ المَجْدُ فِيهِمْ ... وسُمِّيَ فِيهِمْ وهْوَ كَهلٌ ويافِعُ

أما الرّبيع فقد رآه شاعر مجهول إنساناً كاملاً يتنفّس ويعيش وتحلو أنسامه، ويبدو أنه رأى عتمة الليل أُنثى تُكثر تبديل ثيابها، فإذا ما جنَّ الليل يحين موعد ثوبها الأسود، وغنّت جارية أندلسيّة هذا الشعر فقالت: [3] [الكامل]

وإذا الرَّبيعُ تَنَسَّمَتْ أرواحُهُ ... طابَتْ بطيبِ نَسيمِكَ الأرواحُ

1- الحميدي، جَذوَةُ المُقتبس، 126/1، ابن خاقان، مطمح الأنفس، 261، الضَّبي، بُغيَة المُلتَمس، 111، المقَّري، النَّفح، 233/2، 106/5.

[2] – ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار، 187/10، رقم المخطوط 3423، ميكروفيلم الجامعة الأردنية، شرح ديوان أبي تمّام، 958-959.

3- الحميدي، جَذوَةُ المُقتبس، 126/1، ابن خاقان، مطمح الأنفس، 262، الضَّبي، بُغيَة المُلتَمس، 111، المقَّري، النَّفح، 233/2، 107/5.

وإذا الحنـــــادسُ أُلْبِـــــسَتْ ظَلَماءَهـــــا   فضياءُ وجهكَ فـــي الـــدُّجى المِـــصباحُ

وأضحى قلب جرير إنساناً يصحو من غفلته ليجد نفسه مبرَّحاً مـــن آلام الحـــب التـــي سببتها له سلمى، فنظم مقطوعة له غنتها **رغد** تقول: [1] [الطَّويل]

صَحا القَلبُ عنْ سَــلمى وقَــدْ بَرَّحَــت بِــهِ   وما كــانَ يَلْقَــى مــن تُماضِــرَ أبْــرَحُ

أما دموع الصّنوبري فهي إنسانة تعبة مرهقة كلَّت من طول البكاء والمعانـــاة، وغنـــت **رغد** هذه المقطوعة فقالت:[2] [المنسرح]

إنَّ دمــوعي مــنْ طــولِ مــا اســتَبَقَتْ   كَلَّـــــت فمـــــا تَـــــستطيعُ تَـــــسْتَبِقُ

وظهر البَيْن للبحتري إنساناً صارماً يفي بوعوده ويعمل على تنفيذها بأسرع وقت، فـــلا ينتظر الآخرين كي ينفذوا وعدهم وإنما يسبقهم لتنفيذ وعده، وغنّت **بَهجَـــة** شعر البحتري فقالت: [3] [الطَّويل]

أَأَحْبابَنَـــا قـــدْ أنْجَـــزَ البَـــيْنُ وَعْـــدَهُ   وَشِـيكاً ولـم يُنْجَـزْ لنَـا مـنكُمُ وَعْـدُ

كما ظهرت الكأس وفيّة لابن الرُّوميّ مخلصة له وإن كان قد تقدّم في السِّن وملأ الشيب رأسه، فكأسه كريمة تصل واصلها ولا تبخل عليه مهما تغيّر الزمان: [4] [الطَّويل]

فـــإنِّي رأيـــتُ الكـــأسَ يـــا سَـــلمُ خُلَّـــةً   وَفَـتْ لــي ورأســي بالمَــشْيِبِ مُعَمَّــمُ

---

[1] – ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار، 192/10، رقم المخطوط 3423، ميكروفيلم الجامعة الأردنية، الدّيوان، 834/2-835.

[2] – ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار، 193/10، رقم المخطوط 3423، ميكروفيلم الجامعة الأردنية، الدّيوان، 369.

[3] – ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار، 187/10، رقم المخطوط 3423، ميكروفيلم الجامعة الأردنية، الدّيوان، 740/2-741.

[4] – ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار، 188/10، رقم المخطوط 3423، ميكروفيلم الجامعة الأردنية.

وَصَـــلَتْ فَلَـــمْ تَبْخَـــلْ عَلَـــيَّ بِوَصْـــلِها   وقــدْ بَخَلَــتْ بالوَصْــلِ تَكْنَــى وتَكْــتُمُ

ولم يكن هوى توبة بن الحمير وفياً مهادناً ككأس ابن الرُّوميّ، فقد كان هــواه عاصــياً متمرداً لا يقبل أي صفقة، وغنت **رَدَاح** شعره فقالت: [1] [الطَّويل]

لَوَ أنَّ الهَوى فــي حُــبِّ ليلــى أطــاعَنِي   أطَعــتُ ولكــنَّ الهَــوى قَــدْ عَــصانيا

4- الموسيقا

لعبت موسيقا الشعر دوراً مهماً في اختيار الجارية للمقطوعة أو النتفة الــشعرية التــي ستلحنها وتغنيها بصوتها، فموسيقا الشعر الذي ستنتقيه سيُسهّل عليها عملها أو سيُصعبُه، ومــن المُرجّح أن الجواري لم يجدن صعوبة في اختيار الشعر ذي الموسيقا الشعرية الملائمة لغنــائهنّ وهنّ العالمات بالشِّعر وتلحين الأنغام وغناء المقطوعات الجميلة.

ومن الجَدير بالذِّكر أن بعض الأشعار التي لحّنتها وغنتها الجواري في الأندلس لحّنهــا المغنون وغنوها في المشرق من قبل، إلا أن الأندلسيين غيروا القاعدة الموسيقية في بعضها [2]، كما أن الجواري لم يختَرن الأوزان الخفيفة ومجزوءاتها ومجــزوءات الأوزان الطَّويلــة التــي سيطرت على شعر الغناء في المشرق[3]، بل جاء معظم الشعر الذي غنينه على الأوزان الطَّويلة، وكان نصيب الأسد لبحر الطَّويل ثم البسيط فالبحر الكامل، وبهذا تنسجم موسيقى شعر الغناء مع موسيقى الشعر العربي عامّة[4]، كيف لا والشعر العربي بجميع بحوره شعر غناء[5].

---

[1] – ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار، 198/10، رقم المخطوط 3423، ميكروفيلم الجامعة الأردنية.

[2] – انظر إحسان عباس، أخبار الغناء والمغنين في الأندلس، مجلة الأبحاث، 1963، 7.

[3] – انظر شوقي ضيف، العصر الإسلامي، 347-348.

[4] – انظر إبراهيم أنيس، موسيقى الشعر، 191.

[5] – انظر ناصر الدين الأسد، القيان والغناء في العصر الجاهلي، 191.

ولاحظت أن كلاً من شعر الجواري وشعر الشُّعراء الذي غنينه جاء في تسعة بحور، إلا إنها لم تكن البحور نفسها؛ وكما سيطر بحر الكامل على مايقارب من نصف مجموع شعر الجواري فقد سيطر بحر الطَّويل على تسعة وستين بيتاً شعرياً أي ما يقارب نصف مجموع شعر الشُّعراء وتكرَّر في تسع عشرة نتفة ومقطوعة شعرية.

وتلا بحرُ البسيط بحر الطَّويل بفارق كبير؛ فقد تكرر ست مرات في ستة وثلاثين بيتاً، ولحق به بحر الوافر الذي تكرّر ثلاث مرات في ثلاثة عشر بيتاً، وتبعه بحر الكامل الذي تكرّر ثلاث مرات في ثمانية أبيات شعرية، أما المنسرح فظهر مرتين في ستة أبيات، وجاء المجتث في مقطوعة واحدة تألفت من خمسة أبيات، كما ظهر كل من بحر الخفيف والسَّريع مرة واحدة ومجموع ما نُظم في كل منهما أربعة أبيات، وغنت **بَهجَة** النتفة الشعرية الوحيدة التي نُظمت على مجزوء الرَّمَل.

أما القوافي التي تُكمِّل موسيقى الشعر فجاءت على أربعة عشر حرفاً من حروف المعجم رتبتها حسب كثرتها وهي: الباء والراء فتكررت كلٌ منهما ست مرات وجاءتا على هيئة نتف ومقطوعات، وجاء خمسة وعشرون بيتاً على قافية الباء بينما ظهرت قافية الراء في ثمانية عشر بيتاً فحسب، وتلتهما الميم التي تكررت في نتفة وثلاث مقطوعات، ولحقتها كل من الدال والعين واللام اللواتي تكررت كل منهن في ثلاث مقطوعات ونتف، ثم تلتهم كلٌ من الفاء والسين والحاء والنون عندما تكررت كل قافية منهم مرتين على هيئة مقطوعتين أو نتفة ومقطوعة، وجاء كل من القاف والياء والضاد والجيم في آخر قائمة الحروف التي وظفها الشُّعراء كقوافي لهم، فجاء كل حرف منها قافية لمرة واحدة فحسب.

الخاتمة

تناولت في هذه الدِّراسة الجواري وأثرهنّ في الشِّعر العربيّ في الأندلس، وقد كشفت هذه الدِّراسة عدداً من النتائج، وأهمها:

1- اكتفى المؤرخون بذكر المشهورات من الجواري في الأدب والسِّياسيَّة، وأهملوا السواد الأعظم منهنّ، ولم أجد أية ترجمة تفصيلية لأية جارية مهما علا شأنها، وربما أورد المؤرخون تراجم تفصيلية للجواري إلا أنها ضاعت مع ما ضاع من الكتب الأندلسية.

2- كانت العلاقة بين الجواري أنفسهنّ وديّة يسودها بعض المنافسة أحياناً، وعلاقتهنّ مع الحرائر غامضة المعالم، أما علاقتهنّ مع الرجال فساد معظمها إعجاب مادي، وعلى الرغم من أن المؤرخين والشُّعراء ذكروا لنا الكثير عن العلاقة الخاصة التي جمعت الرجال بجواريهم.

3- ساهمت الجواري في نشر الأدب والعلوم والغناء، وكان للجواري المشرقيّات الوافدات على الأندلس نصيب الأسد في تأسيس حركة الغناء في الأندلس، وتركّز تأثيرهنَّ في عصر الإمارة ثم بدأ التراجع حتى لم أجد لهنّ ذكراً أيام عصر المرابطين وماتلاهم.

4- اهتم بنو أميّة بإرسال بعض الجواري المميّزات إلى المشرق كي يُحصلن العلم هناك، وربما اشترى بعض المشارقة جواري أندلسيات وأكلمن حياتهنّ في المشرق.

5- اختارت بعض الجواري من أمهات الأولاد رجلاً قوياً في الدولة كي يساعدهنّ على صرف ولاية العهد لأبنائهنّ، وتمّ لهنّ هذا بعد أن اتَّسع نفوذهنّ أيام بعض حكام بني أميّة وعصر ملوك الطوائف، ثم انحسر نفوذهنّ في عصر المرابطين والموحدين لسيطرة المرابطيّات على الحُكم وإقصاء الموحدين الجواري عن الساحة السِّياسيَّة، ثمّ استعادت الجواري نفوذهن في آخر أيام بني الأحمر.

6- انتشار الجواري وكثرتهنّ أدى إلى رفع المعايير التي طلبها الأندلسيون عند شراء الجواري؛ فطلبوا الجمال الباهر، والعلم الواسع، والمواهب المتميّزة، ولم يكن شراؤهنّ بالعملية السهلة فقد وجب عليهما أن يُحضرا كاتب عقود كي يُدوِّن عقد

الشراء ويكتب الأسباب التي طُلبت الجارية من أجلها، وعلى الرغم من كثرتهنّ أيام الفتوحات والحروب إلا أن الأندلس عاشت أزمة رقيق أيام الطوائف.

7- كان للجواري جرايات وأملاك وثروات استثمرنها في خدمة المجتمع الأندلسي وفي بعض أعمال الخير.

8- أظهر الشّعر في الجواري أنّ معظم العلاقات بهنّ كانت علاقات ماديّة باستثناء بعض الشُّعراء، وبلغ مجموع ما نظمه الشُّعراء في الجواري سبعمائة وثلاثة وستين بيتاً شعرياً.

9- كان شعر الشُّعراء في وصف الجواري الرّاقصات والسّاقيات من مظاهر التجديد في الشعر الأندلسي، وأظهر شعر الشُّعراء في الجواري الأندلسيات أنَّ رقصهنَّ يشبه رقص راقصات الفلامنجو الإسباني اليوم.

10- معظم شعر الشُّعراء في الجواري كان من نظم الأمراء أو الخاصة، وقلّما نظم رجال من العامة شعراً في جارية، وجلّ الأخبار المذكورة عنهنّ تتناول قصصهنّ مع الخاصة لا العامة، كما أنّ معظم الأخبار والشِّعر الذي وصل إلينا يختصّ جواري اللذة ويُهمل جواري الخدمة.

11- تركّز شعر الشُّعراء في الجواري وشعرهنّ وأخبارهنّ في عصر إمارة بني أمية، وعصر ملوك الطوائف، وظهر قليل منه في عصري المرابطين والموحدين، وشحّ في عصر بني الأحمر.

12- كان المعتمد بن عباد من أبرز المفتونين بالجواري، فله العديد من الأخبار معهنّ، كما أنه نظم شعراً كثيراً فيهنّ وأرسل لبعضهنّ شعراً له ليغنينه.

13- وُصفت الكثير من الجواري بالأدب وبأنهنَّ شاعرات ولهنّ أخبار، ولكن لم يبقَ لهنّ شعر غزير أو دواوين وكل ما بقي لهنّ لا يزيد على كونه أبياتاً مفردة ونتفاً ومقطوعات قصيرة، ومجموع مابقي من شعر الجواري لا يزيد على ثمانين بيتاً شعرياً.

14- لم يُشر معظم المؤرخين إلى الشِّعر الذي غنّته الجواري وربما ضاع الشعر الذي غنَّينه؛ فمجالس الغناء والأُنس انتشرت في الأندلس _ في معظم العصور _ وهذا يعني أن شعراً كثيراً تم غناؤه في تلك المجالس لكنه ضاع.

15- على الرّغم من أن الموشح فن غنائي قامت بغناء معظمه الجواري في الأندلس، إلا أنّ المصادر الأندلسيّة خلت من الإشارة إلى دورهنّ فيه ولم يُشر المؤرّخون إلى أنّ الجارية فلانة صنعت موشحاً أو غنت أي موشح باستثناء الجواري اللواتي غنين موشح ابن باجة.

16- سيطر الشعر المشرقي على غناء الجواري في عصر الإمارة، ثم ظهر في عصر الطوائف ميلٌ إلى غناء الشعر الأندلسي إلى جانب المشرقي، وتطوّر غناء الشّعر في الأندلس فظهرت الموشحات.

17- لم تذكر المصادر الأندلسية أخباراً عن حركة الغناء في عصر الولاة، كما ظل الغناء الشعبي الأندلسي غير مُكتمل الصورة، ولايمكن القطع إن كان الغناء الشعبي الأندلسي أيام عصر الولاة والإمارة مشابهاً للغناء الذي صدح في قصور الأمراء والحكام، فربّما كان غناءً مشابهاً للغناء البربري أو النصراني.

18- غنّت الجواري في الأندلس مائة وخمسة وأربعين بيتاً شعرياً، ذكر ابن فضل الله العمري في مسالك الأبصار مائة وخمسة عشر بيتاً منها.

الملاحق

ملحق شِعر الشُّعراء في الجواري

ملحق شِعر الجواري

ملحق شِعر الغناء

ملحق الصُّور

ملحق شِعر الشُّعراء في الجواري

شعر أحمد بن نعيم

(1)

قال أحمد بن نعيم[1] في **جارية**: [2] [السَّريع]

كـــأنّ كِلتـــا صَـــفْحَتَيْ وجْهِهـــا رُكِّبَتـــا مِـــن كُـــوبتيْ[3] نـــافخِ

لـــوْ كنـــتِ نَبتـــاً كنـــتِ مـــن حَرمـــل[4] أو أُكُـــلاً كنـــتِ مِـــنَ الكَـــامِخِ[5]

شعر إسماعيل بن بدر

(1)

قال في **جارية**: [6] [الطَّويل]

تـــنفَّس لمـــا لاحـــظَ القـــومُ خبـــزَهُ وقطَّـــب لمـــا لامـــستهُ الأصـــابعُ

فقلنـــا لـــه إنـــا شـــباعٌ فجُـــد لنـــا بعـــودٍ فمـــا فـــي القـــوم غيـــرُكَ جـــائعُ

فأسْـــمَعَنا درداءَ صـــلعاءَ رجَّعـــتْ بِـــصوتٍ لهـــا تـــستكُّ منـــه المـــسامعُ

فـــوالله مـــا أدري كـــلابٌ تهارشـــتْ بحلقومهـــا أم نقنقـــتْ بـــي ضـــفادعُ

---

[1] – لم أجد له ترجمة في المصادر المتوفرة.

[2] – الكتَّاني، التَّشبيهات، 246.

[3] – كُوبة: كُوبة العَرْطَبة بالفتح والضم: العود وقيل الطُّنبُور. ابن منظور، لسان العرب، مادة (عرطب) 594/1.

[4] – الحَرمَل: حبٌّ كالسِّمْسم. ابن منظور، لسان العرب، مادة (حرمل) 150/11.

[5] – الكامَخ: نوعٌ من الأُدْم مُعَرَّب وقُرِّب إلى أعرابي خبز و كامَخٌ فلم يعرفه. ابن منظور، لسان العرب، مادة (كمخ) 49/3.

[6] – الكتَّاني، التَّشبيهات، 245.

شعر الأعمى التُطيلي

(1)

قال في قينة تسمّى **لَذيذَة:** [1] [البسيط]

يا قلبُ ذُبْ من أسىً أو لا فلا تَذُبِ ... ما مَنْ تُحبُّ وإن تحرصْ بمقتربِ
ركبتُ هَوْلَ الهوى منْ غيرِ تَجرُبةٍ ... وراكبُ الهولِ محمولٌ على العَطَبِ
قد صابَ طعمُ الهوى من بعدما وضحتْ ... منه ضروبُ منىً أحلى من الضَّرَبِ
لَبَّيْتَ داعيهِ لمّا أن دعاكَ وما ... دعاكَ داعي الهوى إلاّ إلى الشّجبِ
حتى إذا نلتَ من تلك المُنى جعلت ... تدعو عليكَ بطولِ الويلِ والحربِ
أيا **لذيذُ** ولا والله مُذْ حُجِبَتْ ... عنِّي لَعَيْنِيَ في اللّذاتِ منْ أَرَبِ
تركتني يا حياتي للرَّدى غَرَضا ... تفديكِ أمّيَ منْ صَرْفِ الرَّدى وأبي
يَصْلَى فؤادي سعيراً من صَبابته ... والعَينُ في لُجَّةٍ من دمعها السَّربِ
ياربِّ قدْ سفكتْ **أمُّ الوفاءِ** دَمي ... وقدْ تَخوَّفتُ يوماً أنْ تؤاخَذَ بي
وقدْ وَهَبْتُ لها قلبي ومَا خَطَري ... حتّى يُعاقَبَ ذاكَ الحُسنُ منْ سَبْبِي
نَسيْتُ إلاّ تَدانينا ومَوقفَنا ... على مُراقَبَةٍ منْ أعيُنِ الرقَبِ
لمَّا التَقَيْنا وقدْ قيلَ المَساءُ دَنَا ... وغابَتِ الشّمسُ أو كادَتْ ولَمْ تَغِبِ
وأضلُعِي بينَ مُنْقَدٍّ ومُنْقَصِفٍ ... وأدمُعِي بينَ مُنْهَلٍّ ومُنْسَكِبِ
تأمَّلَتْنِيَ أختُ المَجدِ قائلَةً ... بمَنْ أراكَ أسْيرَ الوَجْدِ والطَّرَبِ
فقلتُ قَلْبِيَ مَسْبِيٌّ وإنَّكِ لوْ ... كَتَمت سرِّيَ لمْ أكْتُمْكِ كيفَ سُبِي
فأعْرَضَتْ ثُمَّ قالتْ قدْ أسَأتَ بنا ... ظنَّاً أيَجْمُلُ هذا من ذَوي الأَدَبِ
فَقُلتُ إني امرؤٌ لمّا لقيتُكُمُ ... والمرءُ وقفٌ على الأرزاءِ والنُّوَبِ
سَبَتْ فؤاديَ ذاتُ الخالِ قادرةً ... ولا نصيبَ لهُ منها سوى النَّصَبِ
أشْقَى بها وهْيَ عنّي في بُلَهْنِيَةٍ[2] ... شتّان والله بين الجدِّ واللّعِبِ
أصابَتِ القلبَ لمّا أنْ رَمَتْهُ ولَو ... رَمَتْهُ أُخرى إذنْ لا شَكَّ لمْ تُصِبِ
فقَالَتِ اشْكُ إليها ما لَقيْتَ ولا ... تَرْهَبْ فلَنْ تبْلُغَ الآمالَ بالرَّهَبِ

---

[1]- ابن بسّام، الذّخيرَة، ق2 م2/735-737، والأبيات موجودة في الدّيوان، 247 (2، 7، 19-22)

[2] - بُلَهْنِيَة: البُلَهْنِية والرُّفَهْنِية سَعَة العيش وكذلك الرُّفَغْنِية. ابن منظور، لسان العرب، مادة (بلهن) 58/13.

عسَى هَواكَ سَيُعْديها فَيَعْطِفُها ... وقَدْ يكونُ الهَوى أَعْدَى مِنَ الجَرَبِ
فقُلتُ أُعْظِمُها بلْ ما أُكَلِّمُها ... إلاّ أشارَ إليَّ المَوتُ مِنْ كَثَبِ
قالَتْ أنا أتَولَّى ذاكَ في لُطُفٍ ... فَقَد أُؤَلِّفُ بينَ الماءِ واللَّهَبِ
فقُلْتُ مِثْلُكِ مَنْ يُرْجَى لِمُعضِلَةٍ ... لا زِلْتِ في غِبْطَةٍ مُمتَدَّةِ الطَّنَبِ
قالَتْ لها يا **لَذيذَ** الحُسْنِ صاحِبُنا ... يهفُو إليكِ وأضحَى جِدَّ مُكتَئِبِ
صِلِيْهِ أو فاقْتُليهِ فالحِمامُ لَهُ ... خيرٌ منَ الجهْدِ في جِدٍّ وفي تَعَبِ
فلَوْ تَراني قَدِ استَسْلَمتُ مُرتَقِباً ... منها حَنانَ الرِّضى أو جَفْوَةَ الغَضَبِ
حتّى إذا ما ألانَتْ تِلْكَ جانِبَها ... والقَلبُ مهْما أرُمْ تَسْكينَهُ يَجِبِ
طفِقْتُ ألْثِمُ كفَّيْها وقَدْ جَنَحَتْ ... إليَّ تَضْحَكُ بَينَ العُجْبِ والعَجَبِ
ثمَّ افتَرَقْنا وما ساءَت حفائظُنا ... إذ اجْتَمَعنا ولَمْ نأثمْ ولَمْ نَحِبِ
لله مثليَ ما أدْنى سَجِيَّتَهُ ... مِنَ المَعالي وأنآها[1] عَنِ الريبِ
كمْ مأثَمٍ مُستَلَذٍّ قدْ هَمَمْتُ بِهِ ... فَلَم يَدَعْنِيْ لَهُ دِيني ولا حَسَبِي

(2)

و قال في القينة **لَذيذَة**: [2] [البسيط]

يا حُبَّ **لَذَّةَ** قد أدْنَفْتَ فاتَّئِدْ ... إنْ كنتَ تجهَدُ في نَقْصي فَلا تَزِدِ
ويا **لذيذةُ** لا واللهِ ما خَطَرَتْ ... بالقلبِ ذكراكِ إلاّ بِتُّ في عَضدِ
أتحسبينَ فؤادي عَنكِ مُنْصَرِفاً ... وقدْ حَلَلْتِ مَحلَّ الرُّوحِ مِنْ جسدي
بِنْتُمْ فخلَّدَ عندي وَشْكُ بينِكُمُ ... شَوْقاً نَفَى جَلَدي لا بَلْ سَبَى خَلَدي
هيهاتَ يَسْلُو فؤادي عنكُمُ أبداً ... أنِّي ووَجْدي بكُمْ باقٍ على الأبدِ
أمَّ الوفاءِ لِحَيْني ما فُتِنْتُ بكُمْ ... والنَّاسُ قد فُتِنُوا بالمالِ والولَدِ
اللهُ يعلمُ أنّي مُذْ عرفتُكُمُ ... لمْ يَخْلُ قلبيَ مِنْ خَبْلٍ ومِنْ كَبَدِ
ولا اتِّكالَ لعيني بعدَ فُرقَتِكُمْ ... إلاّ على مُفْنِيَيْها الدَّمعِ والسُّهْدِ
ترى جُفونَكَ أرضاها الذي صَنَعَتْ ... بي أنَّها نَفَثَتْ بالسِّحْرِ في العُقَدِ
أتترُكُ النَّاسَ صَرْعَى لا حَراكَ بِهِم ... ولا سبيلَ إلى عَقْلٍ ولا قَوَدِ

---

[1] – أنآها: نَأى عنه ونَاء ونآه يَنْأى نَأْياً وانْتَأى وأَنْأَيْتُه أنا فانْتَأى: أبْعدتُهُ فبَعُد. ابن منظور، لسان العرب، مادة (نأي) 300/15.

[2] – ابن بسّام، الذّخيرة، ق2 م737/2-738، والأبيات موجودة في الدّيوان، 248 (4، 18، 25، 28-30).

منْ كانَ يفْظُعُ طَعْمُ المَوتِ في فَمِهِ فإنّه في فَمِي أحلَى مِنَ الشَّهدِ
بما بِلَحْظِكِ مِنْ غُنْجٍ ومِنْ حَوَرٍ وما بعَطْفِكِ مِن عَطْفٍ ومِنْ أَوَدِ
حنِّي على هائمٍ بالحُبِّ مختَبَلٍ بالشَّوقِ مُرتَهنٍ بالحُزْنِ مُنْفَرِدِ
أضحى أسيْرَ صُدودٍ بل قتيلَ نَوى رمَتْهُ منها بِسَهمٍ عنْهُ لم يَحِدِ
يخشى على حُبِّك الحُسّادَ تفْضَحُهُ فما يَبُوحُ به يوماً إلى أحَدِ
وإنْ بَكى فبَدا لعَاذليه فعَنْ غيرِ اختيارٍ ولكنْ عادةُ الكَمَدِ
أما كَفَى حَزَناً أنْ قَد ظَميْتُ وقَدْ عاينتُ عَذْبَ الحيا يَجْري على البَرَدِ
قَدْ أُرْهِفَتْ دونَهُ سَيفانِ مِنْ دَعَجٍ بلَحْظِ أحْوى رَهيْفِ القَدِّ ذي غيَدِ
ورِدٌ شهيٌّ حَمَاهُ الموتُ مُنْصلِتاً فظَلْتُ حَيرانَ لم أصْدُرْ ولمْ أرِدِ
وما عجوزٌ لها ابنٌ واحدٌ بَصرُتْ بهِ يخُوضُ الرَّدَى في مُلْتَقىً كَبِدِ
يوماً بأجْزَعَ منِّي يومَ قولِهُمُ أَصبخَ لداعي تنائيْنا غَداةَ غَدِ
أضْحَتْ على الأجُدِ الأقْوادِ باكيَةً فلَمْ يَنَلْ أحدٌ ما نلتُ في الأحَدِ
لَقيْتُ فَعْلَةَ واللّذاتُ قدْ زُهيَتْ بنا وقد ماتَ صرْفُ الدَّهرِ مِنْ حَسَدِ
غَنَّتْ لوْ أنَّ ميْتاً كانَ يَسْمَعُها لعادَ حيّاً كأنْ لمْ يَرْدَ يومَ رَدِي
فهلْ يُسكِّنُ عُذّالي وإنْ جَهِدوا ما حَرَّكَتْ حَرَكُ الأوتارِ في كَبِدي
يا **لذُّ** مالَكِ في قَتْلي بلا سَبَبٍ وأنتِ سُؤلِيَ في قُرْبٍ وفي بُعُدِ
رِفْقاً بقلبِيَ يا قَلْبِي فإنَّكِ قَدْ أسْكَنْتِ منهُ الأسَى في السَّهْلِ والجَلَدِ
لمْ تَنْطِقي قطُّ إلاّ ظَلْتُ أَفْرَقُ مِنْ أنْ أُسْتَطَارَ فلَمْ أُبْدِئْ ولَمْ أُعِدِ
ولا مَدَدْتُ يَداً للعُودِ عامِدَةً إلاّ وضَعتُ عليهِ أن يَذوُبَ يَدي

(3)

و قال في القينة **لَذيذَة**: [1] [الكامل]

النَّومُ بَعْدَكُمُ علَيَّ مُحرَّمُ مَنْ ذا يَنَامُ وقَلْبُهُ يَتَضَرَّمُ
ماءُ الحَياةِ وقدْ نَأَيْتُمْ آسِنٌ رَنْقٌ[2] ووجْهُ الدَّهرِ جَهْمٌ مُظْلِمُ
قدْ بانَ عنِّي الصَّبرُ لمّا بِنتُمُ والوَجدُ يُنْجِدُ في الفؤادِ ويَتْهِمُ
أَجْرَيْتُمُ دمعي دَمَاً لِفِراقِكُمْ ظُلْماً وقُلْتُمْ ما لَه لا يَكْتُمُ

---

[1]– ابن بسَّام، الذّخيرَة، ق2 م738/2-739، والأبيات موجودة في الدّيوان، 247 (1، 4، 7، 9).

[2] – رَنْقٌ: ماءٌ رَنْقٌ بالتسكين أي كَدِر. ابن منظور، لسان العرب، مادة (رنق) 127/10.

مـــا كـــانَ أكْتَمَنـــي لِـــسرِّيَ قبْـــلَ أنْ تَكـــفَ الـــدُّموعُ كأنَّمـــا هـــيَ عَنْـــدمُ[1]
فـــإذا شَـــهِدتُ جماعَـــةً واعْتـــادَني تَـــذْكارَكُمْ فاضَـــتْ دُمـــوعِيَ تَـــسجُمُ
فـــبِحَقِّكُمْ مَـــنْ ذا يُعـــايِنُ أدمُعـــي تَنْهَـــلُّ إلاّ قـــالَ هـــذا مُغْـــرَمُ
حَمَّلْتُمـــوني ثِقَـــلَ بيـــنِكُمُ أَلَـــمْ تَتَبيَّنـــوا أَلَـــمَ الحَنـــينِ فتَرْحَمـــوا
عـــاقَبْتُموني فـــي الهَـــوى بِـــذُنوبِكُمْ لقَـــدِ اســـتَطَلْتُمْ إذ قَـــدَرْتُمْ فـــارحَموا
أَتَظَلَّمـــونَ وتَظْلِمـــونَ مُحِـــبَّكُم ومِـــنَ العَجائِـــبِ ظـــالِمٌ مُـــتَظَلِّمُ
أُعْتِبْـــتُمُ فعَتِبـــتُمُ وأُطِعْـــتُمُ فَعَـــصَيتُمُ ووُصِـــلْتُمُ فهَجَـــرتُمُ
قدْ كـــانَ لـــي فـــي هَجْـــرِكُم لـــو أنّنـــي أقـــوى عليْـــه مِـــنَ الـــسَّلامَةِ سُـــلَّمُ
ولَقَـــد عَلِمْـــتُمْ أنّنـــي قـــدْ رُمْتُـــهُ فـــضَعُفتُ عنْـــهُ فـــافْعَلوا مـــا شِـــئتُمُ
أنـــتُمْ مُنـــايَ وَفَيْـــتُمُ أو خُنْـــتُمُ ولَكُـــمْ هـــوايَ دَنَـــوتُمُ أو بِنْـــتُمُ
يـــا حَبَّـــذا **أمُّ الوفـــاءِ** وإنْ جَفَـــتْ وتَغَيَّـــرتْ فَهِـــيَ التـــي لا تـــسأمُ
وَهـــيَ التـــي انفـــردت بـــودّي كلِّـــه ولطالمـــا قـــدْ كـــانَ وهْـــوَ مُقـــسَّمُ

شعر أميّة بن عبد العزيز الدانيّ

(1)

قال في **جارية**:[2] [مجزوء الرَّمَل]

بـــــأبيْ خَـــــوْدٌ[3] شَـــــمُوعٌ[4] أقبلَـــــتْ تَحمـــــلُ شَـــــمْعَهْ
فـــــالتَقىْ نورُهمـــــا واخْـــــــــــتَلَفا قَـــــدْراً ورِفْعَـــــهْ
ومَـــــسيرُ الـــــشَّمسِ يَـــــستَهْـــــــديْ بـــــضَوءِ الـــــنَّجمِ بِدْعَـــــهْ

---

[1] – عَنْدَمُ: دم الأَخَوَين وقيل هو الأَيْدَع. ابن منظور، لسان العرب، مادة (عندم) 430/12.

[2] – المَقَّري، النّفح، 32/5.

[3] – خَوْد: الفتاة الحسنة الخَلق الشابة ما لم تصر نَصفاً وقيل الجارية الناعمة والجمع خَـوْدات، ابن منظور، لسان العرب، مادة (خود) 165/3 .

[4] – شَمُوع: الجارية اللعوب الضَّحوك الآنسة، وقيل: هي المزَّاحةُ الطَّيِّبة الحديث التي تُقَبِّلك ولا تُطاوعك على سوى ذلك، وقيل: الشَّمُوع اللّعوب الضَّحوك فقط. ابن منظور، لسان العرب، مادة (شمع) 186/8.

(2)

وقال في جارية سوداء اسمها **عزَّة:** [1] [السَّريع]

يــا **عــزُّ** عــزَّ الوَجْــدُ صَــبريْ بِمــا — أصْــبَحت مِــنْ حُــسنك تُبْدينَــهْ
مــا أنْــتِ إلاّ لعبــةٌ مــا بَــدَتْ — للمَــرءِ إلاّ أفْــسَدَتْ دينَــهْ
وقــدْ أفَــدْتِ المِــسْكَ فَخــراً بــأن — أصْــبَحَ يَحْكيــكِ وتَحْكينَــهْ
لا شَــكَّ إذ لونُكُمــا واحــدٌ — أنّكُمــا فــي الأصْــلِ مِــنْ طِينَــهْ

(3)

وقال في الجارية **تجنّي:** [2] [مخلّع البسيط]

لله هَيفــاءُ قــدَّ مِنْهــا — هَيفــاءُ كالغُــصْنِ فــي التَّثَنِّــي
إشْــراقُها والــضِّياءُ مِنْهــا — وحَرُّهــا والــدُّموعُ منــي
جــاءتْ بهــا سَــاطِعٌ سَــنَاها — يَرْفَــعُ سَــجْفَ[3] الظَّــلامَ عنــي
تلــكَ **تَجنِّــيْ** التــيْ بَرَتْنــي — بالتِّيْــهِ والــصَّدِّ والتَّجَنِّــي

شعر ابن بسام

(1)

قال في **جارية:** [4] [الرَّمَل]

صــاغتْ الجــوزاءُ قِــرطينِ علــى — مَــسمَعيها والثُّريــا دُملُجــا
واســتجادتْ مِــنْ سَــماها حلــلاً — فكــساها قُــزَحٌ مــا نــسجا

---

[1] – العماد الأصفهاني، الخَريدَة، ق4 ج1/324–325.

[2] – العماد الأصفهاني، الخَريدَة، ق4 ج1/ 326.

[3] – سِجْفَ:ستر. ابن منظور، لسان العرب، مادة (سجف) 144/9.

[4] – الذّخيرَة، ق3 م1/491.

(2)

قال في الجارية **حُسْن الوَرد** : [1] [الطَّويل]

بـــدا الـــوردُ فـــي أغـــصانه متعرّضـــاً يُـــذكّرُني مَـــن إســـمُه[2] **حُـــسْنُ الـــوَرْدِ**
يُـــــذكّرُ أيامـــــاً نَعِمنـــــا بِطيبهـــــا ورَشْفَ رُضــابٍ طعمُــه حَـسَنُ الــوِرْدِ
فـــدعني ولا تَلْـــحَ علـــى الحُـــبّ أهلـــه فلو كنتَ تدريْ لــمْ تَلُمنــيْ علــى وجــدي

(3)

قال في الجارية **أزهَر**: [3] [الطَّويل]

شَـــربنا علـــى مـــاءٍ كـــأنَّ خَريـــرَه خَريـــرُ دُمـــوعيْ عنـــدَ رُؤيـــةِ **أزهَـــرِ**
حلَفـــتُ بِعينيهـــا لقـــدْ سَـــفكَتْ دمـــيْ بـــأطرافِ فتّـــانٍ وألحـــاظِ جُـــؤذرِ

شعر ابن بطّال

(1)

قال في **جارية**: [4] [المتقارب]

رشـــــاً راشَ بالـــــسحرِ أجفانَـــــه أنـــيسٌ يَـــصيدُ قُلـــوبَ الأَنَـــسْ
كليـــــلٍ أراد يَمُـــــدُّ الظـــــلامَ فَكُـــفَّ بتوريـــدِ وجـــهِ الغَـــبَسْ[5]
وأشـــــفَقَ أن يَنْجَلـــــي صُـــــبْحُهُ فـــصارَ علـــى الخـــدِّ منـــهُ حـــبسْ

---

[1]– ابن بسَّام، الذّخيرَة، ق1 م873/2.

[2] – قُطِعت همزة الوصل للضرورة الشِّعريَّة.

[3]– ابن بسَّام، الذّخيرَة، ق1 م872/2.

[4] – الكتَّاني، التّشبيهات، 126.

[5] – الغَبَس و الغَبْسَة: لون الرَّماد وهو بياضٌ فيه كُدْرة. ابن منظور، لسان العرب، مادة (غبس) 153/6.

(2)

وقال في **جارية**: [1] [الكامل]

تَرنـــو لواحظُنـــا لتقطـــفَ وردَه   فتـدبُّ عقربُـهُ فتلـسعُ مَـن رنـا
فكـأن عقـربَ صُـدْغِه فـي خـدِّه   دبَّـت لتمنـعَ ورده أن يُجْتَنـى

شعر أبي بكر الزّبيديّ الإشبيليّ

(1)

قال في جاريته **سَلْمى**: [2] [مخلّع البسيط]

ويحـكِ يـا **سَـلْمُ** لا تُراعـي   لا بُـدَّ للبَـيْنِ مـن زَمَـاعِ
لا تَحْسَبيني صـبرْتُ إلا   كـصبر مَيْـتٍ علـى النِّـزاعِ
مـا خلـقَ اللهُ مـنْ عـذابٍ   أَشَـدَّ مـن وَقْفَـة الـوَداعِ
مـا بيننـا والحِمـامُ فَـرقٌ   لـولا المناحـاتُ والنَّـواعي
إن يفتـرِقْ شَـمْلُنا وشـيكاً   مـن بَعْـدِما كـانَ ذا اجتمـاعِ
فكُـلُّ شَـملٍ إلـى افتـراقٍ   و كُـلُّ شَـعْبٍ إلـى انْـصِداعِ
وكـلُّ قُـربٍ إلـى بعـادٍ   وكـلُّ وَصْـلٍ إلـى انقِطـاعِ

---

[1] – الكتّاني، التّشبيهات، 126.

[2] – الحميدي، جَذوَةُ المُقتبس، 88/1، الضَّبي، بُغيَة المُلتَمس، 66، عبد الواحد المرّاكشي، المُعْجِب، 65، ابن خلكان، وَفَيات الأعْيان، 373/4، ابن سَعيد، المغرب، 255/1–256، المَقَّري، النّفح، 157/5.

شعر أبي بكر بن نصر الإشبيليّ

(1)

شبَّه أبو بكر بن نصر [1] الرياض **بالجواري** فقال: [2] [الكامل]

وكأنّمـــا تِلْـــكَ الرِّيـــاضُ عـــرائسٌ ... مَلبوسُـــهنَّ مُعَـــصْفَرٌ [3] ومُزَعْفَـــرُ [4]
أو كالقيـــانِ لَبِـــسْنَ مَوْشِـــيَّ الحُلِـــي ... فلَهُـــنَّ فـــي وَشْـــي اللِّبـــاسِ تَبَخْتُـــرُ

شعر البلنوبي

(1)

قال البلنوبي في **راقصة**: [5] [البسيط]

هيفاءُ إنْ رقصتْ فـــيْ مجلـــسٍ رَقَـــصَت ... قلوبُ منْ حولهـــا مـــنْ حَـــذْقِها طَرَبـــا
خفيفـــةُ الـــوطء لـــوْ جالـــتْ بخُطوَتِهـــا ... في جفنِ ذى رَمَـــدٍ لـــم يـــشتكِ الوَصَـــبا

---

[1] – هو أبو بكر محمد بن نصر الإشبيلي، ذُكر له مقطوعات شعرية في النَّفح والبديع في فصل الرَّبيع، انظر المقَّري، النّفح، 33/5، الحميري، البديع في فصل الرَّبيع، 27.

[2] – الضَّبي، بُغيَة المُلتَمس، 520، المقَّري، النّفح،33/5.

[3] – العُصفُر: هذا الذي يصبغ به منه، ريْفِيٌّ ومنه بَرِّيٌّ وكلاهما نبتٌ بـــأرض العـــرب، وقـــد عَصفَرتُ الثّوب فتَعَصفَر. ابن منظور، لسان العرب، مادة (عصفر) 581/4.

[4] – الزّعفران: هذا الصِّبْغُ المعروف وهو من الطِّيب. ابن منظور، لسان العرب، مادة (زعفر) 324/4.

[5] – العماد الأصفهاني، الخَريدَة، ق4 ج5/1.

شعر ابن بليطة

(1)

قال في جارية: [1] [الطَّويل]

تــوهَّم عطَــفُ الــصُدغِ نونــاً بخــدِّها ... فباتَــــتْ بمـــسكِ الخـــالِ تنقطـــهُ نَقطـــا
غلاميّــة جــاءتْ وقــد جُعِــلَ الــدُّجى ... لخـــاتمِ فيهـــا فَـــصٌ غاليـــةٍ خَطَّـــا
فقلــتُ أُحَاجِيهـــا بمـــا فـــي جُفونِهـــا ... وما في الشفاه اللعسِ مــن حُــسنِها المُعطــى
مُحَيَّـــرَةُ العينـــين مـــن غَيْـــرِ سَـــكْرَةٍ ... متـــى شَـــرِبَتْ ألحـــاظ عينيـــكِ إسْـــفنْطَا
أرى نكهَةَ المِــسْواكِ فــي حُمــرةِ اللَّمــى ... وشَـــاربك المُخــضرّ بالمِــسْكِ قــد خُطّـــا
عَـــــسَى قَـــــزَحٌ قَبَّلْتِـــــهِ فإخَالـــــه ... علـــى الـــشَّفَة اللميـــاءِ قـــد جـــاءَ مُخْتَطّـــا

شعر ابن جبير

(1)

قال في **جارية**: [2] [مخلّع البسيط]

طـــولُ اغْتـــرابٍ وبَـــرْحُ شـــوقٍ ... لا صَـــــبْرَ واللهِ لـــــيْ عليْـــــهِ
إليـــكَ أشْـــكو الـــذي أُلاقـــيْ ... يـــا خيـــرَ مَـــنْ يُـــشْتَكى إليْـــهِ
ولـــــيْ بِغَرْناطَـــــة حَبيـــــبٌ ... قَـــدْ غَلِـــقَ الـــرَّهنُ فـــي يَدَيْـــهِ
ودَّعْتُـــــهُ وَهْـــــوَ فـــــي دَلالٍ ... يُظهِـــرُ لـــيْ بَعـــضَ مـــا لديْـــهِ
فلَـــوْ تـــرى طَـــلَّ نَرْجِـــسَيْهِ ... يَنْهَـــلُّ فـــي وردِ صـــفحتيْهِ
أبْـــصَرتَ دُرّاً علـــى عَقيـــقٍ ... مـــنْ دَمْعِـــهِ فَـــوقَ وجنتيْـــهِ

---

1 – ابن خلكان، وَفَيات الأعْيان، 43/5، والأبيات موجودة في ابن خاقان، مطمح الأنفس، 343 (2–6)، ابن بسَّام، الذّخيرَة، ق3 م491/1 (3–6)، المَقَّري، النّفح، 199/5 (2–6).

2 – ابن سَعيد، المغرب، 384/2–385، المَقَّري، النّفح، 142/3.

شعر ابن الجيّاب

(1)

قال في الجارية **نجمة:** [1] [البسيط]

سلطانُ حُـسنٍ علـى الأمـلاك منـصورُ سلَّ السّيوفَ وهُـنَّ الأعـينُ الحـورُ
فبايعَ القلبَ عـن طـوعٍ ومـا هـو فـي ملـكِ الإيالـةِ[2] منهـيٌّ ومَـأْمُورُ
وهـبَّ منـه علـى نفـسي فمنَّعهـا روحٌ بـه الـروحُ محبـوٌّ ومَحْبـورُ[3]
مـا للفـؤادِ الـذي راعـت مهابتُـه عُربـاً وعجمـاً فكـلٌّ منـه مـذعورُ
تملَّكتـهُ فتـاةٌ غـادة رتعـت في دولـة الحـسن غـراً فهـو منـشورُ
حيّـت تحيّـةَ مـشتاقٍ وقـد بـسمَتْ فـاللؤلؤُ الرطـبُ منظـومٌ ومنثـورُ
أوَجْهُها القَمَر الوضـاحُ شـمسٌ وضـحىً أم قـدُّها الغَـضُّ الميّـادُ ممطـورُ
يـا أيهـا القَمَـرانِ اسـتخفيا فلهـا نجـمٌ إذا لاحَ يمحـي منكمـا النـورُ
أقسمتُ ما أبـصَرتْ عينـي لهـا شَـبها حقيقـةً لا أقـولُ الطـرفُ مـسحورُ
أرعى النجـومَ ومـا بـي غيـرُ نـسبتها والـشيءُ بالـشيء مَرْعِـيٌّ ومـذكورُ
كنَّيـتُ عنهـا بـذكرِ الـنجمِ توريـةً وفـي الكنايـاتِ إجمـالٌ وتفـسيرُ
تيهـي بملـكِ جمـالٍ عـزَّ ناصـرُه ومـن عـصاه فمطـرودٌ ومـدحورُ
فأنـتِ مملـوكتي رقّـا ومـالكتي بـشرعِ حـبّ ومـا للـشرعِ تغييـرُ
فـإن تُـسيئي فـإن الـذنبَ مغتفـرٌ لـديّ أو تُحـسِني فالفـضلُ مـشكورُ
فأطيـبُ الحـبِ عنـدي مـا تجاذبَـهُ وصـلٌ وهجـر وتـسكينُ وتنفيـرُ
فيـا لِقَلْـبٍ بـه الأضـدادُ قـد جُمِعَـت فمجَبـرٌ بجنـونِ الحـبِ مجبـورُ
أُطيعُهـا وهـي مُلكـي إنّ ذا عجـبٌ مَلِـكُ القلـوبِ لـه حكـمٌ وتـدبيرُ
لا أنْسَ ليلـةَ وصـلٍ قـد سـمحتِ بهـا فكـلُّ ذنـبٍ بهـا للـدهرِ مغفـورُ
قـضيتُ فيهـا حقـوقَ الحـبِ وافيـةً فكـل مـا أمَّلَتْـهُ الـنَّفسُ ميـسورُ
يـا ليلـةَ الوصـلِ عـودي دائمـاً أبـداً وأَحسِني لي فجـارُ الإحـسانِ مكفـورُ[4]

---

[1] - الدّيوان، 274-275.

[2] -الإيالة: السِّياسة. ابن منظور، لسان العرب، مادة (أول) 36/11.

[3] - الحَبْر والحَبْرَة: النَّعْمَة. ابن منظور، لسان العرب، مادة (حبر) 158/4.

[4] - حصل كسر في التفعلية السابعة والثامنة.

شعر ابن حزم الأندلسيّ

(1)

قال يرثي جاريته **نُعْم:** [1] [الطَّويل]

كـــأنيَ لـــم آنـــسْ بألفاظِـــك التـــي ... علـــى عُقَــد الألبـــابِ هـــنَّ نوافـــثُ
ولـــمْ أتحكـــمْ فـــيْ الأمـــانيْ كـــأنني ... لإفـــراطِ مـــا حُكِّمـــتُ فـــيهنَّ عابـــثُ
ويُبـــدينَ إعراضـــاً وهُـــنَّ أوالـــفٌ ... ويُقْسِمنَ فـــي هَجــرِي وهُــنَّ حوانِــثُ

(2)

وقال في **جارية:** [2] [الخفيف]

لاتَلُمْهـــا علـــى النِّفـــارِ ومَنْـــعِ الـــ ... ـــوَصْلِ مـــا هـــذا لَهـــا بِنَكيـــرِ
هـــل يكـــونُ الهـــلالُ غيـــرَ بعيـــدٍ ... أو يكـــونُ الغـــزالُ غيـــرَ نفـــورِ

(3)

وقال في **جارية:** [3] [الطَّويل]

يُبَكِّـــي لِمَيْـــتٍ مـــاتَ وهْـــوَ مُكَـــرَّمٌ ... ولَلْحَـــيُّ أولـــى بالـــدُّموعِ الـــذَّوارفِ
فيـــا عجبـــاً مِـــنْ آســـفٍ لامـــرئٍ ثـــوى ... ومـــا هُـــوَ للمقتـــولِ ظُلمـــاً بآســـفِ

(4)

وقال يرثي جاريته **نُعْم:** [4] [الطَّويل]

مهذّبـــةٌ بيـــضاء كالـــشّمسِ إن بَـــدَتْ ... وســـائرُ ربَّـــاتِ الحجـــالِ نُجـــومُ
أطـــارَ هواهـــا القلـــبَ عـــنْ مُـــستَقَرِّه ... فبعـــدَ وقـــوعٍ ظَـــلَّ وهْـــوَ يَحـــومُ

---

[1]– رسائله، 224/1.

[2]– رسائله، 1/ 251.

[3]– رسائله، 1/ 252.

[4] – رسائله، 1/ 223–224.

(5)

وقال في **جارية**: [1] [الوافر]

مَنَعْـــتِ جَمـــالَ وَجهـــكِ مُقلتيـــا ولفْظُـــكِ قـــدْ ضَـــنَنْتِ بـــهِ عَلَيّـــا
أراكِ نَـــذرتِ للـــرّحمنِ صـــوماً فلـــستِ تُكلِّمـــينَ اليـــومَ حيّـــا
وقـــدْ غَنَّيـــتِ للعبـــاسِ شـــعراً هنيئـــاً ذا لعبـــاسٍ هنيّـــا
فلـــوْ يلقـــاكِ عبّـــاس لأضـــحى لفـــوز قانيـــا وبكـــم شـــجيّا

شعر أبي الحسن الحصريّ

(1)

قال في **جارية** بيضاء: [2] [الكامل]

خَـضَبَتْ يَـديها لـونَ فاحِمِهـا فمـا نَقُـصَ البيـاضُ ملاحـةً بـل زادا
مـا بـالُ شـيبي تُنكِـرين خِـضابَه وأراكِ خاضِـبةَ البيـاضِ سـوادا
قالـت نجيعُـكَ[3] فـي يـديَّ وإنَّمـا بدَّلتُـه أسـفاً عليـكَ حـدادا

(2)

وقال في **جاريته**: [4] [الخفيف]

ربِّ سَـهِّلْ علـى فتـاتي فتـاتي لِتَـرى هـلْ سـلا فتاهـا فتاهـا
علَّمَتْـهُ جُفُونُهـا آيَ سِـحرٍ مـا تلاهـا عـن حُبِّهـا مُـذ تلاهـا

---

[1]- رسائله، 1/ 251.
[2] - ابن دحية، المُطرِب، 79.
[3] - النَّجيع: الدم وقيل: هو دم الجوف خاصة وقيل: هو الطري منه وقيل: ما كان إلى السواد. ابن منظور، لسان العرب، مادة (نجع) 348/8.
[4]- ابن الأبَّار، التَّكمِلة، 162/1.

شعر الحكم بن هشام الرَّبضيّ

(1)

وقال في **جواريه:** [1] [الخفيف]

نِلــــتُ كـــلَّ الوِصــــالِ بعـــد البِعــادِ   فكـــأني ملكـــتُ كـــلَّ العبـــادِ
وتنـــاهى الـــسُّرورُ إذ نِلـــتُ مـــا لـــم   يُغْـــنِ فيـــهِ تكـــاثُفُ الأجنـــادِ

(2)

وقال في **جواريه:** [2] [الخفيف]

ظـــلَّ مـــنْ فَـــرْطِ حُبِّـــه مَمْلوكـــا   ولقـــدْ كـــانَ قبـــلَ ذاك مليكـــا
إن بكى أو شـكا الهـوى زِيـدَ ظُلمـاً   ببعـــادٍ أَدْنـــى حِمامـــاً وَشـــيْكا
تَركَتْـــه جـــآذرُ القـــصر صَـــبّاً   مُـــستهاماً علـــى الـــصَّعيدِ تَرِيكَـــا
يجعــل الخــدَّ واضــعاً فــوقَ تُــرْبٍ   للـــذي يجْعَـــلُ الحَريـــرَ أريكـــا
هكـــذا يَحـــسُنُ التَّـــذلُّلُ للحُـــرْ   ـــرِ إذا كـــان فـــي الهَـــوى مَملوكـــا

(3)

قال في **جواريه:** [3] [البسيط]

قُضبٌ من البانِ ماسَـتْ فـوق كُثبـانِ   أعرَضْـــنَ عنـــي وقـــد أزمعـــنَ هجرانـــي
ناشدتُهُنَّ بحقي فـاعتزمنَ علـى الـ   ـــهجرانِ حتـــى خـــلا مـــنهنَّ هيمـــاني
ملَكْنَنـــي مِلـــكَ مـــن ذلَّـــت عزيمتُـــهُ   للحـــبِّ ذُلَّ أســـيرٍ مُوثَـــقٍ عـــاني
من لي بمُغْتَصِباتِ الـرُّوح مـن بـدني   غـصبنني فـي الهـوى عـزِّي وسُـلطاني

---

[1] – ابن عِذَاري، البيانُ المُغرِب، 79/2.

[2] – مجهول، أخبار مجموعة، 121–122، ابن الأبَّار، الحُلّة السِّيَراء، 1/ 49، ابن عِذَاري، البيانُ المُغرِب، 80/2.

[3] – مجهول، أخبار مجموعة، 121، ابن الأبَّار، الحُلّة السِّيَراء، 50/1، ابن عِذَاري، البيانُ المُغرِب، 79/2، والأبيات موجودة في المقَّري، النّفح، 330/1 (1، 4).

شعر ابن حمديس

(1)

قال يصف **ساقية:** [1] [الكامل]

يـــا حُـــسْنَ ســـاقيةٍ تمُـــدُّ أنـــاملاً ... بعـــروسِ راحٍ فـــي عقـــودِ حبـــابِ[2]
تـــسقيكَ شـــمسَ ســـلافةٍ [3] عنبيَّـــة ... طلعـــتْ علـــى فُلْـــكٍ مـــنَ العُنّـــابِ
ومُنبَّـــهٍ فـــيْ حِجْـــرِ مَـــن شَـــدَواتُها ... تثنـــي الهمـــومَ بهـــا علـــى الأعقـــابِ
وكأنّمـــا الأجـــسامُ مـــنْ إحـــسانها ... مُلِئَـــتْ بـــأرواحٍ مـــنَ الإطـــرابِ
وكأنمـــا يـــدُها فـــمٌ مـــتكلم ... بالـــسحر فيـــه مِقـــوَلُ المـــضرابِ

(2)

وقال في **رواقص:** [4] [المتقارب]

وغيْـــــد لطـــــائفُ ألحانِهـــــا ... تُنَغِّمُهـــــا لـــــسُرورِ الكئيـــــبِ
فكُـــــلٌّ مُقَمَّعَـــــةٍ بـــــالعَقيقِ ... مـــنَ الـــدُّرِّ أغـــصانَ كـــفٍّ خَـــضيبِ
تُنَبِّـــهُ مُطْرِقَـــةً فـــي الحجـــو ... رِ تُغـــري الأكُـــفَّ بـــشَقِّ الجُيـــوبِ
إذا أَسْـــمَعَتْ حـــسناتِ الغِنـــاءِ ... شَـــرِبنا عليهـــا كـــؤوسَ الـــذُّنوبِ
وسُـــودِ الـــذّوائبِ يـــسحَبْنَها ... كَـــسَعي الأســـاودِ فـــوقَ الكثيـــبِ
تَوَافَـــقَ بـــالرَّقص أقْـــدامُهُنَّ ... يَطَـــأنَ بهـــا نَغَمَـــاتِ الـــذُّنوبِ
يُـــشِرْنَ إلـــى كُـــلِّ عُـــضوٍ بِمـــا ... يَحُـــلُّ بِـــهِ فـــي الهَـــوى مِـــنْ كُـــرُوبِ
بَـــسَطْنا لهـــا وَهْـــيَ مثـــلُ الغُـــصُونِ ... تَمِـــيْسُ بِهَـــبِّ الـــصَّبا والجنـــوبِ
علـــى الأرْضِ مِنَّـــا خـــدودَ الوُجُـــوهِ ... وبَـــيْنَ الـــضُّلوعِ خُـــدودَ القُلـــوبِ

---

[1] – الدّيوان، 21.

[2] – حَباب: حَبابُ الرَّمل و حِبَبه طرائقه وكذلك هما في النبيذ. ابن منظور، لسان العرب، مـادة (حبب) 295/1.

[3] – سلافة: سلاف الخمر سلافتها أوّل ما يُعصر منها. ابن منظور، لسان العرب، مادة (سـلف) 159/9.

[4] – الدّيوان، 13.

(3)

وقال في **رواقص:** [1] [الطَّويل]

ومـــنْ راقـــصات ســـاحبات ذيولَهـــا ... شـــواد بمـــسك فـــي العبيـــر تَـــضمَّخُ
كمـــا جـــرّرَتْ أذيالَهـــا فـــي هـــديلِها ... حمـــائمُ أيـــك أو طـــواويسُ تَبْـــذخُ

(4)

وقال يصف **راقصة:** [2] [الطَّويل]

وراقـــصةٍ بالـــسِّحرِ فـــي حركاتِهـــا ... تقـــيمُ بـــه وزنَ الغنـــاءِ علـــى حَـــدٍّ
مُنَغِّمَـــــــةٌ ألفاظَهَـــــــا بتـــــــرنّمٍ ... كـــسا معبـــداً مـــن عـــزِّه ذلّـــةَ العبـــدِ
تـــدوسُ قلـــوبَ الـــسامعينَ برَخْـــصةٍ ... بهـــا لَقَطَـــتْ مـــا لِلُّحـــون مـــن العَـــدِّ
بِقـــدٍّ يمـــوتُ الغـــصْنُ مـــن حَركاتـــه ... سكوناً وأيـــنَ الغـــصنُ مـــن بَـــرِه القـــدِّ
وتحـــسبُها عمَّـــا تـــشيرُ بأنمـــلٍ ... إلى ما يلاقي كـلُّ عـضوٍ مـنَ الوجْـدِ
بنا لا بها ما تشتكي مـن جَـوَى الهـوى ... وأدمـــعُ أشـــواقٍ مُخَـــدِّدَةِ الخـــدِّ

(5)

وقال في **ساقية:** [3] [المتقارب]

وسَـــــــــاقيةٍ زَرَّرتْ كفَّهـــــــــا ... علـــى عُنُـــقِ الظَّبْـــي أزرارَهـــا
تُـــــــــديرُ بياقوتَـــــــــة دُرَّة ... فَـــتغمسُ فـــي مائهـــا نارَهـــا
وقَـــدْ سَـــكَّنتْ حَركـــاتِ الأسَـــى ... قيـــانٌ تُحـــرِّكُ أوتارَهـــا
فَهَـــذيْ تُعـــانِقُ لـــيْ عُودَهـــا ... وتِلْـــكَ تُقبِّـــلُ مزْمارَهـــا
وراقِـــصةٍ لقطَـــتْ رجْلَهـــا ... حِـــسابَ يَـــدٍ نقَـــرتْ طارَهـــا

(6)

وقال في جاريته **جوهرة:** [4] [البسيط]

وســـابحٍ لاعـــبٍ فـــي بحـــره مَرَحـــاً ... تُـــشيرُ كفّـــاهُ تعويـــذاً مـــن الغَـــرَقِ

---

[1] – الدّيوان، 112.
[2] – الدّيوان، 133.
[3] – الدّيوان ، 181-182.
[4] – الدّيوان، 324.

يدعو ولـم يـكُ مـضطراً خـذوا بيـدي وعنـده الفـرْق بـين الأمْـنِ والفَـرَق
فـإن بكيـتُ فـإني قـد ذَكَـرْتُ بـه مَن جُرّعتْ منه كـأس المـوتِ بالـشرَق
رُدّتْ علـى البحـر مـن كفَّـيَّ **جَـوهرَةٌ** ثـم انْقلَبْـتُ بقلـبٍ دائـمِ الحُـرَق

(7)

وقال يرثي جاريته **جوهرة:** [1] [البسيط]

أيا رشاقةَ غُـصْنِ البـانِ مـا هَـصَرَكْ ويا تـألُّفَ نَظْـم الـشَّمل مَـنْ نثـركْ
ويـا شـؤوني وشـأنيْ كُلّـهُ حَـزَنٌ فُضّي يواقيتَ دمعـيْ واحبـسيْ دُرَرَكْ
مـا خلـتُ قلبـيْ وتَبريحـيْ يُقَلِّبُـهُ إلاّ جنـاحَ قَطـاةٍ فـيْ اعتقـالِ شَـرَكْ
لا صبرَ عنكِ وكيفَ الـصَّبرُ عنـكِ وقـدْ طَواكِ عنْ عينيَ المـوجُ الـذي نَثَـركْ
هـلاّ وروضـةُ ذاك الحـسنِ ناضـرةٌ لا تلحظُ العـينُ فيهـا ذابـلاً زَهَـركْ
أماتـكِ البحـرُ ذو التيـار مـن حَـسَدٍ لمّـا دَرَى الـدرُّ منـه حاسـداً ثغَـركْ
وقعتُ في الـدمع إذ أُغْرقـتِ فـي لُجَـجٍ قد كاد يغمُرُنـي منـهُ الـذي غمـركْ
أيَّ الثلاثـةِ أبكـيْ فَقْـدَهُ بـدمٍ عمـيمَ خُلْقِـكِ أم مَعنـاكِ أم صِـغَرَكْ
من أيـن يَقْـبَحُ أن أفنـى عليـكِ أسـى والحُسنُ فـي كـلّ فـنّ يقتفـي أثَـرَكْ
كنـتِ الـشبيبةَ إذْ وَلّـتْ ولا عِـوَضٌ منها ولو ربَـحَ الـدنيا الـذي خَـسِرَكْ
ما كنتُ عنـكِ مطـيلاً بـالهوى سَـفَري وقد أطَلْتِ لِحَيْنـي فـي البلـى سـفركْ
هـل واصـلي منـكِ إلا طيـفُ ميّتَـةٍ تُهدي لعينيَ مـن ذاك الـسكون حَـركْ
أُعـانقُ القبـر شـوقاً وهـو مـشتملٌ عليكِ لـو كنـتُ فيـه عالمـاً خَبَـرَكْ
وددتُ يا نورَ عينـي لـو وَقَـى بـصري جنـادلاً وترابـاً لاَصـقا بـشركْ
أقـولُ للبحـرِ إذ أغـشيتُهُ نظـري مـا كَـدَّرَ العـيشَ إلا شُـرْبُها كَـدَركْ
هـلاّ كففـتَ أُجاجـاً منـك عـن أُشَـرٍ[2] من ثغرِ لميـاءَ لـولا ضـعفها أسـركْ
هـلاّ نظـرتَ إلـى تفتيـرِ مُقْلتهـا إني لأعجبُ منـه كيـف مـا سـحركْ
يا وَجْهَ جوهرةَ المحجوبَ عـنْ بـصريْ منْ ذا يقيكَ كُـسوفاً قـدْ عـلا قَمَـركْ
يا جسمَها كيفَ أخلو مـنْ جـوىْ حَزَنـيْ وأنتَ خالٍ من الـرّوحِ الـذيْ عَمَـركْ
ليلـي أطالَـكَ بـالأحزانِ مُعقّبَـةً عليّ مَنْ كـان بـالأفراح قـد قـصركْ

---

[1] - الدّيوان، 212- 213.

[2] - الأُشَرُ: أُشُرُ الأسنان وأُشَرُها التَّحزيزُ الذي فيها يكون خِلقَة ومُستَعملاً والجمع أُشُور. ابـن منظور، لسان العرب، مادة (أشر) 4/ 21 .

ما أغْفَلَ النـائمَ المرمـوسَ فـي جـدثٍ عما يُلاقي من التبـريح مَـنْ سَـهِركْ
يا دُولةَ الوصلِ إن ولّيـتِ عـن بـصري فالقلبُ يقرأ في صُحْفِ الأسـى سـمَركْ
لـئن وجـدتكِ عنـي غيـرَ نابيَـةٍ فـإنّ نفـسي منهـا ربُّهـا فطـركْ
إنْ كـانَ أسـلمكِ المـضطرُّ عـن قَـدَرٍ فلـمْ يَخنْـكِ علـى حـالٍ ولا غَـدَرَكْ
هـل كـان إلاّ غريقـاً رافعـاً يَـدَهُ نهاهُ عن شُربِ كاسٍ مـن بهـا أمـركْ
وارحمتـا لِوَلُـوعٍ بالبكـاء فمـا ينـسيه ذكـر...............[1]
أمـا عَـدَاكِ حِمـامٌ عـن زيارتـه فكيفَ أطمـعَ فيـك الـنفسَ وانتظـركْ
إن كـان للـدمع فـي أرجـاء وجنتـه تبـرّجٌ فهـو يبكـي بالأسـى خَفَـركْ
ومـا نجـوتُ بنفـسي عنـكِ راغبـةً وإنّمـا مَـدّ عُمْـري قاصـرٌ عُمُـرَكْ

(8)

وقال في **جارية**:[2] [الكامل]

ويلـي علـى مملوكـةٍ ملكـتْ رقّـي بحُـسنِ مقالِهـا ويلـي
غيـداءُ تحـسبُ كلمـا انعطفـتْ مـن فَرعهـا ذيـلاً علـى الـذيلِ
وكأنهـا شـمسٌ علـى غُـصُنٍ مُتَـرنِّحِ التَّقـويم والمَيـلِ
قالـتْ وقـد عانقتُهـا سَـحَراً لِـمَ زُرْتَنـا فـي آخـرِ الليـلِ
فأجبتُهـا وغَمَرتُهـا قُـبَلاً هـذا أوانُ إغـارةِ الخَيْـلِ
حتـى إذا بَزَغَـتْ شَـبيهتُها كالتّـاجِ فَـوقَ مَفـارقِ القَيْـلِ
نُزعَـتْ كَنَـزعِ الـرُّوحِ مـن جـسدي عنّـي قـلادة سـاعدٍ غَيْـلِ
فَنَهـضْتُ أشـرَقُ بالـدُّموعِ كَمـا شَـرِقَ الفـضاءُ بكثـرةِ الـسَّيْلِ

(9)

وقال في **ساقية**:[3] [الرَّمَل]

أقبَلَـت تـسعى بهـا خُمـصانَةٌ عـمَّ منهـا حُـسنُها خُلْقـاً عمـيمِ
كلّمـا قامَـتْ تَثَنَّـى خَلَعَـتْ مَيَـلَ التيـهِ علـى خُـوطٍ قـويمِ
سِـحْرُ هـاروتَ ومـاروتَ بهـا فـي فُتـورِ اللَّحـظِ واللَّفـظِ الـرَّخيمِ
تُـودعُ الكـفَّ شِـهاباً مُحرقـاً كـلَّ شـيطانٍ مـنَ الهَـمِّ رجـيمِ

---

[1] – بياض في الأصل، انظر الدّيوان (الهامش) ، 363.
[2]– الدّيوان ، 363.
[3] – الدّيوان، 449.

فـــي ظـــلامٍ بَـــرقَ الـــصبُحُ لـــه فتـــولّى عنـــهُ إجفـــالُ الظلـــيمِ
وحكَـــــتْ جـــــوزاؤهُ ســـــاقيةً بنِطـــاقٍ شُـــدّ فـــي خَـــصْرٍ هَـــضيمِ
وكـــأنّ الـــشُّهْبَ كاســـاتٌ لهـــا شـــاربٌ فـــي الغـــربِ للـــشُّرْبِ مُـــديمِ

(10)

وقال يرثي جاريته **جوهرة:** [1] [المنسرح]

يَهْـــدِمُ دارَ الحيـــاةِ بانيهـــا فـــأيُّ حـــيٍّ مُخَلَّـــدٌ فيهـــا
وإن تَـــردّتْ مـــن قبلنـــا أُمَـــمٌ فهـــي نفـــوسٌ رُدّتْ عواريهـــا
أمـــا تراهـــا كأنّهـــا أجَـــمٌ أسْـــوَدُها بيننـــا دواهيهـــا
إن ســـالَمَتْ وهـــي لا تـــسالمنَا أيّامُنـــا حارَبـــتْ لياليهـــا
واوَحْـــشتَا مـــن فِـــراقِ مُؤنِـــسَةٍ يميتنـــي ذكرُهـــا ويحييهـــا
أذكرهـــا والـــدموعُ تـــسبقني كـــأنني للأســـى أُجاريهـــا
يـــا بحـــرُ أرخـــصتَ غيـــر مكتـــرث مَـــنْ كنـــتُ لا للبيـــاع أغليهـــا
جـــوهرةٌ كـــان خـــاطري صَـــدَفاً لهـــا أقيهـــا بـــه وأحميهـــا
أبَتّهـــا فـــي حـــشاك مُغْرَقَـــةً وبِـــتُّ فـــي ســـاحليك أبكيهـــا
ونفحـــةُ الطيـــبِ فـــي ذوائبهـــا وصـــبغةُ الكُحـــلِ فـــي مآقيهـــا
عانَقَهـــا المـــوجُ ثـــم فارقَهـــا عـــن ضَـــمّةٍ فـــاضَ روحهـــا فيهـــا
ويلـــي مـــن المـــاء والتـــراب ومـــن أحكـــام ضِـــدّيْن حُكّمَـــا فيهـــا
أماتهـــــا ذا وذاكَ غَيّرَهـــــا كيـــفَ مـــن العُنْـــصُرَيْن أفـــديها

شعر ابن أبي الخصال

(1)

قال في **راقصات:** [2] [مخلّع البسيط]

جـــــاءَ علـــــيٌّ بملهيـــــاتِ للهـــــمِّ والقُـــــبحِ جامعـــــاتِ

---

[1] - الدّيوان، 517- 518.

[2] - ابن بسّام، الذّخيرَة، ق3 م2/795.

لـــــمْ يلتفـــــتْ نـــــاظريْ إليهـــــا إلاّ تـــــــــــذكرتُ ســـــــــــيئاتي

(2)

وقال في **قينة**: [1] [البسيط]

لَــولا المَــشيبُ ومــا أخْــشاهُ مــنْ فَنَــدٍ لَصِحْتُ واحــرَّ مــا أَلْقــاهُ مــنْ دَنَــفِ
رَمَتْ فُــؤادي بِــسهمٍ صُــبَّ مــن أُذُنــيَ على الفُــؤادِ فلَــمْ يَعْــدِلْ ولَــمْ يَــصِفِ
لــوْ ســاجَلَتْ مَعْبَــداً فــي بُعْــدِ رُتْبَتِــهِ لاسْـــتَعْبَدَتَهُ وأبْـــدى ذُلَّ مُعْتَـــرِفِ
أمّـــا الفُـــؤادُ ففـــي آثـــارِ نِعْمَتِهـــا ومَــا أُحِــسُّ لَــهُ إقْبــالَ مُنْــصَرِفِ
وَقَــد وَقَفْــتُ علــى تَفْــصيلِ صَــنْعَتِها وأيُّ حُــسْنٍ عَلَيْهــا اليَــوْمَ لــم يَقِــفِ

(3)

وقال في **راقصات**: [2] [المنسرح]

وليلَـــــةٍ طولُهـــــا علـــــيَّ سَـــــنَهْ بـــاتَ بِهـــا الجَفْـــنُ نادبـــاً وَسَـــنَهْ
بـــــأربعٍ بيـــــنهنَّ واحـــــدةٌ كـــــسيئاتٍ وبينَهـــــا حـــــسنهْ

شعر ابن خفاجة

(1)

قال في الجارية **جوهرة**: [3] [البسيط]

قالــتْ وقــد حطَّــت العُنــوانَ جــوهرةٌ عــن مُرتَقــى رُتبــةٍ قــد ســنّها الأُوَلُ
لا غروَ أنْ صِرتُ تَحــتَ الخــتمِ واقعــةً إنّ الجــواهرَ تَحــتَ الخَــتْمِ تُحتَمــلُ

---

[1] – ابن خاقان، قلائد العقيان، 520/2.
[2] – ابن بسّام، الذّخيرة، ق3 م795/2، المقّري، النّفح، 296/5.
[3] – ابن بسّام، الذّخيرة، ق3 م635/2.

(2)

وقال في الجارية **عفْراء**: [1] [الطَّويل]

أرقتُ لذكرى منزلٍ شطَّ نازحٍ ... كَلِفتُ بأنفاسِ الشَّمال له شمّا
فقلتُ لبرقٍ يَصدعُ الليلَ لائحٍ ... ألا حيِّ عنّي ذلكَ الرَّبْعَ والرَّسما
وبلّغ قَطينَ الدّارِ أنّي أُحبّهمْ ... على النأي حُباً لو جزوني به جمّا
وأقرئْ **عُفيراءَ** السّلامَ وقُل لها ... ألا هل أرى ذاكَ السّها قَمَراً تمّا
وهل يتثنّى ذلك الغُصنُ نَضرةً ... بجرعا وهل ألْويْ معاطفَهُ ضَمّا
ومن لي بذاك الحشفِ من مُتقَنّصٍ ... فآكُلَهُ عضّاً وأشْربَهُ لَثما
ودونَ الصبّا إحدى وخمسونَ حِجَّةً ... كأنّي وقدْ ولّت أريتُ بها حلما
فيا ليت طيرَ السّعدِ يسنحُ بالمُنى ... فأحظى بها سهماً وأبأى[2] بها قسما
ويا ليتني كنتُ ابنَ عشرٍ وأربعٍ ... فلم أدعُها بنتاً ولم تدعُني عما

شعر ابن درّاج القسطلي

(1)

قال في رثاء الجارية **صُبْح البَشْكَنسيَّة**: [3] [المتقارب]

بقاءُ الخلائقِ رهْنُ الفَناءِ ... وقَصرُ التَداني وشيْكُ التَّنائي
لقدْ حَلَّ مَنْ يومُهُ لاقترابٍ ... وقَدْ حَانَ مَنْ عُمْرُه لانتهاءِ
هل المُلْكُ يملِكُ ريْبَ المَنونِ ... أم العِزُّ يَصرِفُ صَرْفَ القَضاءِ
هُوَ المَوْتُ يَصدَعُ شَملَ الجميعِ ... ويكسُو الرُّبوعَ ثيابَ العَفاءِ
يَبُزُّ الحَياةَ بِبَطشٍ شَديدٍ ... ويلقَى النُّفوسَ بِداءٍ عياءِ
ألمْ تَرَ كيفَ استَباحَت يَداهُ ... كَريْمَ المُلوكِ وعِلْقَ السَّنَاءِ
ووافَى بِسَيِّدَةِ السَّيِّدا ... تِ مَأوَى البِلى ومُناخَ الفَنَاءِ

---

[1] – ابن بسّام، الذّخيرَة، ق3 م577/2.

[2] – أبأى: البَاءَة مثل الباعة والباء: النِّكاح، وسُمي النِّكاح باءة وباءً من المَبَاءَة لأن الرجل يَتَبَوَّأ من أهله أي يَسْتَمكنُ من أهله كما يَتَبَوّأ من داره. ابن منظور، لسان العرب، مادة (بوأ) 36/1.

[3] – الدّيوان، 98-102.

هُـــوَ الـــرُّزْءُ ألْـــوَى بعَـــزمِ القُلـــوبِ   مُـــــصَاباً وأوْدَى بِحُـــــسنِ العَـــــزَاءِ
فَمـــا فـــي العَويـــلِ لَـــهُ مِـــنْ كَفِـــيءِ   وَلا فـــي الـــدُّموعِ لَـــهُ مِـــنْ شِـــفَاءِ
فهيهـــــاتَ فيـــــهِ غَنَـــــاءُ الزَّفيـــــرِ   وهيهـــــاتَ منـــــهُ انتـــــصارُ البُكـــــاءِ
وأنَّـــــى يُـــــدافَعُ سُـــــقْمٌ بِـــــسُقْمٍ   وكيـــــــفَ يُعـــــــالَجُ داءٌ بـــــــداءٍ
فَتِلْـــــكَ مَـــــآقي جُفـــــونٍ رِوَاءٍ   مُفَجَّـــــرَةٍ مِـــــنْ قُلـــــوبِ ظِمـــــاءِ
فـــلا صَـــدْرَ إلاّ حَرِيْـــقٌ بِنَـــارِ   ولا جَفْـــــنَ إلاّ غريْـــــقٌ بِمَـــــاءِ
فَقَـــدْ كـــادَ يَـــصدَعُ صُـــمَّ الـــسِّلامِ[1]   ويُـــضرِمُ نَـــارَ الأَسَـــى فـــي الهَـــواءِ
وجَيْـــبُ القُلـــوبِ وشَـــقُّ الجُيـــوبِ   وشَـــجْوُ النَّحيـــبِ ولَهْـــفُ النِّـــداءِ
فمِـــنْ مُقلَـــةٍ شَـــرِقَتْ بالـــدُّموعِ   ومِـــنْ وَجنَـــةٍ شَـــرِقَتْ بالـــدِّماءِ
وسَـــافِرَةٍ مِـــنْ قِنَـــاعِ الحَيَـــاءِ   ونابِـــــذَةٍ صَـــــبرَها بـــــالعَراءِ
وبِـــيضٍ صَـــبغْنَ بلَـــونِ الحِـــدا   دِ حُمْـــرَ البنـــودِ وبِـــيضَ المُـــلاءِ
نَواشِـــجَ فـــي سَـــابِغاتِ المُـــسُوحِ[2]   وضَـــافي الـــشُّعورِ بلُـــبْسٍ سَـــواءِ
أَنَجْمـــاً هَـــوَى فـــي سَـــمَاءِ المَعَـــالي   لتَبـــكِ عليـــكِ نُجـــومُ الـــسَّماءِ
فحاشَـــى لِرُزْئِـــكِ أنْ يَقْتَـــضيهِ   عَويـــلُ الرِّجـــالِ ولَـــدْمُ[3] النِّـــساءِ
لبِـــيْضِ أياديِـــكِ فـــي الـــصَّالحاتِ   تَمَـــسَّكَ وَجْـــهُ الـــضُّحَى بالـــضِّياءِ
وقَـــلَّ لفَقْـــدِكِ أنْ يحْتَبِـــي   عليـــهِ الـــصَّبَاحُ بِثَـــوْبِ المَـــسَاءِ
فَيَـــا أَسَـــفَ المُلْـــكِ مِـــنْ ذاتِ عِـــزٍّ   تُعَـــوِّضُ مِنْهـــا بِعِـــزٍّ العَـــزَاءِ
ورَوْحَ القُبـــورِ لمَجْـــدٍ مُقِـــيمٍ   وتَـــرْحَ القُـــصُورِ لِرَبْـــعٍ خَـــلاءِ
ولَـــو قَبِـــلَ المَـــوتُ مِنْهـــا الفِـــداءَ   لَـــضَاقَ الأَنَـــامُ لَهـــا عَـــنْ فِـــداءِ
لَـــئِنْ حُجِبَـــتْ تَحْـــتَ رَدمِ اللُّحُـــودِ   ومِـــنْ قَبْـــلُ فـــي شُـــرُفاتِ العَـــلاءِ
فتِلْـــكَ مآثِرُهـــا فـــي التُّقَـــى   وبَـــذلِ اللُّهَـــى[4] مالَهـــا مِـــنْ خَفَـــاءِ

---

[1] – السِّلام: جماعة الحجارة الصغير منها والكبير لا يوحدونها. ابن منظور، لسان العرب، مادة (سلم) 297/12.

[2] – المُسوح: المِسْحُ الكساء من الشَّعر والجمع القليل أمْسَاح... والكثير مُسُوح. ابن منظور، لسان العرب، مادة (مسح) 596/2.

[3] – لَدْم: اللَّدْمُ ضرب المرأة صدرها. ابن منظور، لسان العرب، مادة (لدم) 539/12.

[4] – اللُّهى: واللُّهْوَة واللُّهْيَة الأخيرة على المُعاقبة: العَطيَّة، وقيل: أفضل العطايا وأجزلها، ويقال: إنَّه لمعطاء لِلُّها إذا كان جواداً يعطي الشيء الكثير. ابن منظور، لسان العرب، مادة (لها) 261/15.

جَـزَاكَ بأعمالِـكَ الزّاكيـا ... تِ خَيْـرُ المُجـازِيْنَ خَيْـرَ الجَـزَاءِ
ولُقِّيْـتَ فـي ضَـنْكِ ذَاكَ الـضَّريحِ ... نَـسيْمَ النَّعِـيمِ وطِيْـبَ الثَّـواءِ
فيـا رُبَّ زُلفـى لَـدَى المَـشْرقَيـ ... ـنِ أَبْـضَعَتَ فابتَعْتَهـا بـالعَلاءِ
وعَـارِي الجَنَـاحَيْنِ نُبِّئْـتَ عَنْـهُ ... فأمْـسَى وقَـدْ رِشْـتَه بالعَطـاءِ
ودَعْـوَةِ عـانٍ بأقْـصَى الـدُّروبِ ... سَـمِعْتَ لوجْـهِ سَـمِيعِ الـدُّعاءِ
وذي حُبـوةٍ بفِنـاءِ المقـامِ ... سَـنَحتَ لَـهُ بـسِجَالِ الجِبـاءِ
فللّـهِ مـن طـارقٍ للّيـالي ... رمـاكَ بيـومٍ كيـومِ البَـراءِ
فوَدَّعـتَ فيـهِ إمـامَ الهُـدى ... وداعَ نـوىً مالَهـا مِـنْ لِقـاءِ
نَجيبَـكَ والمُـصْطَفَى للخلافـ ... ـةِ مِـنْ سَـلَفَيْ خـاتَمِ الأنبيـاءِ
ومـا رَدَّ عنْـكَ سِـهامَ الحِمـامِ ... بحِـرزِ الجَنـابِ وعِـزِّ الفَنـاءِ
ودَهـرٍ مُطيـعٍ وسُـورٍ مَنيـعٍ ... وقَـصرٍ رَفيْـعٍ مَـشيدِ البِنـاءِ
وزَأْرِ الأُسُـودِ وخَفْـقِ البُنُـودِ ... وجَمْـعِ الحُـشُودِ بِمِـلءِ الفَـضاءِ
بكـلِّ كمـيٍّ[1] جَـريءِ الجَنَـانِ ... وكُـلِّ أميـرٍ مُنيـفِ اللِّـواءِ
ووالٍ رَعَـى اللهُ مـا قـدْ رَعَـاهُ ... فَـأبْلاهُ فـي الـصُّنْعِ خَيـرَ الـبَلاءِ
تَـبَلَّجَ عَنْـهُ سَـنَا يَعْـرُبٍ ... تَـبَلُّجَ قَـرْنِ الـضُّحى عَـنْ ذُكـاءِ
فتـىً قـارَضَ اللهَ عَـنْ نَفْـسِ حُـرٍّ ... بَرَاهـا لِتَخْلِيـدِ حُـرِّ الثَّنـاءِ
وأقحَمَهـا مُخطِـراتِ الحُـروبِ ... وأحبَـسَها فـي سَـبيلِ الـسَّواءِ
وجاهَـدَ فـي اللهِ حـقَّ الجهـادِ ... وأغنـى عـنِ المُلْـكِ حـقَّ الغَنـاءِ
وشـدَّ علـى الـدِّينِ سُـورَ الأمَـانِ ... وسَـدَّ عـنِ الـشِّركِ بـابَ النَّجـاءِ
وسـيفٌ إذا لألأتْـهُ الحُـرو ... بُ طـارَ العُـداةُ بـهِ كالهَبـاءِ
وألبَـسَهُ النَّـصرُ ثـوبَ الجَـلالِ ... وتَوَّجَـهُ الـصَّبْرُ تَـاجَ البَهـاءِ
فلَـو أَفْـصَحَ الـدَّهرُ عمَّـا يُكِـنُّ ... لنـاداهُ يـا صـفوةَ الأوليـاءِ
هُـوَ المَلِـكُ العـامِرِيُّ المُـسَمَّى ... يـداهُ كَفِيلَـيْ حيـاةِ الرَّجـاءِ
عَـزاءً إمـامَ الهُـدى فـالنُّفو ... سُ مـا إنْ سِـواكَ لهـا مِـنْ عَـزاءِ
وعُوِّضْـتَ منهـا جزيـلَ الثَّـوابِ ... ومَـدَّ لـكَ اللهُ طـولَ البَقـاءِ

---

[1] – الكميُّ: الشجاع المُتَكَمِّي في سلاحه لأنه كمى نفسه أي سترها بالـدِّرع والبَيْـضة والجمـع الكُماة. ابن منظور، لسان العرب، مادة (كمي) 232/15.

(2)

وقال في رثاء الجارية **صُبْح البَشْكَنسيَّة** والمظفر عبد الملك بن المنصور بن أبي عامر على لسان جارية: [1] [البسيط]

مـــن سَــبْيِ ســيبِكَ مَّمـــا أَنْبَتَــتْ نِعَمُــكْ   مـــن دُرِّ بَحْـــرِكَ مَّمـــا عَمَّـــهُ كَرَمُـــكْ
حتّـــى أَتيتُـــكَ طِيبـــاً طـــابَ مرتَعُـــهُ   وَسْطَ الرِّياضِ التي جـــادَتْ لهـــا دِيَمُـــكْ
أو كوكبـــاً مـــن نجـــومِ الحـــسنِ مطلَعُـــهُ   جَوُّ السَّماءِ التـــي مِـــنْ فَوْقِهـــا هِمَمُـــكْ
من رِيقَتِي المِسْكُ بَلْ رَيَّـــاه مـــن أَرَجِـــي   كأنمـــا صـــافَحَتْني بالـــضُّحى شِـــيَمُكْ
والغُـــصْنُ يَـــسْرِقُ مـــن قَـــدِّيَ تَثَنِّيَـــهُ   رقصاً وحاشى له مَّمِـــنْ غَـــذَتْ نِعَمُـــكْ
أَقـــولُ لِلـــصُّبْحِ والـــدُّنيا تُنيـــرُ بِـــهِ   يا صُبْحُ مَنْ يَرَ وَجْهِـــي فَهْـــوَ مُتَّهِمُـــكْ
وكـــم دَعَـــوْتُ وجـــنحُ الليـــلِ مُنْـــسَدِلٌ   يا لَيْلُ شَعْرِيَ يُغـــشِي الليـــلَ أَمْ ظُلَمُـــكْ
ورُبَّ بـــرقٍ خَبَـــا لمـــا هَتَفْـــتُ بِـــهِ   هيهاتَ من مَبْسِمي يـــا بـــرقُ مُبْتَـــسَمُكْ
بـــدائِعٌ تقتـــضي حَقَّـــي لَـــدَيْكَ وقَـــدْ   رأَيـــتَ آمـــالَ أَهـــلِ الأَرْضِ تَقْتَـــسِمُكْ
لعـــلَّ عَطفَـــكَ يـــا مـــولايَ يـــأْذَنُ لـــي   في وَضْعِ خَدِّيَ حيْثُ استوْطَأَتْ قَـــدَمُكْ
وَتَبْلُـــوَ الـــسِّرَّ مـــن قَـــولٍ يُـــرَدِّدُهُ   إِلَيْـــكَ قَلْبِـــيَ لا يَعْيـــا بِـــهِ فَهَمُـــكْ
مـــا شَـــيَّدَ الكُفْـــرُ حِـــصْناً مـــن بلادهِـــمُ   إلاَّ لِيَخْفِـــقَ فـــي أبْرَاجِـــهِ عَلَمُـــكْ
ولا تعـــذَّرَ مـــن طالَبْـــتَ مُهْجَتَـــهُ   ولا تَمَنَّـــعَ إلاّ مـــن حَمَـــتْ ذِمَمُـــكْ
ولا تَنَـــسَّمَ مَـــنْ عَـــاداكَ مَنْفَـــسَهُ   حتَّـــى تَحِـــلَّ بأَقْـــصى دارِهِ نِقَمُـــكْ

شعر الرَّماديّ

(1)

قال في **جارية**: [2] [المديد]

تلـــثِمُ الأوتـــارُ منهـــا بنانـــاً   يَعـــدلُ الأفـــواهَ إلاَّ الرُّضـــابا
تـــسبقُ الأبـــصارَ مـــن وَحـــيٍ صـــوتٍ   تحـــسبُ الترْجيـــعَ منـــهُ انتهابـــا
مثلمـــا طـــارَ الجفـــونُ اختلاجـــاً   أو كمـــا شَـــقَّتْ بـــروقٌ ســـحابا

---

[1] – الدّيوان، 395.

[2] – الكتّاني، التّشبيهات، 104 .

(2)

وقال في **جارية**: [1] [الرَّمَل]

مُعجَـــمُ الحُـــسْنِ بخـــالين علـــى ثَغـــرِهِ الأصـــغَرِ والخـــدِّ الأجـــلْ
فالـــذي فـــي الخـــدِّ طـــوراً آفـــلٌ تحتَ صُدْغٍ فـوقَ صُـبحٍ قـدْ رَحـلْ
يَتجـــــافي فـــــإذا لاحَظْتَـــــهُ رَجَـــعَ الـــصُّدغُ إليـــه فانـــسدَلْ
فكـــأنّ الـــصُدغَ يخـــشى عابثـــاً ثـــارَهُ فَهْـــوَ عَليـــهِ مُـــشتَملْ
وكـــــأنَّ المُعتلـــــي مَبْـــــسِمُهُ جـــاءَ مـــنْ عِنـــدِ أخيـــهِ للقُبَـــلْ
فـــسعى حتَّـــى إذا مـــا اشـــتمَّه غَلَـــبَ الـــرَّوعُ عليـــه فمَثَـــلْ

(3)

وقال في الجارية **خَلْوَة**: [2] [الطَّويل]

قِفُـوا تَـشْهَدوا بثِّـي وإنكـارِ لاعـي على بكـائي فـي الرُّسـومِ الطواسِـمِ[3]
أيـــأمَنُ أنْ يَغـــدُو حَرِيـــقُ تَنَفُّـــسِي وإلاّ غريقـاً فـي الـدُّموعِ الـسَّواجِمِ
فهـــذا حمـــامُ الأيـــك يبكـــي هديلَـــهُ بكـــائيَ فليفـــزع لِلـــوْمِ الحمـــائمِ
ومـــا هـــيَ إلا فرقـــةٌ تبعـــثُ الأســـى إذا نَزَلَـــتْ بالنّـــاسِ أو بالبهـــائمِ
خـــلا نـــاظريْ مـــنْ نومِـــهِ بَعـــدَ **خَلْـــوَة** متـــى كـانَ منّـــي النَّـــومُ ضـــربَةَ لازمِ

شعر ابن زيدون

(1)

قال في **جارية** أحبت فتى قرشياً: [4] [البسيط]

كَـسَوتَني مـن ثيـابِ الـسُّقْمِ أسْـبَغَها ظُلماً وصيَّرتَ مِـن لُحْـفِ الـضَّنى فُرُشـي
أنَّىْ بِصَرْفِ الهـوى عـنْ مُقْلَـةٍ كُحِلَـتْ بالـسِّحرِ منـكَ وخـدٍّ بالجمـالِ وُشِـي

---

[1] – الكتّاني، التّشبيهات، 126-127.
[2] – ابن سَعيد، المغرب، 393/1.
[3] – حصل كسر في التفعيلة السادسة.
[4] – المقّري، النّفح، 255/4 .

لمّــا بَــدا الــصدُّغ مُــسوَدّاً بــأحمَرِه — أرى التـــشاكُلَ بـــينَ الـــرُّومِ والحَـــبَشِ
أوفَى إلــى الخــدِّ ثــم انــصاعَ مُنعَطِفــاً — كالعُقْرُبـــان انثنـــى مـــنْ خَـــوفِ مُحتـــرِشِ
لــو شــئتَ زُرْتَ وســلكُ اللّيــلِ منــتظمٌ — والأُفْــقُ يختــالُ فــي ثَــوبٍ مــن الغَــبَشِ
صــبّاً إذا التــذَّتِ الأجفــانُ طَعْــمَ كَــرَى — جفــا المَنــامَ وصــاحَ الليــلُ يــا قُرَشــي
هــذا وإن تَلِفَــتْ نفــسي فــلا عَجَــبٌ — قد كــان قَتْلِــيَ فــي تلــك الجُفــونِ حُــشي

شعر ابن السَّراج المالقي

(1)

قال في الجارية **أزهَر**: [1] [الطَّويل]

شـــربنا علـــى مـــاءٍ كـــأنّ خريَـــرَهُ — بكـــاءُ مُحِـــبّ بـــان عنـــه حبيـــبُ
فمَـــن كـــان مـــشغوفاً كئيبـــاً بإلفـــه — فـــإنيَ مـــشغوفٌ بـــه وكئيـــبُ

(2)

وقال في الجارية **أزهَر**: [2] [الطَّويل]

خليليَّ فــي ريــح الــصَّبا لــو تنــسّمتْ — علينـــا شـــفاءٌ مـــنْ هَـــوىً مُتَـــسَعِّرِ
رسولُ التي في صَــوتِها سَــوطُ لَحظهــا — على هــائمٍ مثلــيْ بهــا غيــرِ مُقْــصِرِ
تـــذكّرتُ بـــالوادي زمانـــاً لقيتُهـــا — بـــه فيـــهِ والمـــشتاقُ حِلـــفُ تـــذكّرِ
فلـــو صُـــبَّ فـــي كأســـي أذىً لـــشربتُه — على شرطِ أن أُسقاهُ مـن كـفّ **أزهــر**

(3)

كتب ابن السَّراج المالقي في الجارية **حُسْن الوَرد**: [3] [الخفيف]

يـــا صـــديقي شُـــغِلتُ عنـــكَ بِخَطْـــبٍ — لـــمْ يَكُـــنْ لـــي بتَركِـــهِ مِـــن سَـــبيلِ

---

[1] – ابن بسَّام، الذّخيرَة، ق1 م872/2، المقَّري، النّفح، 238/4.
[2]– ابن بسّام، الذّخيرَة، ق1 م872/2.
[3]– ابن بسّام، الذّخيرَة، ق1 م871/2.

وغَـــداً نَلتَقِـــي عَليهـــا سُـــلافاً مُـــزَّةً[1] فـــي حَـــرَارَةِ الزَّنْجَبِيـــلِ
أَثْقَلَتْنِـــي هـــوىً بِقَـــدٍّ خَفيـــفٍ **حُـسْنَ الـوَرد** فـوقَ رِدفٍ ثَقِيـلِ
سَـلَبَتْ صَـبريَ الجَميْـلَ وقلبِـي بِجُفُـونٍ نُجْـلٍ ووجْـهٍ جَميـلِ
كَحَّلَـتْ بالـسُّهادِ والـدَّمعِ طَرْفِـي يـومَ أَبْـصَرتُها بِطَـرفٍ كَحيْـلِ
هِـيَ سُـؤلِي مِـنَ المِـلاحِ كَمـا أنـْـتَ مِـنْ سـادَةِ الأخـلاَّءِ سُـولِي
لا عَـدَتْنِي زِيـارةٌ مِنْـكَ تُـذْكِي نـورَ عَيْنِـي سـناً وتَـشفِي غَلِيلِـي

(4)

قال في **مجموعة جوار**: [2] [الطَّويل]

وسِـرْبِ مِـلاحٍ مـرَّ بـي وبـصاحبي ونحـنُ علـى مـاءٍ يُـذكِّرنا عَـدنا
ويحملـنَ فـولاً عنـدهنَّ نظيـرُه عـوانٌ ولكـنْ نَـورُهُ عـزَّ أن يُجنـى
فقلـتُ عـسى مـنْ فـولكنَّ بقيّـةٌ فقُلـنَ وأيُّ الفُـولِ تَرغبـهُ منّـا
فقلتُ الذي تحـتَ الـسَّراويلِ قُلـن لـي جَهِلـتَ ولـمْ تَفهـمْ مقالَتنـا عنّـا
حَرامٌ علـى مـنْ كـانَ شـيخاً مـشوَّها وصالُ ملاحٍ فُـتْنَ شـمسَ الـضُّحا حُـسنا
وفـيهنّ نـشوى الطَّـرفِ لـمْ أرَ قبلهـا من الإنسِ شمساً تَحملُ الـدِّعصَ والغُـصنا

(5)

قال في الجارية **حُسْنِ الورد**: [3] [البسيط]

ذَكَـرتُ بـالوردِ **حُـسنَ الـورد** شـقَّته حُـسناً وطيبـاً وعهـداً غيـرَ مـضمونِ
هيفـاءُ لـو بعـثتُ أيـامي لرؤيتهـا بـساعةٍ لـمْ أكـنْ فيهـا بمغبـونِ
كالبـدرِ ركَّبَـهُ فـي الغُـصنِ خالقـهُ فمـا تـرى حـينَ تبـدو غيـرَ مَفتـونِ
فاشرَبْ علـى ذِكرِهـا خمـراً كَريقتهـا وخُـصّني بهواهـا حـينَ تَـسقيني

---

[1] – مُزَّة: الخَمرُ التي فيها حُموضة. ابن منظور، لسان العرب، مادة (مزز) 409/5.

[2] – ابن بسَّام، الذّخيرَة، ق1 م881/2.

[3]– ابن بسَّام، الذّخيرَة، ق1 م872/2–873.

شعر سعيد بن جودي

(1)

قال في **جارية**: [1] [الطَّويل]

قضيبٌ مــن الريحــانِ فــي ورَقٍ حُمْــرِ

فأجابه عبيديس: [2]

وعَهْدِيَ بالريحــانِ فــي ورَقٍ خُــضْرِ

(2)

وقال في جارية: [3] [الطَّويل]

أمائلــةَ الألحــاظِ عنــي إلــى الأرضِ أهــذا الــذي تُبــدين ويحــك مــن بُغــضي

فــإن كــان بُغــضاً لــستُ واللهِ أهلَــهُ ووجهي بــذاك اللحــظ أولــى مــن الأرض

(3)

وقال في الجارية **جيجان**: [4] [البسيط]

سمعي أَبى أنْ يكونَ الــرُوحُ فــي بَــدني فاعتــاضَ قَلبِــيَ منــهُ لَوعَــةَ الحَــزَنِ

أعطيتُ **جيجــانَ** روحــي عــنْ تــذكُّرِها هــذا ولــمْ أرَهــا يومــاً ولــمْ تَرَنِــي

كــأنّني واســمُها والــدَّمْعُ مُنــسكبٌ مــنْ مُقلتــي راهــبٌ صَــلى إلــى وَثَــنِ

---

[1] – ابن الأبَّار، الحُلَّة السِّيَراء، 1/ 158.

[2] – ابن الأبَّار، الحُلَّة السِّيَراء، 1/ 159.

[3]– ابن الأبَّار، الحُلَّة السِّيَراء، 158/1.

[4] – ابن الأبَّار، الحُلَّة السِّيَراء، 1/-157-158.

شعر ابن سَعيد المغربيّ

(1)

قال في الجارية **صُبْح**:[1] [مخلّع البسيط]

أَوَجْـــــهُ **صُـــــبْحٍ** أمِ الـــــصبّاح ‏ ولَحظُهـــــا أمْ ظِبَـــــا الـــــصفّاحْ
وثَغرُهـــــــا أمْ نظـــــــيمُ دُرٍّ ‏ وريقُهـــــا أمْ سُـــــلافُ راحْ
وقـــــدُّها أم قـــــوامُ غُـــــصن ‏ وعُرفُهـــــا أم شـــــذا البِطـــــاحْ
يـــــا حبَّـــــذا زورة تأتَّـــــتْ ‏ منهـــــا علـــــى غَفْلَـــــة الُّلـــــواحْ
فلـــــمْ أُصَـــــدِّق بهـــــا ســـــروراً ‏ وظلْـــــتُ نـــــشوانَ دونَ راحْ
أمـــــا مَنعـــــتِ الـــــسَّلامَ دَهـــــراً ‏ ولا رســـــولَ ســـــوى الرِّيـــــاحْ
قالـــــتْ ألا فـــــانْسَ مـــــا تَقَـــــضَّى ‏ فمـــــن يَـــــدَعْ مـــــا مـــــضى استـــــراحْ
يـــــا حَبَّـــــذاها وقـــــدْ تَأتَّـــــتْ ‏ مـــــنْ دونِ وَعْـــــدٍ ولا اقتـــــراحْ
زارتْ ومـــــنْ نُورهـــــا دَليـــــلٌ ‏ واللّيـــــلُ قـــــدْ أسْـــــبلَ الجنـــــاحْ
أخفَـــــتْ سَـــــراها فَبـــــاحَ نـــــشرٌ ‏ لهـــــا بِعُـــــرفٍ فَـــــشا وفـــــاحْ
وافـــــتْ فأمـــــسى فمـــــيْ مُـــــداماً ‏ وســـــاعِدايَ لهـــــا وشـــــاحْ
كأنّمـــــا بِـــــتُّ بـــــينَ روضٍ ‏ والغُـــــصنِ والـــــوَردِ والأقـــــاحْ
فبينمـــــا الـــــشَّملُ فـــــي انتظـــــامٍ ‏ إذ سَـــــمعَتْ داعِـــــيَ الفـــــلاحْ
فغـــــادرتنيْ فقلـــــتُ غـــــدراً ‏ قالـــــتْ أمـــــا تَحـــــذَرُ افتـــــضاحْ
ولَّـــــتْ ومـــــا خِلْـــــتُ مِـــــنْ صـــــباحِ ‏ يبـــــدو علـــــى إثـــــره صـــــباحْ

شعر ابن سكن

(1)

قال ابن سكن في **جارية**:[2] [الكامل]

وعقيلـــــةٍ لاحـــــتْ بـــــشاطئ نَهرِهـــــا ‏ كالـــــشَّمسِ طالعـــــةً لـــــدى آفاقهـــــا

---

[1] - المَقَّري، النّفح، 3/74-75.

[2] - ابن الأبَّار، تحفة القادم، 63-64.

فكأنها بلقيسُ وافتْ صَرْحَها ... لو أنها كشفتْ لنا عنْ ساقِها
حُوريَّةٌ قَمَريَّةٌ بَدويَّةٌ ... ليسَ الجَفا والصَّدُّ من أخلاقها

شعر سليمان بن المستعين

(1)

قال في **جواريه:** [1] [الكامل]

عجباً يَهابُ اللّيثُ حدَّ سِناني ... وأهابُ لَحظَ فَواترِ الأجفانِ
وأُقارِعُ الأهوالَ لا مُتهيِّباً ... منها سوى الإعراضِ والهجرانِ
وتَملَّكَتْ نَفسي ثَلاثٌ كالدُّمى ... زُهرُ الوُجوهِ نَواعمُ الأبدانِ
ككَواكبِ الظَّلماءِ لُحْنَ لناظرٍ ... منْ فوقِ أغصانٍ على كثبانِ
هذي الهلالُ وتلكَ بنتُ المُشتري ... حُسناً وهَذيْ أختُ غُصْنِ البانِ
حاكمتُ فيهن السُلوَّ إلى الصَّبا ... فقضى بسلطانٍ على سلطاني
فأَبَحنَ منْ قلبي المنى وثنينني ... في عِزٍّ مُلكي كالأسيرِ العاني
لا تعذلوا مَلِكاً تذلل للهوى ... ذُلُّ الهوى عزٌّ وملكٌ ثاني
ما ضَرَّ أني عبدُهنَّ صَبابةً ... وبنو الزمانِ وهُنَّ من عبداني
إنْ لمْ أُطِعْ فيهنَّ سلطانَ الهوى ... كَلَفاً بِهنَّ فلستُ منْ مروانِ
وإذا الكريمُ أحبَّ أمَّنَ إلفه ... خَطْبَ القِلى وحوادثَ السلوانِ
وإذا تجارى في الهوى أهلُ الهوى ... عاش الهوى في غبطةٍ وأمانِ

---

[1] – الحميدي، جَذوَةُ المُقتبس، 51/1، ابن حَزم، رسائله، 198/2–199، ابن بسَّام، الذّخيرَة، ق1 م47/1، عبد الواحد المرَّاكشي، المُعْجِب، 92، ابن الأبَّار، الحُلَّة السِّيَراء، 9/2 ، والأبيات موجودة في ابن عِذَاري، البيانُ المُغرِب، 118/3، ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار، 491/24، المَقَّري، النَّفح، 412/1 (1–10).

شعر ابن شريف النِّفْري

(1)

قال ابن شريف النِّفْري[1] في **جارية**: [2] [الطَّويل]

وغانيــةٌ يُغنــيْ عــن العُــودِ صَــوتُها وجاريــةٌ تَــسقيْ وســاقيةٌ تجــري

شعر ابن شُهيد

(1)

قال في الساقية **أُسيماء**: [3] [مخلّع البسيط]

أفْــدي **أُســيماءَ** مــنْ نــديمٍ مــلازمٍ للكــؤوسِ راتِــبْ
قــد عجبُــوا فــي الــسُّهاد منهــا وهْــيَ لَعمْــري مــن العجائــبْ
قــالوا تجــافىْ الرّقــادُ عنهــا فقلــتُ لا ترقــدُ الكواكــبْ

(2)

وقال في **ساقية غلاميّة**: [4] [الرَّمَل]

أذّنَ الــدِّيكُ فَثُــبْ أو ثَــوِّبِ وانــضحِ القلــبَ بمــاءِ العنَــبِ
وتأمَّــلْ آيــةً مُعْجِــزَةً مــا قرَأنــا مثْلَهــا فــي الكُتُــبِ
ركَــعَ الإبْرِيــقُ مــن طاعَتِــهِ وبكــى فابتَــلَّ ثــوبُ الأكْــؤُبِ
وَلْــوَلَ المزْهَــرُ يَنفِــي كُرَبِــي وتَطَرَّبْــتُ فأعيــا طَرَبِــي
ورَبيــبٍ قــامَ فينــا ســاقياً كالرَّشــا أُرضِــعَ بــينَ الرَّبْــرب

---

[1] – هو أبو الطَّيِّب صالح بن يزيد بن علي بن شريف النِّفْري، من ذوي الفضل والدين، شــاعر مُجيد في المدح والغزل،له باع في الحساب والفقه ومقامات في أغراض شتى، قيل إنــه خاتمــة الأدباء بالأندلس، توفي سنة 684هـ . انظر ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، 360/3.

[2] – ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، 370/3.

[3] – ابن بسَّام، الذّخيرَة، ق1 م303/1، الأزدي، بدائع البداهة، 353، المقَّري، النّفح، 214/4.

[4] – ابن بسَّام، الذّخيرَة، ق1 م210/1-211.

ظبيـــــةٌ دونَ الـــــصَّبايا قُصِّـــــصتْ   فأتـــتْ غيـــداءَ فـــيْ شَـــكلِ الـــصَّبي
فُـــــتِّح الـــــوردُ علـــــى صَـــــفْحَتها   وحمـــــــاهُ صُـــــدغُها بــــــالعَقْربِ
فَمَـــــشَتْ نَحـــــوي وقـــــد مُلِّكتُهـــــا   مِـــشْيَةَ العُـــصفورِ نحـــو الثَّعلَـــبِ

(3)

شكر ابن شُهيد المنصور بن أبي عامر على **جارية** قائلاً: [1] [الخفيف]

قـــدْ فَضَـــضْنا خِتـــامَ ذاكَ الـــسِّوارِ   واصْـــطَبَغنا مِـــنَ النَّجيـــعِ الجـــاري
ونَعِمْنـــــا فـــــي ظِـــــلِّ أَنْعـــــمِ لَيـــــلِ   ولَهونـــــا بالبـــــدر ثـــــم الـــــدّراري
وقـــضى الـــشيخُ مـــا قَـــضَى بحُـــسامٍ   ذي مَـــضَاءٍ عَـــضْبِ الظُّبـــى بَتَّـــارِ
فاصـــطنِعه فلـــيس يُجزيـــكَ كُفْـــراً   واتّخِـــــذْه ســـــيفاً علـــــى الكُفّـــــارِ

(4)

طلب ابن شُهيد من المنصور بن أبي عامر **جارية** فقال: [2] [الخفيف]

أنَـــا شـــيخٌ والـــشيخُ يهـــوى الـــصبايا   يـــا بنَفْـــسي أقيـــكَ كـــلَّ الرَّزايـــا
ورســـولُ الإلـــهِ أســـهمَ فـــي الفـــي   ء لِمَـــنْ لـــمْ يُخِـــبَّ فيـــه المطايـــا
فـــاجْعَلَنّي فُـــدَيْتَ أشـــكُرُ مَعـــرو   فَـــكَ وابْعـــثْ بهـــا عِـــذابَ الثَّنايـــا
هـــوَ عُـــرْفٌ فـــإنْ تَحَـــوَّل صِـــهْراً   كـــانَ واللهِ آيَـــةً فـــي البَرايـــا [3]

---

[1] – ابن خاقان، مطمح الأنفس،397، ابن بسَّام، الذّخيرَة، ق4 م30/1، ابن الأبَّار، الحُلَّة السِّيَراء، 276/1-277، ابن عِذَاري، البيانُ المُغرِب، 300/2، المقَّري، أزهار الرياض، 132/5، النَّفح، 384/1، 121/2.

[2]– ابن خاقان، مطمح الأنفس، 396، والأبيات موجودة في ابن بـسَّام، الـذّخيرَة، ق4 م29/1 (1-2)، ابن عِذَاري، البيانُ المُغرِب، 300/2 (1-4)، المقَّري، أزهار الريـاض، 131/5 (1-3) النَّفح، 121/2 (1-3)، النَّفح، 383/1 (1-2).

[3]– ابن عِذَاري، البيانُ المُغرِب، 300/2.

شعر ابن طفيل

(1)

قال في رثاء **جارية**: [1] [الكامل]

أمسيتُ أندبُ في الفِراشِ مَكَانَها　　　وكأنَّه ما كانَ منْها عامِرا
وكأنّني لمْ أجنِ منها روضَةً　　　وكأنّني لمْ أثنِ غُصناً ناضرا
وكأنّني والليلُ أرْخى سِتْرَهُ　　　لم يبدُ لي منها هلالاً زاهرا

شعر ابن الطُّوبى

(1)

قال في **راقصة**: [2] [السَّريع]

راقصةٌ كالغصنِ منْ فوْقِه　　　بدرٌ يُنيرُ تحتَ ظَلماءِ
تُلْهِبُ مثلَ النَّارِ في رقصِها　　　وَهْيَ مِنَ النَّعمةِ كالماءِ
كأنَّما في رِجْلها عُودُها　　　وزامرٌ يَتْبَعُ بالنَّاءِ
ساحرةُ الرَّقص غلاميّة　　　منْها دَوَائي وبها دائي
إذا بَدَتْ تَرْقُصُ ما بَيْنَنا　　　يرقصُ قلبيْ بينَ أحشائي

(2)

وقال في **ساقية**: [3] [الكامل]

ياحبَّذا كأسٌ يكونَ بها　　　ريقٌ كأنَّ ختامَهُ مِسْكُ
باتَتْ تُعَلِّلُنيْ بها وبِهِ　　　حَسناءُ ما فيْ حُسنْها شَكُّ
هاتِيكَ كالدُّنيا فلا أحَدٌ　　　إلاّ لَها بِفُؤادِهِ فَتْكُ

---

[1] – ابن سَعيد، المُغرب، 84/2.
[2] – العماد الأصفهاني، الخَريدَة، ق4 ج66/1-67.
[3] – العماد الأصفهاني، الخَريدَة، ق4 ج85/1.

شعر أبو عامر بن يَنَّق

(1)

دعا الجارية **هند** فقال : [1] [الكامل]

يــا هنــدُ هــلْ لــكِ فــي زيــارةِ فِتيــةٍ   نَبــذوا المَحــارمَ غيــرَ شُــربِ السَلْــسَلِ
سَــمعُوا البَلابــلَ قــد شَــدَتْ فتــذكروا   نغمــاتِ عــودِكِ فــي الثّقيــلِ الأوّلِ

شعر عبادة بن ماء السماء

(1)

وقال في **راقصة**: [2] [المنسرح]

تُتَـــــابعُ الدســـــت[3] لا تُخالفُـــــهُ   فـــي رفعِهـــا تَـــارةً وَ فـــيْ الخَفْـــضِ
و تَلْتَـــويْ ثـــمَّ تَـــستَويْ فتَـــرى   غُــصْناً مَرُوحــاً منهــا علــى الأرضِ
لـــوْ وَطِئَـــتْ مُقَلَـــةً بوقطَتِهـــا[4]   لـــمْ تَمتَنـــعْ خِفَّـــةً مِـــنَ الغَمْـــضِ

(2)

وقال في **راقصة**: [5] [المنسرح]

راقـــــصةٌ لاتُحَـــــسُّ وطأتُهـــــا   كأنَّهـــا فـــيْ الهُبـــوبِ كـــالطيْفِ
تنقـــلُ أقـــدامَها علـــى عَجَـــلِ   كأنَّمـــا رقْـــصُها علـــى ســـيفِ

---

[1] – ابن الأبَّار، تحفة القادم، 239، التَّكمِلة، 259/4، المقَّري، النَّفح، 67/6.

[2] – ابن خميس، أدباء مَالَقَة، 289.

[3] – الدست: لم أجد معناها.

[4] – الوَقِيطة: حفرة في غِلَظ أو جبل يجتمع فيها ماء السماء. ابن منظور، لسان العرب، مادة (وقط) 433/7.

[5] – ابن خميس، أدباء مَالَقَة، 289.

(3)

وقال في **جارية**: [1] [المنسرح]

مـــا مـــرَّ يـــومٌ علـــيَّ لـــمْ أَرَكِ ... إلاّ وَطَـــرفُ الـــضَّميرَ صَـــوَّرَكْ
مـــا مُنْيَتـــي و أنـــتِ لـــستِ مَعـــي ... إلا مبيـــت القَطـــاةِ فـــي الـــشَّرَكْ
يـــا ظَبْيَـــةً أُولِعَـــتْ بِـــسَفْك دَمـــي ... غُـــضِّي بفـــضل النِّقـــاب مَحْجَـــرَكْ
أمـــا أنـــا فالبعـــادُ غَيَّرَنِـــي ... وأنـــتِ خـــوفُ الرَّقيـــبِ غَيَّـــرَكْ

(4)

وقال في **راقصة**: [2] [المنسرح]

يُعجِبُنـــيْ أنْ تَقـــومَ قُـــدَّاما ... تَفْتِـــلُ قَبـــلَ الجُفـــونِ أكمامـــا
كأنَّهـــا فـــيْ اعتِـــدالِها أَلِـــفٌ ... تَرْجِـــعُ عِنـــدَ انْعِطافِهـــا لامـــا

شعر ابن عبد البر

(1)

قال ابن عبد البر [3] في رثاء بعضَ **حظاياه**: [4] [السَّريع]

---

[1] - ابن خميس، أدباء مَالَقَة، 288، والأبيات موجودة في ابن بسَّام، الذَّخيرَة، ق1 م471/1-472 (1-3).

[2] - ابن الأبَّار، تحفة القادم، 131، ابن خميس، أدباء مَالَقَة، 288-289.

[3] - هو أبو محمد عبد الله بن الفقيه أبي عمر يوسف بن عبد البر النمري، كاتب مشهور عاش في كنف المعتضد، له رسائل كثيرة في المعتضد بهرت معاصريه، تنقّل بين ملوك الطَّوائف فحنق عليه المعتضد وكاد أن يفتك به لولا أن توسل إليه أبوه فنجا، توفي سنة 474هـ. انظر ابن خاقان، قلائد العِقيان، 538/2-539، ابن بسَّام، الذَّخيرَة، ق3 م125/1-126، الضَّبي، بُغيَة المُلتَمس، 354، العماد الأصفهاني، الخَريدَة، ق4 ج13/2، ابن سَعيد، المغرب، 402/2-403.

[4] - ابن خاقان، قلائد العِقيان، 544/2، ابن بسَّام، الذَّخيرَة، ق3 م130/1.

بَعْــضُكِ بَــلْ كُلُّــكِ فــي الــرَّمْسِ[1] تُعَـــدُّ مِنْـــكِ الـــنَّفْسُ بـــالنَّفْسِ
يـــا فَجْعَـــةً مـــا مِثْلُهـــا فَجْعَـــةٌ مِـــنْ نـــاظِرٍ صَـــارَ إلـــى الـــرَّمْسِ
غَـــرْسٌ نَمـــا حَتَّـــى إذا مـــا اسْـــتَوى عَـــدَتْ يَـــدُ الـــدَّهْرِ علـــى الغَـــرْسِ

شعر ابن عبد ربِّه

(1)

قال في الجارية **مصابيح**: [2] [البسيط]

يا مَـن يَـضِنُّ بـصوتِ الطـائرِ الغَـرِدِ ما كنـتُ أحـسبُ هـذا الـضَّنَّ مِـن أحـدِ
لــو أنّ أسْــماعَ أهــلِ الأرضِ قاطبــةً أصغتْ إلى الصَّوتِ لـمْ يَـنْقُصْ ولـمْ يَـزِدِ
لــولا اتّقــائي شــهاباً منــك يَحرقنــي بنــاره لاســترقتُ الــسَّمع مــن بُعــدِ
لــو كــانَ زريــابُ حيّــاً ثــم أُســمِعَهُ لمــات مــن حــسدٍ أو ذابَ مــن كمــدِ
فــلا تــضنَّ علــى أذنــي تقرّطهــا[3] صوتاً يجول محــالَّ الــرُّوح فــي الجــسدِ
أمَّــا الــشَّرابُ فــإنّي لــستُ أقْرَبُــهُ ولــست آتيــكَ إلاّ كــسرتي بيــدي

(2)

وقال في **جارية**: [4] [الخفيف]

رَجْـــعُ صَـــوتٍ كأنَّـــه نَظْـــمُ درٍّ مـــا يَـــرى سـلكَهُ ســوى الآذانِ
تنفـــثُ الـــسِّحرَ بالبيـــانِ مـــن القـــو ل ولا سِـحرَ مثـلُ سِـحرِ البيـانِ

---

[1] – الرَّمْس: يُقال لما يُحْثَى من التراب على القبر: رَمْسٌ، والقبرُ نفسه رِمْــسٌ. ابــن منظــور، لسان العرب، مادة (رمس) 101/6.

[2] – ابن دحية، المُطرب، 152، والأبيات موجــودة فــي المَقّــري، الــنّفح، 116/4 (1-2)، المَقَّري، النّفح، 276/9 (1-2، 6).

[3] – قرّط: قرَّط عليه أعطاه قليلاً. ابن منظور، لسان العرب، مادة (قرط) 375/7.

[4] – الكتّاني، التّشبيهات، 104.

شعر عبد الرّحمن بن الحكم

(1)

قال يحن إلى جاريته **طَرُوب**: [1] [المتقارب]

فقـــدتُ الهـــوى مُـــذْ فَقَـــدتُ الحَبيبـــا فمـــا أقطـــعُ الليـــل إلاّ نَحيبـــا
وإمَّـــا بَـــدَتْ لَـــيَ شـــمسُ النَّهـــا رِ طالعـــةً ذكَّرتْنـــي **طروبـــا**
يـــا طُـــولَ شَـــوقِي إلـــى وَجْهِهـــا ويـــا كَبـــداً أورَثَتْهـــا نُـــدُوبا
ويـــا أحْـــسَنَ الخَلْـــقِ فـــي مُقْلَتِـــي وأوفَـــرَهُمْ فـــي فُـــؤادي نَـــصِيْبا
لَـــئِنْ حَـــالَ دُونَـــكِ بُعْـــدُ المَـــزَا رِ مـــنْ بَعْـد أنْ كُنـتِ منِّـي قَرِيْبـا
لقـــد أورَثَ الـــشَّوقُ جـــسمي الـــضَّنَى وأضْـــرَمَ فـــي القلـــبِ منِّـــي لهيبـــا
عَـــدَانِيَ عَنْـــكِ مـــزارُ العـــدا وقَـــوْدي إلـــيهم لُهَامَـــاً[2] لَهيبـــا
كـــأيِّنْ تَخَطَّيْـــتُ مِـــنْ سَبْـــسَبٍ[3] وجَـــاوَزْتُ بَعْـــدَ دُرُوبٍ دُرُوبـــا
ألاقِـــي بِـــوجهِيَ حَـــرَّ الهَجِيْـــرِ إذا كـــادَ مِنْـــهُ الحَـــصَى أنْ يَـــذُوبا
وأدَّرِعُ النَّقْـــعَ حَتَّـــى لَبِـــسْـ ـــتُ مِنْ بَعدِ نَـضْرَةِ وجهـي شُـحُوبا
أريـــدُ بِـــذاكَ ثَـــوابَ الإلـــهِ ومـــن غَيْـــرِهُ أَبْتَغِيْـــه مُثِيبـــا
أنـــا ابـــنُ الهِـــشَامَيْنِ مِـــنْ غالِـــبٍ أَشُـــبُّ حُرُوبـــاً وأُطفِـــي حُرُوبـــا
بِـــيَ ادَّارَكَ اللهُ دِيـــنَ الهُـــدى فأحْيَيْتُـــهُ واصْـــطَلَمْتُ[4] الـــصَّليبا
سَـــمَوْتُ إلـــى الـــشِّركِ فـــي جَحْفَـــلٍ مَـــلأتُ الحُـــزُونَ بِـــهِ والـــسُّهُوبا

---

[1] – ابن الأبَّار، الحُلّة السِّيَراء، 1/114-115، والأبيات موجودة فـي ابـن عِـذَاري، البيـانُ المُغرِب، 2/85-86 (7-14).

[2] – اللُّهام: الجيش الكثير كأنه يلتهم كلَّ شيء. ابـن منظـور، لـسان العـرب، مـادة (لهـم) 12/554.

[3] – السَّبْسَب: الأرض القفر البعيدة مستوية وغير مستوية وغليظة وغير غليظة لا ماء بهـا ولا أنيس ابن منظور، لسان العرب، مادة (سبسب) 1/460.

[4] – الاصْطِلام: الاستئصال. ابن منظور، لسان العرب، مادة (صلم) 12/340.

(2)

وقال في جاريته **طَرُوب:** [1] [السَّريع]

شـــــاقَكَ مِـــــنْ قُرْطُبَـــــة الـــــسّاري فـــي الليـــل لـــم يَـــدْرِ بـــه الـــدّاري

(3)

وقال في جاريته **طَرُوب:** [2] [طويل]

قريضُكَ يا ابنَ الـشَّمْر عفَّـى علـى الـشِعرِ وجلَّ عـن الأوهـامِ والـذهن والفكـرِ
إذا شـــــافهَتهُ الأذنُ أدَّى بــــــسحْرِها إلى القلـبِ إبـداعاً فجـلَّ عـن الـسّحرِ
وهـل بَـرَأ الـرحمنُ مـن كـلِّ مـا بَـرَا أقـــرَّ لِعَـــيْنٍ مِـــنْ مُنعَّمَـــةٍ بِكْـــرِ
تـــرى الـــوردَ فـــوقَ الياســـمينِ بخـــدِّها كمـا فَـوَّق الـرَّوضُ المُـنَعَّمُ بـالزَّهرِ
فلـــوْ أنَّنـــي مُلِّكـــتُ قَلبـــيْ ونـــاظريْ نَظَمْتُهُمـا منهـا علـى الجِيـدِ والنَّحْـرِ

شعر عبد الله بن الشَّمْر

(1)

أجازعبدَ الله بن الشَّمْر الأميرَ عبد الرّحمن في جاريته **طَرُوب** فقال: [3] [السَّريع]

زارَ فحيّـــا فـــي ظـــلامِ الـــدُّجى أحْبِـــبْ بـــهِ مـــنْ زائـــرٍ ســـاري

(2)

وقال في **طَرُوب:** [4] [الطَّويل]

---

[1] – المَقَّري، النّفح، 150/5 .

[2] – مجهول، أخبار مجموعة، 123، ابن الأبَّار، الحُلّة السِّيَراء، 117/1، ابن عِذَاري، البيانُ المُغرِب، 92/2.

[3] – المَقَّري، النّفح، 150/5.

[4] – مجهول، أخبار مجموعة، 123، ابن الأبَّار، الحُلّة السِّيَراء، 117/1، ابـن عِـذَاري، البيـانُ المُغرِب، 92/2.

أَتُقْـرَنُ حَـصْباءُ اليواقيـتِ والـشَّذْرِ[1] بمَنْ يتعالى عـن سَـنا الـشَّمسِ والبـدرِ
بمَـنْ قـد بَـرَتْ قِـدْماً يَـدُ اللهِ خَلْقَـهُ ولـم يـكُ شـيئاً غيـره أحَـداً يَبْـري
فـأكرِمْ بِـهِ مِـنْ صِـيْغَةِ اللهِ جـوهَراً تـضاءَلَ عنـه جـوهرُ البَـرِّ والبحـرِ
لـهُ خَلَـقَ الـرّحمنُ مـا فـي سَـمائِه وما فـوقَ أرْضَـيهِ ومكَّـنَ فـي الأمـرِ

شعر عبد الله بن الوبَّة

(1)

قال في **جارية**: [2] [السَّريع]

مـرّ أبـو الـدرداءِ يومـاً علـى جَاريَـةٍ ماجِنَـةٍ شـاطرةْ
فَراعَـه مَنظرُهـا إذ بَـدَتْ كالـشَّمسِ فـي طلعَتِهـا الزَّاهـرَةْ
قـالَ لهـا سـيِّدَتي أنفَـذَتْ مَقـاتليْ ألحاظُـكِ الـسَّاحرَةْ
عَـساكِ يـا سـيِّدَتيْ أنْ تُـرَيْ مِـنْ هـا هُنـا وقـتَ العِـشا سـائرَةْ
تلقـيْ فَتـى أيُّ فتـى فـي الـورى مهـذَّباً أردانُـهُ عـاطرَةْ
وعِنْـدَهُ راحٌ و نَقْـلٌ و مـا يحتـاجُ مِـنْ أسـبابِهِ ياسـرَةْ
فَغرَّهـا أنْ أبْـصرَتْ طَلْعَـةً بَهِيَّـةً زاهِيَـةً فـاتِرَةْ
جـاءَ بهـا البَـيْنُ إلـى غُرفَـةٍ مُظلِمَـةٍ أرْسُـمُها داثـرَةْ
حَـصيرُها مِـنْ عَهـدِ عـادٍ و قَـدْ تَداوَلَتْـهُ الأُمَـمُ الغـابرَةْ
لـيسَ سـوى البَـقِّ بهـا مـؤنسٌ حلَّـتْ بمَـنْ يَـدْخُلُها فـاقِرَةْ
فباتَـتِ المـرأةُ فـي محنَـةٍ عُريانَـةَ الجِـسْمِ بِـلا سـاترَةْ
جيعانَـةً للبَعْـلِ مُـشتاقةً ناعيَـةً باكِيَـةً سـاهِرَةْ
تُراقِـبُ اللَّيـلَ مَتـى يَنْجَلـي ولَيْلُهـا فـي الطُّـولِ كـالآخرَةْ
حتّـى إذا الـصُّبحُ بَـدا سَـافراً قامَـتْ إلـى مَنْزلهـا سـائرَةْ

---

[1] – الشَّذْرِ: قطع من الذهب يُلقَط من المعدن من غير إذابة الحجارة ومما يصاغ من الذهب فرائد يفصل بها اللؤلؤ والجوهر، والشذر أيضاً صغار اللؤلؤ شبهها بالشذر لبياضها.ابن منظور، لسان العرب، مادة (شذر) 399/4.

[2] – ابن خميس، أدباء مَالَقَة، 224.

قَــالَ لَهَــا هَــلْ لَــكَ مِــنْ عَــودَةٍ أو هَــلْ تُــرَيْنَ هَــا هُنَــا خَــاطِرَةْ
فأَنْـــــشَدَتُه وَهْـــــيَ ممَّــــا بهَــــا مِــنْ حُزْنِهَــا فِــيْ دَمْعِهَــا عَــاثِرَةْ
إن عَــادَت العقــربُ عُــدْنا لَهَــا وكانَــت النَّعْــلُ لهَــا حَاضِــرَةْ

شعر ابن عبد المنعم الصقليّ

(1)

قال ابن عبد المنعم الصقليّ [1] في جارية مصفرّة اللون: [2] [الكامل]

فَضَحَ الهَــوى دَمعِــيْ وعِيْــلَ تَــصَبُّري بخَرِيْــدةٍ [3] ترنــو بِعَيْنَــيْ جُــؤْذَرِ
صَــفراءُ تُــدْلِع[4] بالبَيَــاضِ لباسَــها وخمارَهَــا بمُعَــصْفَرَاتِ الأَخْمُــرِ
فكأنّـه فِــي دِرْعِهَــا وخِمَارِهَــا الـــ مُبْــيَضِّ والمُحْمَــرِّ عِنــدَ المَنْظَــرِ
ياقوتَــةٌ كُــسِيَتْ صَــفيحةَ فِــضَّةٍ وتَتَوَّجَــتْ صَــفْحَ العَقِيــقِ الأَحْمَــرِ

---

[1] – هو أبو موسى عيسى بن عبد المنعم الصقلي، شاعر رفيع الشأن، صاحب حجة وبرهان، سُمِّي فقيه الأمة. انظر العماد الأصفهاني، الخَرِيدَة، ق4 ج29/1.

[2] – العماد الأصفهاني، الخَرِيدَة، ق4 ج30/1-31.

[3] – الخَرِيدَة: والخَرِيد و الخَرُود من النّساء: البكر التي لم تُمسَس قط، وقيل هي الحيية الطَّويلة السكوت الخافضة الصوت الخَفِرة المتسترة قد جاوزت الإعْصار ولم تَعْنَس. ابن منظور، لسان العرب، مادة (خرد) 162/3.

[4] – تُدلِع: دَلَع الرجل لسانه يَدْلَعُه دَلْعاً فاندَلَع و أَدْلَعه أخرجه. ابن منظور، لسان العرب، مادة (دلع) 90/8.

شعر عبد المولى اللوشيّ

(1)

قال عندما أُمِرَ له **بجارية**: [1] [المجتث]

قُـــــلْ للعُمَيـــــرةَ طُلِّقْـــــ ـــــــتِ بعـــــدَ طـــــولِ زواجِ
قـــــدْ كـــــانَ مـــــائي ضـــــياعاً يمـــــرُّ فـــــيْ غيـــــرِ حـــــاجِ
حتّـــــى حَبـــــاني بحَـــــسنا ءَ قابـــــلٍ للنتـــــاجِ
فكـــــان ناقـــــلَ خمـــــرٍ مـــــنْ حَنْـــــتَمٍ[2] لزجـــــاجِ
كانـــــتْ تمـــــرُّ ضـــــياعاً فأصـــــبحت كالـــــسَّراجِ

شعر أبي عثمان السَّرقُسْطيّ

(1)

قال في **جارية** : [3] [الكامل]

لا عـــيشَ إلا فـــي المـــدامِ وقينـــةٍ تَـــشدو علـــى وتـــرٍ فـــصيحٍ ألثـــغِ
تُعنَـــى بتَقـــديرِ الزَّمـــانِ ومَـــسْحِهِ فيجـــيءُ بـــينَ مُمـــلأٍ ومُفَـــرَّغِ
وكأنمـــا نغماتُهـــا فـــي لفظهـــا ذهـــبٌ أُســـيلَ علـــى لُجَـــيْنٍ مُفْـــرَغِ
وإذا نظـــرتَ إلـــى محاســـنِ وجهِهـــا ناديـــتَ يـــا قَمَـــر الـــسَّما لا تَبـــزُغِ

---

[1] – المقَّري، النَّفح، 59/5.

[2]– الحَنْتَم: جِرارٌ خُضْرٌ تضرب إلى الحُمرة. ابن منظور، لسان العرب، مادة (حنتم) 159/12.

[3] – الكتَّاني، التَّشبيهات، 105.

شعر عقيل بن عطية

(1)

قال في **جارية** : [1] [السَّريع]

لا تَلحَـــــهُ أن مَــــلَّ مــــنْ حُبِّهــــا　　فلــــمْ يكــــنْ ذلــــكَ مــــنْ وُدِّ
لمّـــا رآهـــا قـــدْ صَــــفا مالُهــــا　　قـــالَ صـــفا الوَجْـــدُ مـــعَ الوُجْـــدِ

شعر علي بن أبي الحسين

(1)

قال في الجارية **بدْعَة:** [2] [البسيط]

أحبِـــبْ **ببِدْعَـــة** إذ أحيَـــتْ بـــدائعُها　　ما مـــاتَ مِـــنْ لهـــوِ أيـــاميْ وأوطـــاري
كأنّ عـــودَكِ صـــبٌّ يـــشتكي أَلَـــمَ الـــ　　بَلْـــوى وألفاظُـــهُ تَرجيـــعُ أوتـــارِ
مـــضرابُهُ باحـــثٌ عـــن شَـــجْونا أبـــداً　　بَحْثَ العَـــواذلِ عـــنْ مَكتـــومِ أسْـــرارِ
كأنَّـــــهُ قَلَـــــمٌ فـــــيْ كـــــفِّ ذي أدَبٍ　　يواصِـــلُ الـــضبْطَ فـــي تَقييـــدِ أشـــعارِ

(2)

وقال في جارية: [3] [المنسرح]

واهـــاً لـــذاك الغنـــاءِ منـــكِ لَقَـــد　　أبـــاحَ للقلـــبِ منـــكِ مـــا خافـــا
تـــاهَ بألحانـــهِ علـــى البَـــصَرِ الـــسْـ　　سَـــمْعُ وهـــزَّ الـــسُّرورُ أعطافـــا
كأنَّـــــــه والقلـــــــوبُ تَألَفُـــــــه　　أُلِّـــفَ منهـــا فَـــسَرَّ أضـــعافا

---

[1]– المقَّري، النَّفح، 178/7، النَّاصري، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، م2 ج2 134.
[2] – الكتَّاني، التَّشبيهات، 105.
[3] – الكتَّاني، التَّشبيهات، 104.

شعر ابن عمَّار الأندلسيّ

(1)

كتب في المعتمد وجاريته **اعتماد**: [1] [الطَّويل]

تَجَهَّـمَ وجـهُ الأُفـقِ واعتلَّـت الـنَّفسُ   لأنْ لـم تَلُـح للعـينِ أنـتَ ولا الـشَّمسُ

(2)

وقال في الجارية **نُعْمى**: [2] [الكامل]

نَفْـسيْ وإن عـذَّبتِها تَهـواكِ   ويهزُّهـا طـربٌ إلـى لُقيـاكِ

عَجَبـاً لهـذا الوَصْـلِ أصـبحَ بيننـا   مُتَعـذِّراً ومُنـايَ فيـه مُنـاكِ

ما بـالُ قلبـي حـينَ رامَـكِ لـمْ ينـلْ   ولقـدْ تَرومـكِ مُقلتـيْ فَتـراكِ

اللهُ أعلـمُ مـا أزورُ لحاجـةٍ   ذاكَ المَحَـلَّ لغيـرِ أنْ ألقـاكِ

ليـتَ الرقيـبَ إذا التقينـا لـمْ يكـنْ   فأنـالَ ريَّـاً مـنْ لذيـذِ لَمـاكِ

متنزهـاً فـي روضِ خـدِّكِ شـارباً   كـأسَ الفُتـورِ تُـديرها عَينـاكِ

حَكَـتِ الغـصونُ جمـالَ قَـدِّكِ فانثنـتْ   والفـضلُ للمحكـيِّ لا للحـاكي

لا تعزُبـي[3] يـا روضـةً ممطـورةً   حتـى أمـدَّ يـديْ إلـى مَجْنـاكِ

(3)

وقال مُعرّضاً **باعتماد** الرُّمَيْكيَّة: [4] [المتقارب]

ألاَ حـيٍّ بـالغربِ حيّـاً حِـلالا   أنـاخوا جِمـالاً وحـازُوا جَمَـالا

---

[1] – ديوان المُعتَمد بن عباد، 19.

[2] – ابن الأبَّار، الحُلَّة السِّيَراء، 164/2.

[3] – تعزُبي: عَزَبَ عنّي فلانٌ يَعْزُبُ و يَعْزِبُ عُزُوباً غابَ وبَعُدَ. ابن منظور، لسان العرب، مادة (عزب) 597/1.

[4] – المَقَّري، النّفح، 348/5، والأبيات موجودة في ابن الأبَّار، الحُلَّة السِّيَراء، 63/2، 158 (1،7)، ابن خلكان، وَفَيات الأعْيان، 428/4 (1-2).

وعـــــرِّج بيــــــومينَ[1] أُمّ القُـــــرى | ونَـــــمْ فَعَـــــسى أن تَرَاهـــــا خَيـــــالا
تَخَيَّرتَهـــا مـــن بنـــاتِ الهِجـــانِ | رُمَيْكيَّـــــةً مـــا تُـــساوي عِقَـــالا
فجـــاءتْ بِكـــلِّ قَـــصيرِ العِـــذَارِ | لَئــيمِ النِّجَـــارين عَمَّـــاً وخَـــالا
قِـــصَارِ القُـــدودِ ولكِـــنَّهمُ | أقـــامُوا عَليهـــا قُرونـــاً طِـــوَالا
أتـــذْكُرُ أيّامَنـــا بالـــصِّبا | وأنْـــتَ إذا لُحْـــتَ كُنْـــتَ الهِـــلالا
أعـــانِقُ مِنـــك القَـــضِيْبَ الرَّطيـــبَ | وأرْشِـــفُ مِـــنْ فِيـــكَ مـــاءً زُلالا
وأقْنَـــعُ منـــك بـــدونِ الحَـــرام | فتُقْـــسِمُ جهـــدَك أنْ لا حَـــلالا
سَـــأهتكُ عِرضَـــك شـــيئاً فـــشيئاً | وأكـــشِفُ سِـــتْرك حـــالاً فحـــالا

شعر ابن الغليظ

(1)

قال في الجارية **حُسن الوَرد**: [2] [الطَّويل]

ولمـــا تَبَـــدّى الـــوردُ فـــوقَ غُـــصونه | وذكّرنـــي بـــالوَرْدِ فـــي صـــفحةِ الخـــدِّ
ذكـــرتُ بـــه مَـــن خـــدُّهُ لـــيَ روضَـــةٌ | تهـــيمُ بهـــا مـــن حـــسنها روضـــةُ الـــوَرْدِ
فقلـــتُ لمـــن عَهـــدي لـــه مثـــلُ عَهـــده | ســـقاكَ الحَيَـــا مـــن صـــاحبٍ حـــافظ العهـــدِ
وقلتُ اسقني كأســـاً علـــى طيـــب ذكرهـــا | فـــإنّيَ مـــشغوفٌ بهـــا بيـــنكُم وحـــدي

(2)

وقال في الجارية **حُسن الوَرد**: [3] [الخفيف]

يـــا خلـــيلاً صـــفا وكَـــدَّرَ يـــوميْ | هلْ إلي الطِّيـــبِ فـــيْ غَـــدٍ مـــنْ ســـبيل
لتمنَّيـــتُ أنْ تَـــرى **حُـــسْنَ الـــور** | **د** بعَينيـــكِ بالجنـــابِ الظَّليـــل

[1] – يومين: قرية بإشْبِيلْيَة منها أوَّلية بني عباد. انظر ابـــن الأبّـــار، الحُلَّـــة الـــسِّيَراء، 158/2، المَقَّري، النّفح، 348/5.

[2]– ابن بسَّام، الذّخيرَة، ق1 م873/2.

[3]– ابن بسَّام، الذّخيرَة، ق1 م871/2، ابن سَعيد، المغرب، 435/1.

يـــا خَلـــيلاً مِثالُــــهُ نَـــصْبُ عَينـــيْ   لـــوْ خَلَوْنــا إذَنْ شَـــفَيتُ غَليلـــي

شعر فرحون

(1)

أهدى فرحون[1] للرّمادي **جارية** وكتب إليه قائلاً: [2] [مجزوء الرَّمَل]

يـــا أخـــيْ أنـــتَ ومَـــوْلَى   وقليـــلٌ لـــكَ مَـــولى
قَـــدْ بَعثْنـــا بِفِـــراشٍ   فـــاهْجُرَنْ وجـــه المُـــصَلَّى
ووَصَـــلناهُ بغَيْـــدا   ءَ كَبَـــدرٍ يَتَجلّـــى
فَتَفَـــضَّلْ بقَبُـــولٍ   لا عَـــدِمْتَ الـــدَّهرَ فَـــضْلا
وورا ذلـــكَ مِنّـــي   سَـــتَرَى فَـــضْلاً وفـــضلا

شعر أبي الفضل الدارميّ

(1)

قال في **جارية** : [3] [الطَّويل]

ومَخطوطـةُ المتنـين مهـضومةُ الحَـشا   مُنَعّمـةُ الأرداف تَـدْمَى مـنَ اللّمـسِ
إذا مـا دُخَـانُ النَّـدِّ مـنْ جيبهـا عـلا   على وجهها أبْصَرْتَ غيماً علـى الـشَّمسِ

---

[1] – هو ابن الوبلة محمد بن عبد الله بن عبد الواحد المعروف بفرحون، كان والياً على شنترين بغرب الأندلس أيام الحكم المُستَنصِر بالله أو ابنه هشام المؤيد بالله. انظر ابـن الأبّـار، الحُلّـة السِّيَراء، 1/ 280.

[2] – ابن الأبّار، الحُلّة السِّيَراء، 1/281-282.

[3] – ابن بسّام، الذّخيرَة، ق4 م1/95-96، المَقّري، النّفح، 4/100.

شعر قُنْد

(1)

قال قُنْد مولى نجم بن طرفة[1] في الجارية **جُؤذر**: [2] [الوافر]

إذا قابلــــتَ شـــــرْحَ أبـــــي عَبْيـــد — وغُيِّـــبَ كـــل فتـــى حَـــسَدٍ وكِيـــد[3]

وللزجـــــاج قابلـــــت المعـــــاني — فـــلا تغفـــل نـــصيبها مـــن قنيـــد[4]

شعر ابن كسرى المَالقيّ

(1)

قال في راقصة اسمها **نُزْهة** وتُعرف **بـيخُطّ الشَّوق**: [5] [الطَّويل]

تَخُطُّ يَخُـطُّ الـشَّوقَ فـي القلـبِ شَخـصُها — ففي كُـلِّ مـا تأتيْـه حُـسْنٌ وتَحْـسِيْنُ

وليـسَتْ تُطيْـقُ الـشِّينَ فـي كُـلِّ نُطقِهـا — فمن أجلِ بُعدِ الـشِّينِ باعَـدَها الـشَّيْنُ

إذا رقـــصتْ أبـــصرتَ كـــلَّ بديعـــة — تُري ألِفــاً حينــاً وحينــاً هــي النــونُ

فيـــا نُزهَـــةَ الأبْـــصَارِ سُـــمِّيتِ نُزْهَـــةً — لكـــي يُوضِـــحَ المعنـــى بيـــانٌ وتبيـــينُ

---

[1] – هو أبو القاسم قُند بن نجم من أهل قُرْطُبَة، وهو عالم بعلوم الأوائل. انظـر ابـن الأبَّـار، التَّكملة، 82/4.

[2] – ابن الأبَّار، التَّكملة، 246/4.

[3] – حصل كسر في التفعيلة الخامسة.

[4] – حصل كسر في التفعيلة الخامسة.

[5] – ابن الأبَّار، تحفة القادم، 131.

شعر لسان الدين بن الخطيب

(1)

قال في **قينة**: [1] [الطَّويل]

ومُرضِــعةٍ طفــلاً مــنَ العــودِ ثَــدْيُها ... ولا دُرَّ إلاّ الــدُّرُّ مــنْ أدبٍ مَحْــضِ
كـــأنَّ أبــــاهُ الـــدَّوحَ ورَدَّ خَـــدَّها ... بما جادَهُ النِّيسانُ مــن وَرْدِهِ الغَــضُّ
وتَطْلُــبُ أحيانـــاً بِفَــرْضِ رَضــاعِهِ ... فَيَبْتَزُّ مــن تِلــكَ الــدَّراهِمِ بــالفَرْضِ
إذا لَمَـــــسَتهُ بالبَنـــــانِ تخالهـــــا ... طبيباً منَ الحُذَّاقِ جــسَّ علــى نَــبْضِ

(2)

وقال: [2] [الطَّويل]

ليــاليَ تبــدو الــراحُ فــي أُفْــقِ راحنــا ... نجومـــاً كـــسوناها غلائِلَهـــا الزُّرْقـــا
إذا شـــجَّها الـــساقي رأيـــت بكفِّـــه ... ضرامَ شهابٍ لــيس يــشكو لــه حَرْقــا
أروحُ وأغـــدو بــــينَ كـــاسٍ وقَينَـــةٍ ... ضـــجيعاً لهـــا أو مـــن مُـــدامتها مُلْقـــى

(3)

طلب لسان الدين بن الخطيب من تاشفين الموسوس **جارية** فقال: [3] [الطَّويل]

قَصدتُ إلىْ المولىْ أبــي عُمَــر الرِّضــا ... غَدتْ بالــذي يَرضـــىْ المــشيئةُ جاريَــهْ
وطُوفـــانُ هَمِّـــي قـــدْ طغـــىْ ليُجيرَنـــي ... وتُركِبَنـــــيْ آلاؤهُ فـــــوقَ جاريَـــــهْ
وإنـــيْ لـــراضٍ بالـــذي يَرتَـــضيه لـــي ... ولـــو عبَـــدَتْ آباؤهـــا شَـــنتَماريَهْ
وإنّ ظُنـــونيْ فـــي الإمـــامِ وفَـــضْلِه ... مُحَقَّقَـــــــةٌ واللهِ لا مُتماريَـــــــهْ
ففـــازَ بمـــا يَهـــواهُ مـــنْ فَـــضلِ ربِّـــه ... وأمُّ الـــذيْ يَهْـــوَى لـــهُ الـــشرَّ هاويَـــهْ

---

[1] - الدّيوان، 638/2.

[2] - الكتّاني، التّشبيهات، 97.

[3] - الدّيوان، 781/2.

شعر مجهول

(1)

قال في الجارية تَفْتِير: [1] [السَّريع]

وقَينـــــــــةٍ تُـــــــدعَى بتَفْتِيـــــــر مُفْرَغَـــــــةٍ فـــــي قالَـــــبِ الـــــزُّورِ
تبـــــدو بوجـــــهٍ مـــــا رآهُ امـــــرؤ إلا تَمنَّـــــى الـــــنفخَ فـــــي الـــــصُّورِ
كأنهـــــا والعـــــودُ فـــــي حِجْرِهـــــا حاســـــــبةٌ تُنبـــــــي بمَجـــــــذور
لكعـــــاءُ مـــــن أحْـــــسَنِ حالاتِهـــــا صَـــــفْعُ قفاهـــــا بالمَـــــساوير
وصـــــيدُها الأعـــــرادَ فـــــي خَلْـــــوَة يُنـــــسيكَ مـــــن صـــــيدِ الـــــسَّنانير
تبَّـــــاً لهـــــا مـــــن قينـــــةٍ عقلُهـــــا أخـــــفُّ مـــــن ريـــــشِ العـــــصافيرِ

شعر مجهول

(1)

قال في جارية: [2] [السَّريع]

نـــــــديمتي جاريَـــــــةٌ ســـــــاقِيَهْ ونُزهتـــــي ســـــاقِيَةٌ جاريـــــهْ

---

[1]– الكتّاني، التّشبيهات، 246.

[2] – ابن بسّام، الذّخيرة، ق4 م232/1.

شعر ابن محفوظ

(1)

قال في **جارية**: [1] [البسيط]

ما القلبُ عنْ حُـبٍّ ذاتِ الخـالِ بالخـالِ أَطَعْـتُ إلاّ إلـى لميـاءَ عُـذّالي
أهـيمُ منهـا علـى شَـحْطٍ[2] بجاريـةٍ حـوراءَ تعطـو بجيـدٍ غيـرِ مِعطـالِ[3]
كالصُبْحِ فـي بَلَـجٍ والـرَّوضِ فـي أَرَجٍ والرَّقص فـي مـائسِ الأعطـافِ مَيّـالِ
غاديـةٌ مـنْ غَـواديْ المُـون[4] سـائلةٌ بكـلِّ وبـلٍ كَـريمِ الـودقِ هطّـالِ
تُفجّـر الغَيْـلَ[5] فـي بيـداءَ مَجْهَلَـةٍ وتُنبـتُ الغَيْـلَ فـي خبـراء[6] ممحـالِ[7]
حتـى تغـادرَ أغفـالَ[8] الـتِّلاعِ[9] بهـا مـن واصـبٍ[10] مُعلمـاتٍ غيـرَ أغفـالِ

---

[1] – ابن الأبَّار، تحفة القادم، 134.

[2] – الشَّحْط والشَحَط: البُعد في كل الحالات.ابن منظور، لسان العرب، مادة (ضحط) 327/7.

[3] – جِيد مِعْطال: لا حَلْيَ عليه. ابن منظور، لسان العرب، مادة (عطل) 454/11.

[4] – المَون: مانَهُ يمُونُهُ مَوْناً إذا احتمل مئونَتَه وقام بكفايته فهو رجل مَمُون. ابن منظور، لسان العرب، مادة (مون) 425/13.

[5] – الغَيْل: الماء الجاري على وجه الأرض. ابن منظور، لسان العرب ، مادة (غيل) 511/11.

[6] – خَبْراء: مَنْقَعُ الماء وخصّ بعضهم به منقع الماء في أصول السِّدْر. ابـن منظـور، لسان العرب، مادة (خبر) 227/4.

[7] – ممحال: أرض مَحْلَة ومَحْلٌ ومَحُول ومَحُولَة أيضاً بالهاء: لا مرعى بهـا ولا كـلأ. ابـن منظور، لسان العرب، مادة (محل) 617/11.

[8] – أغْفَال الأرض أي المجهولة التي ليس فيها أثر يعرف. ابن منظور، لسان العـرب، مـادة (غفل) 498/11.

[9] – التَّلْعَة: مجرى الماء من أعلى الوادي إلى بطون الأرض والجمع التِّلاع. ابن منظور، لسان العرب، مادة (تلع) 8/ 36.

[10] – واصِب: دائم ثابت، ابن منظور، لسان العرب، مادة (وصب) 797/1.

شعر محمد بن أبي الحسين

(1)

قال في **جارية**: [1] [الوافر]

بنفـــسيَ عَقْرَبـــانِ بِـــصَحْنِ خـــدٍّ　　بِخَمْـــرِ جُفونِـــهِ مُتَنادمـــانِ
إذا التَقَيـــا تَـــرى لَهُمـــا عِناقـــاً　　كـــأنَّ لِفرْقَـــةٍ يَتوادعـــانِ

شعر محمد بن ميمون

(1)

قال في جاريته **ميّة**: [2] [الكامل]

تـــصبُو إلـــى مَـــيٍّ ومَـــيٌّ لا تَـــي　　تَزْهُـــو ببلـــواكَ التـــي لا تنقـــضي
وفخـــاركَ القـــومُ الأُلـــى مـــا مـــنهمُ　　إلا إمـــامٌ أو وصـــيٌّ أو نبـــي
فـــاثْنِ عنانَـــكَ للهُـــدى عـــن ذيْ الهـــوى　　وخَفِ الإلـــهَ عليـــكَ ويحـــكَ وارْعَـــوِي

شعر أبي المُطرِّف الزهريّ

(1)

قال في **جارية** : [3] [البسيط]

يـــا ظبيـــةً نَفَـــرتْ والقَلـــبُ مكنَـــسُها　　خوفـــاً لختلـــيَ بـــلْ عمـــداً لتعـــذيبي

1- الكتّاني، التّشبيهات، 127.
2- ابن الأبّار، التّكملة، 320/1، المقّري، النّفح، 258/5-259.
3 - ابن الأبّار، تحفة القادم، 221، المقّري، النّفح، 397/4.

لِتَــأْمَنِي فــابنُ عبــدِ الحــقِّ ألحَقَنــا عَــدلاً يُؤَلِّــفُ بــينَ الظَّبــيِ والــذِّيبِ

شعر المعتصم بن صُمَادح

(1)

قال **لجاريته** وهو يحتضر:[1] [المتقارب]

تَرَفَّــق بِــدَمْعِكَ لا تُفْنِــهِ فَبَــيْنَ يَــديكَ بُكــاءٌ طَويــلُ

(2)

وقال في **جارية**:[2] [البسيط]

لمّــا غــدا القلــبُ مفجوعــاً بأَســودِه وفُــضّ كــلُّ خِتــامٍ مــن عَزائِمِــه

ركبــتُ ظهــرَ جــواديْ كــي أُســلِّيَهُ وقلتُ للــسيفِ كــنْ لــيْ مــن تمائِمِــه

شعر المعتضد بن عبّاد

(1)

سهر عبّاد ليلةً لأمر حَزَبَه والعبّادية نائمة فقال: [3] [المتقارب]

تنــامُ ومُــدنفُها يَــسهَرُ وتــصبرُ عنــهُ ولا يــصبرُ

---

[1] – ابن خاقان، قلائد العقيان، 148/1، ابن سَعيد، المغرب، 196/2.

[2] – ابن خاقان، قلائد العقيان، 150/1، الأبار، الحُلّة السِّيراء، 84/2.

[3] – ابن الأبَّار، التَّكملة، 252/4، الحُلّة السِّيراء، 48/2، ابن عبد الملك المرّاكشي، الذّيل والتَّكملة، 494/2/8، المقّري، النّفح، 6/ 58.

شعر المُعتَمد بن عبّاد

(1)

قال في جاريته **جوهرة**: [1] [مجزوء الرجز]

جَوهرُ قَدْ عَذَّبَني ... منْكِ تَمادي الغَضَبِ
فَزَفْرَتي في صَعَدٍ ... وعَبرتي في صَبَبِ
يا كوكبَ الحُسنِ الذي ... أزرى بزُهَرِ الشُّهُبِ
مسكنُك القلبُ فلا ... تَرضي لهُ بالوَصَبِ

(2)

وقال في جاريته **سِحر**: [2] [الطَّويل]

عفا اللهُ عنْ **سِحْرٍ** على كلِّ حالةٍ ... ولا حُوسبتْ عمّا بها أنا واجدُ
أسِحْرٌ ظلمتِ النّفسَ واخترتِ فُرقتي ... فجمّعتِ أحزاني وهُنَّ شواردُ
وكانتْ شُجوني باقترابِكِ نُزَّحاً ... فها هُنَّ لما أن نأيتِ شواهدُ
فإن تستلذّي بَردَ مائكِ بعدنا ... فبعدكِ ما ندريْ متى الماءُ باردُ

(3)

وقال في جاريته **اعتماد** : [3] [المتقارب]

أغائبةَ الشّخصِ عنْ ناظري ... وحاضرةً في صَميمِ الفُؤادِ
عليكِ سلامٌ بقدرِ الشُّجونِ ... ودمعِ الشؤونِ وقَدرِ السُّهادِ
تملّكتِ منِّيَ صَعبَ المرامِ ... وصادفتِ وُدّيَ سَهل القيادِ
مراديَ لُقياك في كلِ حينٍ ... فيا ليتَ أنّيَ أُعْطَى مُرادي
أقيمي على العَهدِ ما بيننا ... ولا تَستَحيلي لِطولِ البِعادِ
دَسَسْتُ اسمك الحُلْوَ في طيّه ... وألّفتُ فيه حروفَ **اعتماد**

1- الدّيوان، 3.
2- الدّيوان، 8.
3- الدّيوان، 8.

(4)

وقال في جاريته **اعتماد:** [1] [الطَّويل]

أدار النَّوى كم طال فيك تَلَدُّدي[2] وكم عُقتني عن دار أهَيَف أغيَدِ
حلفتُ به لو قد تَعرَّض دونَه كُماةُ[3] الأعادي في النَّسيج المُسرَّدِ[4]
لجرَّدتُ للضَّربِ المُهنَّدَ فانقَضى مُرادي وعَزماً مثلَ حَدِّ المُهنَّدِ
فما حلَّ خِلٌّ من فُؤادِ خَليْلِه محلَّ **اعتمادَ** من فؤادِ محمّدِ
ولكنَّها الأقدارُ تُرْدي بلا ظُباً وتُصْمِي بلا قَتْلٍ وتَرمي بِلا يَدِ

(5)

وقال في جاريته **جوهرة:** [5] [السَّريع]

لم تَصفُ لي بعدُ وإلاّ فَلِمْ لَمْ أرَ في عُنوانها جَوهَرَهْ
دَرَتْ بأني عاشقٌ لاسمها فلم تُردْ للغيظ أن تذكرَهْ
قالت إذا أبصرَه ثانياً قَبَّله والله لا أبْصَرَهْ

(6)

وقال في **جارية:** [6] [الكامل]

عُلِّقتُ جائلةَ[7] الوشاح غريرةً تَختالُ بينَ أسِنَّةٍ وبَواتِرِ

(7)

وقال في **جارية:** [8] [البسيط]

---

[1] - الدّيوان، 9-10.

[2] - تلدُّد: يتلَدَّدون أي يتلبَّثون. ابن منظور، لسان العرب، مادة (لدد) 390/3.

[3] - الكَميُّ: الشجاع المُتَكمِّي في سلاحه لأنه كَمى نفسه أي سترها بالدّرع والبَيْضة والجمع الكُماة. ابن منظور، لسان العرب، مادة (كمي) 232/15.

[4] - المُسرَّد: المُسَرَّد والمِسْرَد هو المِثْقَب. ابن منظور، لسان العرب، مادة (سرد) 211/3.

[5] - الدّيوان، 14.

[6] - الدّيوان، 14.

[7] - جائل: الزائل عن مكانه. ابن منظور، لسان العرب، مادة (جول) 132/11.

[8] - الدّيوان، 15.

قامتْ لتَحْجِـبَ ضَـوْءَ الـشَّمسِ قامتُهـا عَنْ ناظريْ حُجِبَتْ عـنْ نـاظرِ الغيـرِ
عِلمـاً لعمـرُك منهـا أنّهـا قَمَـر هل تحجبُ الـشمسَ إلا صـفحةُ القَمَـرِ

(8)

وقال في جاريته **اعتماد**: [1] [الطَّويل]

خليلـيّ قـولا هـل علـيّ ملامـةٌ إذا لـمْ أغـبْ إلا لتَحْـضُرني الـشمسُ
وأُهـدى بـأكواسِ المُـدامِ كَواكبـاً إذا أبْصَرَتها العـينُ هـشَّتْ لهـا الـنَّفسُ
سـلامٌ سـلامٌ أنتمـا الأُنْـسُ كُلُّـه وإنْ غبتمـا أمُّ الرَّبيـعِ هـي الأُنـسُ

(9)

وقال في جاريته **جوهرة**: [2] [السَّريع]

سُـرورُنا دونَكُـمُ نـاقِصُ والعَـيشُ لا صـافٍ ولا خـالصُ
والـسّعدُ إن طالَعَنـا نجمُـهُ و غِبْـتِ فَهْـوَ الآفِـلُ النّـاكصُ
سَـمَّوْكِ بـالجَوْهَرِ مظلومَـةً مِثلُـكِ لا يُدركُـهُ غـائصُ

(10)

وقال في **جارية**: [3] [السَّريع]

ريعَـتْ مـنَ البَـرقُ وفـيْ كَفِّهـا بَـرقٌ مـنَ القهـوةِ لَمَّـاعُ
ياليتَ شِـعريْ وَهْـيَ شـمسُ الـضُّحى كيـفَ مـنَ الأنـوارِ تَرتـاعُ

(11)

وقال في جاريته **اعتماد**: [4] [الطَّويل]

تظـنُّ بنـا أمُّ الرَّبيـعِ سـآمةً ألا غَفـرَ الـرَّحمنُ ذنبـاً تُواقعـهْ
أأهْجُـرُ ظبيـاً فـيْ ضُـلوعيْ كناسُـه وبـدرَ تَمـامٍ فـيْ جُفـونيْ مَطالعـهْ
وروضـةَ حُـسْنٍ أجتَنيهـا وبـارداً من الظَّلمِ لـم تُحظَـرْ علـيَّ شـرائعهْ

---

[1] - الدّيوان، 19.
[2] - الدّيوان، 19.
[3] - الدّيوان، 21.
[4] - الدّيوان، 20.

إذاً عــــدمتْ كفّــــي نَـــوالاً تفيـــضُه   علــى مُعتَفيهـــا أو عَـــدواً تُقارِعُـــهُ

(12)

وقال في جاريته **وداد:** [1] [الخفيف]

اشـــرَبْ الكـــأسَ فـــيْ **وِداد** وِدادكْ   وتَــأنَّسْ بِـــذِكْرِها فـــي انفِـــرادِكْ
قَمَـــر غــابَ عـــنْ جُفونِـــكَ مَـــرآ   ه وســـكناهُ فـــيْ سَـــوادِ فُـــؤادكْ

(13)

وقال في **جارية:** [2] [مجزوء الكامل]

أنَـــا فـــي عَـــذابٍ مـــنْ فراقِـــكْ   نَـــشْوانُ مـــن خَمْـــرِ اشـــتياقكْ
صَـــبٌّ الفـــؤادِ إلـــى لِقـــا   ئِـــكَ وارتـــشافِكَ واعتناقـــكْ
لا تحـــسَبي أنّـــيْ سَـــلَو   تُ لمـــا تَـــوالَى مـــن فِراقِـــكْ
هـــذي جُفـــوني أقـــسَمَتْ   لا تلْتَقـــي مـــا لـــمْ تُلاقـــكْ
فَـــصِلِيْ جَميـــلَ الظّـــنِّ بـــيْ   وثِقـــي فقلبـــيْ فـــي وَثاقِـــكْ

(14)

وقال في جاريته **اعتماد:** [3] [الكامل]

بَكَـــرَتْ تلـــومُ وفـــي الفـــؤاد بلابـــلُ   سَـــفَهاً وهـــلْ يَثنـــي الحَلـــيمَ الجاهـــلُ
يـــا هـــذه كُفّـــي فـــإنّي عاشـــقٌ   مَـــنْ لا يَـــردُّ هَـــوايَ عنهـــا عـــاذلُ
حـــبُّ **اعتمـــادٍ** فـــي الجـــوانحِ ســـاكنٌ   لا القلبُ ضَـاقَ بـهِ ولا هُـوَ راحـلُ
يـــا ظبيـــةً سَـــلبتْ فـــؤادَ مُحمـــدٍ   أوَ لَـــمْ يُروِّعْـــك الهِزَبْـــرُ الباســـلُ
مـــن شـــكَّ أنـــي هـــائمٌ بـــك مغـــرمٌ   فعلـــى هـــواكِ لـــهُ علـــيَّ دلائـــلُ
لـــونٌ كـــسَتْهُ صُـــفرةٌ ومـــدامعٌ   هَطلَـــتْ ســـحائبُها وجـــسمٌ ناحـــلُ

---

[1] – الدّيوان، 10.
[2] – الدّيوان، 22.
[3] – الدّيوان، 23.

(15)

وقال في **جواريه:** [1] [الكامل]

دارَى الغـــــــرامَ ورامَ أن يتكتّمـــــــا   وأبـــــى لـــــسانُ دُموعِـــــهِ فَتكلَّمـــا
رَحَلـــــوا وأخفــــى وَجْـــدَه فأذاعَــــه   مـــاءُ الـــشُّجون مُـــصرِّحاً ومُجَمْجِمـــا
ســـــايرتُهم والليـــــلُ غُفْـــلٌ ثوبُـــه   حتـــى تَـــراءى للنّـــواظر مُعلَمـــا
فوقفـــت ثَـــمَّ محيَّـــراً وتـــسلَّبت   منّـــي يـــدُ الإصـــباحِ تلـــكَ الأنجُمـــا

(16)

وقال في جاريته **وداد:** [2] [الطَّويل]

لـــكَ اللهُ كـــم أودَعْـــتَ قلبِـــيَ مِـــنْ أســـىً   وكمْ لَكَ ما بينَ الجَـوانحِ مــن كَلْــمِ
لحاظُــكَ طــولَ الــدَّهرِ حَــربٌ لمُهجَتـــي   ألا رحمةٌ تُثْنيكَ يومـــاً إلـــى سِــلمِي

(17)

وقال في جاريته **سحر:** [3] [الطَّويل]

سأســـألُ رَبّـــي أنْ يُـــديمَ بـــيَ الـــشَّكْوى   فقدْ قَرَّبتْ منْ مـضجعي الرَّشَـأ الأحْــوى
إذا عِلَّـــــةٌ كانـــــتْ لقربـــــكِ عِلَّـــــةً   تَمَنَّيْـــتُ أن تَبقـــى بجـــسمي وأن تَقـــوى
شـــكوتُ وسِـــحْرٌ قـــد أغبَّـــت زيـــارتي   فجاءتْ بها النُّعمـــى التـــي سُـمِّيتْ بَلْــوى
فيـــا علّتـــي دومـــي فأنـــتِ حبيبـــةٌ   ويـــا ربِّ سَـمعاً مـــن نـــدائيَ والـــشكوى

---

[1] – الدّيوان، 26.
[2] – الدّيوان، 26.
[3] – الدّيوان، 2.

شعر أبي المغيرة بن حزم

(1)

قال في الجارية **أُنْس القُلوب**: [1] [الخفيف]

كيــــفَ كيــــفَ الوصـــــولُ للأقمــــارِ   بــين سُــمْر القنـــا وبـــيض الـــشّفار
لـــو علمْنــــا بـــأن حُبَّـــك حَـــقٌّ   لَطلبنـــــا الحيــــاةَ منـــكِ بثــــارِ
وإذا مـــا الكـــرامُ هَمّـــوا بـــشيء   خـــاطَروا بـــالنُّفوس فـــي الأخطـــارِ

شعر ابن المنخَّل

(1)

ردّ ابن المنخَّل[2] على ابن سكن فقال: [3] [الكامل]

مـــا ضَـــرَّها وَهْـــيَ الجَمـــالُ بأسْـــرِهِ   لـــو أنَّهـــا زُفَّـــتْ إلـــى عُـــشّاقها

---

[1] – المَقَّري، النّفح، 151/2.

[2] – هو أبو بكر محمد بن إبراهيم بن عبد الله المنخَّل المهري، أديب من أهل شِلب، أحد الأدباء المتقدِّمين والمجوِّدين، كان شاعراً حَسن الخطِّ وله مشاركة في علم الكلام، وذُكر أنه كان له ديوان شعر، توفي في حدود 560 هـ. انظر ابن الأبَّار، التّكملة، 27/2-28، ابن سَعيد، المغرب، 387/1-388، ابن الجزّار، زاد المسافر، 129، المَقَّري، النّفح، 66/5-67.

[3] – ابن الأبَّار، تحفة القادم، 64.

شعر المنذر بن عبد الرّحمن

(1)

قال في جاريته **طَرَب**: [1] [المنسرح]

لـــيس يُفيـــدُ الـــسرورُ والطـــربُ إنْ لـــمْ تُقابـــلْ لـــواحظي **طَـــرَبُ**
أَبْهَـــتُ فـــي الكـــأس لـــستُ أشـــربها والفكـــرُ بـــين الـــضلوعِ يلتهـــبُ
يعجـــبُ منـــي معاشِـــرٌ جهلـــوا ولـــو رأوا حُـــسنَها لمَـــا عَجِبُـــوا

شعر المنصور بن أبي عامر

(1)

أرسل المنصورُ بن أبي عامر عقيلة من عقائل الروم يكنفها ثلاث جوارٍ لابن شُهيد، وكتب إليه: [2] [الخفيف]

قـــد بَعثنـــا بهـــا كَـــشمسِ النَّهـــارِ فـــي ثـــلاثٍ مـــنَ المَهـــا أبكـــارِ
وامْتَحَنَّـــا بعـــذرة البكـــرِ إنْ كنـــــتَ تُرَجِّـــي بـــوَادرَ الإعْـــذارِ
فاجتَهِـــدْ واتَّئِـــدْ فإنّـــكَ شـــيخٌ سَـــلَخَ الليـــلَ عـــن بَيـــاضِ النهـــارِ
صـــانَكَ اللهُ عـــن كَلالِـــكَ فيهـــا فمـــنَ العـــارِ كَلَّـــةُ المِـــسمَارِ

---

[1] – المقَّري، النّفح، 5/118-119.

[2]– ابن بسَّام، الـذّخيرَة، ق4 م1/29، والأبيات موجودة في ابن خاقان، مطمـح الأنفـس، 396 (1، 3، 4)، ابن الأبَّار، الحُلّة الـسِّيَراء، 1/276، ابـن عـذَاري، البيـانُ المُغـرِب، 2/300، المقَّري، أزهار الرياض، 5/132، النّفح، 2/121 (1، 3، 4)، النّفح، 1/384 (1-4).

شعر هاشم بن عبد العزيز

(1)

قال في جاريته **عاج**: [1] [الطَّويل]

وإنِّي عَداني أن أزورَكِ مَطْبَقٌ ... وبابٌ منيعٌ بالحديد مُضَبَّبُ
فإنْ تعجبيْ يا **عاجُ** مما أصابَني ... ففي رَيبِ هذا الدّهرِ ما يُتعجبُ
وفي النفس أشياء أبيتُ بغمِّها ... كأنِّي على جَمْرِ الغَضى أَتَقَلَّبُ
تركتُ رَشَادَ الأمْرِ إذ كنتُ قادراً ... عَلَيه فلاقيتُ الذي كنتُ أَرْهَبُ
وكَمْ قائلٍ قال انْجُ وَيْحَكِ سالماً ... ففي الأرضِ عنهُمْ مُستَرادٌ ومذهبُ
فقلتُ له إن الفرار مذلّةٌ ... ونفسي على الأسواءِ أحلى وأَطْيبُ
سأرضى بحكم الله فيما ينوبني ... وما مِن قَضاءِ الله للمرءِ مَهْرَبُ
فمن يكُ أمسى شامتاً بي فإنهُ ... سينهلُ في كاسي وشيكاً ويَشْرَبُ

شعر ابن هَمُشْك

(1)

قال في الجارية **نسيم**: [2] [الطَّويل]

تبارك باري الخَلقِ إذ صوَّرَ الخَلْقا ... وأتقنَهمْ صُنعاً وأطلعهمْ أُفْقا
وأوْدَعَ فيْ الأجفانِ سِحْراً مُضاعَفاً ... يُعلِّمُنيْ التَهيامَ والوَجدَ والعشقا
وذكّرنيْ منْ كنتُ أعهدُ أُنْسَهُ ... مُقيماً ولمّا بانَ أورثَنيْ شوقا
خليليّ عيدُ الفطرُ وافى فهاجنيْ ... غَراماً وتَهياماً وزادَ الحَشا خفقا
ولمّا رأيتُ الحُسنَ بالطّاقِ طالعاً ... لمحتُ ثناياها وقدْ لَمَعَتْ برقا
صبوتُ وقدْ يصبو الحَليمُ لمثلها ... يرقُّ وكمْ صبٍّ لغانيةٍ رقّا

---

[1] - ابن الأبّار، الحُلّة السِّيراء، 1/140-141، ابن عِذاري، البيانُ المُغرِب، 2/116.

[2] - ابن سَعيد، اختصار القدح، 99.

شعر أبي الوليد البَطَلْيَوسيّ النحليّ

(1)

قال في **قينة**: [1] [الوافر]

ولاعبـــةِ الوشـــاحِ كغُـــصْنِ بـــانٍ   لهـــا أثـــرٌ بتَقطيْـــعِ القُلـــوبِ
إذا سَـــوَّت طريـــقَ العُـــودِ نقـــراً   وغنَّـــتْ فـــيْ مُحـــبٍّ أو حَبيـــبِ
فيُمناهـــا تقـــدُّ بهـــا فـــؤاديْ   ويُـــسراها تَعـــدُّ بهـــا ذنـــوبي

(2)

قال في **جارية** المُعتَمد: [2] [الكامل]

راقَـــتْ محاسِـــنُها ورَقَّ أديمُهـــا   فتكـــاد تُبْـــصُرُ باطنـــاً مـــنْ ظـــاهرِ
وتمايلت كالغـصن فـي دِعـص[3] النَّقـا   والتـفَّ فـي وَرَقِ الـشَّبابِ النَّاضـرِ
يَنْـدى بِمـاءِ الـوَردِ مُـسْبَلُ شَـعْرِها   كالطَّـل يَـسقطُ مـنْ جنـاحِ الطَّـائرِ
تُزْهـى بِرَوْنَقِهـا وعَـزَّ جمالُهـا   زَهْـوَ المؤيَّـد[4] بالثَّنـاءِ العـاطرِ
مَلِـكٌ تَـضاءلَتْ المُلـوكُ لقَـدْره   وعَنَـا لـهُ صـرفُ الزَّمـان الجـائرِ
واذا لَمَحَـتَ جَبينَـهُ ويَمينَـهُ   أبْـصَرْتَ بَـدراً فـوقَ بحـرٍ زاخـرِ

---

[1] – المَقَّري، النَّفح، 399/4.

[2] – المقَّري، النَّفح، 205/4–206.

[3] – الدِّعص: قُورٌ من الرَّمل مجتَمع... والدَّعصاءُ أرضٌ سهلة فيها رملة تَحْمَى عليها الـشمسُ فتكونُ رَمْضاؤُها أشدَّ من غيرها. ابن منظور، لسان العرب، مادة (دعص) 35/7–36.

[4] – المؤيد: من ألقاب المُعتَمد. انظر ابن الأبَّار، الحُلَّة السِّيراء، 53/2.

شعر ابن وَهْبُون

(1)

قال ابن وَهْبُون[1] في **جارية**: [2] [البسيط]

إنِّـــــيْ لأسْــــمَعُ شَــــدْواً لا أُحَقِّقُـــهُ ... وربَّمـــا كَـــذَبَتْ فـــي سَـــمْعِها الأُذُنُ
متــــى رأى أحَـــدٌ قَبلــــي مُطَوَّقَـــةً ... إذا تَغَنَّـــتْ بِلَكْـــنٍ جَـــاوبَ الفَـــنَنُ

شعر يحيى بن حكم الغزال

(1)

قال في جاريته **لَعُوب**: [3] [الكامل]

لــــم أنْـــسَ إذ بـــرزتْ إلــــيّ **لَعُـــوبُ** ... طَرَبـــاً وحيـــثُ قميـــصُها مقلـــوبُ
وكأنّهـــا فـــي الـــدارِ حـــينَ تعرَّضَـــتْ ... ظبـــيٌ تدلَّـــه بـــالفَلا مَرعـــوبُ
تَفْتَـــرٌّ عــــن درّ تناســـقَ نظمُـــه ... فيـــه لَثـــاةٌ عذبـــةٌ وغــــروبُ
حاولـــتُ منهـــا رشـــفةً فكأنهـــا ... عـــسلٌ بمـــاءِ ســـحابةٍ مَقْطـــوبُ[4]
ودَعَتْـــكَ داعيـــةُ الـــصِّبا فتطرَّبـــتْ ... نفسٌ إلـــى داعـــي الـــضَّلال طـــروبُ
وظننتَ عهـدكَ عهـدها فـي الـدهر إذْ ... فَينـــانُ غُـــصنِكَ بالـــشبابِ رطيـــبُ

---

[1] – هو أبو محمد عبد الجليل بن وهبون المرسي، من شعراء المُعتَمد، كــان شــاعراً لطيــف المأخذ، دقيق المعاني، توفي سنة 480هــ. انظر ابن خاقان، قلائد العِقيان، 767/4–775، ابن بسَّام، الذّخيرَة، ق2 م473/1–519، ابن دحية، المُطـرِب، 118، عبـد الواحـد المرّاكـشي، المُعْجِب، 102/1، المقَّري، النّفح، 188/2.

[2] – العماد الأصفهاني، الخَريدَة، ق4 ج97/2.

[3] – ابن دحية، المُطرِب، 149–150.

[4] – مقطوب: قَطَبَ الشرابَ يَقطِبُه قَطباً و قَطَّبَه و أَقْطَبَه كُلُّه: مَزَجَه. ابن منظور، لسان العرب، مادة (قطب)، 681/1.

فجَرَيْتَ في سَـنَنِ الـصِّبا شـأواً[1] وقـد وزَعَتْــكَ عنــه كَبْــرةٌ ومَــشيبُ
وحـسبتَ صـاحبَك الـذي هـو ذاك إذْ تــدعوه مهمـــا شـــئتَه فيُجيـــبُ
قـــد كـــان لا يَنْبُـــو إذا جَرَّبْتَـــهُ فـــالآنَ أحـــداثُ الزمـــان تنـــوبُ
لمـــا رأتْ ذاك الـــذي تَنْحُـــو لـــه سَمَحتْ فمـالَ علـى الكَثِيـب قـضيبُ
وتـــأوَّدَتْ خُمـــصانةٌ بَهنانَـــةٌ[2] كـــالفجر يعلـــوه دُجـــىً غربيـــبُ[3]
فقبـضتُ مِـلء يـدي علـى مُـستَهدف رابـــي المجَـــسَّة[4] لونُـــه حُلبـــوبُ[5]
بيـــدي الـــشِّمال وللـــشِّمال لطافَـــةٌ ليـــست لأُخـــرى والأديـــب أريـــبُ
فَتَقَـــاعس الملعـــونُ عنـــه وإنّنـــي لأكـــادُ مـــن فَـــرط الحيـــاء أذوبُ
وأبـــى كَعيـــر الـــسَّوْء إلاّ وَقفـــةً أخـــزَى بهـــا والـــوِرْدُ منـــه قريـــبُ
فكأنـــه ممّـــا تَـــشَنَّج جلـــدهُ كيـــرٌ تَقَـــادمَ عهـــدُه متقـــوبُ

(2)

وقال في **جارية**: [6] [البسيط]

جرداءُ صـلعاءُ لـم يُبـقِ الزمـانُ لهـا إلا لـــساناً مُلِحّـــاً بالمَلامـــاتِ
لطمتُهـــا لطمـــةً طـــارتْ عمامتهـــا عن صَلعَةٍ ليسَ فيهـا خمـسُ شـعراتِ
كأنّهـــا بَيـــضةُ الـــشّاريْ إذا بَرقَـــت بالمـــأزقِ الـضنّكِ بـينَ المَـشرفياتِ
لهـــا حـــروفٌ نـــواتٍ فـــي جوانبهـــا كقـسمةِ الأرض حيـزت بالتخومـاتِ
وكاهـــلٌ كـــسنامِ العـــيسِ جـــرَّدهُ طـولُ الـسِّفار وإلحـاحُ القتـوداتِ[7]

---

[1] – شأواً: الشَّأوْ الغاية والأمد. ابن منظور، لسان العرب، مادة (شأي)، 417/14.
[2] – البَهنانة: الضحَّاكة المتهللة. ابن منظور، لسان العرب، مادة (بهن)، 13/ 60-61.
[3] – غِربيبُ: شديد السواد. ابن منظور، لسان العرب، مادة (غرب)، 1/ 646-647 .
[4] – المَجَسَّة: الموضع الذي تقع عليه يده إذا جسَّه. ابن منظور، لسان العرب، مـادة (جـسس)، 38/6.
[5] – الحُلْبوب: اللون الأسود. ابن منظور، لسان العرب، مادة (حلب)، 1/ 335.
[6] – الكتَّاني، التَّشبيهات، 245.
[7] – القتودات: خشب الرَّحل وقيل القَتَدُ من أدوات الرَّحْلِ وقيل جميع أداته والجمع أقْتاد و أقْتُدٌ و قُتُود. ابن منظور، لسان العرب، مادة (قتد) 342/3.

شعر يوسف بن نصر ملك غَرْناطَة

(1)

وجّهَ السلطان يوسف بن نصر جارية روميَّة لابن فُركون، وكتب إليَّه قبل أن تــصله: [1]

[الكامل]

يـــا طالبـــاً غُـــرّ الجيـــاد الـــسُّبق   شَمِّرْ لها عــن ســاق جــدّكَ والحَــقِ

فإليكَهـــا نجـــلاءَ رائقـــةَ الحُلـــى   والحُـــسنُ بـــين مـــدملجٍ ومُمَنطَـــقِ

مهِّـــدْ لهـــا أكنـــافَ بِـــرّكَ إننـــي   آثـــرتُكُمْ منهـــا بـــروضٍ مُونِـــقِ

والوعـــدُ منّـــا عـــاجلاً فتـــأهّبَنْ   بَعْـــدَ العِـــشاءَ تحُـــلُّ دَاركَ فـــالْتَقِ

(2)

ونوّع السلطان يوسف بن نصر في قطعته الشعرية السّابقة _علـى سـبيل المُداعبـة_ فكتب: [2] [الكامل]

ياطالِبـــاً فِعْـــلَ الجِعـــالِ المُونِـــقِ   شَـمّرْ لـه عَـن راسِ فَعْلِـكِ وارتَـقِ

وإليكهـــا لَفّـــاءَ[3] ربّـــةَ قَعْنَـــبٍ[4]   معتـــادةً طعـــن الكُلَـــى بـــالمَفْرِقِ

فـــأقِمْ لهـــا حيـــثُ الـــذَّوابلُ تنثَنـــي   عَجـراءَ[5] لاتخـشى احتـدامَ المَـأْرقِ

والوعـــدُ منَّـــا عاجـــلٌ فتـــأهبَنْ   وذر الـسَّراوِل خلـف بابـك والتـقِ

---

[1]– ابن فُرْكُون، الدّيوان، 239.

[2] – ابن فُرْكُون، الدّيوان، 240.

[3]– لَفّاء: امرأة لَفّاء ملتفة الفخذين وفي الصحاح ضخمة الفخذين مكتنزة. ابن منظـور، لـسان العرب، مادة (لفف) 318/9.

[4] – القَعْنَبَة: اعوجاجٌ في الأنف. ابن منظور، لسان العرب، مادة (قعنب) 684/1.

[5] – العَجَر بالتحريك: الحَجم والنُّتُوُّ يقال رجل أعْجَرُ بَيِّنُ العَجَر أي عظيم البطن. ابن منظور، لسان العرب، مادة (عجر) 542/4.

الأراجيز

أرجوزة أبي عبد الله بن مسعود

(1)

قال أرجوزة على لسان **جارية**: [1]

إنّيَ باللهِ وبالوزيرِ ... أَدْفَعُ ما حَلَّ مِنَ المحذُورِ
وَهَبْتَني لأَوحَدٍ مُنْقَطِعِ ... في القُبحِ والفَقرِ خفيّ الموضعِ
ولَمْ يُبيّنْ لي بهذا العيبِ ... من فقرِهِ حتى دَهَى بالشَيبِ
عَيْبَانِ في الدرهم نقصُ وردي ... وواحدٌ قد كان يكفي لو قَدِ
جعلتني أسيرةً مَمْلُوكَهْ ... لِطَلْعَةٍ حائلةٍ صُعلوكهْ
يُعزى على الفالِ إلى مسعودِ ... وهو شَقيٌّ ليسَ بالمحمُودِ
كما يُكَنّى بأبي البيضاء ... أسودُ كالسّروَةِ في الظلماءِ
وكنتُ أرجو مَعَهُ للرّاحهْ ... إذ لم يَفُزْ بطائلِ المَلاحَهْ
إذا به أدخلني في شُغْلْ ... لفَرطِ الإلمامِ بِسوقِ الغزلِ
وقال لي إنْ كنتِ تهوينَ التّحَفْ ... والأكلَ والشربَ وحُلّةَ الطُرَفْ
فانتبهي وحكّمي الأصابعْ ... واطّرحي عن نفسكِ المطامعْ
ألا وَهَبْتِني لِشخصٍ تاجِرِ ... ولم أكنْ عِندَ فقيرٍ فاجِرِ
أوْ ليتني كنتُ لبعضِ الجُنْدِ ... فَرُبَّما حازَ نفيسَ المجدِ
يَضربُ بالسَّيفِ ولا يُقاسي ... خُطَّةَ خَسفٍ بسُؤالِ النّاسِ
قد كَسَدَتْ آدابُهُ والشّعرُ ... فما لهُ عند البرايا قَدْرُ
ألحنُ في أشعارِهِ من تَيْسِ ... أعجَزُ في البيتِ مَنَ الضَريْسِ
ولو تراهُ سائراً للسوقِ ... إذا بدا في كُسْوَةِ الغُرْنُوقِ
مُشَمِّراً في الطِّين عن ساقَيْهِ ... مُداولاً عصاهُ في كَفَّيْهِ
يأخُذُ في التعييرِ والإزهادِ ... مُنكمشاً في طلعةِ الصيّادِ
فمَرَّةً يُعْطَى وألْفاً يُمنَعُ ... ومرَّةً يمشي وعَشراً يَقَعُ
قطعةُ لِبْدٍ دارسِ الآثارِ ... قد طُرِحَتْ حولَ مكانِ النارِ

---

[1] – ابن بسّام، الذّخيرة، ق1 م1/553-555.

إلـــى قُـــدورٍ هـــي أقـــصَى عَقْـــلِ — لـــمْ يَـــكُ فيهـــا قـــطٌّ غيـــرُ البقـــلِ
وقُـــــدَسٍ مُعلّـــــقٍ مُقـــــابِلي — أُودِعُ فِيـــهِ فـــي الـــدُّجى مَغـــازِلي
وطوبـــــة بموضِـــــعِ الرُقـــــادِ — كأنّنـــــا مِـــــنْ أعبـــدِ العُبّـــادِ
يـــا شَـــوقَنا فيـــهِ إلـــى قِنْـــديلِ — وتَوقَنـــا أيـــضاً إلـــى منـــديلِ
هـــذا جميـــعُ كـــلّ مـــا فـــي البيـــتِ — بـــلا دَقيـــقٍ يُرتَجـــى وزيـــتِ
وقـــد شَـــكا منْـــهُ لِـــبعضٍ بعـــضي — إن كـــان عنـــدي مـــن ثِيـــاب الأرضِ
غيـــرُ الـــذي كَـــسَوتَني بمالَقَـــهْ — فَبِنـــتُ قبـــلَ اللّيـــلِ منـــه طالقـــهْ
فـــلا تَـــدَعني غرضـــاً للقُـــرّ[1] — فقـــد كفـــاني عـــدمي لِلبُـــرّ
لا ســـيّما زيـــادَةً فـــي التّحْفَـــهْ — أنّنـــي حُبلَـــى مُقـــرِبٌ بنُطفَـــهْ
وربَّمـــا جئـــت لـــه بـــاثنين — لكـــي يَحُـــوزَ قُـــرَّة العينَـــين
بِـــذا وذا تَنْطَـــبِخُ الشـــشون[2] — يـــا ليتَـــهُ لـــو أنّـــهُ قبّـــون[3]
كـــيسُ الفَقيـــرِ كلُّـــهُ فـــي طرْفِـــهِ — يعـــدُّ سُـــلطانَ الهـــوى مـــن ظَرْفِـــهِ

---

[1] – قُرَّة: قُرّ، برد. دوزي، تكملة المعاجم العربيّة، مادة (قر) 207/8.

[2] – الششون: نصف الطبخ أو القلي أو التحميص، نصف نيء ودون تتبيل، دوزي، تكملة المعاجم العربيّة، مادة (ششن) 305/6.

[3] – قبّون: لم أجد معناها، ووجدت مادة قبّن: وزن بميزان كبير أو بالقبّان. دوزي، تكملة المعاجم العربيّة، مادة (قبن) 180/8.

الموشحات

موشّح أبي الحسن بن نزار

(1)

اختار **جارية** حَسَنَة الصوت وطلب منها أن تُغني مُوشحته التي أولها: [1]

نازَعــــــكِ البـــــدرُ اللّيــــاحْ　　بِنْــــــــتَ الــــــــدِنانِ
فلـــمْ يــــدعْ لـــك اقتـــراحْ　　علـــــــى الزمــــــانِ
يـــا هَـــل أقـــولُ للحـــسُودْ　　والعِـــــــيسُ تُحْـــــــدى
يـــا لائمـــي علــى الــسراحْ　　كانــــــــت أمـــــــاني
أخرجهــــــا ذاك الـــــسّماحْ　　إلـــــــى العِيـــــــانِ

موشح ابن زُهر

(1)

قال في الجارية **سِماك**: [2] [الخفيف]

صــــادني ولـــم يـــدر مـــا صــــادا
شـــادن ســـبى الليـــث فانقـــادا
واســـتخف بالبـــدر أو كــــادا
يــا لـــه لقــد ضـــم بالبـــدر أزراره　　وبـــــالحقف زنــــــاره
لـــــو أجــــاز حكمـــي عليــــه
لاقترحـــت تقبيـــل نعليـــه
لا أقـــول ألـــثم خديـــه

---

[1] – المَقَّري، النّفح، 42/5.

[2] – ابن سَعيد، المغرب، 277/1-278.

أنـــا مـــن يعظـــم والله مقـــداره ويلـــــــزم إكبـــــــاره

يـــا **ســـماك** حـــسبك أو حـــسبي

قـــد قـــضيت فـــي حـــبكم نحبـــي

واحتـــسبت نفـــسي فـــي الحـــب

إنهـــا نفـــس لـــذا الحـــب أمـــاره وبالـــــسوء أمـــــاره

عـــرض الفـــؤاد لأشـــجانه

ومـــضى علـــى حكـــم ســـلطانه

فانبريـــت فـــي بعـــض أوطانـــه

تـــارة أقبـــل آثـــاره وأندبـــــه تـــــارة

أيهـــا المـــدل بأجفانـــه

كـــم وفيـــت والغـــدر مـــن شـــانه

وأصـــح مـــن طـــول هجرانـــه

وعلـــش حبيـــب قطعـــت الزيـــاره وعينيـــــك ســـــحاره

موشّح عمر بن عبد الله

(1)

قال عمر بن عبد الله[1] في الجارية حُسَّانَة: [2]

حُـــــسَّانَةٌ رخيمـــــهْ عانقـــــتُ منهـــــا البانَـــــه

والنَّقَـــــى الرَّجْـــــراج[3] وَا شَـــــوْقي لحُـــــسَّانَه

---

[1] – هو أبو حفص عمر بن عبد الله السلمي، فقيه وعلاّمة، شاعر وأديب ظريف، علا قدره بين أهله بفاس ووُلي قضاء تلمسان وفاس، ثم ولاه المنصور قضاء إِشْبِيلْيَة، توفي فيهـا سـنة 603 هـ. انظر ابن الأبَّار، التَّكملة، 162/3، ابن سَعيد، الغصون اليانعة، 93 المقَّـري، أزهـار الرياض، 361/2.

[2] – ابن سَعيد، الغصون اليانعة، 93.

[3] – الرَّجْراج: الضعيفة. ابن منظور، لسان العرب، مادة (رجج) 2/ 281.

الأزجال

زجل ابن قُزمان

(1)

قال في الجارية **زاد المال**: [1]

يــــاأمُورَ الزمَــــان وشـــغْل البـــالْ — لــم نَفكَــر فـــي الحـــرّ وقتـــاً زال
حتــــى رَيْـــت الخُدَيْمَـــهْ **زَادَ المـــال** — تَبــسُط الــصوف وتنــزع الطَيْبَــري
ســـاقَتْ المَيْـــدَهْ ســـاقَت القنـــديل — وهـــي تجعـــل مـــنَ المثلـــث قَليْـــل
حتـــى قالـــت لـــي سـيْدي جـــا الوكيْـــل — بخويخـــــات ورُمَّانـــــاً سَـــــفَري

(2)

وقال في **زاد المال**: [2]

جـــاني زَايِـــرْ وَقَـــفْ لبَـــابَ الـــدَّار — لَـــيْ يـــا بَعَـــدْ يـــا أخـــي قـــدْ زارْ
قامَـــتَ الخـــادِمَ آن تَـــرَى مَـــن كـــان — قَلَّهـــا قُـــلُّ جـــيْ يَـــرَاك إنْـــسانْ
أنـــتَ مَـــشْغُول بهـــمّ اليَـــوْم زَمَـــانْ — كـــان بـــوُدّك تَـــرَاه بلَيْـــل ونَهـــار
جَـــاْت إلَـــيَّ قالَـــتْ لـــي أخْـــرُج تُـــرَاد — قلـــتُ قـــل لِـــسنْهُ وقـــتِ اعَـــاد
سِـــيْدِ مَـــشْغُول كمَـــا طَلَـــع للرُقّـــاد — يَنْتَظرنـــــــي وَالا هُ بالخِيـــــــارْ
الله يَعْلَـــــمْ فَــــضوْلِ هُ للْبَـــــابْ — بخُرافَـــــهْ يَقْلْـــــه لـــــي ذَبْ ذَبْ
فنَكُـــونْ مـــاعُ إنْ دَخَـــلْ فـــيْ عَـــذَابْ — أوْ يَـــــوَقّفنِ ثَـــــمَّ للبَلَطـــــار [3]
وانَـــا مَـــشْغُول ولَـــسْ نريْـــد نَخْـــرُجْ — وَاختِفـــائي مِـــنَ الرَجُـــل يَـــسْمُجْ
وَمِـــنَ العَـــار عَلَـــيّ أنْ نَـــنْفُجْ — فَتَقُـــلُّ إلـــى قَرْيَّـــةُ صَـــارْ
فَـــسَمَعْتُهْ وَهُ يكـــرَّر عَجَـــبْ — ثُمَّ قـــال بَعْـــد مـــا انقَـــبَضْ وغَـــضَبْ

---

[1] - الدّيوان، 134.

[2] - الدّيوان، 576-580.

[3] - البَلَطار: عجمي الأصل معناه الحنك والذوق، والمراد بذلك أن الزائر الفضولي سيوقفه هنالك ما طاب له. ديوان ابن قُزمان (الهامش)، 578.

أيّ قُـــلٌّ انـــسَان يُقَـــلٌّ ذَهَـــبْ ثَـــمَّ اشـــيَا ينفَـــعْ بهـــا الاختـــصَارْ
أنـــا اي كُنـــتْ سَـــمَعْتُ هـــذا الكـــلام قلتُ حَـــق هُ أو طَـــزْعَ[1] هـــي فالمَنَـــامْ
وانـــا جـــالِس وثبْـــتُ وَثْـــبَ لمَـــام كَيِّلـــوا فيهـــا بَعْـــد تـــسع اشـــبَارْ
إلـــى وَسْـــط الـــدُوَيره لَـــمْ نَـــستَدِيْر طِرْت لا شَكَّ أو كنت قَرِيـــبَ أن نَطيـــرْ
حَـــسْبَكْ أنـــي عَثَـــرْت عِنْـــدَ البِيْـــر ووَثبْـــتُ ولَـــم نَـــراهْ مَكَّـــارْ
ادْخُـــل اقْـــرُبْ ومَرْحَبـــا وارتَبَـــعْ وانـــا عِلجَـــك وعِلـــج عَـــادْ وَرُبَـــعْ
فَعَـــلَ الله بـــذَا الخَـــدَمْ وصَـــنَعْ لَسْ تَـــرى وَحْـــد مـــنهُمْ اشّـــنْهُ عَـــارْ
يـــا حَـــسبْنا لُـــه قُـــلِّ خـــادِمْ سَـــوْ أي هُرُوْبَـــك أخْـــرُجْ كـــذا للـــضَّوْ
سَـــخَط الله علـــى بَنِـــي قَوْقَـــو[2] ولَعَـــنْهم وابْلـــى قِنَـــوَ بنَـــارْ

---

[1] – طَزْعَ: أضغاث الأحلام. ديوان ابن قُزمان (الهامش)، 578-579.

[2] – بنو قَوْقَو: هم السودان. ديوان ابن قُزمان (الهامش)، 579.

ملحق شِعر الجواري

شعر أُنْس القُلوب

(1)

وقالت في الوزير أبي المغيرة بن حزم: [1] [الخفيف]

قـــدم الليـــلُ عنـــد سَـــيْرِ النّهـــارِ　　وبـــدا البـــدرُ مثـــل نـــصف ســـوارِ
فكـــأنَّ النّهـــارَ صَـــفْحةُ خَـــدٍّ　　وكـــأنَّ الظَّـــلامَ خَـــطٌّ عِـــذارِ
وكـــأنَّ الكـــؤوس جامـــدُ مـــاءٍ　　وكـــأنَّ المُـــدام ذائـــبُ نـــارِ
يـــا لَقَـــومي تعَجَّبُـــوا مـــنْ غَـــزالٍ　　جـــائرٍ فـــي مَحَبَّتـــي وَهْـــوَ جَـــاري
ليْـــتَ لَـــو كـــانَ لـــي إليـــهِ سَـــبيلٌ　　فَأُقَـــضِّي مـــنْ حُبِّـــهِ أوطـــاري

(2)

سألت المنصور بن أبي عامر عن كيفية تكفير ذنبها فقالت: [2] [المجتث]

أذْنَبْـــــتُ ذَنْبـــــاً عظيمـــــاً　　فكيـــــفَ مِنْـــــهُ اعتِـــــذاري
واللهُ قَـــــــدَّرَ هـــــــذا　　ولَـــــم يَكُـــــنْ باختِيـــــارِي
والعَفـــــوُ أحْـــــسَنُ شـــــيءٍ　　يكـــــونُ عنـــــدَ اقْتِـــــدارِ

شعر بُثَيْنة بنت المُعتَمد

(1)

قالت في رسالة لأبيها: [3] [الكامل]

اسْـــمَعْ كلامـــي واســـتمعْ لمقـــالتي　　فَهْـــيَ الـــسلوكُ بَـــدَتْ مـــنَ الأجْيـــاد
لا تُنكِـــروا أنّـــي سُـــبيتُ وأنّنـــي　　بنـــتٌ لِمَلْـــكٍ مـــنْ بَنِـــي عَبَّـــادِ

---

1 - المقَّري، النّفح، 151/2.
2 - المقَّري، النّفح، 151/2.
3 - المقَّري، النّفح، 59/6.

مَلِـــكٌ عَظِـــيمٌ قـــدْ تَـــولَّى عَـــصْرُهُ وكَـــذا الزَّمَـــانُ يَـــؤُولُ للإفــساد
لمّـــــا أرَادَ اللهُ فُرقَـــــةَ شَـــــمْلِنا وأذاقَنـــا طعـــمَ الأسَـــى مِـــنْ زادِ
قـــامَ النِّفــاقُ علـــى أبــي فـــي مُلكِـــه فَـــدَنا الفِـــراقُ ولـــمْ يَكُـــنْ بِمُـــرادِ
فَخَرَجـــتُ هاربِـــةً فَحَـــازَنِيَ امـــرؤٌ لـــمْ يَـــأتِ فـــي إعجالِـــه بِـــسَدادِ
إذ بـــاعنيْ بَيْـــعَ العَبِيـــدِ فَـــضَمَّنِي مَـــن صـــانَني إلاّ مِـــنَ الأنكـــادِ
وأرادَنِـــي لِنِكـــاحِ نَجْـــلٍ طـــاهِرٍ حَـــسَنِ الخَلائِـــقِ مِـــنْ بَنِـــي الأنجـــادِ
ومَضَى إليْكَ يَـسُومُ رَأيَـكَ فـي الرِّضـا وَلأنْـتَ تَنْظُـرُ فـي طَرِيـقِ رَشَـادي
فَعَـساكَ يـا أَبَتِـي تُعَرِّفُنِـي بِـهِ إنْ كـانَ مِمَّـنْ يُرتَجـى لِـوِدادِ
وَعَـسى **رُمَيْكِيَـــةُ** المُلُـوكِ بِفَـضْلِها تَـدْعُو لَنـا بـاليُمْنِ والإسْـعَادِ

شعر بَزيعَة

(1)

قالت: [1] [الطَّويل]

ويَفْـرَحُ قَلبـي أنْ أرى الـزَّوْرَ مِـنكُمُ ويَـزْدادُ عِنـدي مَـنْ أحَـبَّكُمُ قُرْبـا

(2)

وقالت: [2] [البسيط]

لمَّـا رَأيْـتُ وُجُـوهَ الطَّيْـرِ قُلـتُ لَهـا لا مَرحبـاً بِغُـرابِ البَـيْنِ والـصَّدِّ

---

[1] – ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، 126.

[2] – ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، 126.

شعر جارية الرشيد بن المُعتَمد

(1)

قالت: [1] [البسيط]

يـــا لَهْــفَ نَفْــسي علــى مـــالٍ أُفَرِّقُــهُ   علــى المُقِلِــينَ مِــنْ أهــلِ المُــرُوءاتِ
إنَّ اعْتِــذارِي إلـــى مَـــنْ جـــاءَ يَـــسْألُنِي   ما لَسْتُ أَمْلِكُ مِــنْ إحــدى المُــصِيْباتِ

شعر رغد

(1)

قالت: [2] [الخفيف]

أيـــــن أيامُنَـــــا بخلـــــق أتينـــــا   كــــانَ ذاك الزَّمـــــانُ للـــــدَّهرِ عَيْنَـــــا
..... وأســـــهرُ كُـــــلَّ عـــــينٍ   لا تَهَنَّـــا العَـــادِي ولا قَـــرَّ عَيْنَـــا

شعر الرُّمَيْكِيَّة

(1)

طلب المعتمد من ابن عمَّار أن يجيز قوله: [3] [الرَّمَل]

صَـــنَعَ الـــرِّيْحُ مِـــنْ المـــاءِ زَرَدْ[4]

---

[1] – المقَّري، النّفح، 240/5.

[2] – ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار، 192/10، رقم المخطوط 3423، ميكروفيلم الجامعة الأردنية.

[3] – السيوطي، نزهة الجلساء، 85، المقَّري، النّفح، 347/5.

[4] – زَرَد: الدِّرع. ابن منظور، لسان العرب، مادة (زرد) 194/3.

وعندما أطال ابن عمَّار التفكير قالت **الرُّمَيْكيَّة**: [1]

أيُّ دِرْعٍ لِقِتَـــــالٍ لــــــوْ جَمَــــــدْ

شعر جارية مع ابن زيدون

(1)

سألت **جارية** أبا الوليد ابن زيدون أن يزيد على بيت أنشدته وهو: [2] [البسيط]

يا مُعطِــشِي مِــنْ وِصَــالٍ كُنْــتُ وارِدَهُ   هل منْكَ لي علَّــةٌ إنْ صــحْتُ أو عَطَــشي

شعر العبَّاديَّة

(1)

سهر عبّاد ليلة لأمر حَزَبَه والعبّاديَّة نائمة فقال:[3] [المتقارب]

تنـــــــامُ ومُـــــــدنَفُها يَـــــــسهَرُ   وتـــــصبرُ عنــــهُ ولا يـــــصبرُ

فأجابته : [4] [المتقارب]

لَــــئِنْ دامَ هــــذا وهــــذا بِــــهِ   سَــــيَهْلَكُ وَجْــــداً ولا يَــــشْعُرُ

---

[1] – السيوطي، نزهة الجلساء، 85، المقَّري، النَّفح، 347/5.

[2] – المقَّري، النَّفح، 254/4.

[3]– ابن الأبَّار، التَّكملة، 252/4، الحُلَّة السِّيراء، 48/2، ابن عبد الملك المرَّاكِشي، الذَّيل والتَّكمِلة، 494/2/8، المقَّري، النَّفح، 6/ 58.

[4] – ابن الأبَّار، التَّكمِلة، 251/4–252، ابن عبد الملك المرَّاكِشي، الذَّيل والتَّكمِلة، 494/2/8، المقَّري، النَّفح، 59/6.

شعر عُتبَة

(1)

قالت في ابن زيدون: [1] [الطَّويل]

أحبَّتَنَـــــا إنِّـــــي بَلَغــــتُ مُـــــؤمَّلي وسَــاعَدَني دَهْــري وواصَــلَني حِبّــي
وجـــــاءَ يُهَنِيْنِــــي البَـــشيرُ بِقُربِـــــهِ فأعطيتُــــهُ نَفْــسِي وزدتُ لَـــهُ قَلْبــي

شعر عَزيز

(1)

قالت: [2] [الخفيف]

قَــــدْ تَقَــضَّى النَّهــــارُ إلاّ بَقَايــــا مِــــنْ شُــــعاعٍ مُخَلَّـــقٍ للأصــــيلِ
وأتانَـــا الظَّـــلامُ مِـــنْ قِبَـــلِ الـــشَّرْ قِ فـــأهلاً مِنْــــهُ بِخَيْــــرِ نَزِيــــلِ
دامَ هــــذا وذا بِطُــــولِ بَقَــــاءِ الــــ ـــــحَكَمِ الــــسَّيِّدِ الفَتَــــى المَــــأمُولِ

---

[1] – ابن بسَّام، الذَّخيرَة، ق1 م431/1.

[2] – ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار، 185/10، رقم المخطوط 3423، ميكروفيلم الجامعة الأردنية.

شعر غاية المُنَى

(1)

سأل ابن الفراء **غاية المُنَى** أن تُجيزَهُ فقال: [1] [مجزوء الخفيف]

سَـــــلْ هــــوى **غايــــة المُنَـــــى**

فقالت: [مجزوء الخفيف]

مَــــنْ كَـــسا جِــــسْمِيَ الــــضَّنَى
وأرانِــــــــــــيْ مُتَيَّمـــــــــــاً   سَـــــــيَقولُ الهَـــــوى أنــــــا

شعر فاتن

(1)

قالت: [2] [الخفيف]

مـــــنْ أبَـــاحَ التَّقبيْـــلَ والَّلـــثْمَ خَـــدِّي   فَجَنَـــــى ريْقَتِـــــي وذَبَّـــــلَ وَرْدي
ليـــتَ مَـــنْ جَـــاءَ آخـــرَ الليـــلِ نَحْـــوِي   كـــانَ حَـــلَّ مِـــنْ أوَّلِ الليـــل عِنْـــدي

---

[1] – ابن الأبَّار، التَّكمِلة، 4/252-253، ابن عبد الملك المرَّاكشي، الذَّيل والتَّكمِلة، 8/2/488-489، المقَّري، النَّفح، 6/61.

[2] – ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار، 10/191-192، رقم المخطوط 3423، ميكروفيلم الجامعة الأردنية.

شعر قَمَر المَشرِقيَّة

(1)

قالت: [1] [البسيط]

قـــالوا أتَـــتْ قَمَـــر فـــي زيٍّ أطْمـــارِ   مِـــن بَعـــدِ مـــا هَتَكَـــتْ قلبـــاً بأشـــفَارِ
تُمْسي عَلَـــى وَحَـــلٍ تغـــدو علـــى سُـــبُلٍ   تَـــشُقُّ أمـــصارَ أرضٍ بعـــدَ أمْـــصارِ
لا حُـــرَّةٌ هِـــيَ مِـــنْ أحـــرارِ موضِـــعِها   ولا لهـــا غيـــرُ تَرْســـيلٍ وأشْـــعارِ
لـــوْ يَعقلـــونَ لَمـــا عـــابُوا غَـــريبَتَهمْ   للهِ مِـــن أمَـــةٍ تُـــزرى بـــأحرارِ
مـــا لابـــنِ آدمَ فخـــرٌ غيـــرَ هِمَّتِـــهِ   بعـــدَ الدّيانـــةِ والإخـــلاصِ للبـــاري
دَعني مِـنَ الجَهـلِ لا أرضـى بـصاحِبِه   لا يَخْلُصُ الجهلُ مِـن سـبٍّ ومِـن عـارِ
لـــو لـــمْ تكـــنْ جَنَّـــةٌ إلا لجاهِلَـــةٍ   رَضِـــيتُ مِـــن حُكْـــمِ ربِّ النـــاسِ بالنـــارِ

(2)

وقالت تتشوّق إلى العراق: [2] [الكامل]

آهـــا علـــى بَغْـــدادِها وعِراقِهـــا   وظبائِهـــا والـــسِّحْرِ فـــي أحْـــدَاقِها
ومَجَالِهـــا عِنْـــدَ الفُـــراتِ بِأوْجُـــهٍ   تبـــدو أهِلَّتُهـــا علـــى أطْوَاقِهـــا
مُتَبَخِّـــراتٍ فـــي النَّعـــيمِ كأنَّمـــا   خُلْقُ الهَـوى العُـذْرِيِّ مِـنْ أخْلاقِهـا
نَفْـــسُ الفِـــداءِ لَهـــا فَـــأيُّ مَحَاسِـــنٍ   في الدَّهْرِ تُـشْرِقُ مِـنْ سَـنَا إشْـرَاقِها

(3)

مدحت مولاها فقالت: [3] [الكامل]

ما فـي المَغـارِبِ مِـنْ كَـريمٍ يُرْتَجَـى   إلاّ حَليـــفُ الجُـــود إبـــراهيمُ
إنِّـــي حَلَلْـــتُ لَديـــهِ مَنـــزلَ نعمـــةٍ   كُـــلُّ المَنـــازلِ مـــا عَـــداهُ ذَمُـــيمُ

---

1 - ابن عِذاري، البيانُ المُغرِب، 128/2-129.
[2] - ابن الأبّار، التّكملة، 246/4، المقَّري، النّفح، 124/4.
[3]- ابن الأبّار، التّكمِلة، 246/4، المقَّري، النّفح، 124/4.

شعر مُتْعَة

(1)

قالت للأمير عبد الرّحمن بن الأوسط : [1] [المجتث]

يـــــا مَــــــنْ يُغطِّـــــي هَـــــواهُ مَــــــنْ ذا يُغَطِّــــــي النَّهــــــارا
قـــــدْ كنّــــــتُ أمْلـــــكُ قَلبِـــــي حتّـــــى عَلِقْــــــتُ فَطَــــــارا
يــــــا وَيْلَتـــــا أَتُــــــراهُ لــــــي كـــــانَ أو مُــــــسْتَعارا
يــــــا بِـــــــأبي قُرَشِّـــــيٌّ خَلَعْــــــتُ فيــــــهِ العِــــــذارا

شعر مَرْجَان

(1)

علَّمت **مَرْجان** زرزوراً شعراً نظمته فقال: [2] [مجزوء الرَّمَل]

أيُّهــــــا الفاصِــــــدُ رِفْقــــــاً بـــــــأمير المُؤمنينَـــــــا
إنَّمـــــا تَفْــــــصدُ عِرْقــــــاً فِيْــــــهِ مَحْيــــــا العَالَمينْــــــا

(2)

قالت: [3] [مجزوء الرجز]

يـــــا ليلــــــةً لــــــوْ أنَّهــــــا تُبــــــاعُ لـــــي أو تُـــــشْتَرى
شَـــــــرَيْتُها بِكُـــــــلِّ مــــــا أَطْلُبُــــــهُ مِــــــنَ المُنَــــــى

---

[1] – ابن الأبَّار، التَّكمِلة، 4/242–243، المقَّري، النّفح، 4/115.

[2] – المقَّري، أزهار الرياض، 2/265، النَّفح ، 1/346.

[3] – ابن الأبَّار، التَّكمِلة، 4/247–248.

شعر جاريَة مشرقيَّة

(1)

قالت لأحد وزراء المنصور بن أبي عامر: [1] [البسيط]

مــا بــالُ أنجُــمِ هــذا الليــلِ حــائرةً   أضلَّتِ القَـصْدَ أمْ لَيـسَتْ علـى فَلَـكِ
عَــادَتْ سَـوَارِيْهِ وَقْفـاً لا حِـراكَ لهـا   كأنَّهـا جُثَـثٌ صَـرْعَى بمُعتَـرَكِ

شعر هند

(1)

ردّت **هند** جارية ابن مسلمة الشاطبي على دعوة الوزير أبي عامر بن ينــق فقالــت: [2] [الكامل]

يــا سَـيِّداً حــازَ العُـلا عـنْ سـادةٍ   شُـمِّ الأُنـوفِ مِـنَ الطِّـرازِ الأوَّلِ
حَـسْبِي مِـنَ الإسـراعِ نَحـوكَ أنَّنـي   كُنتُ الجَـوابَ مـعَ الرَّسولِ المُقبـلِ

---

[1] – إحسان عباس، تاريخ الأدب الأندلسي عصر سيادة قُرْطُبَة، 59، نقلاً عن التجيبي، شرح المختار من شعر بشار، 15-16.

[2] – ابن الأبَّار، تحفة القادم، 239، التَّكمِلة، 259/4، المقَّري، النّفح، 67/6.

شعر جارية يوسف بن نَصْر سلطان غَرْناطَة

(1)

قالت جارية السلطان يوسف بن نصر: [1] [الكامل]

مَوْلى المُلُوك بِمَغْرِبٍ وبِمَشْرِقٍ ... عَنْ شُكْرِ ما أَوْلاهُ أَعْجَزَ مَنْطِقي
أهْدَى إلى المَمْلُوك مِنْ مَنْظُومِه ... دُرّاً ولكنْ مِثْلُهُ لَمْ يَنْسَقِ
وَافَى لِيُعْلِمَنِي بأفْضَل مِنْحَةٍ ... جَادَتْ بِها كَفُّ الكَرِيْمِ المُشْفِقِ
وأَتَى يُبَشِّرُنِي بِرائِقَةِ الحُلَى ... فَطَفِقْتُ بَينَ تَشَوُّفٍ وتَشَوُّقِ
ميَّادةُ الأَعْطاف سَاحِرُ لَحْظِها ... يَرْمِي بِسَهْمٍ لِلقُلُوبِ مُفَوَّقِ
لِمْ لا يَفُوقُ الشُّهُبَ نَيِّرُ وَجْهِها ... وَسَنَاهُ عَنْ بَدْرِ الكَمَالِ المُشْرِقِ
لِمْ لا يَرُوقُ الآنَ رَوضُ مَحاسِنٍ ... منها بِجُودِ نَدَى يَمِيْنِكَ قَدْ سُقِي
جاءَتْ بِها البُشْرى فأيُّ صَبَابَةٍ ... تَخْفَى وأيُّ جَوانِحٍ لَمْ تَخْفِقِ
قَدْ كِدْتُ أَذْهَبُ لَوعَةً لَو لَمْ تَجُد ... بالوَعْدِ أنّا عَنْ قَرِيبٍ نَلْتَقِي
أَنَا في العَشِيَّةِ بَينَ قَلْبٍ مُولَعٍ ... فيها وَجَفْنٍ للطَّرِيقِ مُحَدِّقِ
والعَبدُ يُمْسِي بَينَ فِعْلٍ مُرسَلٍ ... فيها وقَلْبٍ بالصَّبابَةِ مُوثَقِ
فَاعْجَبْ لَهُ يَرتَاحُ تَحْتَ ضُلُوعِهِ ... أو فَوْقَها بِمُقَيَّدٍ وَبِمُطْلَقِ
فَتَخالُهُ مِثلَ الجَوادِ لَدَى الوَغَى ... حِيناً وَحِيناً يَرْتَمِي أو يَرْتَقِي
مَولايَ أَبْدَى مِنْ بَديعِ جَمالِها ... وَصْفاً ثَنَى قَلْبِي رَهِيْنَ تَعَشُّقِ
لا شَيْءَ أَشْرَفُ في الوُجُودِ مِنَ التي ... يَتَخيَّرُ المَوْلَى الهُمَامُ وَيَنْتَقِي
وُفِّقْتَ لِلشُّكْرِ الجَمِيْلِ وَقَدْ أَتَتْ ... مِنْ عِنْدِ مَوْلَىً نَاصِرٍ لِمُوَفَّقِ
لا زَالَ مَوْلانا يَجُودُ لِعَبْدِهِ ... مِنْ قَصْدِهِ الأَرْضَى بِما هُوَ مُنْتَقِ

---

[1] - ابن فُرْكُون، الدّيوان، 240-241.

ملحق شِعر الغناء

غناء شعر البحتريّ

(1)

ومن أصوات **بَهجَة**: [1] [الطَّويل]

أَأَحْبابَنَـــــا قـــــدْ أنْجَــــزَ البَـــــيْنُ وَعْـــــدَهُ وَشِـــيكاً ولـــم يُنْجَـــزْ لنَـــا مـــنكمُ وَعْـــدُ
أأطْـــــــــلالَ دارِ العامِرِيَّـــــــــةِ بـــــــــاللَّوى سقَتْ رَبْعَـكِ الأنْـواءُ مـا فَعَلَـتْ هنْـدُ
بِنَفْـــسيَ مَـــنْ عَـــذَّبْتُ نفـــسي مَحَبّـــةً وإنْ لـــمْ يَكُـــنْ منـــهُ وِصـــالٌ ولا وُدُّ[2]
حبيـــبٌ مِـــنَ الأحبـــابِ شَـــطَّتْ بـــهِ النَّـــوَى وأيُّ حَبيْـــبٍ مـــا أتَـــى دُونَـــهُ البُعْـــدُ

غناء شعر أبي تمَّام

(1)

ومن أصوات **مُهْجَة**: [3] [الطَّويل]

جَـــرى حـــاتِمٌ فـــي حَلْبَـــةٍ مِنْـــهُ لَـــوْ جَـــرَى بها القَطْرُ قـالَ النَّـاسُ أيُّهُمـا القَطْـرُ[4]
فتـــىً دَخَـــرَ الـــدُّنيا أُنـــاسٌ ولَـــمْ يَـــزَلْ لها بـاذِلاً فـانْظُرْ لِمَـنْ بَقِـيَ الـذُّخْرُ
فمَـــنْ شـــاءَ فلْيَفْخَـــرْ بمـــا شَـــاءَ مِـــنْ نَـــدىً فلـيسَ لِحَـيٍّ غيرَنـا ذلـكَ الفَخْـرُ

---

[1] – ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار، 187/10، رقم المخطوط 3423، ميكروفيلم الجامعة الأردنية، الدّيوان، 2/740-741.

[2] – الدّيوان، 2/ 741:

بِنَفْـسيَ مَـنْ عَـذَّبْتُ نفـسي بِحُبِّـهِ وإنْ لـمْ يَكُـنْ منـهُ وِصـالٌ ولا وُدُّ

[3] – ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار، 189/10، رقم المخطوط 3423، ميكروفيلم الجامعة الأردنية، شرح ديوان أبي تمّام، 952.

[4] – شرح ديوان أبي تمّام، 952:

جَرى حاتِمٌ في حَلْبَـةٍ مِنْـهُ لَـوْ جَـرَى بها القَطْـرُ شَـأواً قِيـلَ أيُّهُمـا القَطْـرُ

جَمَعْنَـــا العُلَـــى بـــالجُودِ بَعْـــدَ افتراقِهـــا إليْنـــا كَمَـــا الأيَّـــامُ يَجْمَعُهـــا الـــشَّهْرُ

(2)

ومن أصوات **مُهْجَة:** [1] [الطَّويل]

أنـــا ابـــنُ الّـــذينَ استُرْضِـــعَ المَجْـــدُ فِـــيهِمُ وسُـــمِّيَ فِـــيهِمْ وهْـــوَ كَهـــلٌ ويـــافِعُ[2]
مَـــضَوْا وكـــأنَّ المَكْرُمـــاتِ لـــدَيهِمُ لِكَثْـــرَةِ مـــا أوْصَـــوا بِهِـــنَّ شَـــرائِعُ
فـــأيُّ يَـــدٍ فـــي المَجْـــدِ مُـــدَّتْ فَلَـــمْ تَكُـــنْ لهـــا راحَـــةٌ فـــي مَجْـــدِهِمْ وأصـــابِعُ[3]
هُـــمُ اســـتَوْدَعُوا المَعْـــروفَ مَحْفُـــوظَ مالِنَـــا فضَاعَ ومـــا ضَـــاعَتْ لَـــدَينا الـــصَنايعُ

غناء شعر توبة بن الحمير

(1)

ومن أصوات **رَدَاح:** [4] [الطَّويل]

تَمَـــسَّكْ بِحُـــبٍّ الأخْيَلِيَّـــةِ واطَّـــرِحْ عَـــدا النـــاسُ فيهـــا والوشـــاةُ الأدَانِيـــا
فـــإنْ يَمْنَعُـــوا ليلـــى وحُـــسْنَ حَـــدِيثِها فلَـــمْ يَمْنَعُـــوا مِنِّـــي البُكـــا والقَوافِيـــا
يَلومُـــكَ فيْهـــا اللائِمُـــونَ فَـــصَاحَةً فليْـــتَ الهَـــوى بـــاللائمِيْنَ مَكانِيـــا
لَـــوَ أنَّ الهَـــوى فـــي حُـــبِّ ليلـــى أطـــاعَنِي أطَعـــتُ ولكـــنَّ الهَـــوى قَـــدْ عَـــصانِيا

---

[1] - ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار، 187/10، رقـم المخطـوط 3423، ميكـروفيلم الجامعة الأردنية، شرح ديوان أبي تمّام، 958-959.

[2] - شرح ديوان أبي تمّام، 958-959:

أنا ابنُ الّذينَ استُرْضِـعَ الجُـودُ فِـيهِمُ وسُـمِّيَ فِـيهِمْ وهْـوَ كَهـلٌ ويـافِعُ

[3] - شرح ديوان أبي تمّام، 958-959:

فأيُّ يَدٍ فـي المَجْـدِ مُـدَّتْ فَلَـمْ تَكُـنْ لهـا راحَـةٌ مِـنْ جُـودِهِمْ وأصـابِعُ

[4] - ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار، 198/10، رقـم المخطـوط 3423، ميكـروفيلم الجامعة الأردنية.

غناء شعر جرير

(1)

من أصوات **رغد**: [1] [الطَّويل]

لقد هاجَ هذا القَلبُ عَيْناً مَريضَةً أجَالتْ قَذَىً ظَلَّتْ بِه العَيْنُ تَمْرَحُ
صَحا القَلبُ عنْ **سَلمى** وقَدْ بَرَّحَت بِه وما كانَ يَلْقَى من تُماضِرَ أبْرَحُ
إذا سايَرَتْ أسْماءُ يَوماً ظَعائناً فأسْماءُ مِنْ تِلكَ الظَّعائِنِ أمْلَحُ
تقولُ سُلَيْمَى ليسَ لِلبَيْنِ راحةٌ بَلَى إنَّ بَعضَ البَيْنِ أشْفَى وأرْوَحُ[2]

(2)

ومن أصوات **مُهْجَة**: [3] [الوافر]

ألا زارَتْ وأهلُ مِنَىً هُجُودُ ولَيْتَ خَيالَها بِمِنَىً يعُودُ
حَصانٌ[4] لا المُريبُ لها خَدِيْنٌ ولا تُفْشي الحَديثَ ولا تَرُودُ
ونُحْسَدُ أن نَزورَكُمُ ونَرضَى بدونِ البَذْلِ لو رَضِيَ الحسودُ[5]
فلا بُخلٌ فَيُوئِسُ منكِ بخلٌ ولا جُودٌ فينفَعُ مِنْكِ جُودُ
شَكَوْنا ما عَلِمْتِ فَما أويْتُمْ وباعَدْنَا فَمَا نَفَعُ الصُّدُود

---

[1] – ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار، 192/10، رقم المخطوط 3423، ميكروفيلم الجامعة الأردنية، الدّيوان، 834/2-835.

[2] – الدّيوان، 835/2:

تقولُ سُلَيْمَى ليسَ في الصُّرْمِ راحةٌ بَلَى إنَّ بَعضَ الصُّرْمِ أشْفَى وأرْوَحُ

[3] – ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار، 188/10، رقم المخطوط 3423، ميكروفيلم الجامعة الأردنية، الدّيوان، 318/1-319.

[4] – حَصان: عفيفة بيّنة الحَصانة والحُصنِ ومتزوجة. ابن منظور، لسان العرب، مادة (حصن) 120/13.

[5] – الدّيوان، 318/1:

ونُحْسَدُ أن نَزورَكُمُ ونَرضَى بدونِ البَذْلِ لو عَلِمَ الحسودُ

هَـــــــوىً بتهامَـــــــةٍ وهَـــــــوىً بنَجْـــــــدٍ فَبَلَّتْنِـــــــي التَّهـــــــائِمُ والنُّجُـــــــودُ

غناء شعر ابن الحدَّاد

(1)

ومما يُغنَّى به بالأندلس: [1] [الكامل]

فَــــذَرِ العقيــــقَ[2] مُجانِبــــاً لِعُقوقِــــهِ ودَعِ العُــــذَيْبَ[3] عُــــذَيْبَ ذاتِ الخــــالِ

أُفُــــقٌ مُحَلَّــــى بالقواضِــــبِ[4] والقَنَــــا للأَغْيَــــدِ المعطــــارِ لا المِعطــــالِ

حَجَبُــــوكَ إلاَّ مِــــنْ تَــــوَهُّم خــــاطِري وحَمَــــوْكَ إلاَّ مِــــنْ تَــــصَوُّرِ بــــالي

والقارظــــانِ[5] جميــــلُ صــــبري والكَــــرَى فمتــــى أرجِّــــي منــــك طيــــفَ خَيــــالِ

---

[1] – المَقَّري، النفح، 50/5.

[2] – العقيق: وادٍ بالحجاز كأنه عُقَّ أي شُقَّ، غلبت الصِّفةُ عليه غلبة الاسم. ابن منظور، لسان العرب، مادة (عق) 255/10.

[3] – العُذَيْب: تصغير العذب وهو الماء الطَّيب، وهو ماءٌ بين القادسيَّة والمغيثة، بينه وبين القادسية أربعة أميال، وإلى المغيثة اثنان وثلاثون ميلاً، وقيل هو واد لبني تميم وهو من منازل حاج الكوفة. ياقوت، معجم البلدان، 92/4.

[4] – القواضِب: وسيفٌ قاضِبٌ وقَضَّابٌ وقَضَّابَة ومِقْضَبٌ وقَضِيبٌ: قَطَّاع، وقيل: القضيبُ من السُّيوف اللطيف. ابن منظور، لسان العرب، مادة (قضب) 679/1.

[5] – القارظان: ومن أمثالهم: لا يكونُ ذلك حتى يَؤُوبَ القَارِظان، وهما رجلان: أحدهما من عَنَزَة والآخر عامر بن تَميم بن يَقْدُم بن عَنَزة، خرجا يَنْتَحِيان القَرَظَ ويَجْتَنيانه فلم يرجعا، فضُرب بهما المَثَل. ابن منظور، لسان العرب، مادة (قرظ) 455/7. القَرَظُ: شجرٌ يُدبغُ به. ابن منظور، لسان العرب، مادة (قرظ) 454/7.

غناء شعر الحُطيئة

(1)

ومن أصوات **فاتن**: [1] [الطَّويل]

أمِـــنْ رَسْـــمِ كلـــدٍ مَرْبَـــعٌ ومَـــصِيْفُ بعَيْنَيْـكَ مِـنْ مَـاءِ الـشُّؤونِ وكِيـفُ[2]
تَـذَكَّرتُ فيهـا الجَهْـلَ حتـى تَبـادَرَتْ دُمُـوعِي وأصـحابِي عَلـيَّ وُقُـوفُ
يقولـونَ هَـلْ تَبْكـي مِـنَ الـشَّوْقِ حـازِمٌ وإنْ بـانَ حُـبٌّ بـالنّوى وأليـفُ[3]
فَلأيـاً أزاحَـتْ عِلَّتِـي ذاتُ مَنْـسِمٍ نَكيـبٍ تَغـالَى فـي الزِّمـامِ خَنُـوفُ

غناء شعر ابن الدُّمينة

(1)

ومن أصوات **مُهْجَة** : [4] [الطَّويل]

لقَـدْ كـانَ فِـي الهِجْـرانِ أجْـرٌ لَقَـدْ مَـضَى لِيَ الأجْـرُ فـي الهِجْـرَانِ مُنْـذُ زَمـان
فـواللهِ مـا أدْرِي أكُـلُّ ذَوِي الهَـوَى علـى مـا بنـا أم نحـن مُبتليـان

---

[1] – ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار، 191/10، رقم المخطوط 3423، ميكروفيلم الجامعة الأردنية، الدّيوان، 166-168.

[2] – الدّيوان، 166:

أمِـنْ رَسْـمِ دارٍ مَرْبَـعٌ ومَـصِيْفُ لِعَيْنَيْـكَ مِـنْ مَـاءِ الـشُّئونِ وكِيـفُ

[3] – الدّيوان، 168:

يقولـونَ هَـلْ يَبْكـي مِـنَ الـشَّوْقِ حـازِمٌ تَخَلَّـى إلـى ذاتِ الإلـهِ حَنيـفُ

[4] – ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار، 190/10، رقم المخطوط 3423، ميكروفيلم الجامعة الأردنية.

غناء شعر أبي دَهْبَل الجُمَحي

(1)

ومن أصوات **بَهجَة** : [1] [الطَّويل]

وإنِّـــــي لمَحْـــــزُونٌ عَـــــشيَّةَ جِئتُهـــــا   وكُنـــتُ إذا مـــا جِئْتُهـــا لا أُعَـــرِّجُ[2]
فلمّـــا التَقَيْنـــا لَجْلَجَـــتْ فـــي حَـــديثِها   ومِـــنْ آيـــةِ الهَجْـــرِ الحَـــديثُ المُلَجلَـــجُ

غناء شعر ذي الرُّمَّة

(1)

ومن أصوات **مُهْجَة**: [3] [الطَّويل]

أفـــي الـــدَّارِ تَبْكِـــي أنْ تَحمَّـــلَ أهْلُهـــا   وأنْـــتَ امْـــرؤٌ قـــدْ حَكَّمَتْـــكَ العَـــشائِرُ
فَـــلا ضَـــيْرَ أنْ تَـــستَعْبِرَ العَـــيْنُ إنَّنِـــي   علـــى ذاكَ إلا جَوْلَـــةَ الـــدَّمعِ صَـــابرُ
وأنْ لا يَنِـــي يـــا مَـــيُّ مِـــنْ دونِ صُـــحبَتي   لكِ الدَّهرُ مـــن أُحدوثَـــةِ الـــنَّفسِ ذاكِـــرُ
وأنْ لا يَنـــالَ الرَّكـــبُ تَهـــويْمَ وَقْعَـــةٍ   مِـــنَ اللّيـــلِ إلاّ اعتـــادَني مِنْـــكِ زائـــرُ

---

[1] – ابن فضل الله العمري، مسالك الأبـصار، 187/10، رقـم المخطـوط 3423، ميكـروفيلم الجامعة الأردنية، الدّيوان، 56-57.

[2] – الدّيوان، 56:

وإنِّـــي لمَحْـــزُونٌ عَـــشيَّةَ زُرْتُهـــا   وكُنـــتُ إذا مـــا زُرْتُهـــا لا أُعَـــرِّجُ

[3] – ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار، 188/10-189، رقم المخطوط 3423، ميكروفيلم الجامعة الأردنية، الدّيوان، 1012/2-1015.

(2)

ومن أصوات **فاتن**: [1] [الطَّويل]

إذا حَـــانَ منْهـــا بَعْـــدَ مَـــيٍّ تَعَـــرُّضٌ   لَنَـــا حَـــنَّ قَلْـــبٌ بالـــصَّبَابَة مُولَـــعُ
ومـــا يُرجِـــعُ الـــدَّهرُ الزَّمـــانَ الـــذي مَـــضَى   وما للفَتَـــى فـــي دمْنَـــةِ الـــدَّارِ مَجْـــزَعُ[2]
عَـــشيَّةَ مَـــالِي حيلَـــةٌ غَيـــرَ أنَّنِـــي   بِلَقْطِ الحَصى والخطِّ فـــي الأرضِ مُولَـــعُ
أَخُـــطُّ وأمْحُـــو الخَـــطَّ ثُـــمَّ أُعيْـــدُهُ   بكفِّـــيَّ والغِرْبـــانُ فـــي الـــدَّارِ وُقَّـــعُ

غناء شعر ابن الرُّوميّ

(1)

من أصوات **عَزيز**: [3] [المجتث]

تَأَمُّـــــــلُ العَيْـــــــبِ عَيْـــــــبُ   ولَـــيسَ فـــي الحَـــقِّ رَيْـــبُ
فكُـــــــلٌّ خَيْـــــــرٍ وشَـــــــرٌّ   دُونَ العواقِـــــبِ غَيْـــــبُ[4]
وإنَّمـــــا كُـــــلُّ شَـــــيءٍ   شَـــــبِيْبَةٌ ثُـــــمَّ شَـــــيْبُ[5]
لا تَحْقِـــــــرَنَّ شُـــــــبَيْباً   كَـــمْ جَـــرَّ نَفْعـــاً شَـــبَيْبُ

---

[1] – ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار، 190/10، رقم المخطوط 3423، ميكروفيلم الجامعة الأردنية، الدّيوان، 720/2–721.

[2] – الدّيوان، 720/2:

وما يُرجِعُ الوَجْدُ الزَّمـــانَ الـــذي مَـــضَى   وما للفَتَـــى فـــي دِمْنَـــةِ الـــدَّارِ مَجْـــزَعُ

[3] – ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار، 184/10، رقم المخطوط 3423، ميكروفيلم الجامعة الأردنية، الدّيوان، 135/1–136.

[4] – الدّيوان، 135/1:

وكُـــــلٌّ خَيْـــــرٍ وشَـــــرٌّ   خلْـــــفَ العواقِـــــبِ غَيْـــــبُ

[5] – الدّيوان، 135/1:

إن يُمْـــــسِلوا النَّـــــاسُ عنِّـــــي   سَـــــيْباً فللّـــــهِ سَـــــيْبُ

(2)

ومن أصوات **عزيز**: [1] [الخفيف]

يـــــا شَــــبابُ وأيْــــنَ منّـــــي شَــــبابِي	آذَنَتْنِــــــي أيَّامُــــــهُ بانقِـــــضَابِ[2]
ومُعَــــــزٍّ عَــــــنِ الـــــشَّبابِ مُــــوَسٍّ	بِمَــــشيْبِ اللَّـــذّاتِ والأصْــحابِ[3]
قُلْـــــتُ لمَّــــا انْتَحَـــــى يَعُــــدُّ أسَــــاهُ	مِــــنْ مُـــصَابٍ شَــــبابُهُ فمُـــصَابِ
لــــيسَ تأسُــــو كُلــــومُ غَيْـــرِي كُلُــــومِي	ما بِــهِ مــا بِــهِ ومَــا بــي مــا بــي

(3)

ومن أصوات **بَهجَة**: [4] [مجزوء الرَّمَل]

يــــا شَــــبِيْهَ البَـــدْرِ فـــــي الحُـــسْــ	ــــــنِ وفــــي بُعْــــدِ المَنـــــالِ
جُـــــدْ فقَــــــد تَنْفَجِـــــرُ الـــــصَّخْــ	ــــــرةُ بالمـــــاءِ الـــــزُّلالِ

(4)

ومن أصوات **مُهْجَة**: [5] [الطَّويل]

ســــأُعْرِضُ عمّـــا أعــــرضَ الــدّهرُ دونَـــهُ	وأشــــرِبُها صِــــرفاً وإنْ لاَمَ لُــــوَّمُ
فــــإنِّي رأيـــتُ الكـــأسَ يـــا سَــلمُ خُلَّـــةً	وَفَــتْ لــي ورأســي بالمَـشْيبِ مُعَمَّـمُ
وَصَــــلَتْ فَلَــــمْ تَبْخَــــلْ عَلَــــيَّ بِوَصْــــلِها	وقــدْ بَخَلَــتْ بالوَصْــلِ تَكْنَــى وتَكْــتُمُ

---

[1] – ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار، 184/10، رقم المخطوط 3423، ميكروفيلم الجامعة الأردنية، الدّيوان، 388/1-389.

[2] – الدّيوان، 388/1:

يـــا شَـــبابِي وأيْـــنَ مِنّـــي شَـــبابِي	آذَنَتْنِـــــي حِبالُـــــهُ بانقِـــــضَابِ

[3] – الدّيوان، 389/1:

ومُعَـــــزٍّ عَــــنِ الــــشَّبابِ مُــــوَسٍّ	بِمَــــــشيْبِ اللِّـــــداتِ والأتْـــــرَابِ

[4] – ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار، 186/10، رقم المخطوط 3423، ميكروفيلم الجامعة الأردنية، الدّيوان، 97/5.

[5] – ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار، 188/10، رقم المخطوط 3423، ميكروفيلم الجامعة الأردنية، الأبيات موجودة في الدّيوان، 279/5 (1).

وَمِـــنْ صـــارِمِ اللّـــذاتِ إن خـــانَ بعـــضُها   ليُـــرغِمَ دهـــراً ســـاءَهُ فَهْـــوَ أرغَـــمُ

غناء شعر الصُّمة بن عبد الله القشيري

(1)

ومن أصوات **رغد** : [1]

تغـــنّ بِريّـــا يـــا ابـــن ســـعدٍ فإنّمـــا   تُلامُ علـــى الـــصمت النّـــساء الحَرايـــرُ
غنـــاءً يظـــلُّ الجـــودُ مِنْـــهُ كأنمـــا   على رأسها مـــن ســـورة الـــسرِّ طـــايرُ

غناء شعر الصّنوبريّ

(1)

ومن أصوات **رغد**: [2] [المنسرح]

لا النَّـــــــــومُ أدري بِـــــــــهِ ولا الأرَقُ   يَـــدْري بهـــذين مَـــنْ بِـــهِ رَمَـــقُ
إنَّ دمـــوعي مـــنْ طـــولِ مـــا اســـتَبَقَتْ   كَلَّـــت فمـــا تَـــستطيعُ تَـــسْتَبِقُ
ولـــــي مليـــــكٌ لـــــم تبـــــدُ صـــــورتُهُ   مُـــذْ كـــان إلا صَـــلَّتْ لهـــا الحـــدقُ
نويــــــتُ تقبيــــــلَ نــــــارِ وجنتِــــــهِ   وخِفـــتُ أدنـــو منهـــا فـــأحترِقُ

---

[1] – ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار، 193/10، رقم المخطوط 3423، ميكروفيلم الجامعة الأردنية.

[2] – ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار، 193/10، رقم المخطوط 3423، ميكروفيلم الجامعة الأردنية، الدّيوان، 369.

غناء شعر العبّاس بن الأحنف

(1)

سمع ابن حزم **جارية** تغني أبياتاً لعباس بن الأحنف، فقالت :[1] [البسيط]

إنِّـــي طَرِبْــتُ إلــى شَــمْسٍ إذا غَرَبَــتْ　　كانَـــتْ مَغارِبُهـــا جَـــوْفَ المَقاصِـــيْرِ
شَـــمسٌ مُمَثَّلَـــةٌ فـــي خلْـــقِ جاريَـــة　　كـــأنَّ أعطافَهـــا طَـــيُّ الطَّـــوامِيرِ
ليْـــسَتْ مِـــنَ الإنْـــسِ إلاّ فـــي مُناسَـــبَةٍ　　ولا مِـــنَ الجِـــنِّ إلاّ فـــي التَّـــصاوِيرِ
فالوَجْـــهُ جَـــوْهَرَةٌ والجِـــسْمُ عَبْهَـــرَةٌ　　والـــرِّيحُ عَنْبَـــرَةٌ والكُـــلُّ مِـــنْ نُـــورِ
كأنَّهـــا حـــيْنَ تَخْطُـــو فـــي مَجَاسِـــدِها　　تَخْطُو على البِـيض أو حَـدِّ القَـوَارِيرِ

(2)

ومن أصوات **سُعدى** :[2] [السَّريع]

إنَّ التـــــي هَامَـــــتْ بِهـــــا الـــــنَّفْسُ　　عاوَدَهـــا مِـــنْ سُـــقْمِها نُكْـــسُ
كانَـــــتْ إذا مــــا جاءَهــــا المُبْتَلَــــى　　أبْـــرَأَهُ مِـــنْ كَفِّهـــا اللّمْـــسُ
وا بِــــأبِي الوجْــــهَ المَلِــــيحَ الــــذي　　قَـــدْ عَـــشِقَتْهُ الجِـــنُّ والإنْـــسُ
إنْ تَكُــــنِ الحُمَّــــى أَضَــــرَّتْ بِــــهِ　　فربَّمــــا تَنْكَــــسِفُ الــــشَّمسُ

(3)

ومن أصوات **عزيز**:[3] [المنسرح]

كـــانَ رَحيْلِـــي مِـــنْ أرْضِـــكُمْ عَجَبـــاً　　وحادِثـــاً مِـــن حَـــوادِثِ الـــزَّمَنِ
مِـــن قبـــلِ أنْ أعْـــرِضَ الفِـــراقَ علـــى　　قلبِـــــي وأنْ أســـــتَعِدَّ لِلْحَـــــزَنِ

---

[1] – ابن حزم، رسائله، 249/1 –251.

[2] – ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار، 200/10، رقم المخطوط 3423، ميكروفيلم الجامعة الأردنية، الدّيوان، 160–161.

[3] – ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار، 186/10، رقم المخطوط 3423، ميكروفيلم الجامعة الأردنية، الدّيوان، 264.

غناء شعر عُروَة بن حزام

(1)

ومن أصوات **بَهجَة**: [1] [الطَّويل]

وإنِّـــــي لَتَعروُنِـــــي لِـــــذِكراك هَـــــزَّةٌ لهـــا بَـــيْنَ جِلــدِي والعِظـــام دَبيْـــبُ[2]
ومـــــا هُــــــوَ إلاّ أنْ أرَاهــــــا فُجـــــاءَةً فأُبْهَـــتُ حتَّـــى مـــا أكـــادُ أُجيـــبُ[3]
وأطـــرُفُ عـــن رأيـــي الـــذي كنـــتُ أرْتَـــأي وأنسى الــذي أعــدَدْتُ حــينَ تَغيــبُ[4]
ويُظهِــــرُ قلبــــي عُــــذرَها ويُعينُهــــا علــيَّ فمــا لــي فــي الفــؤاد نــصيبُ
وَقَـــدْ عَلمَـــتْ نَفْـــسِي مَكـــانَ شِـــفائِها قَريبـــاً وهَـــلْ مـــا لايُنـــالُ قَرِيْـــبُ
لـــئن كـــانَ بـــردُ المـــاء أبـــيَضَ صـــافِياً إلَـــيَّ حبيبـــاً إنَّهـــا لَحَبيْـــبُ[5]

---

[1] – ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار، 187/10، رقــم المخطــوط 3423، ميكــروفيلم الجامعة الأردنية، الأصبهاني، الأغاني، 310/23 .

[2] – الأصبهاني، الأغاني، 310/23.

وإنِّـــي لَتَغَـــشاني لِـــذِكراكِ هَـــزَّةٌ لهـــا بَـــيْنَ جِلـــدِي والعِظـــامِ دَبيْـــبُ

[3] – الأصبهاني، الأغاني، 250/4.

[4] – الأصبهاني، الأغاني، 310/23.

وأصرِفُ عن رأيي الــذي كنــتُ أرْتَــأي وأنسى الــذي أزمعــتُ حــينَ تَغيــبُ

[5] – الأصبهاني، الأغاني، 310/23.

لئن كـــانَ بـــردُ المـــاء حَـــرَّانَ صـــادياً إلَـــيَّ حبيبـــاً إنَّهـــا لَحَبيْـــبُ

غناء شعر عمر بن أحمد الباهي

(1)

ومن أصوات **رَدَاح**: [1] [البسيط]

شَـــطَّ المَـــزارُ بحـــذوي وانتَهـــى الأمَـــلُ فـــلا خيـــالَ ولا عهـــدَ ولا طَلَـــلُ
ألا رجـــاءٌ فَمَـــا نَـــدْرِي أَنُدْرِكُـــهُ أم يَـــستَمِرُّ فيـــأتي دُونَـــهُ الأجَـــلُ

غناء شعر عمر بن أبي ربيعة

(1)

ومن أصوات **رغد**: [2] [الطَّويل]

إذا قُمْـــنَ أو حـــاوَلْنَ مـــشياً تَـــأَطُّراً إلـــى حَاجَـــةٍ مَالَـــتْ بهـــنَّ الـــرَّوادِفُ
فلمّـــا هَمَمْنَـــا بـــالتَّفَرُّقِ أعجَلَـــتْ بقايـــا اللُّبانـــاتِ الـــدُّموعُ الـــذَّوارِفُ
فـــأتْبَعتُهُنَّ الطَّـــرفَ مُتَّبِـــلَ الهَـــوى كـــأنّي يُعـــانِيْني مِـــنَ الجِـــنِّ طـــايِفُ[3]
وكُـــلُّ الـــذي قَـــدْ قُلـــتِ يومـــاً لقيـــتُكُمْ علـــى حـــذْرِ الأعـــداءِ للقَلْـــبِ شـــاغِفُ

---

[1] - ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار، 198/10، رقـم المخطـوط 3423، ميكـروفيلم الجامعة الأردنية.

[2] - ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار، 192/10، رقـم المخطـوط 3423، ميكـروفيلم الجامعة الأردنية، الدّيوان، 133.

[3] - الدّيوان، 133:

فـــأتْبَعتُهُنَّ الطَّـــرفَ مُتَّبِـــلَ الهَـــوى كـــأنّي يُعـــانِيْني مِـــنَ الجِـــنِّ خـــاطِفُ

غناء شعر الفرزدق

(1)

ومن أصوات مُهْجَة: [1] [الوافر]

وَقَـــالُوا إنْ فَعَلْـــتَ فَـــأَغْنِ عنّـــا دُمُوعـــاً غيـــرَ راقِيَـــةِ الـــسِّجَامِ[2]
وكيـــفَ إذا رَأَيْـــتُ ديـــارَ قَـــوْمِي وجِيْـــرانٍ لَنَـــا كـــانُوا كِـــرامِ[3]
أُكَفكِـــفُ عَبْـــرَةَ العَيْنَـــيْنِ مِنِّـــي ومـــا بَعْـــدَ المَـــدامِعِ مِـــنْ مَـــلامِ

غناء شعر أبي الفضل بن حَسْدَاي

(1)

من أصوات جواري المُقتدر بالله: [4] [البسيط]

عَهْـــدٌ لِلُبْنَـــى تَقاضَـــتْهُ الأمانَـــاتُ بانَـــتْ ومـــا قُـــضِيَتْ منهـــا لُبَانَـــاتُ
يُـــدْنِي التَّـــوَهُّمُ للمُـــشْتاقِ مُنْتَزِحـــاً مِنَ الأمُـــورِ وفـــي الأوْهَـــامِ رَاحـــاتُ
تُقْـــضَى عِـــدَاتٌ إذا دَبَّ الكَـــرَى وإذا هَـــبَّ النَّـــسِيْمُ فقـــدْ تُهْـــدَى تَحِيَّـــاتُ
زُورٌ يُعَلَّـــلُ قَلْـــبُ المُـــسْتَهامُ بِـــهِ دهراً وقد بَقِيـــتْ فـــي الـــنَّفْسِ حَاجـــاتُ
لَعَـــلَّ عَتْـــبَ اللَّيـــالي أن يَعُـــودَ إلـــى عُتْبَـــى فَتُبْلَـــغَ أوْطـــارٌ ولَـــذَّاتُ
حتَّـــى نَفُـــوزَ بِمـــا جـــادَ الخَيـــالُ بِـــهِ فَرُبَّمـــا صَـــدَقَتْ تلـــكَ المَنَامـــاتُ

---

[1] – ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار، 189/10، رقـم المخطـوط 3423، ميكـروفيلم الجامعة الأردنية، الدّيوان، 290/2.

[2] – الدّيوان، 290/2:

فَقَـــالُوا إنْ فَعَلْـــتَ فَـــأَغْنِ عنّـــا دُمُوعـــاً غيـــرَ راقِيَـــةِ الـــسِّجَامِ

[3] – الدّيوان، 290/2:

فكيـــفَ إذا رَأَيْـــتُ ديـــارَ قَـــوْمِي وجِيْـــرانٍ لَنَـــا كـــانُوا كِـــرامِ

[4] – ابن خاقان، قلائد العِقيان، 546/2–547، المقّري، النّفح، 172/2.

توريـــــدُ خَـــــدِّكَ للأحـــــداقِ لـــــذَّاتُ   عليــه مــنْ عَنْبَــرِ الأصــداغِ لامَــاتُ
نيـــرانُ هَجْـــرِكَ للعُـــشَّاقِ نـــارُ لظـــىً   لكـــنَّ وصْـــلَكَ إنْ واصَـــلْتَ جَنَّـــاتُ
كأنَّمـــا الـــرَّاحِ والرَّاحـــاتُ تَحْمِلُهـــا   بُـدُورُ تَـمٍّ وأيـدي الـشَّرْبِ هَـالاتُ
حُـــشَاشَةٌ مـــا تَرَكْنَـــا المـــاءَ يَقْتُلُهـــا   إلاَّ لِتَحْيـــا بِهـــا منَّـــا حُـــشاشَاتُ
قـــدْ كـــانَ فـــي كَأسِـــها مِـــنْ قَبْلِهـــا ثِقَـــلٌ   فَخَـــفَّ إذْ مُلِئَـــتْ مِنْهـــا زُجاجَـــاتُ

غناء شعر القطاميّ

(1)

من أصوات **بَهجَة**: [1] [البسيط]

بـــانُوا فكانَـــتْ حَيـــاتِي فـــي اجتمـــاعِهِمُ   وفـــي تَفَـــرُّقِهِمْ مَـــوْتِي وإقْـــصَادِي[2]
وفـــي الخُـــدُورِ غَمامَـــاتٌ بَـــرَقْنَ لنـــا   حتَّـــى تَـــصَيَّدَ منَّـــا كُـــلَّ مُـــصطادِ[3]
وهُـــنَّ يَنْبِـــزْنَ مـــن قـــولٍ يُـــصبْنَ بـــهِ   مواقعَ الماءِ مـن ذي الغُلَّـةِ الـصَّادي[4]
يقتُلْنَنَـــا بحـــديثٍ لـــيسَ يَعْلَمُـــهُ   مَـــن يتَّقـــينَ ولا مكنُونُـــهُ بـــادِ

---

[1] – ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار، 187/10، رقـم المخطـوط 3423، ميكـروفيلم الجامعة الأردنية، الدّيوان، 80–81.

[2] – الدّيوان، 80:

بـانُوا وكانَـتْ حَيـاتِي فـي اجتمـاعِهِمُ   وفـــي تَفَـــرُّقِهِمْ مَـــوْتِي وإقْـــصَادِي

[3] – الدّيوان، 80 :

وفـــي الخُـــدُورِ غَمامَـــاتٌ بَـــرَقْنَ لنـــا   حتَّـــى تَـــصَيَّدْنَنا مِـــنْ كُـــلِّ مُـــصطادِ

[4] – الدّيوان، 81 :

يقتُلْنَنَـــا بحـــديثٍ لـــيسَ يَعْلَمُـــهُ   مَـــن يتَّقـــينَ ولا مكنُونُـــهُ بـــادِ
وهُـــنَّ يَنْبِـــزْنَ مـــن قـــولٍ يُـــصبْنَ بـــهِ   مواقعَ الماءِ من ذي الغُلَّـةِ الـصَّادي

(2)

ومن أصوات **رغد**: [1] [البسيط]

إنَّــــا مُحيُّــــوكَ فاسْــــلَمْ أيُّهـــا الطَّلَـــلُ وإنْ بَليــتَ وإنْ طالَــتْ بــكَ الطُّــولُ
إنِّـــي اهتــــديتُ لتـــسليمٍ علـــى دِمَـــنٍ بـــالغَمْرِ غَيَّـــرَهُنَّ الأَعْـــصُرُ الأوّلُ
فهُـــنَّ كالخِلَـــلِ المَـــوشِّ ظاهِرُهـــا أو كالكتـــابِ الـــذي قدّمَـــهُ البَلَـــلُ
كانَــتْ مَنــازِلَ مِنَّـــا قَـــدْ نُحِـــلُّ بِهـــا حتّـــى تَغَيَّـــرَ دَهْـــرٌ خَـــائِنٌ خَبِـــلُ
لـــيسَ الجديــــدُ بِـــهِ تبقَـــى بـــشاشَتُهُ إلاّ قلـــيلاً ولا ذو خلّـــةٍ يَـــصِلُ
أمـــسَتْ عُلَيّـــةُ يرتـــاحُ الفـــؤادُ لهـــا وللرَّواسِـــمِ فيهـــا بينَنـــا عَمَـــلُ[2]
والعَـــيشُ لا عَـــيشَ إلاّ مـــا تَقَـــرُّ بِـــهِ عَـــينٌ ولا حالـــةٌ إلاّ ســـتَنتَقِلُ

غناء شعر قيس بن الخطيم

(1)

ومن أصوات **رَدَاح**: [3] [الطَّويل]

أَتَعْـــرِفُ رَسْـــماً كـــاطِّرادِ المَـــذاهِبِ لَعَمْـرَةَ وَحْـشاً غيـرَ موقـوفَ راكِـبِ
ديـــارَ التِـــي كـــادَتْ ونَحـــنُ علـــى مِنـــىً تَحُـــلُّ بنـــا لـــولا نَجـــاءُ الركائِـــبِ
تَبَـــدّى لَنَـــا كالـــشَّمْسِ تَحـــتَ غَمامَـــةٍ بَـدا حاجِـبٌ منْهـا وضَـنَّتْ بِحاجِـبِ[4]

---

[1] – ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار، 193/10، رقم المخطوط 3423، ميكروفيلم الجامعة الأردنية، الدّيوان، 23-25.

[2] – الدّيوان، 24-25.

والعَـيشُ لا عَـيشَ إلاّ مـا تَقَـرُّ بِـهِ عَـينٌ ولا حالـةٌ إلاّ سـتَنتَقِلُ
أمـسَتْ عُلَيّـةُ يرتـاحُ الفـؤادُ لهـا وللرَّواسِـمِ فيهـا بينَنـا عَمَـلُ

[3] – ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار، 198/10، رقم المخطوط 3423، ميكروفيلم الجامعة الأردنية، الدّيوان، 76-80.

[4] – الدّيوان، 80:

تَبَـدّتْ لَنَـا كالـشَّمْسِ تَحـتَ غَمامَـةٍ بَـدا حاجِـبٌ منْهـا وضَـنَّتْ بِحاجِـبِ

ولَـــــمْ أرَهــــا إلاّ ثلاثــــاً علــــى مِنــــىً وعَهْــدي بِهَــا عَــذْراء ذاتَ ذوائِــبِ

غناء شعر مجهول

(1)

سمع ابن حزم جارية تغني أبياتاً قديمة: [1] [الوافر]

غــــزالٌ قـــدْ حكَـــى بَـــدْرَ التَّمَـــام كَــشَمْسٍ قــدْ تَجَلَّــتْ مِــنْ غَمَــامِ
سَـــبَى قَلْبِــي بألحَــاظٍ مِــراضٍ وقَــدٍّ الغُــصْنِ فــي حُــسْنِ القَــوامِ
خَــضَعْتُ خُــضُوعَ صَــبٍّ مُــسْتَكِينٍ لَــهُ وذَلَلْــتُ ذِلّــةَ مُــستَهامِ
فَــصِلْنِي يــا فَــدَيْتُكَ فــي حَــلالٍ فَمــا أهْــوَى وِصَــالاً فــي حَــرَامِ

غناء شعر مجهول

(1)

أنشدت جارية مرابطيّة أمام المُعتمد فقالت:[2] [الكامل]

حَملــوا قُلــوبَ الأُسْــدِ بــينَ ضُــلُوعِهِمْ ولَــوَوْا عمــائمَهمْ علــى الأقمــارِ
وتَقَلَّــدوا يــومَ الــوَغى هِنديــةً أمــضى إذا انتُــضِيَتْ مــن الأقــدارِ
إنْ خَوَّفُــوكَ لقيــتَ كــلَّ كريهــةٍ أو أمَّنُــوكَ حَلَلــتَ دارَ قــرارِ

---

[1] – ابن حزم، رسائله، 135/1.

[2] – المقَّري، النّفح، 51/6.

غناء شعر مجهول

(1)

سمع محمد بن أبي عيسى جارية تغني قائلة: [1] [الكامل]

طابَـــتْ بِطيـــبِ لِثاتِـــكَ الأقـــداحُ   وَزَهَـــتْ بحمـــرةِ خَـــدِكَ التّفّـــاحُ
وإذا الرَّبيـــعُ تَنَـــسَّمَتْ أرواحُـــهُ   طابَـــتْ بطيـــبِ نـــسيمِكَ الأرواحُ
وإذا الحنـــادسُ أُلْبِـــسَتْ ظَلماءَهـــا   فضياءُ وجهكَ فـي الـدُّجى المِـصباحُ

غناء شعر مجهول

(1)

ومن أصوات **رَدَاح**: [2] [الطَّويل]

إذا مـــا كَتَمْنـــا الحُـــبَّ نَمَّـــتْ عُيُونُنـــا   عَلَيْنـــا وأَبْدَتْـــهُ العُيُـــونُ الـــسَّواكِبُ
وإنْ نَحـــنُ أخْفَيْنَـــا ضَـــمايِرَ حُبِّنَـــا   أشَـــارَتْ بِتَـــسْليمٍ عَلَيْنـــا الحَواجِـــبُ

1- الحميدي، جَذوَةُ المُقتبس، 126/1، ابن خاقان، مطمع الأنفس، 261-262، الضَّبي، بُغيَـة المُلتَمس، 111، المَقَّري، النَّفح، 233/2، 106/5-107

[2] - ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار، 198/10، رقـم المخطـوط 3423، ميكـروفيلم الجامعة الأردنية.

غناء شعر مسلم بن الوليد

(1)

ومن أصوات **عزيز** : [1] [الطَّويل]

وإنِّـــي لأسْــتَحْيِي القُنـــوعَ ومَـــذْهَبِي فَسيْحٌ وَآبَى الشُّحَ إلاّ عَلَـى عِــرْضِ[2]
ومـــا كـــانَ مثْلـــي يَعْتَرِيْــك رَجَـــاؤُهُ ولكنْ أسَاءَتْ شيْمَةٌ منْ فَتَـىً مَحْـض
وإنِّـــي وإشْـــرَافي عَلَيْـــك بهمَّتـــي لكالمُبْتَغي زَبْداً منَ المـــاء بـــالمَحْض

غناء شعر المُعتَمد بن عبَّاد

(1)

ومن أصوات **سُعدى**: [3] [البسيط]

لـــولا عيـــونٌ مِـــنَ الواشِـــيْنَ تَرْمُقُنِـــي ومـــا أحـــاذِرُهُ مِـــنْ قَـــولِ حُـــرَّاسِ
لَـــــــزُرْتُكُمْ لا أُكـــــــافيكُمْ بِجَفْـــــــوَتِكُمْ مَشْياً على الوَجْهِ أو سَعْياً علـى الـرَّاسِ[4]

---

[1] – ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار، 184/10، رقم المخطوط 3423، ميكروفيلم الجامعة الأردنية، الدّيوان، 45.

[2] – الدّيوان، 45:

وإنِّـــي لأسْــتَحْيِي الـــسُّؤالَ ومَـــذْهَبِي عَرِيْضٌ وَآبَـى الـشُّحَ إلاّ عَلَـى عِـرْضِ

[3] – ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار، 199/10، رقم المخطوط 3423، ميكروفيلم الجامعة الأردنية، الدّيوان، 58.

[4] – الدّيوان، 58:

لَـــزُرْتُكُمْ لا أُكـــافيكُمْ بِجَفْـــوَتِكُمْ مَشْياً على الوَجْهِ أو حَبْواً علـى الـرَّاسِ

(2)

ومما يُغنّى من شعر المُعتَمد: [1] [الطَّويل]

تظـــــنُّ بنـــــا أمُّ الرَّبيـــــعِ ســــآمةً ... ألا غَفــــرَ الــــرَّحمنُ ذنبــــاً تُواقعــــهْ
أأهْجُــــرُ ظبيــــاً فــــيْ ضُــــلوعيْ كناسُــــه ... وبــــدرَ تَمــــامٍ فــــيْ جُفــــونيْ مَطالعــــهْ
وروضــــةَ حُــــسْنٍ أجتَنيهــــا وبــــارداً ... من الظَّلمِ لــم تُحظــرْ علــيَّ شــرائعهْ
إذاً عــــدمتْ كفّــــي نَــــوالاً تفيــــضُه ... علــى مُعتَفيهــا أو عَــدواً تُقارعُــهْ

(3)

ومن أصوات **سُعدى**: [2] [الكامل]

ســــايرتُهم والليــــلُ غُفْــــلٌ ثوبُــــه ... حتــــى تَبَــــدَّى للنّــــواظر مُكلَمــــا
فوقفــــت ثَــــمَّ مودعــــاً وتــــسلَّمت ... منّــي يــدُ الإصــباحِ تلــكَ الأنجُمــا

غناء شعر نُصَيْب بن رَبَاح

(1)

ومن أصوات **عزيز**: [3] [الطَّويل]

بزَينَــــبَ ألْمِــــمْ قَبْــــلَ أنْ يَرْحَــــلَ الرَّكْــــبُ ... وقُــلْ إن تَمَلِّيْنــا فَمَــا مَلَّــكَ القلْــبُ
وقُــــلْ إنْ أَنَــــلْ بالحُــــبِّ منْهــــا مــــودَّةً ... فما فوْقَ ما لاقيتُ مــنْ حُــبِّكمْ حُــبُّ[4]
وقُــــلْ فــــي تَجَنِّيْهــــا لَــــكَ الــــذَّنْبُ إنّمــــا ... عِتابُــكَ إنْ عاتَبْــتَ فيمــا لَــهُ عَتــبُ

---

[1] – الدّيوان، 20.

[2] – ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار، 200/10، رقــم المخطــوط 3423، ميكــروفيلم الجامعة الأردنية، الدّيوان، 26.

[3] – ابن فضل الله العمري، مسالك الأبــصار، 186/10، رقــم المخطــوط 3423، ميكــروفيلم الجامعة الأردنية، الدّيوان، 60.

[4] – الدّيوان، 60:

وقُــــلْ إنْ نَنَــــلْ بــــالوُدِّ منْــــكِ محبَّــــةً ... فلا مِثلَ ما لاقيــتُ مــنْ حُــبِّكمْ حُــبُّ

فمَـــــنْ شَــــاءَ رَامَ الوَصْـــــلَ أو قـــــالَ ظَالِمـــــاً   لـــــذِي وُدِّهِ ذنـــــبٌ ولـــــيسَ لَـــــهُ ذَنْـــــبُ

الموشَّحات

موشَّح ابن باجة

(1)

غنّت بعض قيان ابن تِيفَلْوِيت موشحاً لأبي بكر بن باجة أوّله: [1]

جـــــرّر الـــــذيلَ أيَّمـــــا جـــــرّ   وصــــلِ الــــشُّكرَ منـــــك بالــــشُّكرِ

وآخره قوله: [2]

عَقَـــــــد اللهُ رايـــــــةَ النَّـــــــصرِ   لأميـــــرِ العُـــــلا أبـــــي بَكْـــــرِ

موشّح أبي الحسن بن نزار

(1)

طلب أبو الحسن بن نزار من **جارية** أن تُغني مُوشحته التي أولها: [3]

نازَعـــــكِ البـــــدرُ اللّيـــــاحْ   بِنْـــــــتَ الـــــــدِنانِ
فلـــــمْ يـــــدعْ لـــــك اقتـــــراحْ   علـــــــى الزمـــــــانِ
يـــــا هَـــــل أقـــــولُ للحـــــسُودْ   والعِـــــيسُ تُحْـــــدى
يـــــا لائمـــــي علـــــى الـــــسراحْ   كانـــــــت أمـــــــاني
أخرجهـــــا ذاك الـــــسّماحْ   إلـــــــى العِيـــــــانِ

---

[1] – ابن خلدون، المُقدِّمة، 584/1، المَقَّري، أزهار الرياض، 209/2، النَّفح، 233/9.
[2] – ابن خلدون، المُقدِّمة، 584/1، المَقَّري، أزهار الرياض، 209/2، النَّفح، 233/9.
[3] – المَقَّري، النَّفح، 42/5.

موشّح عمر بن عبد الله

(1)

من الموشحات المشهورة التي يُغنى بها في الأقطار: [1]

حُـــــــسَّانَةٌ رخيمـــــــــــهْ عانقــــــتُ منهـــــا البانَــــــه

والنَّقَـــــــــى الرَّجْـــــــــراج[2] وَا شَـــــــوْقي لحُـــــــــسَّانَه

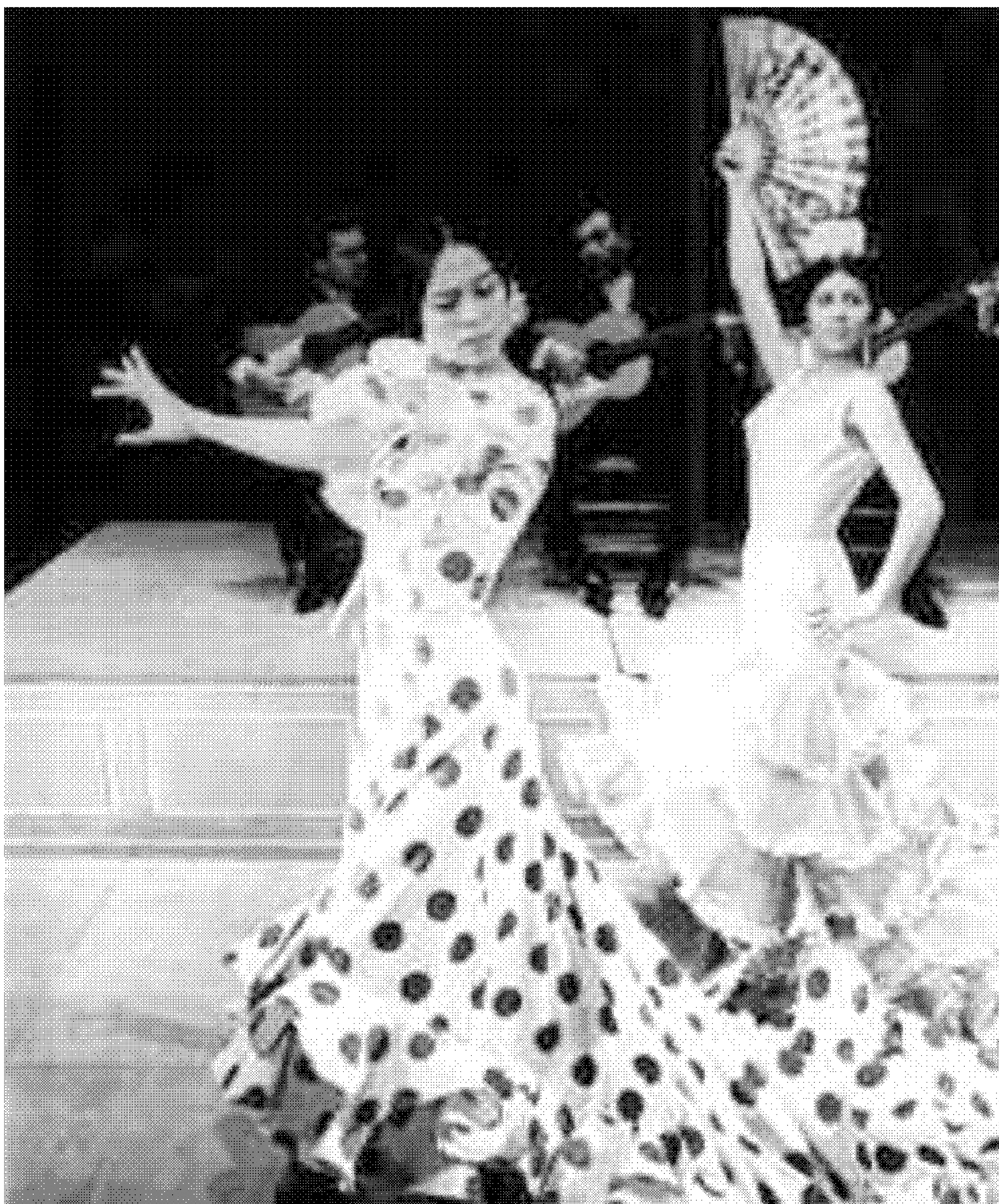
[1] – ابن سَعيد، الغصون اليانعة، 93.

[2] – الرَّجْراج: الضعيفة. ابن منظور، لسان العرب، مادة (رجج) 2/ 281.

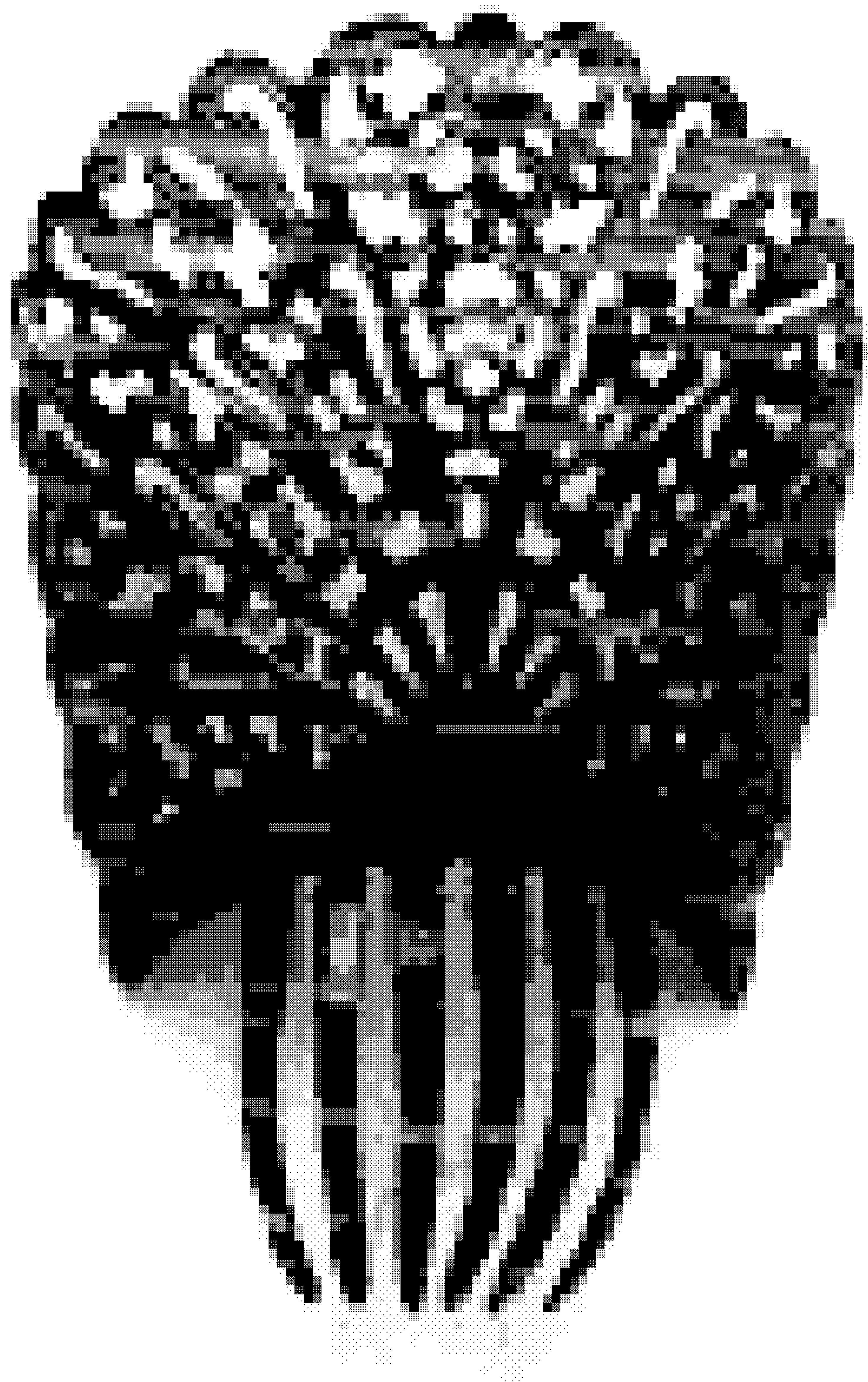
ملحق الصُّور



صورة 1: صورة لراقصة وراقص فلامنجو يحركان أصابعهما بأشكال انسيابية مختلفة.



صورة 2: صورة لراقصات فلامنجو بملابسهن الطويلة المزركشة متعددة الألوان.



صورة 3: صورة تاج صغير من التيجان التي تضعها بعض راقصات الفلامنجو.



صورة 4: صورة راقصة فلامنجو تحمل مروحة لزيادة التّشبه بالطاووس.

الفهارس

فهرس الأعلام

فهرس الأماكن

فهرس إحصائيات موضوعات الشِّعر

فهرس الأعلام

(غ)

(ف)

فهرس الأماكن

فهرس إحصائيات

موضوعات الشِّعر

الجواري في الغزل

العصر	ع. شعراء	الشاعر	أسماء الجواري	ع. مقطوعات	ع. أبيات	نوع الشعر	البحر	القافية
عصر الإمارة في جاريتين	1	الحكم بن هشام الربضي	مجموعة جوار	1	4	مقطوعة	البسيط	النون
			مجموعة جوار	2	2	نتفة	الخفيف	الدال
			جارية	3	5	مقطوعة	الخفيف	الكاف
	2	عبد الله بن الشمر	جارية	4	3	مقطوعة	الطويل	الراء
	3	عبد الرحمن بن الحكم	طروب	5	5	مقطوعة	الطويل	الراء
	4	يحيى بن حكم الغزال	لعوب	6	16	قصيدة	الكامل	الباء
	5	سعيد بن جودي	جارية	7	1	مفرد	الطويل	الراء
	6	عبيديس	جارية	8	1	مفرد	الطويل	الراء
عصر الخلافة في جاريتين	7	ابن عبد ربه	مصابيح	9	6	مقطوعة	البسيط	الدال
			جارية	10	2	نتفة	الخفيف	النون
	8	أبوعثمان السرقسطي	جارية	11	4	مقطوعة	الكامل	الغين
	9	ابن بطال	جارية	12	2	نتفة	الكامل	النون
			جارية	13	3	مقطوعة	المتقارب	السين
	10	سليمان بن المستعين	جارية	14	12	قصيدة	الكامل	النون
	11	الرمادي	جارية	15	3	مقطوعة	المديد	الباء
			جارية	16	6	مقطوعة	الرمل	اللام
	12	علي بن أبي الحسين	جارية	17	3	مقطوعة	المنسرح	الفاء
			بديعة	18	4	مقطوعة	البسيط	الراء
	13	محمد بن أبي الحسين	جارية	19	2	نتفة	الوافر	النون
	14	أبو المطرف الزهري	جارية	20	2	نتفة	البسيط	الباء
	15	ابن زيدون	جارية	21	7	مقطوعة	البسيط	الشين
عصر الطوائف في ست جوار	16	أبو الفضل الدارمي	جارية	22	2	نتفة	الطويل	السين
			جارية	23	2	نتفة	الخفيف	الراء
	17	ابن حزم	نُعم	24	2	نتفة	الطويل	الميم
	18	ابن عمار	نُعمى	25	8	قصيدة	الكامل	الكاف
	19	ابن وهبون	جارية	26	2	نتفة	البسيط	النون
	20	أبو الحسن علي الحصري	جارية	27	3	مقطوعة	الكامل	الدال
	21	المعتمد	جارية	28	2	نتفة	السريع	العين
			جارية	29	2	نتفة	البسيط	الراء
			جارية	30	1	مفرد	الكامل	الراء
			اعتماد	31	6	مقطوعة	الكامل	اللام

الجواري في الغزل

العصر	ع. شعراء	الشاعر	أسماء الجواري	ع. مقطوعات	ع. أبيات	نوع الشعر	البحر	القافية
عصر الطوائف في ست جوار	21	المعتمد	اعتماد	32	3	مقطوعة	الطويل	السين
			اعتماد	33	4	مقطوعة	الطويل	العين
	22	أبو الوليد البطليوسي النحلي	جارية	34	6	مقطوعة	الكامل	الراء
	23	ابن حمديس	جارية	35	8	قصيدة	الكامل	اللام
			مغنيات	36	4	مقطوعة	المتقارب	الباء
	24	الحكيم	جارية	37	3	مقطوعة	مجزوء الرمل	العين
			تجنّي	38	4	مقطوعة	مخلع البسيط	النون
			عزّة	39	4	مقطوعة	السريع	النون
	25	ابن خفاجة	عفراء	40	9	قصيدة	الطويل	الميم
	26	ابن السراج المالقي	مجموعة جوار	41	6	مقطوعة	الطويل	النون
			حسن الورد	42	7	مقطوعة	الخفيف	اللام
	27	إبراهيم بن عبد الصمد	جارية	43	3	مقطوعة	الطويل	الدال
عصر المرابطين في جارية	28	ابن بسام	جارية	44	2	نتفة	الرمل	الجيم
	29	ابن عبد المنعم الصقلي	جارية	45	4	مقطوعة	الكامل	الراء
	30	ابن سكن	جارية	46	3	مقطوعة	الكامل	القاف
	31	ابن المنخّل	جارية	47	1	مفرد	الكامل	القاف
	32	ابن زُهر	سماك	48	موشح	موشح	———	———
	33	أبو بكر بن نصر الإشبيلي	جارية	49	2	نتفة	الكامل	الراء
عصر الموحدين في جاريتين	34	أبو حفص عمر السلمي	حُسّانة	50	موشح	موشح	———	———
	35	عبد الله بن الوبّة	جارية	51	17	قصيدة	السريع	الراء
	36	ابن محفوظ	جارية	52	6	مقطوعة	البسيط	اللام
	37	ابن شريف النفري	جارية	53	1	مفرد	الطويل	الراء
	38	ابن أبي الخصال	جارية	54	5	مقطوعة	البسيط	الفاء
	39	ابن سعيد	صُبح	55	15	قصيدة	مخلع البسيط	الحاء
عصر بني الأحمر في جارية	40	ابن الجياب	نجمة	56	20	قصيدة	البسيط	الراء
	41	ابن الخطيب	جارية	57	3	مقطوعة	الطويل	القاف

الجواري في الحنين

العصر	ع. شعراء	الشعراء	أسماء الجواري	ع. مقطوعات	ع. أبيات	نوع الشعر	البحر	القافية
عصر الإمارة في أربع جوار	1	عبد الرحمن بن الحكم	طروب	1	14	قصيدة	المتقارب	الباء
			طروب	2	1	مفرد	السريع	الراء
	2	عبد الله بن الشمر	طروب	3	1	مفرد	السريع	الراء
	3	المنذر بن عبد الرحمن	طرب	4	3	مقطوعة	المنسرح	الباء
	4	هاشم بن عبد العزيز	عاج	5	8	مقطوعة	الطويل	الباء
	5	سعيد بن جودي	جيجان	6	3	مقطوعة	البسيط	النون
عصر الخلافة في [illegible]	6	أبوبكر محمد بن الحسين	سلمى	7	7	مقطوعة	مخلع البسيط	العين
	7	الرمادي	خلوة	8	5	مقطوعة	الطويل	الميم
عصر الطوائف في خمس جوار	8	عبادة بن ماء السماء		9	4	مقطوعة	مجزوء البسيط	الكاف
	9	أبو علي الحسن بن الغليظ	أزهر	10	2	نتفة	الطويل	الباء
	10	ابن السراج المالقي	أزهر	11	4	مقطوعة	الطويل	الراء
		ابن السراج المالقي	أزهر	12	2	نتفة	الطويل	الباء
		ابن السراج المالقي	حُسن الورد	13	4	مقطوعة	البسيط	النون
	11	يمكن ابن بسام	حُسن الورد	14	3	مقطوعة	الطويل	الدال
	12	أبو علي الحسن بن الغليظ	حُسن الورد	15	4	مقطوعة	الطويل	الدال
			حُسن الورد	16	3	مقطوعة	الخفيف	اللام
	13	المعتمد	اعتماد	17	6	مقطوعة	المتقارب	الدال
			اعتماد	18	5	مقطوعة	الطويل	الدال
			وداد	19	2	نتفة	الطويل	الميم
			جوهرة	20	3	مقطوعة	السريع	الراء
			جارية	21	5	مقطوعة	مجزوء الكامل	الكاف
			مجموعة جوار	22	4	مقطوعة	الكامل	الميم

الجواري في الحنين

العصر	ع. شعراء	الشعراء	أسماء الجواري	ع. مقطوعات	ع. أبيات	نوع الشعر	البحر	القافية
عصر المرابطين في جارية	14	الأعمى التطيلي	لذيذة	23	33	قصيدة	البسيط	الباء
عصر الموحدين في جارية	15	محمد بن أحمد بن جُبير	جارية	24	6	مقطوعة	مخلع البسيط	الياء
	16	ابن همُشك	نسيم	25	6	مقطوعة	الطويل	القاف

الـجـو اري فــي الـرثـا ء

العصر	ع. شعراء	الشعراء	أسماء الجواري	ع. مقطوعات	ع. أبيات	نوع الشعر	البحر	القافية
عصر الطوائف في ثلاث جوار	1	ابن حزم	نعم	1	3	مقطوعة	الطويل	الثاء
	2	ابن حمديس	جوهرة	2	28	قصيدة	البسيط	الكاف
			جوهرة	3	4	مقطوعة	البسيط	القاف
			جوهرة	4	13	قصيدة	المنسرح	الياء
	3	المعتصم بن صمادح	جارية	5	2	نتفة	البسيط	الميم
	4	ابن عبد البر	جارية	6	3	مقطوعة	السريع	السين
	5	ابن دراج القسطلي	صبح البشكنسية	7	54	قصيدة	المتقارب	الهمزة
عصر الموحدين	6	ابن طفيل	جارية	8	3	مقطوعة	الكامل	الراء

الجواري في الوصف

وصف الساقيات

العصر	ع. شعراء	الشعراء	أسماء الجواري	ع. مقطوعات	ع. أبيات	نوع الشعر	البحر	القافية
عصر الخلافة في جارية	1	ابن شُهيد	أسيماء	1	3	مقطوعة	مخلع البسيط	الباء
			غلامية	2	8	مقطوعة	الرمل	الباء
عصر الطوائف	2	ابن بليطة	غلامية	3	6	مقطوعة	الطويل	الطاء
	3	ابن حمديس	ساقية	4	5	مقطوعة	الكامل	الباء
			ساقية	5	7	مقطوعة	الرمل	الميم
			ساقية	6	2	نتفة	المتقارب	الراء
	4	المعتصم بن صمادح	ساقية	7	1	مفرد	البسيط	الباء
عصر المرابطين في جارية	5	ابن الطوبى	ساقية	8	3	مقطوعة	الكامل	الكاف
مجهول	6	مجهول	ساقية	9	1	مفرد	السريع	الهاء

وصف الراقصات

العصر	ع. شعراء	الشاعر	أسماء الجواري	ع. مقطوعات	ع. أبيات	نوع الشعر	البحر	القافية
عصر الطوائف	1	عبادة بن ماء السماء	راقصة	1	2	نتفة	المنسرح	الميم
			راقصة	2	2	نتفة	المنسرح	الفاء
			راقصة	3	3	مقطوعة	المنسرح	الضاد
	2	النحلي	راقصة	4	3	مقطوعة	الوافر	الباء
	3	ابن حمديس	راقصة	5	5	مقطوعة	المتقارب	الباء
			راقصة	6	6	مقطوعة	الطويل	الدال
			مجموعة	7	2	نتفة	الطويل	الخاء
			مجموعة	8	3	مقطوعة	المتقارب	الراء
عصر الموحدين في جارية	4	ابن أبي الخصال	مجموعة	9	2	نتفة	مخلع البسيط	التاء
			أربع راقصات	10	2	نتفة	المنسرح	النون
	5	ابن الطوبى	راقصة غلامية	11	5	مقطوعة	السريع	الهمزة
	6	البلنوبي	راقصة	12	2	نتفة	البسيط	الباء
	7	ابن كسرى	نُزهة	13	4	مقطوعة	الطويل	النون

الجواري في الشكوى

العصر	ع. شعراء	الشعراء	أسماء الجواري	ع. مقطوعات	ع. أبيات	نوع الشعر	البحر	القافية
عصر ملوك الطوائف في خمس جوار	1	المعتمد	سحر	1	4	مقطوعة	الطويل	الواو
			جوهرة	2	4	مقطوعة	مجزوء الرجز	الباء
	2	ابن حزم	جارية	3	4	مقطوعة	الوافر	الياء
			جارية	4	2	نتفة	الطويل	الفاء
	3	التطيلي	لذيذة- أم الوفاء	6	16	قصيدة	الكامل	الميم
			لذيذة	7	29	قصيدة	البسيط	الدال

الجواري في الهجاء

العصر	ع. شعراء	الشعراء	أسماء الجواري	ع. مقطوعات	ع. أبيات	نوع الشعر	البحر	القافية
عصر الإمارة	1	الغزال	جارية	1	5	مقطوعة	البسيط	التاء
عصر الخلافة	2	إسماعيل بن بدر	جارية	2	4	مقطوعة	الطويل	العين
عصر الطوائف في جاريتين	3	مجهول	تفتير	3	6	مقطوعة	السريع	الراء
	4	ابن عمار	اعتماد	4	7	مقطوعة	المتقارب	اللام
	5	أحمد بن نعيم	جارية	5	2	نتفة	السريع	الخاء
عصر المرابطين	6	محمد بن أحمد الأنصاري	جارية	6	3	مقطوعة	الكامل	الراء
عصر الموحدين	7	ابن أبي الخصال	مجموعة	7	2	نتفة	مخلع البسيط	التاء
			أربع راقصات	8	2	نتفة	المنسرح	النون

الـجـواري فـي الـعـتـاب

العصر	ع. شعراء	الشعراء	أسماء الجواري	ع. مقطوعات	ع. أبيات	نوع الشعر	البحر	القافية
عصر الإمارة	1	سعيد بن جودي	جارية	1	2	نتفة	الطويل	الضاد
عصر الطوائف في جارية	2	المعتمد	جوهرة	2	3	مقطوعة	السريع	الراء

الـجو اري فــي أ غر اض أخرى

العصر	ع. شعراء	الشعراء	أسماء الجواري	ع. مقطوعات	ع. أبيات	نوع الشعر	البحر	القافية
عصر الخلافة	1	ابن شهيد	جارية	1	4	مقطوعة	الخفيف	الراء
			جارية	2	4	مقطوعة	الخفيف	الياء
	2	المنصور	جارية	3	3	مقطوعة	الخفيف	الراء
	3	أبو المغيرة	أنس القلوب	4	3	مقطوعة	الخفيف	الراء
	4	ابن الوبلة	جارية	5	5	مقطوعة	مجزوء الرمل	اللام
عصر الطوائف	5	المعتضد	العبادية	6	1	مفرد	المتقارب	الراء
	6	ابن خفاجة	جوهرة	7	2	نتفة	البسيط	اللام
	7	ابن دراج القسطلي	جارية	8	15	قصيدة	البسيط	الكاف
	8	عبد المولى اللوشي	جارية	9	5	مقطوعة	المجتث	الجيم
	9	قند مولى نجم بن طرفة	جؤذر	10	2	نتفة	الوافر	الدال
	10	المعتمد	سحر	11	4	مقطوعة	الطويل	الواو
			وداد	12	2	نتفة	الخفيف	الكاف
			اعتماد	13	4	مقطوعة	الطويل	الراء
	12	النَّحلي	جارية	14	3	مقطوعة	الوافر	الباء
	13	ابو عامر بن ينق	هند	15	2	نتفة	الكامل	اللام
	14	أبو الحسن الحصري	جارية	16	2	نتفة	الخفيف	الهاء
	15	محمد بن ميمون	مي	17	3	مقطوعة	الكامل	الياء
	16	المعتصم	جارية	18	1	مفرد	المتقارب	اللام
	17	ابن مسعود	جارية	19		أرجوزة		
عصر المرابطين	18	عقيل بن عطية	جارية	20	2	نتفة	السريع	الدال
عصر الموحدين	19	ابن قزمان	زاد المال	21		أرجوزة		
			جارية	22		أرجوزة		
			زاد المال	23		أرجوزة		
عصر بني الأحمر	20	ملك غرناطة يوسف الثالث	جارية	24	4	مقطوعة	الكامل	القاف
			جارية	25	4	مقطوعة	الكامل	القاف
	21	لسان الدين ابن الخطيب	جارية	26	5	مقطوعة	الطويل	الياء
			جارية	27	4	مقطوعة	الطويل	الضاد

موضوعات شعر الجواري

ع. شاعرات	الشاعرة	أغراض الشعر	مالك الجارية	ع. مقطوعات	ع. أبيات	نوع الشعر	البحر	القافية
1	بزيعة الإمام	غزل	عثمان بن محمد	1	1	مفرد	الطويل	الباء
		أغراض أخرى	عثمان بن محمد	2	1	مفرد	البسيط	الدال
2	عزيز	أغراض أخرى	الحكم بن هشام	3	3	مقطوعة	الخفيف	اللام
3	قمر المشرقية	مدح	إبراهيم بن حجاج	4	2	نتفة	الكامل	الميم
		الحنين إلى المشرق	إبراهيم بن حجاج	5	4	مقطوعة	الكامل	القاف
		أغراض أخرى	إبراهيم بن حجاج	6	7	قصيدة	البسيط	الراء
4	متعة	غزل	زرياب	7	4	مقطوعة	المجتث	الراء
5	فاتن	غزل	الحكم بن هشام	8	2	نتفة	الخفيف	الدال
6	رغد	أغراض أخرى	المغيرة بن الحكم	9	2	نتفة	الخفيف	النون
7	مرجان	أغراض أخرى	الناصر	10	2	نتفة	مجزوء الرمل	النون
		أغراض أخرى	الناصر	11	2	نتفة	مجزوء الرجز	الياء
8	اعتماد	أغراض أخرى	المعتمد	12	1	مفرد	الرمل	الدال
9	العبادية	أغراض أخرى	المعتضد	13	1	مفرد	المتقارب	الراء
10	أنس القلوب	غزل	المنصور	14	6	مقطوعة	الخفيف	الراء
		أغراض أخرى	المنصور	15	3	مقطوعة	المجتث	الراء
11	بثينة بنت المعتمد	أغراض أخرى	رجل ما	16	11	قصيدة	الكامل	الدال
12	جارية	غزل	مع ابن زيدون	17	1	مفرد	البسيط	الشين
13	جارية	مدح	وزير المنصور	18	2	نتفة	البسيط	الكاف
14	جارية	أغراض أخرى	الرشيد بن المعتمد	19	2	نتفة	البسيط	التاء
15	عتبة	غزل	ولآدة بنت المستكفي	20	2	نتفة	الطويل	الباء
16	غاية المنى	أغراض أخرى	المعتصم بن صمادح	21	2	نتفة	مجزوء الخفيف	النون
17	هند	مدح	عبد الله بن مسلمة الشاطبي	22	2	نتفة	الكامل	اللام

موضوعات شعر الجواري

العصر	ع. الشاعرات	الجارية	أغراض الشعر	مالك الجارية	ع. مقطوعات	ع. أبيات	نوع الشعر	البحر	القافية
جارية في عصر بني الأحمر	18	جارية	غزل	يوسف الثالث- ابن فركون	23	11	قصيدة	الكامل	القاف
	18	جارية	مدح	يوسف الثالث- ابن فركون	23	6	مقطوعة	الكامل	القاف

موضوعات شعر الغناء

شعراء	الشاعر	أغراض الشعر	الجارية	مالك الجارية	ع. مقطوعات	ع. أبيات	نوع الشعر	البحر	القافية
1	ابن الرومي	غزل	بهجة	الحكم بن هشام	1	2	نتفة	مجزوء الرمل	اللام
		شكوى	مهجة	الحكم بن هشام	2	4	مقطوعة	الطويل	الميم
		أغراض أخرى	عزيز	الحكم بن هشام	3	4	مقطوعة	المجتث	الباء
		ندب الشباب	عزيز	الحكم بن هشام	4	4	مقطوعة	الخفيف	الباء
2	العباس بن الأحنف	غزل	سعدى	المعتمد بن عباد	5	4	مقطوعة	السريع	السين
		غزل	جارية	قريب ابن حزم	6	5	مقطوعة	البسيط	الراء
		أغراض أخرى	عزيز	الحكم بن هشام	7	2	نتفة	المنسرح	النون
3	أبو الفضل بن حسداي	غزل	جواري المقتدر	المقتدر بالله	8	11	قصيدة	البسيط	التاء
4	القطامي	غزل	بهجة	الحكم بن هشام	9	4	مقطوعة	البسيط	الدال
		غزل	رغد	المغيرة بن الحكم	10	7	مقطوعة	البسيط	اللام
5	جرير	غزل	مهجة	الحكم بن هشام	11	6	مقطوعة	الوافر	الدال
		شكوى	رغد	المغيرة بن الحكم	12	4	مقطوعة	الطويل	الحاء
6	أبو تمام	فخر	مهجة	الحكم بن هشام	13	4	مقطوعة	الطويل	العين
		فخر	مهجة	الحكم بن هشام	14	4	مقطوعة	الطويل	الراء
7	ذو الرمة	غزل	مهجة	الحكم بن هشام	15	4	مقطوعة	الطويل	الراء
		غزل	فاتن	الحكم بن هشام	16	4	مقطوعة	الطويل	العين
8	المعتمد بن عباد	أغراض أخرى	سعدى	المعتمد بن عباد	17	2	نتفة	البسيط	السين
		غزل	جارية	في الأندلس	18	4	مقطوعة	الطويل	العين
		غزل	سعدى	المعتمد بن عباد	19	2	نتفة	الكامل	الميم
9	عروة بن حزام	غزل	بهجة	الحكم بن هشام	20	6	مقطوعة	الطويل	الباء
10	البحتري	غزل	بهجة	الحكم بن هشام	23	4	مقطوعة	الطويل	الدال
11	توبة بن الحمير	أغراض أخرى	رداح	عبد الرحمن المستظهر	21	4	مقطوعة	الطويل	الياء
12	ابن الحدّاد	غزل	جارية	في الأندلس	24	4	مقطوعة	الكامل	اللام
13	شاعر قديم	غزل	جارية	لأحد الخاصة	22	4	مقطوعة	الوافر	الميم
14	الحطيئة	غزل	فاتن	الحكم بن هشام	23	4	مقطوعة	الطويل	الفاء
15	الصنوبري	شكوى	رغد	المغيرة بن الحكم	24	4	مقطوعة	المنسرح	القاف
16	قيس بن الخطيم	غزل	رداح	عبد الرحمن المستظهر	25	4	مقطوعة	الطويل	الباء
17	عمر بن أبي ربيعة	غزل	رغد	المغيرة بن الحكم	26	4	مقطوعة	الطويل	الفاء
18	نُصَيب بن رباح	غزل	عزيز	الحكم بن هشام	27	4	مقطوعة	الطويل	الباء

موضوعات شعر الغناء

صاحب الشعر	أغراض الشعر	الجارية	مالك الجارية	ع. مقطوعات	ع. أبيات	نوع الشعر	البحر	القافية
الفرزدق	أغراض أخرى	مهجة	الحكم بن هشام	28	3	مقطوعة	الوافر	الميم
مجهول	غزل	جارية	رجل مع محمد بن أبي عيسى	29	3	مقطوعة	الكامل	الحاء
مجهول	أغراض أخرى	جارية ابن تاشفين	المعتمد	30	3	مقطوعة	الكامل	الراء
مسلم بن الوليد	فخر	عزيز	الحكم بن هشام	31	3	مقطوعة	الطويل	الضاد
ابن الدمينة	شكوى	مهجة	الحكم بن هشام	32	2	نتفة	الطويل	النون
الصمة القشيري	أغراض أخرى	رغد	المغيرة بن الحكم	33	2	نتفة	الطويل	الراء
أبو دهبل الجمحي	شكوى	بهجة	الحكم بن هشام	34	2	نتفة	الطويل	الجيم
عمر بن أحمد الباهي	شكوى	رداح	عبد الرحمن المستظهر	35	2	نتفة	البسيط	اللام
مجهول	غزل	رداح	عبد الرحمن المستظهر	36	2	نتفة	الطويل	الباء
أبو بكر بن باجة	أغراض أخرى	جواري ابن تيفلويت	ابن تيفلويت	37	موشح	موشح		
أبو الحسن بن نزار	أغراض أخرى	جارية	في الأندلس	38	موشح	موشح		
عمر بن عبد الله	غزل	جارية	في الأندلس	39	موشح	موشح		

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

المخطوطات:

1. ابن فضل الله العمري، شهاب الدين أحمد بن يحيى (749هـ)
مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، ميكروفيلم مخطوط محفوظ بالجامعة الأردنية، رقم 3423 .

المصادر والمراجع:

1. ابن الأبار، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي (658هـ):
- **تحفة القادم**، دار الغرب، ط1، بيروت، 1986.
- **التّكملة لكتاب الصلة**، تحقيق عبد السلام الهـرّاس، دار المعرفـة، د.ط، الـدار البيضاء، د.ت (1-4).
- **الحلّة السِّيراء**، تحقيق حسين مؤنس، دار المعارف، د.ط، القاهرة، د.ت (1-2)
2. ابن الأثير، محمد بن محمد بن عبد الواحد الشيباني (630هـ):
3. **الكامل في التاريخ**، تحقيق أبي الفداء عبد الله القاضي، دار الكتـب العلميـة، ط2، بيروت، 1995 (1-10).
4. ابن الأحمر، أبو الوليد إسماعيل بن يوسف (807هـ):
نثير فرائد الجمان في نظم فحول الزمان، تحقيق محمد رضوان الداية، عالم الكتب، ط1، بيروت، 1986.
5. ابن الأحنف، العباس بن أسود بن طلحة الحنفي (192هـ):
ديوانه، تحقيق عاتكة الخزرجي، مطبعـة دار الكتـب المـصرية، د.ط، القـاهرة، 1954.
6. الإدريسي، أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس (560هـ):
نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مكتبة الثقافة الدينية، د.ط، بورسعيد، د.ت (1-2) .

7. أرسلان، شكيب:

الحلل السندسية في الأخبار والآثـــار الأندلـــسيّة، دار الكتـــاب الإســـلامي، د.ط، القاهرة، د.ت (1-3) .

8. الأزدي، علي بن ظافر (613هـ):

بدائع البدائه، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبـــة الأنجلـــو المـــصرية، د.ط، القاهرة، 1970.

9. الإستجي، أبو عمرو عثمان بن علي بن عثمان (بعد560هـ)

سمط الجمان وسقط الأذهان، مطبعة النجاح، د.ط، الدار البيضاء، 2002.

10. الأسد، ناصر الدين:

القيان والغناء في العصر الجاهلي، دار الجيل، ط3، بيروت، 1988.

11. الأصبهاني، أبو الفرج علي بن الحسين بن محمد الأموي القرشي (356هـ):

الأغاني، دار الثقافة، ط3، بيروت، 1962 (1-25).

12. ابن أبي أصيبعة، موفق الدين أبو العباس أحمد بـــن القاســـم بـــن خليفـــة الـــسعدي الخزرجي (668هـ):

عيون الأنباء في طبقات الأدبـــاء، تحقيق نزار رضـــا، دار مكتبـــة الحيـــاة، د.ط، بيروت، 1965.

13. الأعمى التُطيلي، أبو جعفر أحمد بن عبد الله بن هريرة (525هـ):

ديوانه، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، د.ط، بيروت، د.ت.

14. أمين، أحمد:

ظهر الإسلام، دار الكتاب العربي، د.ط، بيروت، د.ت.

15. أنيس، إبراهيم:

موسيقى الشِّعر، ط5، 1981.

16. البحتري، أبو عبادة الوليد بن عُبيد (284هـ):

ديوانه، تحقيق حسين كامل الصيرفي، دار المعارف، ط2، القاهرة، د.ت (1-4)

17. بروفنسال، ليفي:

- **تاريخ إسبانيا المسلمة من الفتح إلى سقوط الخلافة القرطبية (711م-1031م)** المجلس الأعلى للثقافة، د.ط، القاهرة، 2002.

- **الحضارة العربيَّة في إسبانيا**، دار المعارف، د.ط، القاهرة، 1979.

18. ابن بسام، أبو الحسن علي بن بسام الشنتريني (542هـ):

الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، د.ط، بيروت، 1997 (1-8).

19. ابن بشكوال، أبو القاسم خلف بن عبد الملك بن مسعود (578هـ):
الصّلة، الدار المصرية، د.ط، القاهرة، 1966 (1-2).

20. البعلبكي، منير:
موسوعة المورد، دار العلم للملايين، ط2، بيروت، 1993 (1-10).

21. البغدادي، صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق البغدادي، (739هـ):
مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، تحقيق علي محمد البجاوي، دار المعرفة، ط1، بيروت، 1955 (1-3).

22. البكري، أبو عبيد عبد بن عبد العزيز بن محمد (487هـ):
المسالك والممالك، تحقيق عبد الرّحمن عبد الحجي، دار الإرشاد، ط1، بيروت، 1968 (1-2).

23. بيريس، هنري:
الشعر الأندلسي في عصر الطّوائف، دار المعارف، د.ط، القاهرة، 1988.

24. بيهم، محمد جميل:
المرأة في حضارة العرب والعرب في حضارة المرأة، دار النشر للجامعيين، ط1، القاهرة، 1962.

25. التبريزي، أبو زكريا يحيى بن علي الخطيب (502هـ):
شرح القصائد العشر، تحقيق فخر الدين قباوة، دار الآفاق الجديدة، ط4، بيروت، 1980.

26. ترند، ج. ب:
تراث الإسلام، مطبعة التأليف، د.ط ، القاهرة، 1936 (1-2) .

27. أبو تمّام، حبيب بن أوس الطائي (231هـ):
شرح ديوانه، إيليا الحاوي، دار الكتاب اللبناني، ط1، بيروت، 1981.

28. التهانوي، محمد علي:
موسوعة كشّاف اصطلاحات الفنون والعلوم، تحقيق علي دحروج، مكتبة لبنان، ط1، بيروت، 1996 (1-2).

29. الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر (255هـ):
- **رسائل الجاحظ**، عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، د.ط، القاهرة، 1964 (1-4) .

- **المحاسن والأضداد**، دار إحياء العلوم، ط1، بيروت، 1986.

30. جرير، أبو حزرة بن عطية بن الخَطَفي (110هـ):

ديوانه، تحقيق نعمان محمد أمين طه، دار المعارف، د.ط، القاهرة، د.ت (1-2).

31. ابن الجزَّار، أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن أبي خالد القيرواني (في حدود 369هـ):

زاد المسافر وقوت الحاضر، تحقيق محمد سويسي ورفيقه، بيت الحكمة، ط1، قرطاج، 1999.

32. ابن جلجل، أبو داود سليمان بن حسان (بعد 372هـ):

طبقات الأطباء والحكماء، تحقيق فؤاد سيد، د.ط، القاهرة، 1955، د.ت.

33. الجُمَحِي، أبو دَهْبَل وهب بن زمعة بن أسيد (63هـ):

ديوانه، تحقيق عبد العظيم عبد المحسن، مطبعة القضاء، د.ط، النجف، 1972.

34. حازم القرطاجني، أبو الحسن بن محمج بن حازم الأنصاري (684هـ):

منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تحقيق محمد الحبيب ابن الخوجة، دار الكتب الشرقية، د.ط، باريس، 1964.

35. ابن حريق، أبو الحسن علي بن محمد بن أحمد البلنسي (622هـ):

ابن حريق البلنسي حياته وآثاره، مطبعة النجاح، ط1، الدار البيضاء، 1996.

36. ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد (456هـ):

- **التقريب لحد المنطق والمدخل إليه بالألفاظ العامية والألفاظ الفقهية**، تحقيق إحسان عباس، دار مكتبة الحياة، د.ط، بيروت، 1959.

- **رسائل ابن حزم الأندلسي**، تحقيق إحسان عباس، المؤسسة العربيَّة، ط2، بيروت، 1987 (1-3).

37. حسين، قدرية:

شهيرات النّساء في العالم الإسلامي، مطبعة السعادة، ط1، القاهرة، 1924 (1-2).

38. الحسيني الموسوي، العباس بن علي شمس الدين (1180هـ):

نزهة الجليس ومُنية الأديب الأنيف، المطبعة الحيدرية، د.ط، النجف، 1967 (1-2)

39. الحطيئة، جَرْوَل بن أوس بن جُؤيّة بن مخزوم (نحو 45هـ):

ديوانه، تحقيق نعمان محمد أمين طه، مكتبة الخانجي، ط1، القاهرة، 1987.

40. الحكيم، أبو الصلت أمية بن عبد العزيز الداني (529هـ):

ديوانه، تحقيق محمد المرزوقي، دار بوسلامة، د.ط، تونس، د.ت.

41. ابن حمديس، أبو محمد عبد الجبار بن أبي بكر بن محمد (527هـ):
ديوانه، دار صادر، د.ط، بيروت، 1960.

42. الحموي، أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله (626هـ):
معجم البلدان، دار الفكر، د.ط، بيروت، د.ت (1-4) .

43. الحميدي، أبو عبد الله محمد بن أبي نصر فتوح بن عبد الله (488هـ):
جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري ودار الكتاب اللبناني، د.ط، القاهرة _ بيروت، 1984 (1-2).

44. الحميري، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم (720هـ):
الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة، ط2، بيروت، 1980.

45. ابن حوقل، أبو القاسم محمد بن علي، (بعد 367هـ):
صورة الأرض، دار صادر، د.ط، بيروت، د.ت.

46. ابن حيان، أبو مروان حيان بن خلف بن حسين بن حيان (422هـ):
المقتبس من أنباء أهل الأندلس، تحقيق محمود علي مكي، دار الكتاب العربي، د.ط، بيروت، 1973.

47. ابن خاقان، أبو نصر الفتح بن محمد بن عبيد الله (529هـ):
- **قلائد العقيان ومحاسن الأعيان**، تحقيق حسين يوسف خريوش، مكتبة المنار، ط1، الزرقاء، 1989 (1-4) .
- **مطمح الأنفس ومسرح التأنس في مُلح أهل الأندلس**، تحقيق محمد علي شوابكة، مؤسسة الرسالة، ط1، بيروت، 1983.

48. خالص، صلاح:
إِشْبِيلْيَة في القرن الخامس الهجري، دار الثقافة، د.ط، بيروت، 1965.

49. الخربوطلي، علي حسني:
تاريخ العراق في ظل الحكم الأموي، دار المعارف، د.ط، القاهرة، 1959.

50. ابن خُرْداذبة، أبو القاسم عبيد الله بن أحمد (280هـ):
المسالك والممالك، دار صادر، د.ط، بيروت، د.ت.

51. الخشني، محمد بن حارث (361هـ):
قضاة قُرْطُبَة، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري ودار الكتاب اللبناني، ط2، القاهرة _ بيروت، 1989.

ملخَّص باللُّغة الإنجليزيَّة

Abstract

This thesis studies women slaves in Al-andalus and their influence on the Andalusian life and poetry. It is in preface, and two sections of seven chapters. The first part is comprised of four chapters discusses women slaves social, cultural, political and economical influence in Al-andalus. The second part is made of three chapters studies women slaves influence on poet's poetry, women slaves poetry, and women slaves influence on singing poetry.

The first part starts with the first chapter which discusses women slaves influence on the Andalusian social life. Chapter one starts with a discussion about women slaves personal liberty in Andalusian society, and how some women slaves used it and transformed it to deterioration. Then, I talked about the relationship between women slaves and free females. I found out that the Andalusian references did not present a lot of information, so it is difficult to draw a picture of their relationships. But the relationship between women slaves themselves was clear; it was competitive and sometimes it was friendly. The relationship between women slaves and men in general was friendly. Their relationship was based on admiring each other, and it may turn into love that drives some men to death or madness. Finally, I discussed the Andalusian society general view for the women slaves, some Andalusians contempt them while others show respect to governors concubines.

The second chapter studies women slaves influence on the Andalusian cultural life. At first, I discussed the Andalusian interest in teaching their women slaves many sciences. I noticed that governors, upper class, and slave traders taught their women slaves. Then, I defined the meaning of intellectual and talented women slaves, I talked about some of them who were described as poets even if their poetry is lost. After that, I studied women slave writers who spread during the period of An-Nasir and Al-Hakam, had an important role in the cultural life, and had weight in Al-andalus. Finally, I looked into the biggest influence of women slaves in the Andalusian culture such as: their names, religions, languages, and their role in poetry as poets and inspiration for men poets.

The third chapter discusses women slaves influence on the Andalusian political life. First, I studied the most powerful women slaves and their political authorities. Then, I talked about the conspiracies that

they made to appoint their sons as rulers and get rid of their fellow wife sons. The women slaves never worked alone to reach their aims, they always asked one of the strong political men – who wanted to rule Al-andalus - to help them. They also made conspiracies to take revenge over one of their competitors or old fellows who betrayed them. Finally, I show some examples for women slaves who had an honorable role in Andalusian political life.

The fourth chapter brings up women slaves influence on the Andalusian economical life. I started this chapter with a discussion about women slaves' trade, the most preferable ones, the most important kinds that Andalusians export. Then, I gathered many texts to explain the long process that the Andalusians go through in order to buy a slave girl. At last, I found out that the buying process and the high prices didn't stop Andalusian interests in women slaves. They considered women slaves as gifts and gave them to each other. They also gave women slaves expensive gifts, farms, and lands, so women slaves became rich and some of them built mosques and grave yards.

The second part starts with the first chapter that discusses women slaves influence on poets poetry. I studied the poetry that the poets composed about women slaves. I organized it in topics according to the quantity of poetry amount. I studied the most important poetry characteristics. Then, I found out that most poets composed single, dual lines or strophes. They used Islamic and Arabic cultural heritage and they also used some aspects from their environment as: birds, flowers, music and dancing. Andalusian poets used rhetoric as paronomasia and antithesis. They imitated the traditional pictures and metaphors, but they created some new pictures when they compose poetry about cupbearers and dancers. They used most of the Arabic poetry music measures and rhymes.

The second chapter discusses women slaves poetry which was composed or sung in Al-andalus. At the beginning, I divided it in subjects according to the amount. Then, I talked about the characteristics of their poetry. I noticed that most of women slaves composed single, dual lines or strophes and they rarely composed long poems. Some women slaves composed narrative poetry. They seldom used rhetoric. Although they tried to be creative, most of them imitated the traditional pictures and metaphors. Finally, I found out that they composed their poetry on Arabic poetry music long measures and their rhymes covered only twelve letters of the Arabic alphabets.

The third chapter sheds light on singing poetry that women slaves chose and sang. At first, I studied Andalusian's – governors and public- interest with singing, the east and foreigner world's effects on Andalusian singing. I found out that eastern women slaves, Zeryab, his sons, and his women slaves had tremendous influence on the Andalusian singing. And the Christian effects were the biggest foreigner effects too. Then, I talked about women slaves influence on singing poets, I discussed how singing strengthens the eastern lyric poetry, and how women slaves choices affected it. I studied both of the eastern and Andalusian poetry that women slaves sang. At the end, I found out that women slaves sang dual lines and strophes, they chose suitable poetry to sing, and the poetry that they sang had rhetoric and inner music in order to help them implement the melody.

Hebron University
Faculty Of Graduate Studies
Arabic Language Department

Women Slaves & Their Influence On Arabic Poetry In Al-andalus

Prepared by: Janan Izzeddin Shabaneh

Supervised by: Hassan Flaifel
Associate Professor of Andalusian Literature

This thesis is submitted in partial fulfillment of the requirements for the degree of Master of Arts in Arabic Language and Literature, College of Graduate Studies & Academic Research, Hebron University.

2005